الجامعة الأردنية
كلية الآداب - قسم التاريخ

بجرد

الاسلام والتعريب في الشمال الافريقي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة

اعداد
بوخالفة نور الهدى

١٨٠٦٦٠

اشراف
الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

أعدت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ بكلية الآداب في الجامعة الأردنية

سنة ١٩٨٦ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــداء

الـــى أمـــي وأبـــــي واخوتـــــي •

الى المليون ونصف من شـهداء الشـعب الجزائـرى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	١ - ٣٧
- الفصل الأول / الجغرافية التاريخية	٣٨ - ٦٩
- التحديد الجغرافي للمغرب	٣٩ - ٤١
- السكان عند الفتح العربي	٤٢ - ٤٥
- الاصول التاريخية للبربر	٤٦ - ٤٧
- تسمية البربر (البتر - البرانس)	٤٧ - ٤٨
- النظام الاجتماعي للبربر	٤٩ - ٥٠
- الديانة	٥٠ - ٥١
- توزيع القبائل البربرية في الشمال الافريقي ابان الفتح ودورهم في تنشيط التجارة فيه .	٥١ - ٦٩
- الفصل الثاني / استراتيجية الفتح	٧٠ - ١٧٧
- عمرو بن العاص وفتح برقة وطرابلس	٧١ - ٨٤
- القبائل العربية التي خرجت لغزو افريقية سنة ٢٧ هـ	٨٥ - ٩٦
- معركة سبيطلة وانتصار العرب المسلمين	٩٧ - ١٠١
- الحملات الصغيرة التي أرسلت الى افريقية من ٤١ هـ - ٤٣ هـ	١٠١ - ١٠٢
- حملة معاوية بن حديج سنة ٤٥ هـ	١٠٢ - ١١٢
- ولاية عقبة بن نافع من ٥٠ هـ - ٥٥ هـ	١١٢ - ١١٩
- ولاية أبي المهاجر على افريقية	١١٩ - ١٢٤
- ولاية عقبة الثانية على افريقية	١٢٤ - ١٣٩
- حملة زهير بن قيس البلوى على افريقية	١٣٩ - ١٤٤
- حسان بن النعمان ودوره في الفتح	١٤٤ - ١٦٦
- موسى بن نصير ودوره في الفتح	١٦٦ - ١٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــوع	الصفحـــة
- الفصل الثالث / التمصير والاستقرار	٢١٩ - ١٧٨
١ - هجرة القبائل العربية الى الشمال الافريقي	١٨١ - ١٧٩
٢ - القبائل المشاركة في الفتح والبعوث طيلـة القرن الاول الى أواسط القرن الثاني للهجرة	١٨٤ - ١٨٢
٣ - انتشار المقاتلة في الثغـور والمـدن	١٨٨ - ١٨٤
٤ - تمصير القـيروان	٢٠٧ - ١٨٩
٥ - ظهـور قـرى عربيـة	٢٠٨ - ٢٠٧
٦ - ظهـور مـدن جديـدة	٢١٣ - ٢٠٩
٧ - الملكيـات	٢١٩ - ٢١٣
- الفصل الرابع / الاقسام الادارية لولاية افريقية وتوزيع العـرب فيهـا	٢٦٨ - ٢٢٠
- الأقسام الادارية لولاية افريقية (طرابلـس - افريقيـة - الـزاب) وتوزيع العرب فيها	٢٣٠ - ٢٢١
- ولاية المغرب الأوسط والاقصى والسوس فـي عصر الولاة والاغالبـة .	٢٣٨ - ٢٣٠
- التنظيم الادارى لولاية افريقية والمغـرب فـي فترة حسـان بـن النعمـان	٢٤٠ - ٢٣٨
- البيوتات العربية والمستعربة النازلة بالمغربين الأوسط والاقصى وظهور كيانات سياسية مستقلة فيها	٢٥١ - ٢٤١
- التنظيم المالي لولاية افريقية (جباية الارض)	٢٥٧ - ٢٥١
- الاختلاط البشرى وأثره في انتشار الاسـلام والعربيـة .	٢٦٨ - ٢٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
- الفصل الخامس / الثقافة العربية الاسلامية : الشيوخ والمؤسسات التعليمية	٤٣٩ - ٢٦٩
أ - الشيوخ ودورهم في الحياة الثقافية :	٢٨١ - ٢٧٠
١ - التابعون الذين وفدوا على افريقية خلال القرن الثاني ودورهم في وضع الأسس التعليمية الاولى .	٢٩٢ - [illegible]١
٢ - رحلة النابتة الى المشرق ودورهم في نشر العلوم الدينية .	٣٠٥ - ٢٩٢
٣ - المذاهب الفقهية ودورها في نشأة علم الكلام وتوسيع حركة التأليف فيه	٣٠٧ - ٣٠٦
٤ - تشجيع الفقهاء النابتة اهل افريقية في طلب العلم وتدوينه وتقديرهم لحامليه .	٣١٠ - ٣٠٧
ب - المؤسسات التعليمية :	
١ - الكتاتيب	٣١٩ - ٣١١
٢ - المنزل	٣٢١ - ٣١٩
٣ - مسجد القيروان ومسجد تونس	٣٣١ - ٣٢٢
٤ - المساجد الاخرى ودورها الديني والتربوى	٣٤١ - ٣٣١
٥ - الرباطات ودورها التربوى	٣٤٩ - ٣٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة

- الفصل السادس / الثقافة العربية الاسلامية : المواد الثقافية .	٣٥٠ - ٤٠٥
أ - الدراسات الدينية :	٣٥١ - ٣٥١
١ - علم القراءات	٣٥٢ - ٣٥٥
٢ - علم التفسير	٣٥٥ - ٣٥٦
٣ - علم الحديث	٣٥٦ - ٣٦٢
٤ - الفقه	٣٦٢ - ٣٦٥
٥ - التأليف	٣٦٥ - ٣٧٢
ب - الدراسات اللغوية :	٣٧٢ - ٣٧٣
١ - العلوم اللسانية (لغة - أدب - نحو - شعر - كتابة)	٣٧٣ - ٤٠٠
٢ - العلوم العقلية (طب - فلسفة)	٤٠٠ - ٤٠٥
- الفصل السابع/ العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ودورها في التعريب	٤٠٦ - ٤٥١
- السبي والتسرى	٤٠٧ - ٤٢٥
- الولاء	٤٢٥ - ٤٣٣
- الحلف	٤٣٣ - ٤٣٤
- المصاهرة	٤٣٤ - ٤٣٥
- الموالي ودورهم في نشر الثقافة العربيةوالاسلامية	٤٣٥ - ٤٤٣
- التجارة	٤٤٣ - ٤٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
- الفصل الثامن / الخوارج وأثرهم في الاسلام والتعريب	٤٥٢ - ٥٠١
- ظهور مذهب الخوارج في المغرب	٤٥٣ - ٤٥٦
- الأسباب التي أدت بالبربر لاعتناق المذهب الخارجي .	٤٥٧ - ٤٦٤
- اعتناق القبائل البترية والبرنسية الخارجية	٤٦٤ - ٤٨١
- أثر الموقع الجغرافي في نشر الاسلام والعربية	٤٨١ - ٤٨٨
- دور الأئمة الرستميين في الحركة الثقافية في المغرب الاوسط .	٤٨٩ - ٥٠١
- قائمة المصادر والمراجع والبحوث	٥٠٢ - ٥٤١
ABSTRACT ..	A.B.C.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــة

ان معظم الأبحاث والدراسات التي تناولت تاريخ الشمال الافريقــي ركزت بشكل خاص على النواحي السياسية ، ولم تجد الدراسات الاجتماعيــة والاقتصادية حظا وافرا من هذه الدراسات . ولهذه الجوانب أهميتهـــا ، لهذا كان اختيار موضوع هذه الرسالة وهو انتشار الاسلام والعربية فـــي الشمال الافريقي .

ان طبيعة الموضوع أدت الى أن تشمل الدراسة زمنيا فترة القـــرون الثلاثة الاولى للهجرة وهي فترة رسوخ الاسلام ونشأة الثقافة العربيــــــة الاسلامية ونشاط التعريب .

ويواجه الباحث في هذا الموضوع مشكلة هامة ، وهي تنوع مصـــادر المعلومات من موءلفات تاريخية وجغرافية وأدبية وفقهية وكتب انســـــاب، هذا الى قلّة المعلومات وتشتتها مما يحتاج الى توسع في دراسة المصـــادر المتوفرة ،مما أوجد صعوبة في وضع الخطة وجمع المادة ، هذا اضافـــــة الى طبيعة الموضوع التي فرضت تناول فترة زمنية طويلة . كما تتصف المعلومات عن الفترات الاولى من الفتح بالاختلاف والارتباك عند الموءرخين واختـــلاط الحقائق التاريخية بالقصص والاساطير ، مما أوجب الحذر والدقة فـــــي الاستفادة منها .

ولعل أهم المشاكل التي واجهتنا هي كتابة الفصل الرابع والســـابع لضآلة المعلومات عن النواحي الاجتماعية والاقتصادية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قسمت الرسالة الى ثمانية فصول هي :-

الفصل الأول

في الجغرافية التاريخية ، ويبحث في حدود المغرب وافريقية وسكانه ابان الفتح وتوزيعهم على المناطق الزراعية والتجارية .

استعمل الجغرافيون والمؤرخون العرب لفظ المغرب وافريقية ، وكانوا يخلطون بين اللفظين ولا يميزون بينهما ، الا ان ذلك لم يستمر طويلا ، فأصبح واضحا أن حدود المغرب تمتد من اقليم برقة شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا والبحر المتوسط شمالا ، الى الصحارى التي تفصل بينه وبين أرض السودان جنوبا .

وقسم المغرب الى أقاليم هي : برقة ، وطرابلس ، وافريقية ، والمغرب الاوسط ، والاقصى ، فالسوس الادنى والاقصى . وصارت افريقية تشمل تونس الحالية وشرق الجزائر .

وتناول هذا الفصل سكان الشمال الافريقي ، وكانوا يتألفون عند الفتح من الافارقة والروم والبربر .

كان الافارقة من بقايا الشعب القرطاجني ، وهم جماعات من الزراع والصناع تتركز في النواحي الساحلية .

أما الروم فكانوا فئة اجتماعية محدودة تتألف من الحكام الاداريين والحاميات العسكرية ، واقتصر وجودهم على مراكز معينة في تونس والجزائر وطرابلس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان البربر عامة السكان وهم اهل البلاد . ويرى بعض المؤرخين انهم هاجروا من فلسطين أو من اليمن ، وانهم يرجعون الى أصول كنعانية أو حميرية . ويصنف البربر الى مجموعتين : البرانس والبتر . وانقسمت الى قبائل عديدة برز بعضها أثناء الفتح العربي وكانت غالبية القبائل البربرية وثنية الا ان بعضها مثل نفوسة وزناتة وأوربة وغمارة كانت مسيحية ، كما انتشرت اليهودية في بعض القبائل مثل جراوة الاوراس وبعض نفوسة طرابلس .

وكان الشمال الافريقي مقسما الى عدة مناطق نفوذ بربرية عشية الفتح العربي ، فمناطق نفوذ القبائل الرئيسية مثل لواتة وزناتة ومصمودة وصنهاجة كانت في افريقية والمغرب الاوسط والاقصى وجنوبه باتجاه السودان .

وعاشت هوارة بالقرب من أغمات ، وكانوا من التجار المياسر ، وكانت التجارة نشطة مع السودان . كما عاشت مكناسة البدوية على وادى طوية وكانت محطة للقوافل التجارية القادمة من المغرب الاوسط والمتوجهة نحو المغرب الاقصى والسودان .

ويبدو أن الاحوال الجغرافية والمناخية كانت وراء توزيع سكان الشمال الافريقي منذ زمن بعيد بين مستقرين وشبه مستقرين وبدو ورحل .

الفصل الثاني - استراتيجية الفتح -

وتناول فتح برقة وطرابلس على يد عمرو بن العاص ، والقبائل العربية التي شاركت في غزو افريقية سنة ٢٧ هـ ، ومعركة سبيطلة ، ثم الحملات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصغيرة التي وجهت الى افريقية من سنة ٤١ هـ الى سنة ٤٣ هـ ، ثـــم حملة معاوية بن حديج السكوني سنة ٤٥ هـ ، ثم ولاية عقبة بن نافع علــى افريقية سنة ٥٠ هـ - ٥٥ هـ ،ثم ولاية أبي المهاجر دينار على افريقيـــة سنة ٥٥ هـ - ٦٣ هـ ، ثم ولاية عقبة الثانية سنة ٦٣ هـ ، ثم حملة زهير بن قيس على افريقية سنة ٦٩ هـ ، ثم دور حسان بن النعمان وموسى بن نصـير في اتمام الفتح .

كان جيش عمرو بن العاص الذى فتح برقة وطرابلس من القبائل العربية التي شاركت في فتح مصر وعامته يمنية . عقد عمرو بعد فتح برقة الصلـــح مع لواتة وجعل على من أسلم منهم العشر ونصف العشروبعد فتح اجدابية ، عقد معاهدة صلح مع أهلها ، وكانوا من لواتة ، وقد اعتنق العديد منهـم الاسلام .

وكانت المحاولة الاولى لفتح افريقية سنة ٢٧ هـ ،حيث خرج فيهـــا عبد الله بن سعد ابن ابي سرح بجيش عدده عشرون ألف رجل ، ولـــم تتجاوز الحملة الاستطلاع والحصول على الغنائم الكثيرة . ونتيجة حملتـــه أسلم أمير مغراوة وزناتة ،صولات بن وزمار البربرى على يد عثمان بن عفـــان ، الذى عقد له على قومه مغراوة التي هي أوسع بطون زناتة .

وفي سنة ٤٥ هـ كانت حملة معاوية بن حديج حيث وصل فيها الـــى جلولاء وسوسة وبنى معاوية في موضع القيروان مساكن للجند ســـماها " القيروان " واحتفر آبارا كثيرة كانت تعرف باسمه وهذه مبادرة أوليـــة للاستقرار بافريقية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سنة ٤٦ هـ أصبحت طرابلس ولاية اسلامية ، عيّن رويفع بن ثابت واليا عليها ، ومنها فتح جزيرة جربة سنة ٤٧ هـ .

وفي سنة ٥٠ هـ ولى معاوية عقبة بن نافع الفهري على افريقية ، وأرسل له بمدد عدده عشرة الاف أغلبه من اليمنية ، وضم جيشه جماعة من البربر الذين أسلموا في هذه الفترة من لواتة ومغراوة وصنهاجة ، مما يشير الى انتشار الاسلام بينهم . ورأى عقبة اقامة مركز للمسلمين في افريقية فبنى القيروان . فكان تأسيس هذه المدينة سنة ٥٠ هـ الحد الفاصل بين محاولات الفتح الاولى التي سبقتها والتي لم تنته الى شيء راسخ ، والاعمال التي تلتها ، والتي انتهت بفتح البلاد وتحولها الى الاسلام .

ويذكر ان الكثير من البربر دخلوا الى الاسلام بعد بناء القيروان .

وفي سنة ٥٥ هـ عيّن أبو المهاجر دينار على افريقية فكانت له غزوتان ،الاولى وصل فيها الى تلمسان والثانية الى قرطاج . وقد استهدفت حملاته اتخاذ الذين أسلموا من البربر أعوانا وحلفاء لفتح المناطق النائية من المغرب . وقد وفر لكسيلة وأتباعه من بربر زناتة شروطا حسنة للصلح مما جعل كسيلة يعتنق الاسلام ويرافقه في تحركاته ، ويظل معه الى حين عزله ووصول عقبة بن نافع .

وفي سنة ٦٠ هـ عيّن عقبة ثانية على افريقية وأول عمل قام به اصلاح القيروان واعادة الجالية العربية اليها ، ثم بدأ في محاولة اتمام فتح المغرب الاوسط والاقصى ، وكانت حملته واسعة النطاق فيها مجازفة ، أدت به الى وصول المحيط الاطلسي ،ورجوعه ، ثم مقتله في تهودة سنة ٦٣ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن عقبة هدف الى نشر الاسلام في المغرب فقد بنى مسجد درعة وماسة بالسوس الاقصى ،كما كان يترك نفرا من أصحابه بين البربر الذين أسلموا ، ليعلموهم القرآن وشرائع الاسلام . وقد أسلم بعض بربر المغرب الاقصى على يده .

وظلت افريقية بعد استشهاد عقبة في تهودة سنة ٦٣ هـ بيد كسيلة واتباعه الى ان عيّن عبد الملك بن مروان زهير بن قيس البلوى سنة ٦٩ هـ واليا على افريقية الذى تمكن من القضاء على كسيلة واسترجاع افريقية . وكانت نهاية زهير على يد الروم الذين أغاروا على سواحل برقة سنة ٧١ هـ .

وفي سنة ٧٦ هـ ولى حسان بن النعمان على افريقية ،فخرج بجيش عدّته أربعون ألفا ، معظمهم من جند الشام ، كما انضم الى هذا الجيش البربر البدو من لواته ، فجعل حسان على مقدمتهم هلال بن شروان اللواتي . وهدف في حملته فتح قرطاجنة وصطفورة وبنزرت الا انه هزم على يد الكاهنة في باغاية .

وفي سنة ٨٢ هـ بعد وصول الامدادات اليه من المشرق توجه ثانية الى الكاهنة فقتلها في طبرقة . ثم أعاد فتح قرطاجنة وبهذا النصر المزدوج خلصت أرض افريقية للمسلمين ،وتلت ذلك فترة استقرار ، انجز فيها حسان أعمالا كثيرة ، دوّن الدواوين وكتب الخراج على من بقي من البربر والروم على النصرانية ،وبثّ الدعاة في مختلف القبائل لنشر الاسلام ،وأنشأ ميناء جديدة في تونس لتحل محل قرطاجنة ، كما اشرك البربر في جيشه ،فمن ذلك الحين استأمن جمهور البربر الى حسان ، فحسنت طاعتهم وأخذ الاسلام ينتشر في صفوفهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سنة ٨٦ هـ ولى موسى بن نصير على افريقية فاعتمد في اكمال فتح المغرب بجيش عرب افريقية والبربر المسلمين الذين جنّدهم حسان ، وبرز موسى بن نصير قائدا منتصرا في فتح المغرب والاندلس . ويرجع ذلك الى السياسة التي نهجها مع الاهالي ، وهي سياسة التعاون والاندماج الكلي مع البربر . وقد نجحت هذه السياسة اذ أن جلّ الجيش الذى خرج لفتح الاندلس مع طارق بن زياد كان من البربر .

الفصل الثالث - التمصير والاستقرار -

وتناول القبائل المشاركة في الفتوح وفي البعوث الاخرى ، وانتشارها في الثغور والمدن ، ثم تمصير القيروان وظهور قرى عربية ومدن جديدة ، ثم استقرار العرب عن طريق الملكيات .

واذا كان خروج العرب ابتداء للجهاد ، فان المجالات الاقتصادية دفعت الكثيرين فيما بعد الى الهجرة والاستقرار في افريقية . كما كانت الاوساط الحاكمة بالمشرق تشجع الهجرة لتعمير افريقية ولتدعيم السلطة العربية الاسلامية .

وكان انتشار المقاتلة في أغلب المدن التي كانت تقام عند المسالح . وكانت مواطن الاستقرار الاولى القيروان أولا ، ثم تونس وطنجة .

وخططت القيروان على غرار دور الهجرة في المشرق : دار الامارة ، والمسجد الجامع في الوسط ، وحوله منازل القبائل . ومعظم القبائل التي كانت لها خطة جاءت من مصر ، كما نزل بعض البربر بجوار العرب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة أصبحت القيروان وتونس مدينتين عربيتين ، بيوتهم وخططهم فيهما .

وأصبحت القيروان منذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة مدينة مزدهرة تستقطب العديد من التجار والعلماء . فكانت حاضرة شهيرة ومركزا من مراكز العلم والحضارة في العالم الاسلامي .

وانتقلت جماعات عربية الى الريف ونسبت اليها قرى عديدة ، ويبدو ان هذه القرى توسعت بالعرب الى مدن صغيرة . ويلاحظ ان هذه الملكيات التي كانت على شكل قرى أو مدن هي لأناس من القبائل اليمنية والحجازية .

وكان لانتشار العرب وصلتهم بالارض دور كبير في نشر الاسلام والعربية . فقد اتجه بعض العرب الى امتلاك الاراضي عن طريق الاقطاع والشراء وصارت لهم صلات وثيقة بالاهالي .

الفصل الرابع - التنظيم الاداري والمالي وأثرهما في التعريب -

تناول الاقسام الادارية لافريقية والمغرب وتوزيع العرب فيها ، والتنظيم الاداري والمالي لها في فترة الادارة وآراء الفقهاء من ذلك ، ثم البيوتات العربية والمستعربة النازلة بالمغربين الاوسط والاقصى وظهور كيانات سياسية مستقلة فيها .

كانت ولاية افريقية في فترتي الولاة والاغالبة مقسمة الى أقسام ادارية هي : طرابلس وافريقية (تونس الحالية) والزاب . ويرجع أول تنظيم للمغرب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسلامي الى أيام حسان بن النعمان الغساني سنة ٨٢ هـ ، حيث وضع حسان أساس تنظيم ولاية افريقية والمغرب لتصبح ولاية قائمة بنفسها ، مستقلة عن ولاية مصر . فدون الدواوين وقسم الاراضي على البربر ، وجعل الخراج على من بقي على النصرانية . ومن القيروان عين ولاة افريقية العمال على الاقسام الرئيسية الثلاثة (طرابلس، وافريقية والزاب) والاقسام الادارية الاصغر . وثبت لدينا بمعلومات عن نظام الارض في ولاية افريقية سوى انه فرض عليها الخراج .

أما بلاد المصامدة وهي مراكش فكانت تعامل على اساس انها أرض أسلم عليها اهلها ، لا أرض صلح ولا عنوة وأهلها ملاكها ، أما المغرب الاوسط فكان يتبع ولاية افريقية ، الا انه لم تكن للاغالبة سيطرة فعلية عليه ، فتقاسم هذا الاقليم الخوارج من صفرية وأباضية في الربع الاول من القرن الثاني للهجرة ، فنشأت امارة صفرية في تلمسان سنة ١٤٨ هـ ، كما نشأت امارة اباضية سنة ١٤٤ هـ في اقليم تاهرت . الا ان امارة تلمسان لم يكتب لها البقاء في يد الخوارج الصفرية ، فدخلت في حوزة الادارسة سنة ١٧٣ هـ وتوارث الملك فيها بنو سليمان من الادارسة ، وساد فيها المذهب المالكي .

وكان المغرب الاقصى والسوس وحدة ادارية في ولاية موسى بن نصير وقاعدتها طنجة وبقي كذلك في فترة الولاة ثم تأسست فيه دولة الادارسة سنة ١٧٣ هـ ، كما انقطع السوس الادنى والاقصى عن حكم ولاة افريقية وأصبح سنة ١٤٠ هـ امارة خارجية صفرية ، يحكمها بنو واسول ، وقاعدته سجلماسة .

٣٣١٠٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ان المغربين الاوسط والاقصى والسوس انقسم الى وحدات ادارية محلية ، تولت الرئاسة فيها أسر عربية وأسر بربرية مستعربة ، مما ادى الى الاختلاط والتزاوج والانتساب ، وقد شمل هذا الاختلاط معظم هذه الاقسام مما ساعد على تعريبها .

الفصل الخامس والسادس - الثقافة العربية الاسلامية -

ويتناول القسم الاول منه الشيوخ والموءسسات الثقافية ، والقسم الثاني يتناول المواد الثقافية .

وتناول القسم الاول : الشيوخ ودورهم في الحياة الثقافية من جهة والموءسسات التعليمية من جهة أخرى .

ارتبط انتشار الاسلام والتعريب في افريقية والمغرب في بداية القرن الثاني للهجرة بمجموعة المقاتلة وفيهم التابعون الذين استقروا بالقيروان ، فبنوا المساجد والكتاتيب وكانوا النواة الاولى في وضع الاسس التعليمية بافريقية. كما ارتبط بالبعثة العلمية التي أرسلت سنة ١٠٠ هـ، وبرحلة طلبة العلم النابتة الى الامصار الاسلامية ، ورجوعهم بما دوّنوه وسمعوه ، ليحلق حولهم الطلبة في المساجد .

وأدت الكتاتيب والمنازل دورا هاما في تعليم الاولاد الاسس الاولية للغة والقرآن .

وفي النصف الثاني من القرن الثاني كثرت حلقات العلم في المساجد والجوامع ، وابرزها في هذه الفترة جامع عقبة بالقيروان وجامع تونس . وبلغ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النشاط التعليمي أوجه في القرن الثالث الهجري ، ويتجلى ذلك في كثرة الفقهاء والعلماء وطلاب العلم وعدد المساجد المنتشرة في المدن والقرى وتعدد الحلقات فيها .

وكثرت الرباطات على الشواطيء الافريقية ، فاضافة الى دورها الحربي كان لها دور تعليمي ، فحوى أغلبها على نخبة من الفقهاء والعلماء كانوا يقومون بالتدريس فيها .

أما القسم الثاني فتناول : الدراسات الدينية والدراسات اللغوية .

اتجهت الدراسات الدينية في افريقية والمغرب الى القرآن والحديث ، وما يتصل بهما من دراسات أخرى كعلم القراءات وعلم التفسير والفقه وعلم الحديث ، وكانت فيها حركة تأليف واسعة .

أما الدراسات اللغوية فقد شملت اللغة والادب والشعر والكتابة . واحتوت العلوم العقلية على دراسة الطب والفلسفة .

وكان اهتمام اهل افريقية بقراءة القرآن كثيرا ، لدرجة انه لم تخل مدينة أو بلدة أو مسجد من مقرئ يقوم بالقراءة الصحيحة للقرآن ، فكان دور القراء هاما في حركة التعريب .

وكان بافريقية مدرستان من مدارس التفسير : المدرسة المالكية ومدرسة المعتزلة ، وسادت المدرسة الاولى رغم وجود آثار المدرسة الثانية ونبغ العديد في تفسير القرآن وألفوا فيه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرفت افريقية محدّثين ثقاة اعتنوا بجمع الاحاديث وتدقيقها وتوثيقها والتأليف في تفسيرها .

واذا كانت الدراسات الدينية بدأت بعد استقرار الفتح مباشرة ، واستمرت في نموها في فترات لاحقة ، فان الدراسات الادبية واللغوية والعقلية تأخرت نوعا ما ، وكان روادها من الوافدين العرب على افريقية ، خاصة في فترة المهالبة وبني الاغلب الذين شجعوا وأكرموا وفادة كل من وفد عليهم من الادباء والشعراء والنحاة والكتاب والفلاسفة والاطباء . وعن هؤلاء درس اهل افريقية ولم يصل القرن الثالث حتى نبغ من بين هؤلاء الافارقة أدباء ونحويون وكتّاب وأطباء وفلاسفة ، وأخذوا بدورهم نشر هذه العلوم بين أبناء بلدهم .

الفصل السابع - العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ودورها في التعريب -

وتناول هذا الفصل أثر الولاء والاحلاف والمصاهرة والحوار والتجارة في حركة التعريب .

كانت فئات المجتمع الافريقي تتصل بالعرب أثناء الفتح وبعده ، في مجالات تعددة ، وذلك عن طريق السبي والولاء والحلف والمصاهرة والتجارة . ان كثرة السبي والغنائم بافريقية ترجع لمقاومة القبائل البربرية المستمرة ، وانتشار الوثنية بين أغلبيتهم ، فكان السبي الموجه الى المشرق ، يبدو لونا من الهجرة ، وكأنما تعاون على تعريب المغرب نوعان من الهجرة : هجرة القبائل العربية الى المغرب ، وهجرة هذه الاعداد الكثيرة من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبي البربر الى المشرق التي كانت تفرّق بين البيوتات العربية وينتظر من ذلك اسلامها وتعريبها .

وكان التسرى بالبربريات مألوفا واتسع بدوره خاصة في فترة موسى بن نصير ، وقد فتح التسرى باب اتصال البربريات بالبيوتات العربية العريقة ، وأنجبن شخصيات بارزة كان لها أثرها في التاريخ السياسي والديني في المشرق والمغرب . ولم تتوقف هجرة السبي الى المشرق عند انتهاء الفتح بل استمرت ايام الولاة ، فكان خلفاء بني أمية يطلبون من عمّالهم بافريقية تزويدهم بالسبي .

ويبدو أن رقيق السبي استمر الى بداية القرن الثاني فمن المشتهرين بهذه التجارة اسماعيل بن عبيد الانصارى (ت ١٠٧ هـ) . وترد اشارات الى بعض مشاهير البربريات اللاتي اتخذن أمهات أولاد في الفترة الاموية والعباسية ، وأسماء ابنائهن الذين كان لهم في التاريخ المشرقي والمغرب شأن . وترد اشارات الى بعض المصاهرات المباشرة مما أدى الى نشوء جيل جديد من المولدين بافريقية .

وأدت كثرة السبي من جانب آخر الى توسيع نطاق الولاء ، فكان ذلك احدى العوامل المساعدة على انتشار العربية ، وعلى توسع التعريب ، فكان للعديد من الموالي ذكر في المساهمة في الحركة الثقافية .

ومن أهم الروابط التي ساعدت على توثيق العلاقة بين الاسر العربية المستقرة بالشمال الافريقي والجماعات البربرية هي رابطة الحلف . ولم يكن الربط بين القبائل البربرية والعربية جماعيا فحسب ، وانما سعى العرب الى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ربط القبائل الكبرى والمتحالفة معهم بنسب عربي ، ومع مرور الزمن أصبح البربر من قبائل عدة يحسبون أنفسهم من ذوى الانساب العريقة ويأنفون أن ينسبوا لأصول بربرية .

كما ساعد النشاط التجارى على نشر الاسلام والعربية لا سيما في المناطق الصحراوية من المغرب وبصفة خاصة في مناطق جنوب الصحراء .

الفصل الثامن - الخوارج وأثرهم في نشر الاسلام والتعريب -

وتناول ظهور المذهب الخارجي في المغرب ، وأسباب اعتناق البربر له . وأسماء القبائل البترية والبرنسية التي اعتنقت المذهب الاباضي والصفرى ،وتوزيعها على الشمال الافريقي . واختيار الرستميين موقع تاهرت الجديد ودوره في نشر الاسلام والتعريب في الريف ،ثم دور الائمة الرستميين في الحركة الثقافية في المغرب الاوسط .

ان الدور البارز في نشر الاسلام والثقافة العربية بين عدد كبير من القبائل البربرية يعود الى دعوة الخوارج من صفرية واباضية ، وهي دعوة انطلقت من البصرة ، وكان رائدها أبو عبيدة مسلم التميمي الاباضي الذى أرسل اربعة من حملة العلم لبث الدعوة . كما ساعدت ظروف المغرب الاقتصادية والسياسية على انتشار هذه الدعوة انتشارا واسعا بين البربر. وأدى ذلك الى ظهور امارات خارجية في المغرب الاوسط ، كامارة الرستميين في تاهرت ، وكانت قبيلة نفوسة تمثل الدعامة الاساسية لحكم بني رستم في تاهرت ، وقد نزح قسم كبير من جبل نفوسة ، ليستقر بالعاصمة الجديدة تاهرت، في درب النفوسيين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الهجرة من الريف الى المدن قد ساهمت مساهمة فعالة في انتشار التعريب ،ونلمس ذلك بصورة واضحة في حياة القبائل البربرية التي اعتنقت الخارجية الاباضية . فكان قدوم القبائل في مواسم معينة الى ضواحي تاهرت عونا على التعريب ، وعلى انتشار الثقافة العربية .

كان لازدهار تاهرت التجارى منذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة اثره في هجرة العديد من التجار العرب اليها واستقرارهم في المغرب الاوسط . وترتبط حياة تاهرت بازدهار التجارة الصحراوية فعن طريق تجارها من العرب والبربر المسلمين بلغ الاسلام والتعريب مناطق الواحات في الجنوب وبلاد السودان .

كما فسح تسامح الائمة الرستميين المجال لحركة ثقافية واسعة ، حتى أصبحت تاهرت ،في العلم ، شأنها شأن القيروان وتونس .

هذا وقد توصل البحث الى نتائج منها :

أ - ان فتح الشمال الافريقي شارك فيه العرب والبربر المسلمون تحت لواء الاسلام . فقد كسبت الدعوة الجديدة الى صفها البربر ، وهم عامة السكان ،ونلمس ذلك بمشاركة عدد كبير من البربر المسلمين ضمن المقاتلة في فتح الاندلس وجزر البحر الابيض المتوسط .

ب - ان التعريب لم يتم بمجرد انتشار مجموعات من القبائل العربية ، خلال فترة الفتح ،أو بعدها ،بل نتيجة استقرارهم في المدن والارياف، ونزولهم الضياع والقرى ، واختلاطهم بالاهالي بحكم الجوار والمصاهرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهور حواضر مثل القيروان وتونس وتاهرت وسجلماسة وفاس ، وارتباط هذه الحواضر بمسالك تجارية نشطة في فترة ازدهار الحركة الاقتصادية ، وعلاقة هذه الحواضر بأريافها .

جـ - وخلال تتبع حركة التعريب لم تصبح اللغة العربية سائدة في كل نواحي شمال افريقية ، انما كان هناك تعريب في المدن التي نزلها عرب وفي الارياف القريبة منها .

ويلاحظ ان العربية كانت لغة الثقافة والادارة ، فتأثر بها من كانت له صلة بها ، دون أن يشيع استخدام العربية بين عامة الناس . وكان لعامل الدين المتمثل في الاسلام تأثير في هذا التعريب الثقافي .

د - ان الهجرة من الريف الى المدن أيام الرخاء والقحط عرّضت أهل الارياف والبوادي الى التعريب ، كما أوجدت نوعا من الولاء . ولم يكن نظام الولاء مظهر بارزا في المغرب ،كما كان في المشرق ، بل كان أسلوب الحلف هو الاكثر شيوعا ،لأن البربر كانوا قبائل قوية مرتبطة فيما بينها ، وان النصوص التاريخية لا تحدّثنا عن هذا النوع من الارتباط بالعرب .

الا ان هناك بعض الاشارات الى الموالي البربر الذين ارتبطوا بشخصيات عربية اشتهرت في ميدان القيادة العسكرية والسياسية ،أو في الميدان العلمي . .وهذا النوع من الارتباط وفر لبعض الجماعات البربرية مجال الانتساب الى قبائل عربية والافتخار بالانتماء الى أصل عربي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ - وكانت لدعوات الدينية دور بارز في نشر الاسلام والثقافة العربية بين عدد كبير من القبائل البربرية ،اذ استطاعت ان تؤسس امارات في الشمال الافريقي مثل دعوة الادارسة بين صفوف قبيلة اوربة ،ودعوة الاباضيين في جبل نفوسة بين قبيلة نفوسة ، وبين قبائل زناتة في المغرب الاوسط ، ودعوة الصفريين في منطقة غمارة ، وبين صفوف بني واسول المكناسيين ، ودعوة الشيعة في بلاد كتامة .

و - وكان للتجار ولنشاط المراكز التجارية في القرنين الثاني والثالث للهجرة أثره في التعريب خاصة في المدن ، وعلى طرق التجارة .

ز - كان لانتشار الاسلام دور في التعريب ،لأن ذلك يتطلب تعلم شيء من العربية لقراءة القرآن ، الا أنه قد لا يوازى أثر الثقافة والادارة وانتشار العرب ،في التعريب .

واذا كان الاسلام انتشر بسرعة في المغرب فان حركة التعريب كانت بطيئة واستمرت في بلدان المغرب على امتداد القرون الثلاثة الاولى وعلى فترة تزيد عن القرن الخامس .

تحليل المصادر

اقتضى البحث استعمال اصناف عدة من المؤلفات ، منها التاريخية ، والجغرافية ، وكتب الطبقات والتراجم ،وكتب الانساب ،ومؤلفات أدبية وفقهية . ومع أن كل كتاب يركز على ناحية معينة ، الا انه لم يهمل النواحي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاخرى . ولذا لقد استفيد من كل كتاب ولو جزئيا في موضوع من مواضيع الرسالة ،وكان للمصادر التاريخية والجغرافية وكتب الطبقات أهمية كبيرة في كتابة هذه الرسالة .

ويمكن التنويه بأهمية بعض المصادر التاريخية ،والتي أفاد البحث منها بصورة خاصة مثل : كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) ،وكتاب فتوح البلدان للبلاذرى (ت ٢٧٩هـ) ، وتاريخ الرسل والملوك للطبرى (ت ٣١٠هـ) ،وكتاب الولاة والقضاة للكندى (ت ٣٥٠هـ) ، وتاريخ افريقية والمغرب للرقيق (ت ٤١٧هـ) ، وتاريخ الائمة الرستميين لابن الصغير المالكي (حوالي نهاية القرن الثالث للهجرة) ، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) ، وكتاب البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى (ت ٦٩٠هـ) ونهاية الارب للنويرى (ت ٧٣٠هـ) ،وتاريخ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) .

ان كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ،هو أقدم مصدر وصلنا عن فتح المغرب ،وله أهمية خاصة لأن ابن عبد الحكم استقى معلوماته التي أوردها في هذا القسم من الكتاب عن محدثين من أمثال يزيد بن أبي حبيب (ت ١٢٥هـ) والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) ، وعثمان بن صالح (ت ٢١٩هـ) ، ويحيى بن بكير (ت ٢٣١هـ) . وروايته عن فتح المغرب - رغم ايجازها - دقيقة على جانب كبير من الاهمية لأنه ينفرد بمعلومات استقاها كما يبدو من مصادر موثوقة ، كقوله : "كان الناس قبل أبي المهاجر يغزون افريقية ثم يقفلون منها الى الفسطاط وأول من أقام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الانصار أقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلا "(١). ومن ذلك الاشارة الى هلال بن شروان اللواتي الذى جعله حسان على مقدمة جيشه (٢) والى مجموعة البتر التي اشركها حسان في جيشه وقربها (٣).

كما أعطى معلومات عن النظام الادارى الذى وضعه حسان بن النعمان لافريقية وبين ان جماعة البربر التي اسلمت ايامه كانت اكثرها من البتر (٤). وحين يشير الى حرس الوالي يزيد بن أبي مسلم (١٠٢هـ) يقول : ان حرسه كانوا من البتر خاصة ليس فيهم من البرانس أحد (٥)، مما يشعر بأن ابن عبد الحكم كانت له معلومات دقيقة عن عناصر البربر التي استجابت للاسلام في مراحله الاولى وانضوت تحت لوائه .

كما أعطى ابن عبد الحكم معلومات مفصلة عن ثورة الخوارج سنة ١٢٢هـ وعن الجماعات العربية التي استقرت في نواحي مختلفة من المغرب(٦). وروايته عن فتح افريقية كاملة، بدأها من المحاولات في طرابلس وانتهى بها في نهاية العصر الاموى تقريبا (٧). ولم يكتف ابن عبد الحكم في

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ١٩٧ (عن الليث بن سعد).

(٢) ن . م . ص ٢٠٠ .

(٣) ن . م . ص ٢٠١ .

(٤) ن . م . ص ٢٠١ .

(٥) ن . م . ص ٢١٤ .

(٦) ن . م . ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

(٧) ن . م . ص ١٧٠ - ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثير من الاحيان برواية واحدة للخبر الواحد ،بل أورد روايتين مختلفتين (١) ، مما يشعر بدقته وتحريه . فكان كتابه مرجعا لمن تناولوا تاريخ فتح المغرب بعده ويلاحظ هذا بوضوح عند البكرى (٢) .

وقد أفادت الرسالة من ابن عبد الحكم في الفصول الاربعة الاولى ، وفي الفصل السابع . وكانت الافادة واسعة في الفصل الثاني وبخاصة في معرفة القبائل التي خرجت من مصر لفتح افريقية . (٣)

ويمتاز البلاذرى بأنه روى معظم أخباره عن الواقدى (٤) ، وتكاد روايته هذه ان تكون البقية الموثوق فيها من مغازى افريقية الذى كتبه الواقدى . ورغم ما في رواية البلاذرى من ايجاز الا انه أورد اشارات ذات أهمية كتحديده مكان موقعة سبيطلة (عقوبة) (٥) ، وتأكيده ان عبد الله بن سعد عاد الى مصر ولم يول على افريقية احدا ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مصر جامع (٦) . ثم يذكر نقلا عن الواقدى ان عقبة هو الذى مصّر القيروان (٧) . وانفرد البلاذرى بمعلومات لها أهمية كالاشارة الى

---

(١) ابن عبد الحكم ،ص ١٧٠، ١٧١، ١٨٤ .

(٢) البكرى ، وصف ،ص ٥، ٨ - ٩، ١٢ - ١٣، ١٤ .

(٣) ابن عبد الحكم ،ص ٩٣ - ١٢٤، ١٨٤ .

(٤) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٤، ٢٢٥ .

(٥) ن . م . ص ٢٢٤ .

(٦) ن . م . ص ٢٢٥ .

(٧) ن . م . ص ٢٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتح طنجة وتمصيرها من قبل موسى بن نصير (١) . كما ذكر البلاذرى بعض الصحابة والتابعين ممن صحبوا عبد الله بن سعد في غزوته سنة ٢٧ هـ منهم المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (٢) ، فكان ذكره لهذا المحدّث بنسبه الكامل معينا على التعرف الى شخصية الزهرى ، وهو المسور الزهرى الذى نسب اليه النويرى طائفة من اخباره في الفتح (٣) . ويعتبر هذا المحدّث مصدرا لكثير مما بأيدينا من أخبار افريقية ، وهو راوية نقل عنه المالكي أيضا (٤) . فكانت لمعلومات البلاذرى عن الواقدى أهميتها في الفصلين الثاني والثالث .

أما الطبرى فلم يعتن بتاريخ افريقية اذ لا يورد الا اخبارا قليلة ومع ذلك فان معلوماته عن يزيد بن أبي حبيب في تمصير القيروان سنة ٥٠ هـ (٥) لها أهميتها بالنسبة للفصل الثالث . كما انفرد عن بقية المؤرخين بالاشارة الى وفد الخوارج الذى توجه الى دمشق سنة ١٢٢ هـ . كما أورد فحوى شكوى المغاربة (٦) التي دلتنا على سياسة الولاة التعسفية اتجاه البربر المسلمين وأسباب اعتناقهم للخارجية ،لذا كان لنص الطبرى عن الخوارج أهمية كبيرة أفادت البحث في الفصل الثامن .

---

(١) البلاذرى ،فتوح ، ص ٢٢٨ (عن الواقدى) .

(٢) ن ٠ م ٠ ص ٢٢٤ ٠

(٣) النويرى ،نهاية الارب ، ج ٢٢ ،ص ٤ ٠

(٤) المالكي ،رياض النفوس ،ج ١ ،ص ٨ ، ٩ ٠

(٥) الطبرى ، ج ٧ ،ص ٩٣ - ٩٤ ٠

(٦) ن ٠ م ٠ ج ٥ ،ص ٢٨١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي كتاب الولاة والقضاة للكندى معلومات عن محاولات الفتح الاولى لافريقية خصوصا ما يتصل منها بفتح برقة وطرابلس والتي ذكرها الكندى ضمن أخبار مصر (١). كما احصى الكندى أعمال عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد ومعاوية بن حديج السكوني . وانفرد بمعلومات مفصلة عن محاولات عمرو بن العاص في افريقية في ولايته الثانية على مصر (٢)، كما أورد في سياق الحديث عن الفتح مفاوضات بين سكان البلاد والفاتحين العرب تكشف عن موقف العرب من بلاد افريقية (٣).

وقد استقى الكندى معلوماته عن الرواة الاولين أمثال يزيد ابن أبي حبيب (ت ١٢٥هـ) والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) وسعيد بن عفير (ت ٢٢٦هـ) وابن لهيعة (ت ١٧٤هـ) (٤). ولذا كانت لمعلوماته أهمية كبيرة أفادت في كتابة الفصل الثاني .

ويعتبر كتاب تاريخ افريقية والمغرب المنسوب الى ابراهيم بن القاسم الرقيق (ت ٤١٧هـ) المصدر الرئيسي في تاريخ الشمال الافريقي . وكان الرقيق رئيسا لديوان الرسائل في الدولة الصنهاجية ، وبقي في منصبه نحو عشرين عاما ، وكتب مؤلفات عديدة حول مواضع مختلفة (٥).

---

(١) الكندى ،الولاة والقضاة ، ص ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) الكندى ، ص ٣٢ .

(٣) الكندى ،ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) الكندى ، انظر ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ؛ ٣٢ .

(٥) انظر المنجي الكعبي ،مقدمة تاريخ افريقية والمغرب، ص ٢٢ .
وانظر ترجمة الرقيق في ياقوت ، معجم الادباء ،ج ١ ،ص ٢٨٧ - ٢٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تناول في احدى مؤلفاته تاريخ افريقية والمغرب ، منذ الفتح الاسلامي حتى بداية القرن الخامس الهجرى (١) . أما القطعة التي وصلتنا وحققها المنجي الكعبي وعنوانها تاريخ افريقية والمغرب ، فهي تتحدث عن تاريخ المغرب الاسلامي منذ ولاية عقبة بن نافع الفهرى حتى حكم الأمير الاغلبي أبو العباس عبد الله ابراهيم بن الاغلب سنة ٢٠١ هـ(٢) .

واشتهر الرقيق بالعناية بتحديد الاماكن والدقة في تاريخ الوقائع والاحداث ، فهو ينفرد من بين المؤرخين في تحديد المكان الذى نزل به زهير بن قيس البلوى قبل ان يخرج لكسيلة (٣) ، وكذلك المكان الذى لحق فيه العرب ، الروم والبربر ، بعد هزيمة كسيلة (٤) ، وأورد بعض أسماء الاماكن باللسان البربرى (٥) . والرقيق هو الوحيد الذى ذكر اسمي ولدى الكاهنة (٦) .

هذا الى ان كتاب الرقيق تضمن معلومات كثيرة تتعلق بفتح العرب لاسبانيا . وتعتبر رواياته في الدرجة الاولى من الاهمية مثال ذلك الروايات التي تتحدث عن جوليان ، حاكم سبته ، والعلاقة بين سكان طنجة

---

(١) انظر المنجي الكعبي ، مقدمة تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٧ .
(٢) الرقيق ، ص ٣٩ - ٢٣٣ .
(٣) الرقيق ، ص ٥١ .
(٤) ن . م . ص ٥٢ .
(٥) ن . م . ص ٥٦ .
(٦) الرقيق ، ص ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحامية الاسلامية بقيادة طارق بن زياد (١) . ويورد الرقيق تفصيلات أقرب للواقع عن رجوع موسى بن نصير الى الشام ومقابلته الخليفة الوليد ثم سليمان بن عبد الملك (٢) .

وكتاب الرقيق من المصادر السنية التي أفاضت بتفصيلات عن ثورات الخوارج الاباضية والصفرية ضد ولاة الامويين والعباسيين ، ولم يأت أحد من المؤرخين بوصفه الدقيق لمعركة القرن والاصنام (٣) ويأخذ معلوماته عن ثورة الخوارج سنة ١٢٢ هـ عن أشخاص عاصروا الاحداث واشتركوا فيها مثل عمر بن غانم (٤) الذى كان على ساقة الناس في وقعتي القرن والاصنام (٥) . وكان عمر بن غانم من المقاتلة المستقرين بالقيروان وتولى منصب الحجابة لعبد الرحمن بن حبيب الفهرى (٦) . وأكثر من روى عنه عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت ٢٢٧هـ) ، الذى يروى عن أبيه (٧) ، وكان أبوه معاصرا للحوادث التي جرت في افريقية خلال النصف الاول من القرن الثاني الهجرى .

---

(١) الرقيق ، ص ٧٣ - ٧٦ .

(٢) الرقيق ، ص ٨٩ .

(٣) ن . م . ص ١١٥ - ١٢٢ .

(٤) ن . م . ص ١١٨ .

(٥) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(٦) الرقيق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٧) الرقيق ، ص ٧٧ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما انفرد الرقيق بتدوينه المحاورات والمكاتبات التي دارت بين بعض الخوارج والولاة ، مثال على ذلك ما دار بين الامير الفضل بن روح بن حاتم المهلبي والثائر الخارجي عبدويه المعروف بابن الجارود (١) .

وأورد الرقيق تفصيلات أخرى عن ثورة الجند على ولاة افريقية مثل ثورة ابن عطاف الازدى على عبد الرحمن بن حبيب الفهرى (٢) . وثورة تمام بن تميم الدارمي على محمد ابن مقاتل العكي ونصرة ابراهيم بن الاغلب لهذا الاخير (٣) .

وقد ورد الكثير من الوقائع والحروب مختصرا عند أكثر المؤرخين الذين اشتهروا بالتوسع والتفصيل كابن عذارى وهي في الرقيق غاية في التفصيل والدقة (٤) . كما حوى كتاب الرقيق على تراجم وأعمال بعض قضاة افريقية (٥) وأسماء بعض الادباء الذين وفدوا في امارة بني المهلب (٦) .

ويأخذ الرقيق روايته عن رواة مغاربة ومشارقة أمثال ابن سلام والمدائني والزبير بن بكار (٧) . أما الواقدى فلم يروعنه الا بعض الاخبار المتعلقة

---

(١) الرقيق ،ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٢) الرقيق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الرقيق ،ص ٢٠٥ .

(٤) انظر ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٥٩ ، ٦٩ .

(٥) انظر الرقيق ، ص ١٧٧ - ١٨١ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ .

(٦) الرقيق ،ص ١٥٢ - ١٥٧ .

(٧) الرقيق ، ص ١٥٠ ، ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بولاية محمد بن يزيد (١) .

أما سحنون (٢) ويوسف بن هشام (كان جدّه من خاصة موسى بن نصير) ، وعمر بن سهل (كان مولى لموسى بن نصير) (٣) ، وابن النخلي الفقيه (٤) ، وأحمد بن ميسرة (٥) وأبي عثمان المعافرى (٦) وسليمان بن عمران (٧) ومحمد بن الوكيل (٨) فلا يزيد نقله عنهم عن الخبر الواحد .

وكان كتاب الرقيق المصدر الرئيسي للبحث ولذا أفادت معلوماته لأهميتها جميع فصول الرسالة .

ومن المصادر الهامة عن تاريخ الاباضية في الشمال الافريقي كتاب تاريخ الائمة الرستميين لابن الصغير المالكي . وقد عاش ابن الصغير في حي الرهادنة في تاهرت وكان يملك دكانا فيه (٩) . وقد عاصر هذا

---

(١) الرقيق ، ص ٩٣ .

(٢) الرقيق ،ص ٢٢٩ .

(٣) الرقيق ،ص ٨١ .

(٤) الرقيق ،ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٥) الرقيق ،ص ٢١٣ .

(٦) الرقيق ،ص ١٦٥ .

(٧) الرقيق ، ص ٢٢٨ .

(٨) الرقيق ، ص ٢١٣ .

(٩) ابن الصغير ،ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤرخ فترة من تاريخ الدولة الرستمية . ويبدو انه توفي قبل سقوطها سنة ٢٩٧ هـ على أيدى الفاطميين . وكتابه ينتهي بامامة أبي حاتم يوسف بن محمد المتوفي سنة ٢٩٤ هـ .

واستقى ابن الصغير معلوماته عن رواة من الاباضية ، منهم أحمد بن بشير وهو اباضي عاش في تاهرت (١) . كما أخذ عن كتاب مسائل نفوسة الجبل من تأليف الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (٢) .

وقد تحدث ابن الصغير باسهاب عن تأسيس مدينة تاهرت وهجرة التجار العرب اليها ونزوح اهل الارياف اليها . كما تناول تاريخ الائمة الرستميين من موءسسيها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٦٢ هـ الى آخر امام وهو أبو حاتم يوسف بن محمد سنة ٢٩٤ هـ . كما تحدث عن انقسام الحركة الاباضية في شمال افريقية وعن مجالس المناظرة والحياة الفكرية التي كانت سائدة في مدينة تاهرت .

وتعد معلومات ابن الصغير عن الاباضيين بالمغرب أقدم وأفضل ما وصل الينا ولذا أفاد هذا الكتاب في الفصل الثامن من هذا البحث .

ويزودنا ابن الاثير (في كتابه الكامل في التاريخ) بمعلومات وتفصيلات تتسم بالدقة عن فتح افريقية لما اجتمع له من وسائل التدقيق بتعدد الروايات. وقد ذكر انه اعتمد على ما كتب المغاربة عن بلادهم وانه يفضل رواياتهم على روايات الموءلفين المشارقة . وقد انفرد بتفاصيل كثيرة لها أهميتها

---

(١) ابن الصغير ،ص ٤٤-٤٥ .

(٢) ابن الصغير ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كاشارته الواضحة الى غزوات عقبة في افريقية ابتداء سنة ٤١ هـ فاصلا بين غزواته سنتي ٢٢ و ٢٣ هـ (١) ولم يشترك معه في ايراد هذه الاخبار الا الكندى (٢) . كما ألقى الضوء عن مسيره من برقه وترصد الروم له (٣) . وأفاد ابن الاثير في كتابه الفصل الثاني بشكل خاص .

أما كتاب " البيان المغرب في اخبار المغرب " لابن عذارى فهو من أهم المؤلفات في تاريخ افريقية والمغرب . ويعد كتابه من الكتب التي حفظت اكبر قدر ممكن من اقوال الرقيق ، في كتابه افريقية ، المفقود بعضه . ويبدو ان ابن عذارى كان يعتمد على الرقيق أكثر من أى مصدر آخر (٤) .

وتتضح أهمية كتاب ابن عذارى في اقتباساته الكثيرة من مؤلفين سابقين ، خاصة وأن أعمال بعض هؤلاء مفقودة من أمثال عريب بن سعيد (ت ٣٧٠ هـ) (٥) . وابن أبي الفياض (ت ٤٥٩ هـ) (٦) وابن القطان (ت ٦٢٨ هـ) الذى كتب تاريخا شاملا لشمال افريقية أسماه نظم الجمان . وقد أشار ابن عذارى في مقدمة كتابه الى العديد من الكتّاب الذين اعتمد عليهم في تأليف سفره البيان المغرب من أمثال الطبرى ، والبكرى ، والرقيق ،

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤١٩ .

(٢) الكندى ، الولاة ، ص ٣٢ - ٣٤ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٥ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢ .

(٦) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢ - ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أشار الى كتاب " الذيل " لابن شرف ، وكتاب ابن ابي الصلت ، و " المجموع المفترق " و كتاب " بهجة النفس وروضة الانس " و كتاب " المقباس " و " المقتبس " و " القبس "، و مختصرى عريب وابن حبيب ، و " درر القلائد وغرر الفوائد " و " القلائد " و " المطمح " لابن خاقان ، ومن كتاب ابن حزم ، و " ذخيرة " ابن بسام ، ومن " أخبار الدولة العامرية " لابن حيّان ، ومن كتاب " تقصي الانباء في سياسة الروءساء " ، ومن كتاب " الانوار الجلية في الدولة المرابطية " ومن نظم الجمان في اخبار الزمان " لابن قطان ، ومن كتابي الاشيرى والبيذق ، وكتاب يوسف الكاتب ، وكتاب ابن صاحب الصلات أبي مروان ، ومن كتاب ابن رشيق ، ومن كتاب وجده أو تعليق ، ومن شيوخ أخذ الاخبار الوقتية عنهم بتحقيق (١) .

ولم يقتصر ابن عذارى عن التأريخ للحكام والدول انما تطرق في كتابه الى نواح اجتماعية واقتصادية وجغرافية وأدبية وتراجم مختصرة لبعض الاعلام ولذا كانت الاستفادة منه في هذا البحث أوسع من غيره .

وتم تأليف كتاب في نفس العصر الذى عاش فيه ابن عذارى ، ويحوى جزءا صغيرا عن تاريخ الفتح العربي لشمال افريقية ألفه عبيد الله ابن صالح ابن عبد الحليم ، الذى كان والده أحد الرواة الذين استقى منهم ابن عذارى مادة كتابه (٢) ، وعلى الرغم من الايجاز ، فان روايته تعد من أفضل

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢ - ٣ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأهم النصوص العربية التي تبحث في تاريخ الفتح العربي في الشمال الافريقي (١) .

وأفادت نصوص عبيد الله بن صالح الفصل الثاني لدقتها فيما أوردته من معلومات عن الفتح والقبائل البربرية التي اسلمت .

أما النويرى فقد أفرد الجزء الثاني والعشرين من كتابه نهاية الارب للحديث عن تاريخ المغرب والاندلس (٢) . ويروى النويرى عن الزهرى ، نسبة الى بني زهرة وهو المسور بن مخرمة ، وهو راوية نقل عنه المالكي . والزهرى يروى بدوره عن ربيعة بن عباد الدئلي ، من المقاتلة الذين شهدوا غزو افريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٧ هـ .

ومن هنا فان رواية النويرى أكثر شبها برواية المالكي وبما أورده ابن الاثير . وهذا التشابه يجعلنا نتساءل فيما اذا كان النويرى ينقل عن المالكي وابن الاثير مباشرة وذلك لتأخره زمنيا ، ولعل النويرى توفرت له مصادر ما لم تتوفر لغيره من قبل .

ويتميز كتاب النويرى بمعلوماته التي استقاها من أصلين من اهم الاصول التي حفظت أخبار الفتح اذ روى عن الزهرى كما روى عن ابراهيم

---

(١) Levi Provencal, Un nouveau recit de la conquete de l'afrique du nord par les Arabes, pp. 14-43 .

نشر هذا النص مع ترجمة فرنسية من قبل المستشرق ليفي بروفانسال .
انظر Levi Provencal, op. cit., pp. 24-25 .

(٢) وقد طبع هذا الجزء في غرناطة سنة ١٩١٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن الرقيق ولهذا افيد منه في البحث خاصة في الفصل الثاني لأن روايته غنية بالتفاصيل كذكره أسماء الحكام الروم الذين تولوا أمور افريقية بعد انصراف عبد الله بن سعد (١) ، وتفصيله أمر المدينة التي انتقل اليها أبو المهاجر (٢) ، واهتمامه بذكر عناية عثمان بفتح افريقية (٣) . كما يورد معلومات قيّمة عن ثورات الخوارج ومحاولاتهم تأسيس دولة اباضية في المغرب خلال القرن الثاني (٤) .

ويعد تاريخ ابن خلدون المرجع الاوفى في تاريخ افريقية والمغرب وتاريخ البربر ومواطنهم . أورد ابن خلدون في الجزء الرابع طبعة ١٩٧٩م من تاريخه أخبار افريقية متفرقة فيما اورد من اخبار الولاة بافريقية ، فلم يورد الا بضعة سطور عن كل مرحلة من مراحل هذا الفتح ، الا انه عاد فكتب في الجزء السادس طبعة ١٩٧٩ من تاريخه فصولا أربعة ، مهّد بها لتاريخ البربر الذى يكوّن القسم الثالث من تاريخه ؛ أولها يبحث في أصول البربر ونسبهم ، وثانيها في مواطن هؤلاء البربر بافريقية والمغرب ،

---

(١) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٩ .

(٢) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٣ .

(٣) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢ - ٣ .

(٤) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٥ - ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثالثها في ذكر ما كان لهذا الجيل قديما وحديثا من الفضائل الانسانية والخصائص الشريفة ، ورابعها في ذكر أخبارهم على الجملة قبل الفتح الاسلامي وبعده الى ولاية بني الاغلب .

وقد استقى ابن خلدون معلوماته عن مؤلفين مشارقة ومغاربة وعن نسابة من البربر خاصة في بحثه عن أصول البربر وانسابهم .

كما وصف في الفصل الثاني بلاد المغرب وصفا دقيقا لا يضاهيه في ذلك جغرافيي العرب ، ففيه تصوير دقيق لأقاليمه وتضاريسه وتقسيمه الطبيعي وتوزيع البربر فيه .

وأوجز في الفصل الرابع أخبار البربر منذ الفتح الاسلامي ايجازا سريعا ، وردت فيه بعض ملاحظات على جانب عظيم من الاهمية كاشارته الى أسر العرب لوزمار ابن صولات وأخذهم اياه لعثمان واسلامه . وكذلك حديثه عن كسيلة والكاهنة وقوله ان صاحب قفصة خلص المسلمين وان موسى أخذ رهائن المصامدة وأنزلهم بطنجة .

وقد أفاد البحث من الجزء الرابع والسادس والسابع لما حوت هذه الاجزاء من معلومات مهمة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وأفادت الدراسة في مجموعة من كتب الجغرافية ، ككتاب المسالك والممالك لابن خرذاذبة (ت ٢٥٠ هـ) ، والبلدان لليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) ، وكتاب المسالك والممالك للاصطخرى (عاش في النصف الاول من القرن الرابع للهجرة ، وأحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي (ت ٣٧٥ هـ) ، وكتاب صورة الارض لابن حوقل (ت ٣٥٦ هـ) ، وكتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمغرب للبكرى (ت ٤٨٧هـ) ، وصفة المغرب وأرض السودان للادريسي (ت ٥٥٨هـ) ،ومعجم البلدان لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ) ، والروض المعطار للحميرى (ت ٨١٠هـ) . فالى جانب المعلومات الجغرافية ، يقدم هؤلاء الجغرافيين مادة مفيدة عن اسلام بعض القبائل البربرية وعن مواطنها قبيل الفتح وعن استقرار القبائل العربية وبنائها القرى والمدن وامتهانها التجارة . كما ساعدت على اعطاء صورة واضحة لمرافق البلاد الطبيعية وللثروات في الاقاليم المختلفة التي سكنها البربر مما أفاد في اعطاء خلفية اقتصادية لشمال افريقية قبيل الفتح وبعده . وكانت هذه المعلومات على جانب كبير من الاهمية ،اذ ساعدت على توضيح المناطق التي انتشرت فيها القبائل العربية ودورها في تعريبها . وقد ساعدت هذه المادة على تقديم صورة واضحة لاستقرار العرب في الشمال الافريقي .

وقد أفادت هذه الدراسة من كتاب البلدان لليعقوبي وكتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكرى وصورة الارض لابن حوقل بشكل خاص في الفصل الاول والثالث والرابع والسابع .

يزودنا كتاب البلدان بمعلومات جيدة ومفصلة عن التقسيم الادارى والسياسي الذى عرفته افريقية أثناء حكم الولاة والامراء الاغالبة وعن استقرار القبائل العربية في هذه الاقسام وعلاقاتها مع مع جاورها من البربر . وتمثل قيمة معلوماتة في انه زار المناطق التي تكلم عنها وأخذ مادته من الرجال الثقات الذين التقى بهم في تلك المناطق .

كتاب البكرى من المؤلفات الهامة التي تعطي معلومات قيمة في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالاضافة الى المعلومات الجغرافية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد زودنا ابن حوقل بمعلومات هامة عن مدينتي تاهرت وسجلماسة وعلاقاتهما ببلاد السودان التجارية .

وتأتي أهمية كتاب المعيار للونشريسي (ت ١٥٠٨م) في استعراضه لآراء فقهاء وقضاة افريقية ومنها ما يتصل بنظام جباية الارض وهي تلقي الضوء على وضع أرض افريقية وهل فتحت عنوة أم صلحا . وقد أفاد البحث بشكل خاص في الفصل الرابع .

أما بالنسبة لكتب الطبقات والتراجم فان هذه الدراسة اعتمدت بشكل خاص على كتاب طبقات علماء افريقية وتونس لابي العرب (ت ٣٣٣هـ) ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى (ت ٣٧٩هـ) ، وطبقات ابن جلجل (ت ٣٩٩هـ) ، وكتاب رياض النفوس للمالكي (ت ٤٩٥هـ) ، وتراجم أغلبية المستخرجة من ترتيب المدارك لعياض (ت ٥٤٤هـ) ، ومعالم الايمان في معرفة اهل القيروان للدباغ (ت ٦٩٦هـ) وبغية الوعاة للسيوطي (ت ٩١١هـ) ، وهي تقدم معلومات واسعة عن الفقهاء والعلماء والادباء واللغويين والشعراء والاطباء والفلاسفة من الوافدين على افريقية ، ومن النابتة ، ومساهمة هؤلاء في التعريب الثقافي للشمال الافريقي ، بالاضافة الى ذكر أماكن استقرارهم . كما تعطي معلومات وافرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المغربي الاسلامي .

وتبدو أهميتها للدراسة في الفصول الثاني والخامس والسادس .

ويعتبر المختصر عن طبقات علماء افريقية لابي العرب والذى استقينا منه معلوماتنا في هذا البحث غير كامل . والكتاب عبارة عن تراجم لطائفة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسيرة من علماء القيروان وتونس وصالحيها تتقدمها أحاديث في فضل افريقية ، وأخبار الفتح وأسماء بعض المقاتلة الذين شاركوا فيه .

ويروى أبو العرب أخباره عن سحنون أبي سعيد عبد السلام حبيب ابن سعيد التنوخي ، الفقيه المغربي ، وعن ابنه محمد ابن سحنون ، وصاحب مظالمه حبيب بن نصر بن سهل التميمي (ت ٢٨٧هـ) ، كما يروى عن فرات ابن محمد ، أحد فقهاء القيروان (ت ٢٩٢هـ) واخباره موجزة ايجازا شديدا اذا قيست بما في غيره من الكتب كرياض النفوس ، وتراجم أغلبية ، ومعالم الايمان ، الا انها لا تخلو من فائدة .

أما كتاب رياض النفوس للمالكي فهو أوفى كتب التراجم التي وصلتنا ، ولكتابه أهمية كبرى من الناحية التاريخية ، اذ يقدم سير الفتح العربي للشمال الافريقي بكامله منذ محاولات العرب الاولى في سنة ٢١ هـ الى تمام الفتح على يد حسان بن النعمان حوالي سنة ٨٥هـ . ويعرض معلوماته على نحو متصل لا نجده عند مؤرخ آخر غيره . وقد أخذ المالكي من مصادر مشرقية أمثال الواقدى وابن اسحق والمسور بن مخرمة ، ونقل عنه الدباغ هذه الاخبار . ويبدو أن جل اعتماده كان على مصادر ان ركبها من مؤلفات القيروانيين واهل المغرب بصفة خاصة .

وقد حفظ المالكي طرفا من مؤلفات وروايات قديمة ضاعت ولم يوردها غيره الا من نقل عنه كالدباغ ، صاحب معالم الايمان ، مثل قصة المجلس الذى عقده عثمان للمشاورة في فتح افريقية ، وذكره القبط في حملة عبد الله ابن سعد ، والتفاصيل الدقيقة التي أوردها عن انتصار العرب في موقعة سبيطلة والتعليل الذى قدّمه لعودة عبد الله بن سعد المفاجئة الى المشرق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأيه عن موضع القيروان الاول . وهذا أكسب الكتاب أهمية خاصة في موضوعات الفصل الثاني .

أما القسم الكبير من الكتاب والذى يتناول تراجم اعلام افريقية وخصائص حياتها من جوانبها المختلفة فقد افيد منه بشكل واسع في الفصل الثالث والخامس والسادس .

ففي تراجم اعلامه في هذا القسم ترد اشارات غاية في الاهمية عن علاقات الحكام والرعية وعن حياة الناس في بيوتهم وفي الاسواق العامة ، وعن المؤسسات التعليمية كالمساجد وحلقات الدروس التي كانت تعقد وما كان يثار فيها من مسائل ، وعن مواد الدراسة التي كانوا يوجهون اليها اهتمامهم . وهذه المعلومات غاية في الاهمية اذ تعطي فكرة عن المجتمع المغربي الاسلامي في فترة تكوينه كما تساعد على وضع تخطيط تقريبي للقيروان وتونس بما فيهما من أحياء وشوارع وميادين . كما يلقي كتاب الرياض ضوءا كشافا على نشوء الرباطات وتطورها خلال القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة . فقد حرص المالكي على ان يجعل في نهاية حديثه عن كل طبقة من العلماء والفقهاء فصلا خاصا عن "اهل العبادة والنسك" أو المتعبدين الناسكين وعند تتبع سير اولئك الزهاد تتضح بداية حركة الرباطات في المغرب .

ويأتي كتاب معالم الايمان للدباغ في المرتبة الثانية بعد كتاب المالكي فمن الواضح اعتماد الدباغ الكلي على المالكي خاصة فيما يتصل بقصة الفتح ، ولم ينفرد الدباغ الا بأخبار يسيرة كعرضه آراء في تفسير معنى لفظ القيروان . وأخذ الدباغ عن أبي العرب فحفظ فقرات من كتاب أبي العرب لم ترد في النسخة المطبوعة ، لذا كانت رواية الدباغ مكملة لروايتي أبي العرب والمالكي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد علق على رواية الدباغ قاض من اهل القرن التاسع، يعرف بابن الناجي قاسم بن عيسى (ت ٨٣٩هـ) ،فكانت لتعليقاته أهميتها النقدية .

أما طبقات الزبيدي وابن حلجل فقد أفادت البحث في معرفة من وفد الى افريقية من نحاة ولغويين وأطباء وفلاسفة ودورهم في تنشيط الثقافة في افريقية . وكان ابن الابار (ت ٦٥٨هـ) صاحب كتاب الحلة السيراء من المؤلفين الذين اسهبوا في ذكر الوافدين من الادباء والشعراء في فترة امارة بني المهلب وبني الاغلب . وتظهر الافادة منه في الفصل السادس.

وتقيدت كتب الانساب بتوضيح نسب البربر والعرب وأماكن استقرارهم بافريقية . ومنها جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، وكان أحد مصادر ابن خلدون في روايته عن أنساب العرب والبربر في شمال افريقية واسبانيا (١) .

وهناك كتاب لمؤلف مجهول وعنوانه مفاخر البربر ،تم تأليفه سنة ٧١٢هـ ، وهو كتاب لا يقل أهمية في موضوعه عن كتاب الانساب لابن حزم ،وقد اقتصر على الحديث عن البربر وانسابهم . واقتبس هذا المؤلف عن كتاب مشهورين مثل الرازي ، وعريب بن سعيد ،وابن حزم ،وابن القطان ، ومحمد بن أبي المجد المغيلي . وتبدو الافادة من هذين المصدرين في الفصل الاول والثاني والرابع .

---

(١) راجع كتاب العبر لابن خلدون ،بيروت، ١٩٥٦ - ١٩٦١ ، ج ٤ ،ص ٣٦- ٣٧، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٩٥-٢٩٦ ، ٣١٦ ، ٤٨٩ ، ٥٨٠ ، ج٥ ، ص ٩٣٩ ، ج ٦ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٣٥ ، ٢٦٢ ، ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ٣٠٢ ، ٤٢٠ ، ج ٧ ،ص ٢٦ ، ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ - يطلق اسم شمال افريقيا الآن على المنطقة من الأراضي المرتفعة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط في الشمال ، والصحراء الكبرى في الجنوب ، وخليجي سرت شرقا والمحيط الأطلسي غربا ، ويشمل طرابلس وبرقة وواحة سيوه (الصحراء الغربية بمصر) ، وكذلك كل الصحراء الكبرى في الجنوب (١) . وهذا الاسم يبدو مرادفا لكلمة (المغرب) التي استعملها الجغرافيون والمؤرخون العرب ليصفوا معظم المناطق التي تمتد من الحدود الغربية لمصر حتى شواطئ المحيط الأطلسي (٢) . وكان المغرب يمتد من أقليم برقة شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا . ويذكر ابن خلدون : أن العرف الجاري لعهده لا يدخل اقليم برقة في حدود المغرب ، وانما يختص بطرابلس وما وراءها (٣) ، الا أن الاصطخري (ت ٠ق/ ٤ هـ) أدخل برقة ضمن حدود المغرب (٤) ، لأن ساكني هذا الاقليم من البربر ، فقد كانت ديار لواتة وهوارة وهما من البربر في اقليم برقة ، وكان سكان زويلة التابعة لاقليم برقة من البربر الاباضية أيضا (٥) . أما من جهة

---

(١) الفرد بل : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي / ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص ٣٨ ٠

(٢) انظر ابن حوقل ، صورة الارض ٦٤-٦٥ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢١٦ ، المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٥٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥ - ٦ ٠

(٣) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠١ ٠

(٤) الاصطخري ، المسالك ، ص ٣٣ ٠

(٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشمال فيحده البحر المتوسط ، ويحده من الجنوب الصحراء التي تفصل بينه وبين أرض السودان ، ويعبر عن ذلك ابن خلدون بقوله : " أما حده من جهة القبلة والجنوب ،فالرمال المتهيلة الماثلة حجزا بين السودان وبلاد البربر " (١) .

قسم المغرب الى أقاليم هي : برقة وطرابلس وافريقية والمغرب الأوسط ، والمغرب الاقصى فالسوس (٢) .

فاقليم برقة يضم برقة نفسها والواحات التابعة لها ، واقليم طرابلس يضم مدينة طرابلس وبعض المواني مثل سرت وصبرة ولبدة ، وافريقية هي البلاد التي تمتد من خليج سرت مما يلي اقليم طرابلس شرقا حتى بجاية وقاعدتها القيروان ، والمغرب الأوسط يمتد من تاهرت حتى وادى ملوية وجبال تازة غربا وقاعدته تلمسان (٣) ، والمغرب الاقصى يمتد من ملوية شرقا حتى مدينة أسفى على المحيط الاطلسي غربا وجبال درن جنوبا (٤) ، وأطلق على الاراضي التي تمتد جنوبا الى الصحراء اسم السوس . وكانت هذه المنطقة بدورها مقسومة الى قسمين : السوس الأدنى الذى يشمل ايضا الأجزاء الجنوبية من المغرب الأقصى ، والسوس الأقصى الذى يضم كل المناطق التي تقع الى الجنوب (٥) .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠١ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٤١ .

(٣) انظر اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٣ - ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ . الاصطخرى ، ص ٣٤ . الادريسي ، وصف ، ص ٩٠ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠ .

(٥) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٨١ . ابن خرداذبة ، ص ٨٩ . الاصطخرى ، ص ٣٩ . المقدسي ، ص ٢١٦ ، ٢٢٢ . ياقوت ، ج ٣ ، ص ٢٨١ . ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥ ، ٦ ، ٢٦ ، ٤٢ - ٤٤ . ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١١٩ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩ . الاستبصار ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرف العرب لفظ افريقية (١) ، فابن عبد الحكم والبلاذرى يطلقانه على ما يلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي ، واستثنوا منها برقة وطرابلس واعتبروهما ولا يتين قائمتين بين مصر وافريقية (٢) ، ثم بدأ مدلول افريقية يتقلص واقتصر على ما يلي مصر غربا حتى بجاية ، فياقوت يحدد افريقية قائلا : " وحد افريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية الى بجاية ، وقيل الى مليانة ، فتكون المسافة طولها نحو شهرين ونصف (شهر) (٣) ، ويرى أن المغرب يمتد من مليانة الى المحيط الاطلسي (٤) .

وكما استعمل الجغرافيون والمؤرخون العرب لفظ افريقية ، استعملوا لفظ (المغرب) وكانوا يخلطون بين اللفظين ولا يميزون بينهما (٥) ، الا أن هذا الخلط لم يستمر طويلا فأصبح واضحا فيما بعد أن افريقية تشمل تونس الحالية وشرق الجزائر (٦) .

---

(١) انظر الآراء المختلفة التي جمعها البكرى في اصل لفظ افريقية ، البكرى ، وصف ، ص ٢١ . ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٢٢٨ . ابن ابي دينار ، ص ١٩ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٠ . البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٢ .

(٣) ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٤) ن . م . ج ٥ ، ص ١٦١ .

(٥) انظر ابن حوقل ، ص ٦٤ - ٦٥ . المقدسي ، ص ٢١٦ . ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥ - ٦ . الاستبصار ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٦) انظر ياقوت ، ج ١ ، ص ٢٢٨ . ابن أبي دينار ، ص ٢٠ . وانظر قول سحنون (ت / ٢٤٠هـ) الذى يرى بأن حدود افريقية تمتد من طرابلس الى طنجة . الداودى ، كتاب الأموال ، مخطوط في مكتبة الاسكريال رقم ١١٦٥ الورقة ١٧أ (عن ذنون ، الفتح والاستقرار ، ص ٩٣ ، هامش رقم ٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ - تشير المصادر الى وجود ثلاثة عناصر من السكان في شمال افريقيا عند الفتح العربي الاسلامي : الروم ، والأفارقة أو الأفارق ، والبربر ، ويقصد بالروم البيزنطيون الذى وجدهم العرب في البلاد ابان الفتح (١) .

وأطلق المؤرخون والجغرافيون العرب مصطلح أفارقة ، وعجم افريقية ، أو الأفارقة الأعاجم على السكان من غير البربر (٢) . ويرى جوتي أن هذه التسمية كانت تطلق على بقايا الشعب القرطاجني القديم ، ويفرق بينهم وبين بقية السكان الأصليين ، فكان الأهالي الثائرون يطلق عليهم أسماء قبائلهم أو يسمون المور (Les maures) أو البربر جملة ، ولا يطلق عليهم اسم الأفارقة أبدا (٣) . الا أن بعض المؤرخين العرب نسبوا بعضا من هؤلاء الأفارقة الى أصول بيزنطية (٤) . ويبدو أن هذه المجموعة هي أخلاط من الناس من بقايا الشعوب السابقة التي دخلت افريقية مثل الروم الوندال . وكانت هذه المجموعة من الزراع والصناع (٥) . ويمكن تأييد هذا الاحتمال بما ذكره ابن عبد الحكم عنهم : " وأقام الأفارق ، وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه الى من غلب على بلادهم " (٦) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ . اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٨ . ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٨٦ . البكرى ، وصف ، ص ١٧ ، ٥٦ ، ١١٤ . ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٨ . ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٩ .

(٣) Gautier: Le passe de l'afrique du nord, pp .115-116

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ . ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٢١ . السلاوى ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٥) Gautier: Le passe, p.116 وانظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٧ الذى يذكر ان الكاهنة كان لها ابنا يونانيا .

(٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت هذه المجموعة تسكن النواحي الساحلية العامرة المحيطة بالمدائن البيزنطية والأجزاء المزروعة الأخرى الداخلة في الرباطات البيزنطية . فقد استوطنوا في الرمادة (١) وبرقة (٢) وقابس (٣) والقيروان (٤) وجزيرة شريك (٥) وباجة (٦) ومجانة (٧) ونفطة (٨) ونفزاوة (٩) وطبنة (١٠) وبغاية وتيجس (١١) ومقرة (١٢) ومنستير قريش (١٣) وبنزرت (١٤) ، وحتى في مناطق داخلية كالمنطقة التي تقع فيها فاس الحالية (١٥) .

---

(١) اليعقوبي ، البدان ، ص ٣٤٢ .

(٢) البكري ، وصف ، ص ٥ .

(٣) قابس ، عرفت حتى بعد الفتح أنها مدينة الأفارقة الأعاجم . انظر ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٨٦ . اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٧ . البكري ، وصف ، ص ١٧ . ياقوت ، معجم ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٨ .

(٥) ن ٠ م ٠

(٦) ن ٠ م ٠ ، ص ٣٤٩ .

(٧) ن ٠ م ٠

(٨) ن ٠ م ٠ ، ص ٣٥٠ .

(٩) ن ٠ م ٠

(١٠) ن ٠ م ٠ ، ص ٣٥١ .

(١١) ن ٠ م ٠ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(١٢) ن ٠ م ٠ ، ٣٥٢ .

(١٣) البكري ، وصف ، ص ٥٦ .

(١٤) ن ٠ م ٠ ، ص ٥٨ .

(١٥) ن ٠ م ٠ ، ص ١١٤ (عقبة الأفارق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت تجارة زيت الزيتون المصدر الرئيسي للدخل بالنسبة للأفارقة الساكنين في المناطق الساحلية الاغريقية (١) ، فيذكر ابن عبد الحكم أن عبد الله بن سعد حين هزم جرجير ودخل مدينة سبيطلة "كان يوضع بين يديه الكوم من الورق فيقال للأفارقة من أين لكم هذا ، قال : فجعل انسان منهم يدور كالذى يلتمس شيئا حتى وجد زيتونة فجاء بها اليه ، فقال : من هذا نصيب الورق ، قال : وكيف ؟ قال : ان الروم ليس عندهم زيتون فكانوا يأتوننا فيشترون منا الزيت فنأخذ هذا الورق منهم "(٢) .

وقد أشار البكرى الى عنصر آخر من السكان وهم قبط نصارى كانوا مستوطنين في أوجلة (٣) ، احدى الواحات التابعة لبرقة (٤) .

أما السكان الأصليون فهم البربر ويقدم لنا المؤرخون العرب تفسيرات عديدة فيما يتعلق باشتقاق اسم البربر والاصول التي انحدروا منها ، الا أن مجموعة من المؤرخين اجمعوا على أن هؤلاء البربر

---

(١) انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٨٥ . ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ . الدباغ ، ج ١ ، ص ٣٥ - ٣٦ . ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٢ . عبيد الله بن صالح ، ص ٢١٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٥ (عن ابن لهيعة) .

(٣) أوجلة : مدينة بينها وبين برقة في البر عشر مراحل ، وهي مدينة صغيرة متحضرة ، وهي في ناحية البرية يطيف بها نخل وغلات لأهلها ، ومنها يدخل الى كثير من أرض السودان ، وأرض أوجلة وبرقة واحدة وشرب أهلها من المواجل . انظر الحميرى ، الروض ، ص ٦٤ (عن الادريسي) .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هم أقوام هاجرت من فلسطين أو من اليمن ، وأنهم يرجعون الى أصول كنعانية أو حميرية (١) ، يشيرون بذلك الى هجرات سابقة للاسلام .

يذكر الطبرى أن البربر قدموا من الشرق وبالذّات من الجزيرة العربية والهلال الخصيب ويحدد الهجرات التي تمت من الجزيرة العربية عبر الشام الى المغرب فيذكر أنها جاءت من قبائل الكنعانيين ثم من قبائل العمالقة وغيرهم (٢) . ويذكر السلاوى ان هجرات اخرى متعددة تمت من اليمن الى شمال افريقية بالاضافة الى هجرات من بلاد الشام ، يقول : " فقد غزتهم (أى سكان المغرب) ملوك اليمن من قراهم مرارا ، ويذكر ابن الكلبي أن حمير أبا القبائل اليمنية ملك المغرب مائة سنة " (٣) .

ويذهب ابن خلدون الى ان البربر هم بقايا القبائل القديمة التي كانت تسكن فلسطين والتي انقرضت باستثناء البربر يقول : " وكان بين بني فلسطين هؤلاء وبين بني اسرائيل حروب كثيرة ، وكان بالشام كثير من البربر اخوانهم ومن سائر أولاد كنعان يضاهونهم فيها ، ودثرت أمة فلسطين وكنعان وشعوبها لهذا العهد ، ولم يبق الا البربر " (٤) .

---

(١) انظر ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٠ . البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٥ . الطبرى ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، ٥١٦ . الادريسي ، صفة ، ص ٥٧ . المراكشي ، معجب ، ص ٢٥٤ . مفاخر البربر ، ص ١ ، ٦٤ ، ٧٥ ، ٧٦ . ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٨١ - ١٨٣ .

(٢) الطبرى ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ، ٤٤٢ .

(٣) السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ - ويرى غوتيه أن موجات الهجرات السامية العربية القديمة الـــى المغرب تمت عن طريق مصر (١) .

ولعل الاصول البربرية تعود في تاريخها القديم الى الأقـــوام التي هاجرت من جزيرة العرب عبر الشام ومصر ، ومن الصعب الطعـــن بروايات المؤرخين العرب ، وليس في الروايات المخالفة لها ما يقـــف أمام ما قدمه هؤلاء المؤرخون من أدلة تاريخية (٢) .

وبالاضافة الى الروايات العربية فان نسّابة البربر بدورهم يصلون القبائل البربرية بأصول عربية (٣) ، من جنوب الجزيرة العربية أو بـــلاد الشام . ويذكر ابن خلدون ان نسابة زناتة ينسبون انفسهم الـــى ميير والى العمالقة (٤) ، ثم يذكر قولهم : " وقال هاني بن بكـــور

Gautier, Le passe, p. 130 .

بحث الاستاذ عثمان سعدى عن الأصول العربية للبربر ، ص ٦-٢٥ .

ن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ .

د حاول الاستعمار الفرنسي ان يبث التفرقة بين العرب والبربـــر بأن الجزائريين بربر لا يمتّون بصلة للجنس العربي ، وبأن العرب ون اغتصبوا الأرض الجزائرية واحتلوها ، وبأن البربر مــــن هاجروا من أوروبا واستوطنوا شمال افريقيا " انظـــر الأصول العربيةللبربر ، ص ٨ .

، ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضريسي ، وسابق بن سلمان المطماطيّ ، وكهلان بن أبي لوئى ، وأيوب ابن يزيد ، وغيرهم من نسابة البربر ،أن البربر فرقتان كما قدمنا ، وهما البرانس والبتر ، فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان ، والبرانس بنو برنس بن سفجو بن أبرج بن جناح بن واليل بن شراط بن تام بن دويم بن دام ابن مازيغ بن كنعان بن حام . وهذا هو الذى يعتمده نسّابة البربر "(١) .

ويورد ابن خلدون في تاريخه شعرا يمحد نسب البربر العربي (٢) ، كما أورد شعرا لقيس بن خالد البربرى يفتخر فيه بأصله العربي (٣) .

٤ - ومن المتفق عليه بين نسّابة البربر والعرب أن أكبر قبيلتين بربريتين وهما صنهاجة وكتامة قدمتا من اليمن في هجرات سابقة للفتح الاسلامي بل وقبل الميلاد (٤) .

أمّا لفظة البربر فليس لها أصل عرقي (أتني) ، لأن البربر اشتهروا في التاريخ بالبتر والبرانس وأحيانا بالامازيغ(٥) ، والرأى الذى يغلب هو أن كلمة بربر مشتقة من اللاتينية (Barbarus)(٦) وهو

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٨٦

(٢)+(٣) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٨٦ ٠

(٤) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٩٢ ٠

(٥) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٩٢ ٠

(٦) EI, V,I, p. 1208

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاصطلاح الذى أطلقه الرومان ومن قبلهم اليونان على الشعوب التي لا تتكلم اللاتينية أو اليونانية وتقل عنهم حضارة (١) .

ولو كانت لهذه التسمية مضامين عرقية ،لاحتفظ بها حتى بعد استقرار الاسلام بالمغرب ،مثلما بقيت كلمة "الفرس" و "الافغان" و "الارد" و "الهنود" و "الترك" وغيرهم من الشعوب الاسلامية التي لا زالت مسلمة لحد الآن (٢) .

أما التشابة بين البربر والعرب في البداوة والريف فقد عبر عنه ابن خلدون بوضوح وايجاز . فبيوت البربر اما من الحجارة أو من الطين أو من القصب والشجر أو من الشعر والوبر ويتنقلون في البرارى طلبا للرعي ويربون الشّاة والبقر . أما الخيل فيربونها للركوب والتناسل ،كما يربي الرّحل منهم الابل . ويلاحظ ان الطبقات الدنيا فيهم يفلحون ويربون الدواجن . أما الطبقات العليا فيعيشون على الرعي وعلى السطو وقطع الطرق . أما فرشهم وأثاثهم فمن الصوف (٣) . وهذا التشابه في الحياة يدل على أن العرب البدو وأهل الريف والبربر كانوا في مستوى متقارب .

---

(١) Gautier, Le passe, p. 202 . وانظر ما قاله الطبرى في هذه التسمية ، ج ١ ، ص ٤٤١-٤٤٢ .

(٢) عثمان سعدى ، الأصول العربية للبربر ، ص ١٨ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٦، ص ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ - والاسرة البربرية مثل الأسرة العربية فهي أبوية موسعة ويبدو أن هذا ساعد كثيرا على المزج بين البربر والعرب .

ويذكر جزل (Gsell) في حديثه عن الأسرة البربرية " أن ربّها الرّجل ، وتقوم على الزواج ... وتعدد الزوجات مباح . والنسب يكون الى الأب ... والأسرة تستمر من ذكر الى ذكر ، والبنات يخرجن منها بالزّواج وأحفادهنّ يستبعدن منها . والأموال الشخصية تتوارث من ذكر الى ذكر ، وليس للزوجات ولا للبنات نصيب في الميراث" (١) .

وكان التنظيم الاجتماعي للبربر قبليا منذ أقدم العهود شأنه شأن القبيلة العربية . ويصنف المؤرخون العرب قبائل البربر الى الصنفين الآتيين : البتر والبرانس (٢) ويميل بعض المؤرخين المحدثين الى تفسير هذا الانقسام على أساس اللباس العام ، فالذين يلبسون البرنس سموا برانس ، أمّا الذين لا يلبسونه فسموا البتر . ويرى بعضهم ان أساسه اجتماعي فالبتر ،أهل بداوة ورحلة ، والبرانس أهل استقرار وتحضر (٣) .

الّا أن هذين التفسيرين غير قاطعين ، يتبين هذا من كلام ابن خلدون عن قبيلة هوارة البرنسية فهو يقول : " ومنهم من قطع الرحل الى بلاد القفر" (٤) .

---

(١) الفرد بل ، ص ٥٠ .

(٢) ابن خلدون ،ج ٦ ، ص ٨٩ - ١١٤ . السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٦ .

(٣) Gautier, pp. 224-229, Rene Basset, Les Berberes, pp. 190-214 .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن هذا الانقسام راجع الى الأصول التاريخية للبربر والمناطق التي هاجروا منها كما يفهم من كلام ابن خلدون عند الحديث عن أصل البربر حيث يورد بعض الآراء التي تقول بأن أصول قبائل البربر الذين هاجروا الى المغرب ، كانت بين كنعاني ، وحميرى ، ويمني (١) .

٦ - ولقد كانت غالبية هذه القبائل البربرية وثنية (٢) . وظلت قبيلة صنهاجة التي كانت تسكن في غربي الصحراء الكبرى على وثنيتها الى مجيء المرابطين (٣) . ومع هذا فقد انتشرت المسيحية بين سكان المناطق الساحلية بين نفوسة في صبرة (٤) وطرابلس (٥) ، وزناتة في مورطانيا الاولى وبعض نواحي نومدية مثل وادى شلف (حول تلمسان) (٦) ، وقبائل أوربة في جبال الاوراس (٧) وغمارة

---

(١) ابن خلدون ،ج ٦ ،ص ١٧٧ - ١٩٢ ، وانظر كذلك اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٦ ، ابن خلدون ،ج ٦ ، ص ٢١٦ . انظر عن ديانة البربر الفرد بل ،الفرق الاسلامية ، ص ٥٥ - ٦٨ . EI,VI,p.1213

(٣) ابن خلدون ،ج ٦ ،ص ٣٧٣ ، انظر البكرى ، وصف ،ص ١٦٤-١٧٦ .

(٤) Fournel, Les Berberes,vol.,1,p.326.

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨ . انظر البكرى ، ص ٩ .

(٦) والدليل على تقدم المسيحية في موريطانيا الاولى ،هو انه وجد في الجنوبي الغربي من مدينة تاهرت ثلاثة عشر مدفنا يرجع تاريخها الى القرن السادس والسابع الميلادى ، لعائلة بربرية قوية مسيحية كان سلطانها يمتد من نهر ملوية الى الاوراس . انظر: Ret M. Gornevin,p.95, Julien, Histoire,pp.311-312

(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح ،ص ٢٠١ ، الرقيق ،ص ٦١ ، ٦٤ ، المالكي ،ج ١ ، ص ٣٥ ، البكرى ، ص ٣٣ ، ١٩٠ . ياقوت، ج ٥ ،ص ٢٩٧ . الدباغ، معالم ،ج ١ ،ص ٦٤ ، ٦٦ . ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٦ ، ٣٨ . ابن خلدون ،ج ٦ ، ص ٢١٤ ، ٢١٩ - ٢٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في اقليم طنجة (١) . وتغلغلت المسيحية في الداخل في واحات برقة مثل أوجلة وغدامس (٢) . وكانت اليهودية ايضا منتشرة في بعض القبائل مثل جراوة الاوراس وبعض نفوسة طرابلس ، وبين مجتمعات صغيرة تقع في المناطق الغربية من الشمال الافريقي حيث بقيت في العهود الاسلامية بعد الفتح (٣) .

٧ - وكان البتر والبرانس ينقسمون الى قبائل عديدة تميّز بعضها أثناء الفتح العربي ، فمن القبائل البترية : لواتة ونفوسة ونفزاوة ومغراوة وزناتة ومطغرة ومغيلة ومكناسة ومديونة وزواغة . ومن القبائل البرنسية : صنهاجة ومصمودة وهسكورة وأوربة ، وكتامة وهوارة وغمارة وازداجة ومسطاطة وجزولة (٤) . وكانت هذه القبائل البربرية تتوزع في بداية الفتح العربي بصورة عامة في شمال افريقية على الشكل الآتي :

---

(١) البكري ، وصف ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ، ١٠٨ .

(٢) البكري ، وصف ، ص ١٤ .

(٣) البكري ، وصف ، ص ٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٤٨ - ١٤٩ .
الادريسي ، نزهة ، ٦٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٤ . مفاخر البربر ، ص ٦٥ ، ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص ٢٨ ، ٣٤ .

(٤) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ - ٤٩٨ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٧٦ - ١٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبائل لواتة (١) ، ونفوسة (٢) ، وهوارة (٣) ، وبعض زناتة (٤) ، ونفزة (٥) ، وزواغة (٦) ، ومزاتة (٧) في منطقة طرابلس والصحراء التابعة لها في الجنوب . وكان قسم من هؤلاء قد استقر في المناطق الساحلية في طرابلس وصبرة ، واجدابية ، ومنطقة برقة (٨) ، بينما كانت أغلبية هذه القبائل تتنقل في المناطق الصحراوية (٩) . وكان بربر هذه المناطق يقومون بالتجارة الصحراوية بالذهب والرقيق بين بلاد السودان والساحل .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ١٧٠ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٢-٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، الكندى ، الولاة ، ص ٣٢ ، البكرى ، وصف ، ص ٥ ، ٨ ، الادريسي ، نزهة ، ص ٥٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ ، ٢٣٥ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦ ، البكرى ، وصف ، ص ٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٣٠ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦ ، الكندى ، الولاة ، ص ٣٢ ، المسعودى ، مروج ، ج ٢ ، ص ٩٥ - ٩٦ ، البكرى ، وصف ، ص ٧ ، ١٢ ، الادريسي ، ص ٥٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ياقوت ، معجم ، ج ٥ ، ص ٣٦٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٨٤ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٤ ، ١٠٩ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٨٩ .

(٦) البكرى ، وصف ، ص ١٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٦٤ ، ٣٠٨ .

(٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٤ .

(٨) ابن عبد الحكم ، ص ١٠٧ ، اليعقوبي ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، البكرى ، وصف ، ص ٥ ، ٧ ، ٩ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، ج ٤ ، ص ٢٥ .

(٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥-٣٤٦ ، البكرى ، وصف ، ص ٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٣٥ ، ج ٧ ، ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومصر وصقلية والقسطنطينية . وعاشت حول قابس قبائل من لواتة ونفوسة (١) . كما عاشت عشائر صغيرة تعود الى هوارة قرب مرماجنّة ، في وادى مجردة الاعلى (٢) . واشتهرت باحة بقمحها وشعيرها في انحاء المغرب ، ومن سكانها وزداجة وورداجة (٣) ، وانتشرت زناتة شبه البدوية في مناطق السهول (٤) ، بينما انتشرت القبائل البدوية الخالصة مثل زناتة ونفزاوة في منطقة الجريد جنوبي تونس التي اشتهرت بزيتونها ونخيلها ، فتوزعت هذه القبائل بين قسطلية . وتورز والحامّة وتقيوس ونفطة وقفصة (٥) .

وكان ينتج في شمال تونس وجنوبه ،بالاضافة الى الحنطة (٦) والزيتون (٧) ، ومواد عديدة اخرى تصدر الى موانئ البحر المتوسط

---

(١) ابن حوقل ، ص ٧٣ ، البكرى ، وصف ، ص ٢٠ ، انظر اليعقوبي ، بلدان ، ص ٣٥٠ ، ياقوت ، ج ٥ ، ص ٢٨٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ ، ٢٣٦ .

(٢) ابن حوقل ، ص ٨٤ ، البكرى ، ص ١٤٥ ، الادريسي ، ص ١١٩ ، ياقوت ، ج ٥ ، ص ١٠٩ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٩ ،ابن حوقل ،ص ٧٦ ، البكرى ، ص ٥٦ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، البكرى ، وصف ، ص ٤٨ - ٤٩ ، ابن خلدون ،ج ٦ ، ص ١٩٩ ،ج ٧ ،ص ٢٦ .

(٦) ابن حوقل ،ص ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٦ ، البكرى ، ص ٣٧ ، ٤١ ، ٥٦ - ٥٧ ، ياقوت ،ج ١ ، ٣١٤-٣١٥ ،ج ٢ ، ص ٥٨ ،ج ٣ ، ص ٢٢٣ ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .

(٧) ابن عبد الحكم ،ص ١٨٥ ، الدّباغ ، معالم ،ج ١ ،ص ٣٥-٣٦ ، التيجاني ، الرحلة ، ٦٥-٦٦ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٢ ، ياقوت ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ ، عبيد الله بن صالح نص جديد ، ص ٢١٧ ، وانظر ايضا ابن حوقل ،ص ٧٣ ، البكرى ، ص ٢٠ ، الادريسي ،ص ١٠٦-١٠٧ ، ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخاصة الى اسبانيا ، مثل الحنطة (١) والتين (٢) والعنبر (٣) والزعفران (٤) والفستق (٥) . وكانت طبرقة وتونس من الموانيء الرئيسية التي تقوم بتصدير هذه المواد الى اسبانيا (٦) . ومن التجارة الرائجة في الساحل الشرقي قرب المنستير ، تجارة الملح ، فكان يصدر الى الاقطار المجاورة (٧) ، وكان منجم الملح يمتلكه بربر لمطة (٨).

وكانت مناطق غربي تونس وشرقي الجزائر مناطق خصبة تتوفر فيها المياه (٩) ، فشجع ذلك على استقرار القبائل البربرية فيها ، وأغلبيتها من كتامة ، فاستقرت في منطقة قسنطينة الزراعية كتامة وبعض زواوة ونفزة وزناتة (١٠) وسكنت مصمودة وأوربة وكتامة منطقة بجاية

---

(١) البكرى ، ص ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، الادريسي ، ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ٣١٤-٣١٥ .

(٢) البكرى ، ص ٥٧ .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٤٦ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٤) ن ٠ م ٠ ص ٤٦ ، ٥٣ ، ١٤٦ ، الادريسي ، ص ١١٧ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٥) ن ٠ م ٠ ص ٤٧ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٣٨٢ .

(٦) الاصطخرى ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، المقدسي ، ص ٢٣٩ ، البكرى ، ص ٤٧ ، ٥٧ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .

(٧) البكرى ، ص ٣٦ ، ٨٤ .

(٨) البكرى ، ص ٣٦ ، ٨٤ .

(٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١ ، البكرى ، ص ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٧٣ ، الادريسي ، ص ٩٦ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٣٤٩ .

(١٠) ابن حوقل ، ص ٨٧ ، ٩١ ، البكرى ، ص ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبونة وجيجل (١) . كما استقرت بعض المجموعات الصغيرة مثل لواتة وزواغة ومطغرة في المناطق التي تمتد الى شاطئ البحر المتوسط قرب بجاية في الشمال ، وسفوح جبال الاوراس في الجنوب (٢) .

وكان جبل الاوراس موطنا لأغلب القبائل البربرية وبطونها ، مثل أوربة (٣) ، وجراوة (٤) وهوارة ومكناسة وكتامة ولواتة ونفزة وذلك قبل الفتح الاسلامي (٥) .

وكانت لواتة ومزاتة وضريسة ونفزة وهوارة ، تقطن منطقة الهضاب قرب باغاية ، وبسبب الثلوج كانت هذه القبائل ترحل في كل شتاء الى الصحراء لحماية ابلها (٦) .

ولعبت قبائل البربر في غربي تونس وشرقي الجزائر دورا هاما في تجارة الشمال الافريقي .

---

(١) البكري ، ص ٥٥ ، ٨٢ .

(٢) ابن حوقل ، ص ٨٧ ، ٩١ ، البكري ، ص ٦٣ ، ٨٢ ، ١٤٥ ، الادريسي ، ص ٩٨ - ٩٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ ، ٢٣٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٣٠١ ، ج ٧ ، ص ١٠٠ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١ ، البكري ، ص ٥٠ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٤ ، ج ٧ ، ص ١٧ ، ٢٢ ، ١٤٤ .

(٥) اليعقوبي ، ص ٣٥٠ ، البكري ، ٧٢ ، ١٤٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ .

(٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١ ، البكري ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكانت كتامة تسيطر على معادن النحاس والحديد في منطقتها الجبلية التي تقع قرب ساحل جيجل (١) . واشتهرت مدينة مجانة بكثـــرة معادنها (٢) ، ومنها معدن الفضة وكانت تسيطر عليه لواتــة (٣) . وكانت لبربر كتامة ومصمودة وأوربة الساكنين حول مدينة بونة وبجايــة علاقات تجارية مع اسبانيا ، فمن ميناء بونة وبجاية كانت تصدر الحديــد من المعادن والمنتوجات الزراعية (٤) .

ولعبت الاسواق الداخلية والمراكز التجارية دورا هاما في تنشيط التجارة في منطقة قسنطينة ، وميلة ، وسوق حمزة ، ومدينة مرسى الدجاج وبادس (٥) . والى الجنوب من جبل الاوراس ، قرب بادس الـــتي اشتهرت بزراعة الشعير ، مدينة قيطون بياضة (٦) وهي بلد تتفـــرع منه الطرق التجارية الى السودان وطرابلس والقيروان (٧) .

---

(١) المقدسي ، ص ٢٢٦ ، البكرى ، ص ٣٣ ، ٨٣ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٩ ، ابن حوقل ، ص ٨٤ ، البكرى ، ص ١٤٥ ، ياقوت ، ج ٥ ، ص ٥٦ .

(٣) البكرى ، ص ١٤٥ .

(٤) ابن حوقل ، ص ٧٧ ، البكرى ، ص ٥٤ - ٥٥ ، ٨٢ ، الادريســي ، ص ٩٠ - ٩١ ، ١١٦ - ١١٧ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ٥١٢ .

(٥) البكرى ، ص ٦٣ ، ٦٤-٦٥ ، ٧٤-٧٥ .

(٦) البكرى ، ص ٤٧ - ٧٤ .

(٧) البكرى ، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي الجنوب كانت زويلة وفزان محطتين شهيرتين لتقاطع طرق القوافل القادمة من المناطق المجاورة مثل اوجلة واجدابية . فكانت زويلة بابا من أبواب السودان (١) .

وكانت المدن الساحلية مثل برقة واجدابية وسرت ولبدة وطرابلس وصبراتة منافذ للتجارة الصحراوية على البحر المتوسط (٢) . كما كانت لهذه المدن علاقات تجارية مع بعضها البعض ومع ما جاورها من مدن الواحات مثل ودّان وكوّار وزويلة وأوجلة (٣) . وكانت برقة مركزا تجاريا هاما بين مصر والقيروان وكانت أكثر تجارتها مع مصر فكان يحمل اليها من برقة مواد كثيرة مثل المواشي والأغنام والصوف والزيوت والعسل والقار (٤) . وكانت أجدابية محطة للقوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان وأكثر أهلها من لواتة ، كما كانت مرسا تجاريا نشطا ترد عليها السفن بالمتاع وتخرج منها محملة بضروب من السلع (٥) واشتهرت سرت بكثرة تجارتها حتى كان دخلها أوفر من دخل أجدابية ، وعدد البربر بها أوفر وأغزر من المناطق المجاورة لها (٦) . واشتهرت طرابلس أيضا بمركزها التجاري كمحطة للقوافل

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥-٣٤٦ ، الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٤ ، البكرى ، وصف ، ص ١٠ ، ياقوت ، ج ٣ ، ص ١٦٠ ، وانظر :
Gautier: Le passe, p.42.

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، البكرى ، وصف ، ص ٥ ، ٦ ، ١١ ، ١٧ .

(٣) ن . م . ص ٦٩ ، ٧٠ ، البكرى ، وصف ، ص ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ .

(٤) ن . م . ص ٦٩ ، البكرى ، وصف ، ص ٥ ، الادريسي ، ص ١٣١ .

(٥) ن . م . ص ، ٧٠ ، البكرى ، وصف ، ص ٥ - ٦ .

(٦) ن . م . ص ٧١ ، البكرى ، وصف ، ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القادمة من المشرق الى المغرب (١) .

وكان بربر كوّار في الصحراء الجنوبية يتاجرون بالشّب ووصلت تجارتهم الى مصر وورجلان والمغرب الاقصى (٢) .

واشتهر شمال تونس وجنوبه بوفرة المنتجات الزراعية نظرا لخصوبة سهوله (٣) ، وسكنت هذه المنطقة زناتة ، ونفزاوة ، ونفوسة ، ولواتة . فكانت قابس منطقة لزراعة الحبوب وتربية المواشي " وبها من البربر الكثير ولهم من الزروع والضياع ما ليس مثله لمن جاورهم "(٤) ، وسكنت قابس قبائل بربرية كثيرة من لواتة وزناتة ولماية ومزاتة وزواوة (٥) وكانت مطماطة بقربها (٦) . واشتهرت سفاقس بزراعة الزيتون فكانت تصدر الزيت الى المغرب

---

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ،ص ٧١ ، البكرى ، وصف ، ص ٦ .

(٢) ن . م . ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٤٨٦ .

(٣) انظر ابن حوقل ، ص ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٦ ، البكرى ، وصف ، ص ٣٧ ، ٤١ ، ٥٦-٥٧ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .

(٤) ابن حوقل ، ص ٧٢ .

(٥) انظر اليعقوبي ،البلدان ، ص ٣٤٧ ، البكرى ، وصف ، ص ١٧ ، ١٨ ، ياقوت ، ج ٥ ، ص ٢٨٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ ، ٢٣٦ .

(٦) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المنطقة التي عرفت عند مؤرخي العرب وجغرافييهم بالمغرب الأوسط والتي تمتد من غربي بجاية الى وادى ملوية ، فكانت منطقة استقرار زناتة وبطونها ويبيّن ابن خلدون مواطن " زناتة " فيقول : " ان مواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب ، فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى ، حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس ، وضواحي افريقية ، وبجبل الاوراس . . . والاكثر منهم بالمغرب الاوسط ، حتّى انّه ينسب اليهم ، ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى (١) " .

وتشير المصادر الى أن بربر زناتة كانوا من القبائل البدوية (٢) ، الآ أن هذا الوصف ينطبق على بني يفرن (٣) بطن من زناتة كانوا بافريقية ، وجبل أوراس ، والمغرب الاوسط بين مدينة تلمسان وتيهرت (٤) ، وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان (٥) ، وقد اعتنق بنو يفرن الخارجية ، " وضرب فيه يفرن هوءلاء بسهم ، وانتحلوه ، وقاتلوا عليه " (٦) .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٣ ، ٤ ، ٣٥ .

(٢) الادريسي ، ص ٨٨ ، ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٥٠ ، مفاخر البربر ، ص ٤٦ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٤ ، ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٢٢ .

(٤) اليعقوبي ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٩ ، البكرى ، ص ٥٢ ، الادريسي ، ص ٨٨ ، مفاخر البربر ، ص ٤٤ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٣٥ .

(٦) ن ٠ م ٠ ج ٧ ، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما جماعات زناتة التي استقرت في المناطق الساحلية قرب المراكز البيزنطية ،وفي المناطق الزراعية ، فيبدو أنها كانت جماعات مستقرة ليست بدوية (١) .

وعاشت قبائل اخرى في أماكن مختلفة من هذه المنطقة . فكانت مطفرة شرقي مصب نهر ملوية ، حيث تلتقي السفن بالقوافل القادمة من وجدة التي كانت ملتقى الطرق التجارية الصحراوية في هذه المنطقة (٢) . وسكنت قبيلة كومية قرب هذا الشاطيء ايضا (٣) ، وسكنت قبيلة مديونة قرب تلمسان ، واستقرت مغيلة في منطقة تاهرت (٤) .

وكانت قبيلتا لواتة ولماية تسكنان في حدود المغرب الاوسط مما يلي الصحراء (٥) . وعاشت تلكانة ، وهي فرع من صنهاجة ، بالقرب من نهر شلف . وكان هوءلاء البربر تجارا مستقرين (٦) .

وكانت جبال هذه المنطقة مأهولة بالقبائل البربرية ، مثل مغيلة ، وهوارة ، ومطماطة ، وأوربة ، ومطفرة ، وكتامة ومكناسة (٧) .

---

(١) اليعقوبي ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، البكرى ، ص ٧٠ - ٧١ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ١٤٢ ، الادريسي ، ص ٨٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٩٣ ، ج ٧ ، ص ١٥ .

(٢) البكرى ، وصف ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٥٧ .

(٤) ن . م . ج ٦ ، ص ٢٥٦ ، ج ٧ ، ص ٢٥ ، مفاخر البربر ، ص ٥٩ .

(٥) ن . م . ج ٦ ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٦ .

(٦) البكرى ، وصف ، ص ٦٥ ، ٦٨ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص (٣١١ - ٣١٢ .

(٧) اليعقوبي ، ص ٣٥٦ ، البكرى ، وصف ، ص ٦٩ ، ٧٦ ، الادريسي ، ص ٨٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وامتدت ديار كتامة من ارياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل أوراس من ناحية الجنوب ، وشملت سطيف ، المدينة الواقعة بين تيهرت والقيروان (١) .

أما المغرب الاقصى ، فهو منطقة شاسعة مأهولة بالقبائل البربرية . ووفقا لتقسيم جغرافيي العرب ومؤرخيهم ، فهي المنطقة الشمالية من المغرب الواقعة بين نهر ملوية والمحيط الاطلسي (٢) .

وأطلق اسم السوس على الجزء الغربي منه المطل على المحيط . ويقسم الى قسمين : السوس الاقصى ، ويضم سلسلتي الاطلس (درن) وما في جنوبهما وغربهما من النواحي العامرة حتى تارودانت وتافللت (سجلماسة) ، والسوس الادنى ويشمل الجزء الشمالي من مراكش الحالية تقريبا (٣) . وأغلب سكان هذه المنطقة من مصمودة وصنهاجة . أما غمارة (بطن من مصمودة) ، فقد احتلت المسافة من سبتة الى

---

(١) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ابن حوقل ، ص ٩٣ ، البكرى ، ص ٦٥ ، ٧٠ ، ياقوت ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ ، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

(٢) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .

(٣) انظر ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٨١ ، ابن خرداذبه ، ص ٨٩ ، الاصطخرى ، ص ٣٩ ، المقدسي ، ص ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ياقوت ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥ ، ٦ ، ٢٦ ، ٤٢ - ٤٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١١٩ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طنجة (١) . كانت صنهاجة قرب سبتة (٢) ، وفي منطقة سجلماسة ووادى درعة ، ووادى السوس وفي المناطق الجنوبية في الصحراء الى حدود السودان وغانة . وعرف بربر صنهاجة بالملثمين ، وكانوا رعاة ابل يعيشون حياة بدوية خالصة في المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى (٣). ومن بطونها لمطة وجزولة وكانوا يغيرون على القوافل المارة بالقرب من واحاتهم بين السوس والسودان (٤).

وكان اصحاب القوافل يدفعون رسوما لبربر صنهاجة لتقوم بحماية قوافلهم المتجهة نحو أرض السودان (٥) .

---

(١) البكرى ، ص ٩٠ - ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٦-١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠-١١١ ، الادريسي، ص ١٧٠ - ١٧١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٣٦-٤٣٧ ، ٤٣٩ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٤ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، ابن حوقل ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، البكرى ، ص ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، الادريسي ، ص ٥٨ - ٥٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٤) البكرى ، ص ١٥٧ ، ١٦١ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ٣١٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٤٠ .

(٥) ابن حوقل ، ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرفت مصمودة بأنها أهل الجبال (١) ،الا أنها سكنت البسائط أيضا ، فكانت بشمال المغرب الاقصى ، حيث المناطق الخصبة (٢) . واشتهرت هذه القبيلة بالتجارة ،حيث كانت تقام الاسواق السنوية والاسبوعية في مختلف مدنها وقراها (٣) . كما اشتهرت المناطق الجبلية (جبل درن) ،مستقر مصمودة بمنتجاتها الزراعية والحيوانية ، فكانت تجلب اليها التجار من كل مكان (٤) . وانتشرت بطون اخرى من مصمودة في المغرب الاقصى ، فكانت برغواطة بالسوس الادنى في بلاد تامسنا (٥) ، ودكالة في جنوبي منطقة مدينة مراكش الحالية (٦) ، ومسكورة بالمناطق السهلية الخصبة الواقعة غربا حتى المحيط الاطلسي ، وجنوبا الى وادى السوس . واشتهرت هذه المنطقة وسواحلها بأسواقها ومراكزها التجارية (٧) .

---

(١) ابن خلدون ،ج ٦ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١١ .

(٢) البكرى ، ص ١٠٦ - ١٠٨ ، ١١٢ - ١١٣ ، الادريسي ، ص ٧٣ ، ١٤٧ ، ١٧٠ .

(٣) ن . م . ص ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ .

(٤) ن . م . ص ١٦٠ - ١٦١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ٤٦١ .

(٥) ن . م . ص ١٤٠ - ١٤١ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٦ ، ٥٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٢٨ ، مفاخر البربر ، ص ٤٧ .

(٦) ياقوت ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٥٥٦ .

(٧) البكرى ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، الادريسي ، ص ٦٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٥٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسكنت قبائل أخرى المغرب الاقصى ، مثل كتامة ، وهوارة ، ولواتة (١) . وكانت أوربة في جنوبي الريف (٢) ومطغرة بجنب صنهاجة وأوربة (٣) ومكناسة في أعالي وادى ملوية قرب منطقة سجلماسة (٤) ، الا أن هذه القبيلة كانت بدوية (٥) وتمركزت زناتة بالسوس الادنى والاقصى (٦) .

وانتشرت قبائل اخرى في أرياف فاس ، مثل مغيلة ، وأوربة ، ومدينة وهوارة ومكناسة وزواغة وأزداجة ، وكانت هذه المنطقة مركزا تجاريا هاما ، ومحطة للقوافل القادمة من الجنوب والغرب والمتوجهة نحو الشرق والشمال (٧). وكانت الاسواق العديدة المزدهرة بمنطقتي طنجة وفاس ومناجم ذهب جبل تازى مقصدا للعديد من القبائل البربرية ، مثل صنهاجة ومغيلة وكتامة وغمارة وهوارة وأوربة ومكناسة وزرهونة ومطماطة وزواغة (٨) .

---

(١) البكرى ، ص ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ - ١١٠ ، ١١٢ ، الادريسي ، ص ١٦٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ٥٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .

(٤) البكرى ، ص ٨٨ ، ٩٣ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٥٢ ، ٢٦٢ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٧٣ .

(٦) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٤ ، ١٠٠ ، وانظر البكرى ، وصف ، ص ١٤٧ .

(٧) البكرى ، وصف ، ص ١١٧ ، ١٤٠ - ١٤٢ ، ١٥٥ ، الادريسي ، ص ٧٩-٨١ .

(٨) البكرى ، وصف ، ١١١ ، ١١٣-١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٤٧ ، الادريسي ، ص ٧٦-٧٧ ، ٧٨ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعاشت هوارة بالقرب من منطقة أغمات، وكانوا تجارا مياسير بسبب ازدهار علاقاتهم التجارية مع السودان (١) .

وكانت القبائل البربرية البدوية والمستقرة تشعر بأهمية مواقعها بالنسبة للطرق التجارية الداخلية والساحلية ، فساهمت مساهمة كبيرة في تنشيط تجارة الشمال الافريقي .

فكانت لبدو ورجلان علاقات تجارية مع السودان وغانة وأهم بضاعة محمولة كانت الذهب (٢) . وكانت تلمسان ، قاعدة المغرب الاوسط ، مركزا شهيرا لتجارة بدو زناتة في العصور الاسلامية (٣) ، ولعلها لعبت هذا الدور قبل الاسلام ، اذ يذكر البكرى أن فكّان البلدة القريبة من تلمسان كانت احدى الاسواق الكثيرة القديمة لزناتة (٤) .

وكانت التجارة مزدهرة عبر الصحراء الغربية قبل الفتح الاسلامي واستمرت بعده (٥) ، فكان الملح والذهب والرقيق من البضائع المهمة

---

(١) الادريسي ، ص ٦٦ .

(٢) ن . م . ص ١٢١ .

(٣) البكرى ، ص ٧٦ - ٧٧ ، الادريسي ، ص ٨٢ ، ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١٥٧ .

(٤) ن . م . ص ٧٩ .

(٥) ابن حوقل ، ص ٩٦ ، الادريسي ، ص ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ٣١ ، ٣٢ ، ياقوت ، معجم ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ ، ج ٤ ، ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في التجارة الصحراوية (١). ومن المواد التي كانت تصدر الى الصحراء والسودان، الحبوب مثل الحنطة والشعير من المناطق الزراعية الخصبة، والزيوت، والعسل، والفواكه والزبيب، والاصواف والملابس وقطن وادى شلف، وكتان متيجة وطبنة، والحديد والزئبق من وهران والمرجان من سبتة والخرز والمواشي (٢).

وكانت القوافل تعود محملة بالعاج، والعنبر، والدورق اللمطية، والعقيق، والشبّ والصمغ (٣) وتتوجه الى الشمال نحو المغرب الاقصى حيث تقع الموانيء التجارية (٤).

وساهمت موانيء المحيط الاطلسي بجزء كبير من هذه التجارة الصحراوية، حيث كانت تصدر منها البضائع الى اسبانيا (٥).

---

(١) الاصطخرى، ص ٣٩، ابن حوقل، ص ٩٨، المقدسي، ص ٢٣١، البكرى، ص ١٥٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦-١٧٩، ١٨٣، الادريسي، ص ٨، ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١٢-١٣، ج ٣ ص ١٩٣.

(٢) ابن حوقل، ص ٧٦، ٧٧-٧٩، ٨٥، البكرى، ص ٦٥، ٦٩-٧٠، الادريسي، ص ٨٣، ٨٩، ١٠٠، ١٢٠، ١٦٨، ياقوت، ج ٥، ص ٨٣.

(٣) ابن حوقل، ص ٧٦، البكرى، ص ١٥٨-١٥٩، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٢ - ١٨٣، الادريسي، ص ٥٩، ١٦٨.

(٤) انظر البكرى، ص ٨١، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ٩٩، ١٠٥.

(٥) الاصطخرى، المسالك، ص ٣٩، البكرى، وصف، ص ١٥٣، ١٥٨، الادريسي، ص ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعبت موانيء سبتة وطنجة وطيلة دورا هاما في تصدير البضائع في المغرب الاقصى الى اسبانيا (١). ووجدت مراسي لبربر مثل مرسى مصمودة (٢)، بينما سيطرت صنهاجة على مرسى بالشر (٣) وكان لجراوة مرسى سمّي باسمها (٤). وحين جاز طارق بن زياد الى الاندلس استعمل السفن التجارية ليعبر بجيشه من هذه المراسي (٥).

وقد أشار البكرى الى عدّة مراسي تمتد على طول ساحل الشمال الافريقي مثل مرسى قصر الفلوس الذى يقابل قرطاجنة، ومرسى تنس، ومرسى جزيرة وقور، ومرسى جنابية، ومرسى الدّجاج، ومرسى عجرود، ومرسى ترنانا، ومرسى جبل تماسان. والظاهر ان هذه المراسي كانت مراكز للتبادل التجارى مع بقية حوض البحر المتوسط قبل الفتح وبعده (٦). وكانت بضائع المراكز التجارية الداخلية تصدر من هذه المراسي الى اسبانيا (٧).

---

(١) ابن حوقل، ص ٧٦، البكرى، ص ٨٩، ١٠٩، الادريسي، ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) ن٠م٠ ص ١٦٦، ١٦٨.

(٣) البكرى، وصف، ص ٩٠.

(٤) ن٠م٠ ص ٨٩.

(٥) الرقيق، ص ٧٤، ابن عذارى، ج ٢، ص ٦.

(٦) انظر البكرى، وصف، ص ٦١، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٨١، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٩، ١٠٥.

(٧) ابن حوقل، ٧٦-٧٩، البكرى، ص ٦٥، ٧٦-٧٧، ٧٨، ٨٨، ١٤٣، الادريسي، ص ٨٣-٨٤، ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما مرّ يمكن استخلاص بعض النتائج عن توزيع القبائل البربرية في الشمال الافريقي عشية الفتح الاسلامي .

كان الشمال الافريقي مقسما الى عدّة مناطق نفوذ بربرية . فمناطق نفوذ القبائل الرئيسية مثل لواتة وزناتة ومصمودة وصنهاجة كانت في افريقية والمغرب الاوسط والاقصى ، وجنوب المغرب الاقصى باتجاه السودان .

الا أن هذه القبائل لم تنفرد بسكنى هذه المناطق اذ جاورتها بطون عديدة من قبائل مختلفة . ولعبت كل قبيلة دورا هاما في منطقة نفوذها بالنسبة للتجارة في الشمال الافريقي ، فكان وجود لواتة على سواحل طرابلس وبرقة والواحات التابعة لها من العوامل التي ساعدتها على السيطرة على الحركة التجارية بين بلاد السودان وموانيء المتوسط بالاضافة الى انها كانت محطة للقوافل بين مصر والمغرب .

كما لعبت كتامة وزناتة دورا هاما في تنشيط تجارة المناطق الواقعة شرقي الجزائر وغربها .

أما صنهاجة فقد ساهمت في التجارة الصحراوية بحكم وجودها في منطقة السوس الاقصى ودرعه .

وسيطرت مصمودة على منطقة جبال الاطلس فكانت لها علاقات تجارية مع بطونها المتمركزة على طول شاطيء المحيط الاطلسي .

أما قبيلة مكناسة البدوية فكانت تنتشر على وادى نهر ملوية ، وكانت محطة للقوافل التجارية القادمة من المغرب الاوسط والمتوجهة الى المغرب الاقصى والسودان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع هذا يمكن القول أن الاحوال الجغرافية والمناخية كانت وراء توزيع سكان الشمال الافريقي منذ زمن بعيد ، بين مستقرين (زراع) وشبه مستقرين (زراع ورعاة) وبدو ، (رعاة ابل) تبعا للمناطق من سهول ،وجبال ، وصحارى ، كما ان عامل المناخ ادى الى اختلاف كبير في كثافة السكان من بقعة الى أخرى .

ثم ان افتقار الشمال الافريقي الى الوحدة الجغرافية ، مع الحواجز الناشئة عن ترتيب المرتفعات والسلاسل الجبلية - كل هذا جعل الاتصال صعبا بين القبائل البربرية وركز التميّز بين البربر ، فقد كانوا يتسمون بأسماء قبائلهم مثل (كتامة - مغراوة) أو بأسماء اتحاد قبائل مثل (مصمودة - زناتة) .

كانت هذه القبائل وحدات مميزة لكل كيانها ، ولكنها كانت تتحالف أحيانا من اجل الهجوم أو الدفاع ،برئاسة قائد هو بمثابة ملك موءقت ، مثل مسنيسا ويوجورتا وكسيلة والكاهنة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثانـــي

- اســـتراتيجيـــة الفتـــح -

٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر ابن عذارى أن عمرا بدأ يمهد لفتح برقة فبعث اليها نفرا من جنده ليستطلعوا أحوالها بقيادة عقبة بن نافع : " ووجه من مصر عقبة بن نافع الفهرى الى لوبية وافريقية ،فافتتحهما . ثم توجه عمرو بنفسه الى برقة ، فصالح أهلها على الجزية : دينار على كل حالم . وتوجه منها الى طرابلس ...."(١) . ويؤيد ابن عذارى في روايته هذه ابن دينار ، اذ يشير الى ذلك البعث الاستطلاعي بقوله : " ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والاسكندرية بعث عقبة بن نافع الى برقة وزويلة وما جاورها من البلاد فصارت تحت ذمة الاسلام ، وسار عمرو بن العاص فغزا طرابلس"(٢) ويفهم من الروايتين أن عمرا كان يطمح في السيطرة على المراكز الساحلية لادراكه ان الخطر الكبير يكمن في القوة البيزنطية البحرية ،وقبل ان يحقق مشروعه هذا رأى أنه لا بدّ أولا من بسط سيطرته على المناطق الداخلية .

ويبدو أن الجيش الذى خرج لفتح برقة وطرابلس كان قليلا في عدده . فقد ذكر ابن عبد الحكم أن الجيش الذى فتح مصر ابتداء كان لا يتعدى اثني عشر ألفا (٣) وقد أرسل عمرو بن العاص ربع هذا العدد للمرابطة بالاسكندرية ، (٤) كما انه لم يبعث بالجيش كله لفتح برقة انما اختار الفرسان منه ، اذ يذكر السيوطي أنه لم يذهب في بعث برقة الا الخيل (٥) .

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨ .

(٢) ابن أبي دينار، المؤنس ، ص ٢٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ،ص ٥٦ ، ٦١ ،انظر البلاذرى ،فتوح ،ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، اليعقوبي ،تاريخ ، ج ٢ ،ص ١٤٨ . ابن أعثم ، فتوح ، ج ٢ ،ص ١٠٢ ، ياقوت ، معجم ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٣٠-١٣١ ، انظر البلاذرى ،فتوح ، ص ٣١٢ ، المقريزى ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٥) السيوطي ،حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكوّن هذا الجيش من معظم القبائل العربية التي شاركت في فتح مصر على أن غالبيته كانت من غافق وعكّ (١) ، بالاضافة الى الامدادات التي دخلت مع الزبير بن العوام والتي كان يطلق عليها اسم المدديين (٢) ، وأغلبها من القبائل اليمنية مثل مهرة (٣) ، حضرموت (٤) ، بليّ (٥) ، همدان (٦) ، الصدف (٧) ، خولان والمعافر ولخم (٨) .

كما ضم مجموعات من أصحاب الراية (٩) ، منهم بنو فهر وبنو عبد

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٥٦ ، ١٢٠-١٢٢ ، اليعقوبي ، ج ٢، ص ١٤٨ ، ابن دقماق ج ٤ ، ص ٤ ، ياقوت ، معجم ، ج ٤، ص ٢٦٢ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ٦١ ، ١١٩ ، خليفة ، تاريخ ، ص ١٤٢ ، البلاذري ، ص ٢٩٩ ، اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص١١٢ ، ياقوت ، معجم ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .

(٣) ابن عبد الحكم، ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٥) ابن عبد الحكم، ص ٦٢ ، ١١٦ ، ابن دقماق ، ج ٤ ، ص ٥ ، المقريزي ، البيان والاعراب ، ص ٣٧ .

(٦) ابن عبد الحكم، ص ٦٢ ، ١٢٢ .

(٧) ابن عبد الحكم ، ص ٦٢ ، ١٢٢ .

(٨) ابن عبد الحكم، ص ١٢٢ - ١٢٨ .

(٩) أهل الراية : مجموعات صغيرة من قبائل مختلفة لم يسمح لها عددها بتكوين وحدة مستقلة لها رايتها الخاصة بها ورفضت ان تقف تحت راية غيرها من القبائل فجمعهم عمرو وجعل لهم راية خاصة بهم يقفون تحتها . وجمعت الراية القبائل الآتية : قريش ، الانصار، أسلم ، غفار، جهينة ، بليّ ، خزاعة ، مزينة ، اشجع ، ثقيف ، دوس ، عبس بن بغيض ، حرش من بني كنانة ، ليث بن بكر ، والعتقاء . انظر في ذلك ابن عبد الحكم، ص ٩٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ابن دقماق ، ج ٤ ، ص ٣ ، المقريزي ، خطط ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العزى وبنو عامر وبنو سهم وبنو عدىّ وبنو مدلج والانصار (١) .

خرج عمرو بن العاص لفتح برقة سنة ٢٢ هـ (٢) بعد فتح الاسكندرية ، وبناء على المعلومات التي وردت اليه من عقبة بن نافع (٣) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٦١ ، ٩٣ ، ١٧١ ، خليفة ، تاريخ ، ص ١٤٢ ، البلاذرى ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، البكرى ، وصف ، ص ٨ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ٣٨٩ ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، ج ٤ ، ص ٢٥ ، ٢٦٤ ، عبد الواحد ذنون ، الفتح والاستقرار ، ص ١١١ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ (عن عثمان بن صالح ، والليث بن سعد) ، ابن الاثير ، ج ٣ ، ص ١٩ ، Gautier, L'afrique du nord, p.81
وقد اختلف المؤرخون في السنة التي فتحت فيها برقة فيجعلها البلاذرى سنة ٢١ هـ ويتفق معه أبو المحاسن والبكرى . انظر البلاذرى ، ص ٢٣٣ ، البكرى ، وصف ، ص ٤٥ ، ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٧٦ ، ويجعلها اليعقوبي سنة ٢٣ هـ . انظر اليعقوبي ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .
وقد أخذنا بتاريخ ابن عبد الحكم ومن نقل عنه لأن سنة ٢٢ هـ أقرب الى الصحة ولأن الفراغ من فتح الاسكندرية كان سنة ٢١ هـ والمعروف ان عمرا شرع في غزو برقة مباشرة . فبدأ بتمهيد هذا الفتح بارسال نفرا من الجند ليستطلعوا احوالها وبناء على المعلومات التي وردت اليه من عقبة بدأ في فتح برقة سنة ٢٢ هـ ، فرأى ابن عبد الحكم وابن الاثير هو الأرجح ، أما تاريخ ٢٣ هـ الذى ذكره اليعقوبي يستبعد لأن عمرا قد عاد الى مصر قبل ان يقتل عمر بن الخطاب وكان مقتله في ذى الحجة سنة ٢٣ هـ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أنه لم يلق مقاومة تذكر فقد طلبت لواتة (١) الصلح من عمرو فصالحهم على خمسمائة من السبيّ وثلاثمائة غلام ومائتي جارية ومثل ذلك من الماشية (٢) وحمل عليهم جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار (٣) بمقدار دينار على كل حالم (٤) .

وقد جاء في كتاب الصلح مع لواتة ،كما ذكره البلاذرى عن الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) عن يزيد بن أبي حبيب (ت ١٢٨هـ) ما يلي : " ان عمرو بن العاص كتب في شرطه على أهل لواتة من البربر من اهل برقة : أن لكم ان تبيعوا أبناءكم ونساءكم فيما عليكم من جزية "(٥) . وهذا النص في دفع الجزية لا سابقة له في المعهود والأرجح أن عمرا لم يفرضه من تلقاء نفسه ولعله استمرار لطريقة مألوفة وقد وضع بعد التفاهم والتراضي على طريقة الاداء . فقد ورد في رواية أخرى للبلاذرى عن عبيد الله ابن هبيرة (ت١٢٦هـ)

---

(١) كانت برقة ديار لواتة قبيلة بربرية من البتر . انظر ابن حوقل ، صورة الارض ،ص ٦٩ ، الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٣٣ ،ياقوت، ج ١ ، ص ٣٨٨ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٩١ .

(٢) ابن أعثم ، فتوح ، ج ٢ ، ص ٢ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ . انظر البلاذرى ، ص ٢٢٤ ، اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٧٦ ، الطبرى ،ج ١ ، ص ٢٦٤٥ ، الكندى ، الولاة ، ص ٩ - ١٠ ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٣٨٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ابن الأبار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ١٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٨ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨ .

(٥) البلاذرى ،ص ٢٢٦ وانظر اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٥٦ والبكرى ، وصف ، ص ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه في جزيتهم وكتب لهم بذلك كتابا "(١) ونص ابن هبيرة هو أقرب زمنا من يزيد بن أبي حبيب الذي يدل ان البيع كان اختيارا لمن اراد ذلك اذا عجز عن دفع الجزية نقدا ، وقد ألغي هذا الشرط في خلافة عمر بن عبد العزيز، اذ كتب الى ولاته بافريقية ما يلي : " ان من كانت عنده لواية فليخطبها الى أبيها أو فليردها الى أهلها "(٢) .

ويبدو أن اهل برقة تولوا جمع ما عليهم من جزية ، فيذكر ابن عبد الحكم " ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج ،انما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها "(٣) ، وكان في ذلك راحة لهم كما جاء على لسان ابن أبي فروة ما يلي : " أن أهل برقة كانوا يبعثون بخراجهم الى والي مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث ،فكانوا أخصب قوم في المغرب ،ولم يدخلها فتنة "(٤) . وقد يفسر هذا الاسلوب في الجباية على أنه نوع من تأليف القلوب خاصة اذا تذكرنا ما كان يحدث زمن البيزنطيين من عسف في الجباية ، وقد أشار الى ذلك ديل في حديثه عن كرسيكا اذ يقول في ذلك : " وكان الموظفون يجمعون الضرائب بدقة فيها كثير من القسوة لكي يقوموا بالمطالب

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٦ . وقد جاء عند اليعقوبي والبكري كلمة " أحب " بدل " أراد " في نفس النص . انظر اليعقوبي ، تاريخ ،ج ٢ ، ص ١٥٦ والبكري ، وصف ، ص ٥ .

(٢) البلاذري ، ص ٢٢٧ (عن يزيد بن أبي حبيب) .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٠ - ١٧١ (عن عثمان بن صالح) .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المالية الثقيلة التي كانت تنهال عليهم ، حتى ان دافع الضرائب في كرسيكا كان يضطر الى بيع أبنائه كعبيد ، وكان الملاك البائسون يبيعون أراضيهم ويلتمسون الهرب عند البربر " (١) . ويبدو أن هذا الاتفاق كان له أثره الايجابي فقد اسلم الكثير من اهل برقة فجعل عليهم عمرو العشر ونصف العشر (٢) . وذكر أبو زكريا : " أن عمرو بن العاص قد بعث الى عمر ابن الخطاب بقوم من لواته . . . فسألهم عمر ما لهم محلقوا الرؤوس واللحا فقالوا : شعر نبت على الكفر ، فأحببنا أن نبدل شعرا في الاسلام " (٣) .

وبعد برقة اتجه عمرو يستعد للتوسع في افريقية فأرسل الى زويلة (٤) حملة بقيادة عقبة بن نافع الفهري (٥) الذى كان هو أبوه نافع بن عبد القيس ضمن المدد الذى أرسل الى مصر مع الزبير بن العوام (٦) .

---

(١) Ch. Dielh, L'afrique Byzantine, p. 563

(٢) ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .

(٣) أبو زكريا ، سير الأئمة ، ص ٣٤ ، وانظر ما أورده حسين مؤنس في رواية للشطيبي ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) زويلة السودان : تقع في الجنوب الغربي من طرابلس وهي متاخمة لأرض السودان ، ومن زويلة كان يجلب الرقيق الى افريقية . انظر ابن حوقل ، ص ٣٧ ، الاصطخرى ، ص ٣٤ ، البكرى ، ص ١٠ - ١١ ، ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ٦٠ ، الحميرى ، الروض ، ص ٢٩٦ ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢٤ .

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ابن أعثم ، ج ٢ ، ص ٣ ، البكرى ، وصف ، ص ١٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

(٦) ابن عبد الحكم ، ص ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذه الحملة أخضع العرب كل الاراضي الواقعة ما بين برقة وزويلة ، وفرض على أهل زويلة ضريبة قدرها ثلاثمائة رأس من العبيد لعلها نوع من الأتاوة كما يفهم من البكري : " انها ليست بجزية ولا خراج "(١) ، ويبدو أن هذه الضريبة تتصل بتجارة الرقيق ببلاد السودان ، وكان امرا شائعا عند أهالي هذه المراكز الصحراوية أن يقدموا الضريبة عبيدا . (٢) .

واصل عمرو بن العاص حملته على الساحل ، فافتتح اجدابية (٣) وعقد معاهدة صلح مع اهلها تعهدوا بموجبها دفع جزية مقدارها خمسة الاف دينار (٤) . ويذكر ياقوت أن عددا كبيرا من اهل اجدابية اعتنقوا الاسلام في ولاية عمرو بن العاص ، وكان أهل اجدابية من لواتة (٥) .

وواجه المسلمون صعوبة في فتح طرابلس سنة ٢٢ هـ فقد تلقت حاميتها البيزنطية مساعدة من قبيلة نفوسة البربرية البترية التي كانت قد اعتنقت النصرانية .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ - ١٧١ وانظر البكري ، وصف ، ص ١٠ (نقلا عن ابن عبد الحكم) ، البلاذري ، ص ٢٢٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٥ - ٢٦ ، الزاوي ، الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢٤ (عن البكري) .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥ .

(٣) أجدابية : بينها وبين برقة ست مراحل وبينها وبين زويلة مسيرة شهر . انظر ابن حوقل ، ص ٧٠ ، البكري ، ص ٥ ، ٦ ، التيجاني ، رحلة ، ص ٢٦٢ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، الحميري ، المعطار ، ص ١١-١٢ .

(٤) ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٥) الادريسي ، صفة المغرب ، ص ٩٨ ، ١٣٢ ، البكري ، ص ٥ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ١٩٠ وانظر اليعقوبي ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت هذه القبيلة من أكبر القبائل البربرية شأنا وأشدها بأسا . وكان من أهم معاقلها جبل نفوسة المنسوب اليها . ومن اهم مدنها صبراته التي كانت من مواطن زواغة (١) .

وقد حوصرت طرابلس حوالي شهر ثم تم فتحها بعد ان نجح العرب في العثور على ثغرة في أسوارها قرب البحر فهربت الحامية البيزنطية بواسطة السفن (٢) .

وفي أثناء حصار طرابلس أرسل عمرو عدة حملات صغيرة الى حاميات الروم على الساحل فأخضعت سرت (٣) ولبدة (٤) وكان من بينها حملة

---

(١) البكري ،ص ٨ - ٩ ،ياقوت ،جـ٥ ،ص ٢٩٧ ، جـ ٣ ،ص ١٨٤ ، ابن عذارى ، جـ ١ ،ص ٨ ،ابن أبي دينار، ص ٢٦ ، السراج ،الحلل ، جـ ١ ،ق ٢ ، ص ٤٦٣ ، الزاوى ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ذنون ، الفتح ، ص ١١٢ .

(٢) ابن عبد الحكم ،ص ١٧١ ، انظر خليفة ،تاريخ ،ص ١٥٢ ، البلاذرى ، ص ٢٢٥ ، اليعقوبي ، تاريخ ،جـ ٢ ،ص ١٥٦ ، البكرى ، ص ٨ - ٩ ، ياقوت ، جـ ٤ ،ص ٢٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ،ص ٢٥ ، ابن أبي دينار ، ص ٢٦ ، الزاوى ، ص ٣٧ - ٤٠ .

(٣) سرت : مدينة قديمة ببرقة تقع على الخليج المسمى بها الآن . انظر البكرى ، ص ٦ ،الادريسي ،ص ٩٠ ، ١٢٢ ،ياقوت،جـ ٣ ،ص ٢٠٦ ، الاستبصار ، ص ١٠٩ ، الحميرى ، ص ٣١٢ ، الزاوى ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) لبدة : مدينة كبيرة بناها الفنيقيون في القرن العاشر قبل الميلاد وتقع في شرق مدينة طرابلس بنحو ٩٠ كم ، انظر الزاوى ، الفتح ، ص ٢٧ - ٣٢ وانظر كذلك اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦ ، ابن اعثم ، جـ ٢ ، ص ٣ ، البكرى ، ص ٩ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ١٠ (وقد أعيد فتح هذه المدينة على يد شرك بن سمي المرادى سنة ٤٣هـ) انظر ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقيادة عبد الله بن الزبير الذى قام باخضاع صبراته (١) . ويذكر العياشي : "أن صبراتة كانت فاتحة دخول افريقية" (٢) .

كما أرسلت حملة أخرى بقيادة بسر بن أبي أرطأة (٣) الى جبل نفوسة وودان حيث فرض على أهلها ضريبة قدرها ثلاثمائة وستين رأسا من الرقيق ثم انسحب بعد ذلك (٤) .

ان حملة عقبة وبسر الى الواحات الصحراوية مثل ودان وزميلة وفزان لم تكن في الحقيقة الا بعثا قصير المدى ولم يرد عمرو بن العاص منه الا مراقبة

---

(١) صبراتة : مركز تجارى مهم وكانت تسمى بالسوق القديمة ، انظر ابن عبد الحكم، ص ١٩٢ ، ابن اعثم ،ج ٢ ،ص ٢ - ٣ ، البكرى ، وصف ، ص ٩ ، ياقوت ،ج ٣ ، ص ١٨٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٥ ، ابن ابي دينار، ص ٢٦ ، السراج ، ج ١ ،ق ٢ ، ص ٤٦٣ ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) العياشي ، رحلة ، ص ٢١٢ .

(٣) بسر : رسمه البلاذرى (بسر بن أبي أرطأة) وابن عبد الحكم (بشر) وكذلك البكرى . ورسمه أبو المحاسن على صورتين (بسر وبشر) وأصبح بسر هذا فيما بعد من أكبر انصار معاوية وجنّ في آخر أيامه كما يذكر ذلك ابن الاثير ، انظر البلاذرى ، ص ٢٢٨ وابن عبد الحكم ، ص ١٧٢ والبكرى ، وصف ، ص ١٢ وأبو المحاسن ، النجوم ، ج ١ ، ص ٢٣ ، ١٤٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٩٣ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، التيجاني ، رحلة ، ص ٢١٢ ، البكرى ، وصف ، ص ١١ - ١٢ ومعجم ما استعجم ، ج ٤ ، ص ١٣٧٥ ، ياقوت ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٦ ، ابن أبي دينار ، ص ٢٦ ، الزاوى ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الداخل حتى لا يفاجيء بهجوم من البربر يقطعون عليه خط الرجعة ، ومـــا يؤكد ذلك أن عقبة لم يفعل شيئا سوى الوصول الى فزان وزويلة والتأكد مـن طاعة أهلها أو حيادهم ثم العودة بسرعة مطمئنا أن ما بين برقة وزويلـــــة صار للمسلمين (١) . وهذه الخطة اتبعها بسر أيضا ، أما ما فرض علـــى أهل زويلة وودان من الرقيق فيمكن اعتباره ضريبة لأن ما بين برقة وزويلـــة منطقة قاحلة وأهم ثروتها تجارة الرقيق مع بلاد السودان (٢) .

وبعد اتمام فتح طرابلس رجع عمرو بن العاص الى مصر وترك حاميـــة بقيادة عقبة بن نافع من برقة وزويلة (٣) ، ويشير البكرى (ت ٤٨٧ هـ) الـــى وجود سهميين وحضرميين بودان والدليل على كثرتهم هناك وجود مدينتـــين ، الأولى مدينة دلباك للسهميين والثانية مدينة بوصي للحضرميين على أن مسجدهما كان واحدا بين المدينتين (٤) . كما نسب أحد مساجد طرابلس الى عمـــرو ابن العاص (٥) .

وتشير الروايات الى أن طرابلس فتحت بعهد بين عمرو بن العاص والأهالي ، فيذكر ابن عبد الحكم : " حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، أن

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٠ - ١٧١ . وانظر البكرى ، وصف ، ص ١٠ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥ .

(٣) البلاذرى ، ص ٢٢٤ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ ، ابن الاثير ، الكامـل ، ج ٣ ، ص ٤٦٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١١ وانظر الزاوى ، الفتح العربي في ليبيا ، ص ٦٧ .

(٤) البكرى ، ص ١١ ، وانظر ياقوت ، ج ٥ ، ص ٣٦٦ .

(٥) العياشي ، رحلة ، ص ٢٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انطابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاص" (١) . ويورد في موضع آخر " عن أبي قنان أيوب أن أبي العالية الحضرمي عن أبيه قال : سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول : لأهل انطابلس عهد يوفى لهم به" (٢) . ويذكر البلاذرى عن طرابلس قال : " حدثني عمرو الناقد قال . . . حدثني مشيختنا أن طرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاص" (٣) .

ويظهر من كتاب عمرو بن العاص الى الخليفة الثاني أن الاوضاع استقرت وساد الهدوء وبدأ الاسلام بالانتشار ، فقد روى البلاذرى عن ابن الهيثم : " أن جميع السكان المقيمين ما بين زويلة وبرقة سلم كلهم ، حسنت طاعتهم ، قد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم بالجزية وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى انهم يطيقونه ، وأمر عماله جميعا أن يأخذوا الصدقة من الاغنياء فيردونها في الفقراء ، ويأخذ الجزية من الذمة فتحمل الى مصر ، وأن يأخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر (٤) ومن أهل الصلح صلحهم (٥)" .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ وانظر خليفة ، تاريخ ، ص ١٤٣ (عن أبي العالية عن أبيه) والبكرى ، وصف ، ص ٥ (بدون اسناد) .

(٣) البلاذرى ، ص ٢٢٧ .

(٤) الزرع الذى يسقى بالآلات فزكاته تكون نصف العشر ، والزرع الذى يسقى بالمطر فزكاته العشر . والارض التي أسلم عليها اهلها تعتبر أرض عشر مثل المدينة واليمن . انظر أبو يوسف ، الخراج ، ص ٧٥ ، ٩٢ .

(٥) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن عملية فتح طرابلس لم تكتمل بعملية استقرار القبائل العربية ولعل ذلك مرده الى أن أغلبية القبائل العربية المشاركة في الفتح كانت لها خطة بالفسطاط(١) . كما كان لبعضها ممتلكات في الحجاز ويؤكد ذلك قول عبد الله بن عمرو : " لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة ، فلما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها "(٢) ، ثم أن الحامية التي تركت مع عقبة كانت قليلة العدد كما يبدو ومما جعل عقبة يهمل شأن طرابلس ، فتحصن أهلها من جديد ، فلما جاء عبد الله بن سعد وجد مقاومة من طرابلس ، جاء في نهاية الأرب : " حكى الزهرى عن ربيعة بن عباد الدئلي قال . . . فوالله انا لبطرابلس وقد أصبنا من بها من الروم قد تحصنوا منا فحاصرناهم ، ثم كره عبد الله ان يشتغل بذلك عمّا قصد اليه ، فأمر الناس بالرحيل "(٣) .

ويفهم من نص النويرى ان مدينة طرابلس كانت أحصن مما كانت عليه في غزوة عمرو بن العاص . وقد ذهب كودل الى ان امتناع طرابلس على العرب في حملة عبد الله بن أبي سعد كان سببه أن الاهالي اتعظوا بغزوة العرب الأولى فزادوا من عنايتهم بأسوار مدينتهم وأقاموها من جديد فامتنعت على عبد الله بن أبي سعد في غزوته على افريقية(٤) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٩٨ - ١٢٨ ، ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣-٤ ، المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(٢) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٦ وانظر ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

(٣) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٦ .

(٤) Gaudel, Les premieres invasions de l'afrique, p.56

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تكد ولاية مصر تستتب لعبد الله بن سعد سنة ٢٥ حتى بدأ يمهد لغزو افريقية . فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل للاغارة على أطراف افريقية ، وكثيرا ما كانت هذه البعوث ترجع محمّلة بالغنائم (١) .

ويبدو أن هذه البعوث كانت تأتي بمعلومات مشجعة على التفكير بالاستعداد للفتح ثانية ، مما جعل عبد الله بن سعد يكتب للخليفة ويستأذنه في غزوها (٢) .

ويذكر ابن عبد الحكم والبلاذري أن عثمان استشار الصحابة في غزو افريقية فأشاروا بغزوها (٣) . واهتم الخليفة نفسه بتجهيز هذه الحملة " فأعان الجيش بألف بعير من ماله يحمل عليها ضعفاء الناس ، وحمل على الخيل وفرّق السلاح وأمر للناس بأعطياتهم وذلك في محرم سنة ٢٧ هـ "(٤) . ويبدو أن عثمان استمر يدعو الناس بضعة أيام وأن المتطوعين كانوا يتوافدون الى الجرف ، على ثلاثة أيام من المدينة (٥) . واشترك في هذه الحملة

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٣ ، ١٨٣ ، انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن أعثم ، فتوح ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ، أبو العرب ، طبقات ، ص ٦٨ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٩ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٤ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٣ ، البلاذري ، ص ٢٢٦ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٧ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٦ .

(٤) النويري ، ج ٢٢ ، ص ٣ .

(٥) ن . م ، ج ٢٢ ، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجموعة من الصحابة والتابعين الذين كانوا القاعدة الاساسية في الجيش (١) . كما ضمت عددا كبيرا من القبائل العربية الضاربة حول المدينة والحجاز (٢) ، وكان على رأس كل قبيلة نفر من كبارها .

من هذه القبائل : ١ - مزينة في ثمانمائة رجل (٣) - ومنهم بلال ابن الحارث المزني (٤) ، وأبو عبد الله عمرو بن عوف المزني (٥) . ٢ - وأسلم

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢١٧ ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٥ ، ص ٢٨١٧-٢٨١٨ ، ابن أعثم ، فتوح ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ، ابو العرب ، طبقات ، ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، المالكي ، جـ ١ ، ص ٩ ، ١١ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٨٨-٨٩ ، ياقوت ، معجم ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ ، النويري ، جـ ٢٢ ، ص ٢ ، ٣ ، السراج ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٤ وانظر حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، جـ ١ ، ص ٤٣ ، الزاوي ، تاريخ الفتح ، ص ٤٩-٥٠ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٧ .

(٣) أبو العرب ، طبقات ، ص ٦٩ ، المالكي ، جـ ١ ، ص ١٠ ، النويري ، جـ ٢٢ ، ص ٣ .

(٤) المالكي ، جـ ١ ، ص ٤٩ ، الدباغ ، معالم ، جـ ١ ، ص ١٣١ - ١٣٢

(٥) أبو العرب ، ص ٦٩ ، الدباغ ، معالم ، جـ ١ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ثلاثمائة رجل (١) ، منهم حمزة بن عمرو الاسلمي (٢) ، وسلمة بن الأكوع الأسلمي (٣) وجرهد بن خويلد بن بجرة الأسلمي (٤) ، والمنذر بن جهم الأسلمي (٥) ، ٣ - وسليم في أربعمائة وخمسين رجلا (٦) ، ٤ - وجهينة في ستمائة رجل (٧) ، ٥ - وبنو الدئل وضمرة وغفار وعبد مناف في خمسمائة رجل (٨) ، منهم ربيعة بن عباد الدئلي (٩) وأبو ذر الغفارى (١٠) ، ٦ - وأشجع وغطفان ومرّ في سبعمائة رجل (١١) ، ٧ - وكعب بن عمر

---

(١) أبو العرب ، ص ٦٩ ، المالكي ،ج ١ ، ص ١٠ ، النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٣ .

(٢) أبو العرب، ص ٦٩ ، المالكي ،ج ١ ، ص ٤٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٢٥ - ١٢٧ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٩٩ .

(٣) أبو العرب، ص ٦٩ ،المالكي ،ج ١ ،ص ١١ ،الدباغ ، ج ١ ، ص ٩٤-٩٧ .

(٤) المالكي ،ج ١ ، ص ٥٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ١٠٠ .

(٥) أبو العرب ، ص ٦٩ ،ابن عبد البر، الاستيعاب ،ج ١ ، ص ٢٥٧ ، ابن الاثير ،أسد الغابة ، ج ٤ ،ص ٤١٧ ، ابن مخلوف ، شجرة ،ص ١٠٠ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٢٩ .

(٦) أبو العرب ،ص ٦٩ ، المالكي ،ج ١ ،ص ١٠ ويذكران " ٤٥٠ " أما النويرى ،ج ٢٢ ، ص ٣ يذكر " ٤٠٠ " .

(٧) أبو العرب ، ص ٦٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣ .

(٨) أبو العرب ، ص ٦٩ ، النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٣ .

(٩) أبو العرب،ص ٦٩ ، ٧٥ ،المالكي ، ج ١ ،ص ١٠ ،الدباغ، معالم ، ج ١ ،ص ٣٢ - ٣٣ ،١٤٦ - ١٤٨ ، النويرى ،ج ٢٢ ، ص ٣ ، ابن مخلوف ،شجرة ،ص ١٠٠ .

(١٠) المالكي ،ج ١ ،ص ٤٢ ،الدباغ،معالم ،ج ١ ،ص ٨٥ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٣ .

(١١) أبو العرب، ص ٨٩ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أربعمائة رجل(١) ٨ - وعدة من بني هذيل (٢) منهم أبو ذؤيب خويلد ابن خالد الهذليّ الشاعر(٣) وعبد الله بن مسعود الهذلي (٤)، ٩ - وقبيلة ليث منهم عبد الرحمن بن صبيحة الليثي حليف بني زهرة(٥) ، ١٠- وشارك من قريش بنو هاشم(٦) ، منهم عبد الله بن عباس(٧) وعبيد الله بن عباس(٨)

---

(١) أبو العرب ، ص ٨٩ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٣ .

(٢) ن . م ، ص ٦٨ ، ن . م . ، ج ٢٢ ، ص ٣ .

(٣) خليفة ، طبقات ، ص ٢٥٠ ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج ٢ ، ص ٥٤٧ ، الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٥٤ - ١٥٥ ، ٢٧٨- ٢٧٩ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، أبو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٦ ، ص ٢٥٠ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ٦٥ ، ابو العرب ، ص ٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٩١ ، وأسد الغابة ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، ج ٥ ، ص ١٨٨ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٧٣- ١٧٧ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ١٠٠ .

(٤) ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٩٩ .

(٥) أبو العرب ، ص ٦٨ " وجعله في تيم " ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٧٠- ١٧١ .

(٦) النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٤ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٠٩ ، أبو العرب ، ص ٧٤ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٩ ، ١٣ ، ٤١ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ١٠٧-١١٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٨٩ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ ، ابن الأبّار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٩٧ .

(٨) النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبد الرحمن بن العباس (١) ومعبد بن العباس (٢) وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٣) ، وبنو أميّة (٤) منهم مروان بن الحكم (٥) والحارث بن الحكم (٦) وعبد الملك بن مروان (٧) ، وبنو أسد بن العزّى (٨) ، منهم

---

(١) السدوسي ، حذف من نسب قريش ، ص ١٤ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ١٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٢) السدوسي ، حذف من نسب قريش ، ص ١٤ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ١٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، الثعالبي ، لطائف ، ص ١١٥ .

(٣) ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٩٧ .

(٤) أبو العرب ، ص ٦٨ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ابن أعثم ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، أبو العرب ، ص ٧٤ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٩١ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٨ ، ابن عذاري ، ج ١ ، ص ٨ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٧١ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ ، ٣ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٩٨ .

(٦) النويري ، ج ٢٢ ، ص ٣ ، وانظر ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٩٥ .

(٧) أبو العرب ، ص ٨٠ .

(٨) أبو العرب ، ص ٦٨ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد الله بن الزبير (١) . وبنو زهرة ، منهم المسور بن مخرمة بن نوفل (٢) وعبد الرحمن بن الأسود عبد يغوث (٣) . وبنو مخزوم ، ومنهم عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي (٤) والمسيب بن حزن المخزومي (٥) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٥ وانظر خليفة ، تاريخ ، ص ١٥٩ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٦٥-١٦٦ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٨١٤ ، ابن أعثم ، فتوح ، ج ٢ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ، أبو العرب ، ص ٦٨ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٢-١٧ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣٧ ، ٣٩ ، ١١٣ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٨٩ - ٩١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٦ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، ابن الأبّار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٢٤ - ٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ١٢٨-١٢٩ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٩٧ ، محمد النيفر ، عنوان الأريب ، ج ١ ، ص ١٦ - ١٧ .

(٢) أبو العرب ، ص ٦٨ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ - ٣ .

(٣) أبو العرب ، ص ٦٨ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ - ٣ ، انظر البلاذري ، ص ٢٢٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٥ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٣٢ - ١٣٦ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ١٠٠ .

(٣) النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ ، ٣ وانظر الدباغ ، ج ١ ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٤) ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٩٩ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٥٦ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٤ ، ابن مخلوف ، ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبنو تيم (١) ، منهم عبد الرحمن بن أبي بكر (٢) وعبد الله بن طلحة في عدة من قومه (٣) . وبنو عدى (٤) ، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب (٥) وعبيد الله بن عمر بن الخطاب (٦) وعاصم بن عمر بن الخطاب (٧) وعبد

---

(١) أبو العرب ، ص ٦٨ ،النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٢) البلاذرى ،فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن أعثم ،فتوح ، ج ٢ ،ص ١٣٣ ، أبو العرب، ص ٦٨ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٤٦ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٢٧ - ١٣٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩ .

(٣) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٤) أبو العرب ، ص ٦٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٥) خليفة ، تاريخ ، ص ١٥٩ ، البلاذرى ،فتوح ،ص ٢٢٧ ، ابن أعثم ، فتوح ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، أبو العرب، ص ٦٨ ، المالكي ، ج ١ ،ص ٤٢ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٨٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٨٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩ ،النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٦) ابو العرب ، ص ٦٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ١٠٠ .

(٧) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن أعثم ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، أبو العرب ، ص ٦٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٦٢ - ١٦٤ ، ابن مخلوف ، ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرحمن بن زيد بن الخطاب (١) . وبنو سهم (٢) ، منهم عبد الله بن عمرو بن العاص (٣) والمطلب بن أبي وداعة السهمي (٤) . وبنو عامر ابن لؤى (٥) ، منهم السائب بن عامر بن هشام (٦) وبشر بن ابي أرطأة (٧) . وبنو فهر منهم عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله ابن حصين بن نافع الفهريين (٨) . ١١ - وضمت الامدادات أيضا مجموعة من الانصار منهم ابن وثيمة الانصارى (٩) وأبو اليسر كعب بن

---

(١) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن أعثم ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، أبو العرب ، ص ٦٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٢) أبو العرب ، ص ٦٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٩ ، ٤٣ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١١٦ - ١١٩ ، ابن الابار ، الحلة ، ج ١ ، ص ١٧ - ٢٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٥٠ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٦ ، ابن مخلوف ، ص ١٠٠ .

(٥) أبو العرب ، ص ٦٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣ .

(٦) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣ .

(٧) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣ وانظر المالكي ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ابن عساكر ، تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٧ - ٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

(٨) الطبرى ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٨١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤ .

(٩) الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٨١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمرو بن سلمة الأنصاري (١) ورويفع بن ثابت الانصاري (٢) وفضالة بن عبيد الانصاري الساعدي (٣) وحبلة بن عمرو الانصاري الساعدي (٤) .

وقد اطلق على هذه الغزوة غزوة المبادلة وسمّي الجيش جيش المبادلة السبعة (٥) لأنه يضم سبعة من كبار أبناء الصحابة باسم عبد الله ، وهم عبد الله بن عباس (٦) وعبد الله بن ابي السرح (٧) وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٨) وعبد الله بن عمر بن الخطاب (٩) وعبد الله بن عمرو بن

---

(١) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) أبو العرب ، ص ٧٤ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٣ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٢٢ - ١٢٥ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٥٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٣ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٣ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٥٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ١٠ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٣٧ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ ، الزاوي ، تاريخ الفتح ، ص ٥١ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٦) النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

(٧) ابن عذاري ، ج ١ ، ص ٩ .

(٨) ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٩٧ .

(٩) النويري ، ج ٢٢ ، ص ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العاص(١) وعبد الله بن الزبير (٢) وعبد الله بن مسعود (٣).

وحين وصلت هذه الامدادات من المركز الى عبد الله بن سعد في مصر، جمع ما كان لديه من مقاتلة مصر (٤).

وكان الجيش المصرى يضم مهرة في سبعمائة رجل، وغنث من الأزد في سبعمائة رجل، وميدعان من الأزد في سبعمائة رجل منهم شريك بن سمي الأزدى الذى تكلف بتقسيم الغنائم بينهم (٥). هذا الى قبائل اخرى مثل السكون ومنهم معاوية بن حديج السكوني (٦)، وقضاعة وفيهم المقداد بن الأسود القضاعي (٧)، وبلي ومنهم أبو زمعة البلوى وأبو شداد

---

(١) ابن عذارى، ج ١، ص ٩ .

(٢) ابن عبد الحكم، ص ١٨٥، النويرى، ج ٢٢، ص ٢ .

(٣) ابن مخلوف، شجرة، ص ٩٧ .

(٤) ابن عبد الحكم، ص ١٨٤، البلاذرى، ص ٢٢٦، النويرى، ج ٢٢، ص ٦ .

(٥) ابن عبد الحكم، ص ١٨٤ (عن ابي لهيعة)

(٦) النويرى، ج ٢٢، ص ٣ .

(٧) ابن عبد الحكم، ص ١٨٤، أبو العرب، ص ٥٠، النويرى، ج ٢٢، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زهير بن قيس البلوى (١) ، وخولا ن ومنهم سفيان بن وهب الخولا نـــي (٢) .
ولخم وجذ ام (٣) وسبأ ومنهم أبيض بن حمال السبائي المأربي (٤) ، وأصبح
ومنهم عبد الله بن أنس بن عبد الله بن أبي مالك الاصبحي ابن عم الفقيـــه
المالكي (٥) ومالك بن أبي عامر الاصبحي جدّ الفقية المالكي (٦) والصدا ومنهم
زياد بن الحارث الصدائي (٧) .

وهناك اشارات الى وجود بعض الأقباط الذين خرجوا مع الجيـــش ،
استعطهم عبد الله بن سعد أدلا ء وعيون له وربما مترجمين لا حتكاكهـــــم
بالأهالي (٨) .

---

(١) أبو العرب ، ص ٧٦ - ٧٧ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٣ ، ابن مخلوف ،
ص ١٠٠ .
(٢) النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٣ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ١٠٠ .
(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٦ .
(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٦١ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٥٣ .
(٥) النويرى، ج ٢٢ ، ص ٣ وانظر ابن عبد الحكم ، فتوح ،ص ١٨٤ .
(٦) عياض ،المدارك ، ج ١ ،ص ١٠٧ ، ١٠٨ .
(٧) ابو العرب ، ص ٧٥ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٥٧ ، الدباغ ، معالـم ،
ج ١ ، ص ١٤٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣ .
(٨) المالكي ، ج ١ ، ص ١١ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين وصلت الحملة الى برقة التحقت بها الحامية العربية هنـــاك بقيادة عقبة بن نافع الفهرى (١) فصار لعبد الله بن أبي سعد جيـــش عدته عشرون ألفا باتفاق الرواة (٢) .

ويذكر النويرى أن عبد الله حاصر طرابلس في طريقه ، فامتنعت عليـه فرأى من الصواب أن ينصرف عنها كسبا للوقت ، وكذلك فعل عند قابـس (٣) . واكتفى ابن ابي سرح بقتل مائة من اسراهم ليدبّ الذعر فيهم وكانت الطليعة التي قدمها أبن أبي سرح أمامه أسرتهم وكان فيها ربيعة بن عباد الدئلـي الذى روى : " فوالله انا لبطرابلس اذ مراكب قد أرست بالساحل ، فشددنا عليهم فأقاموا ساعة ثم استؤسروا ، فكتفناهم وهم مائة ، حتى لحقنا ابن ابـي سرح فقتلهم " (٤) . ولم يتعرض أهل طرابلس لجيش ابن ابي سرح وهـــو

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٨٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٤ (عن عثمان بن صالح) ، الكندى ، الولاة ، ص ١٣ - ١٤ ، أبو العرب ، ص ٧٠ وانظـر المالكي ، ج ١ ، ص ١٠ ، ١٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٠ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد عـن فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٦ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٤ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، السراج ، الحلـل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٤ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢٦ ، A. Pellegrin, Histoire de la Tunisie, p.124

(٣) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٦ .

(٤) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متوجه الى افريقية ويؤكد ذلك المالكي على لسان ابن عباد الدئلي : " .. تحصن منا أهل طرابلس ولم يعرضوا لنا ، ولم نهجهم "(١) ، مما يشعر بأن طرابلس خرجت عن طاعة المسلمين وعادت الى ما كانت عليه قبل غزوة عمرو بن العاص لها . وتوجهت حملة عبد الله بن سعد نحو العاصمة الثانية سبيطلة "Sufetulla" التي كانت تبعد سبعين ميلا عن موقع القيروان ، وكان حاكمها جرجير الافريقي الذى نقل العاصمة من قرطاجنة الى سبيطلة بعد ما اعتنق النصرانية وأعلن استقلاله عن بيزنطة وضرب العملة باسمه ، وكان نفوذه يمتد من طرابلس الى طنجة (٢) .

ودارت المعركة بين عبد الله بن سعد وجرجير بمكان قريب من سبيطلة يسميه البلاذرى عقوبة (٣) ، وانتهت لصالح المسلمين بعد قتلهم لجرجير ودخولهم الى المدينة .

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٩ ، البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن أعثم ، فتوح ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢١٦ ، ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ١٠٠٣ - ١٠٠٥ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢٧ ، الزاوى ، تاريخ الفتح في ليبيا ، ص ٥٢ ، A. Pellegrin, Histoire de la Tunisie, p. 24 .

(٣) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأرسل عبد الله بن أبي سرح من هذا المكان حملات عديدة وصلت الى قصور قفصة ، كما حاصر جموع الروم المنهزمة التي تحصنت في قلعة الجمّ * (Tysderas) (١) ، وطال الحصار فاسرع الروم الى طلب الصلح من ابن أبي سرح بتقديم فدية للعرب مقدارها ألفا ألف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة قنطار من الذهب ، على أن يغادروا افريقية (٢) .

(*) الجمّ : أحد حصون افريقية العظام وكان يعرف ايضا بقصر الكاهنة ويذكر أن الكاهنة التجأت اليه حين حاصرها العرب . وبين هذا القصر ومدينة المهدية ثمانية عشر ميلا . انظر في ذلك : البكرى ، وصف ، ص ٣١ ، التيجاني ، رحلة ، ص ٥٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٧ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، ٣٢٤ .

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٤ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٣ ، التيجاني ، رحلة ، ص ٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٩١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٧ ، ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ١٠٠٥ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢٧ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٨ (عن التيجاني) .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٣ ، البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٧ (عن الواقدى) انظر كذلك هامش رقم ١ ص ٢٢٩ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٦٥ ، الطبرى ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٨١٨ (عن الواقدى ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٢ (عن الواقدى) ، التيجاني ، الرحلة ، ص ٥٨ - ٥٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٢٢٩ وقد ذكر أن القنطار يساوى ثمانية آلاف وأربعمائة دينار ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٩١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٣ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢١٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٧ ، ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ١٠٠٥ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢٧ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوافق ابن أبي سرح على ذلك الصلح ثم عاد من افريقية الى مصر دون أن يترك بها عاملا أو حامية بعد أن امضى في حملته سنة وشهرين (١) . وتوحي السرعة التي رجع بها عبد الله بن أبي سرح الى مصر بأنه كان يخشى هجوما بيزنطيا مكثفا من الساحل ، يأتي رد فعل للهزيمة ، ويوضح ذلك بقوله : " فلمّا رأى الروم الذين بالساحل ما حل بجرجير وأهل سبيطلة غارت أنفسهم وتجمعوا ، وكاتب بعضهم بعضا في حرب ابن أبي سرح" (٢) .

ويلاحظ ،ان المسلمين غنموا غنائم كبيرة فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار (٣) . ويذكر مشايخ اهل مصر أن قيمة الدينار البيزنطي كانت تساوى دينارا وربع الدينار (٤) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٤ ، البلاذرى ، ص ٢٢٩ (عن موسى بن ضمرة المازني عن أبيه) ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٧ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٤٢ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٨ ، ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص ٢٧ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ١٧ وانظر الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٤ (عن الليث بن سعد وعن أبي أويس مولى لهم) انظر خليفة ، تاريخ ، ص ١٦١ (عن محمد بن سعد) وذكر " مثقال " بدل " دينار " ، أبو العرب ، ص ٧١ - ٧٢ ، الكندى ، الولاة ، ص ١٢ (عن أبي أويس مولى لهم) ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٣ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٩٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٧ ، السراج ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما بالنسبة لطرابلس فلم تورد المصادر شيئا ،الا ما ذكره المالكي بقوله : " فلما وصل الى طرابلس وافته المراكب ،فحمل فيها أثقال جيشه وقصد هو وأصحابه الى مصر سالمين "(١) ، وهذا يدل على ان الفتح كان قاصرا على السواحل فيما بين جبل نفوسة والبحر(٢) . وبالرغم من ان حملة ابن أبي سرح لم توسع الرقعة الاسلامية ،الا انها لم تخل من فوائد . اذ أن توغل العرب في الأراضي الافريقية واحتكاكهم بالأهالي أكسبهم معرفة بوضعية السكان الاجتماعية والاقتصادية(٣) . كما كان من ضمن اسرى الحرب الذين حملوا الى المدينة ،أمير مغراوة وزناتة ، صولات ابن وزمار البربرى الذى أسلم على يد الخليفة عثمان وحسن اسلامه وعقد له الخليفة على قومه مغراوة التي هي أوسع بطون زناتة(٤) ، ويذكر ابن خلدون بهذا الصدد : " أنه أسلم فحسن اسلامه وعقد له (عثمان) على عمله فاختص

---

(١) المالكي ، ج ١ ،ص ١٧ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٢) الزاوى ، الفتح العربي في ليبيا ، ص ٥٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ،ص ١٨٤، ١٨٥ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٣٥ - ٣٦ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٢ انظر الجنحاني ، المغرب الاسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية من القرون الثالث الهجرى الى القرن الرابع الهجرى ،ص ٨٤ . G.Marcais,La berberie Musulmane,p.23

(٤) ابن خلدون ، ج ٧ ،ص ٢٤ - ٢٥ وانظر ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٥٢ (خزر بن صولات) ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ،ق ٣ (حرب بن حفص بن صولات بن وازمار بن مغراو) وانظر كذلك عن دولتهم ص ١٥٣ - ١٦٣ ، مفاخر البربر ،ص ٢٢ - ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صولات هذا وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بني أمية وكانوا خاصة له دون قريش، وظاهروا دعوة المروانية بالاندلس رعيا لهذا الولاء فيما بعد "(١) . ولذلك كانت زناتة تناصر الامويين بخلاف صهناجة التي كانت تناصر العبيديين (٢) .

وبعد غزوة العبادلة ، توقفت الحملات الموجهة الى افريقية طوال ثلاثة عشر عاما . وبعد انتهاء الخلافة الى معاوية سنة ٤١ هـ عاد عمرو واليا على مصر ، فاهتم بافريقية (٣) ، وأرسل حملة صغيرة بقيادة شريك بن سمي المرادى لاخضاع قبائل لواتة ،غرب برقة ، كما أرسل حملة اخرى بقيادة عقبة بن نافع الفهرى لاخضاع نفس القبائل بكورتي لوبية ومراقية ،فوجدها قد انتقلت الى طرابلس، وارتدت عن الاسلام . فانتهي الامر باخضاعها ، كما تمكن من اخضاع قبائل مزاتة (٤) . وفي سنة ٤٢ هـ توجه عقبة الى غدامس فافتتحها (٥) .

---

(١) ابن خلدون ،ج ٧ ،ص ٢٤ ، ابن الخطيب ،أعمال الاعلام ،ق ٣ ، ص ١٥٣ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٥٢ ، مفاخر البربر ، ص ٥ ، ٤٦ .

(٢) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢٥٢ ،عبيد الله بن صالح ، نص جديد في فتح المغرب ،ص ٢١٢ ، ابن الخطيب ،أعمال الاعلام ، ق ٣ ،ص ١٥٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٥٣ ، مفاخر البربر ، ص ٤ - ٥ ، ١٦ ، انظر الجنحاني ، المغرب الاسلامي ، ص ١٧٠ .

(٣) الكندى ، الولاة ،ص ٣١ - ٣٢ ، انظر خليفة ، تاريخ ، ص ٢٠٤ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ،ص ٢١٥ ، ٢٢١ ، المالكي ،ج ١ ،ص ١٧ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٤٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٥ .

(٤) ابن عبد البر ،الاستيعاب ، ج ٣ ،ص ١٥٧٠ - ١٦٧٠ ، وانظر خليفة ، تاريخ ،ص ٢٠٤ ، الكندى ،الولاة ،ص ٢٢ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٤٥ (عن الرقيق) ، ابن الاثير ،أسد الغابة ،ج ٣ ،ص ٤٢٠-٤٢١ ، الزاوى ،ص ٢١٦ .

(٥) خليفة ،تاريخ ،ص ٢٠٥ ،انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ،ج ٣ ،ص ١٠٧٦ ، ابن الاثير ، الكامل ،ج ٣ ،ص ٤١٩ وأسد الغابة ، ج ٣ ،ص ٤١٩ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٥ ،ابن أبي دينار ، المؤنس ،ص ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سنة ٤٢ هـ ولي عقبة بن أبي سفيان على مصر بعد وفاة عمر بن العاص، فأرسل حملة بقيادة شريك بن سمي المرادى الى لبدة فافتتحها وهاجم قبائل هوارة (١) البربرية في المناطق المجاورة (٢) . وحين توجه عقبة سنة ٤٣ هـ الى الصحراء احتل ودان وفتح بعض الكور من السودان (٣) .

وفي سنة ٤٥ هـ توجهت حملة الى افريقية بقيادة معاوية بن حديج السكوني وكانت أمور افريقية في حال من الاضطراب كما يبدو من قول ابن الاثير أن معاوية بن حديج وصل الى افريقية وهي نار تضطرم (٤) ، وذلك لأن الدولة البيزنطية أرادت أن تجبر الاهالي على دفع ضريبة توازى ما دفعوه للعرب سنة ٢٧ هـ (٥) فاشتد النزاع بين الفريقين ، حتى اضطر الافارقة الى

---

(١) هوارة : هم سكان سرت وما وراءها الى الجنوب والى جبل نفوسة وكانت ديارهم تمتد من طرابلس الى ودان . انظر اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦ ، البكرى ، وصف ، ص ١٢ ، الزاوى ، الفتح العربي ، ص ٦٦ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٨٠ ، انظر خليفة ، تاريخ ، ص ٢٠٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، الكندى ، الولاة ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، ذنون ، الفتح والاستقرار ، ص ١١٦ .

(٣) خليفة ، تاريخ ، ص ٢٠٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤١٩ ، وأسد الغابة ، ج ٣ ، ص ٤٢٠ ، أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٢٥ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد في فتح المغرب ، ص ٢٣٥ ، ذنون ، الفتح والاستقرار ، ص ١١٦ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٩٢ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧ ، والنويرى ، ج ٢٢ ، ص ٩ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرد عامل الامبراطور (١) . وبشّر حملة معاوية روءساء افريقية الذين استنجدوا بالخليفة معاوية في الشام ،فيذكر الطبري : " أن حباحبة الروم قدم على معاوية ابن أبي سفيان ،فسأله أن يبعث معه جيشا الى افريقية "(٢) . خرج معاوية بن حديج من مصر (٣) بجيش كثيف من العرب ،فيذكر كل من المالكي وابن عذارى والنويرى أن عدد الجيش عشرة آلاف من أشراف جند مصر وعدد من المهاجرين والانصار (٤) ، وانفرد المالكي والنويري بالاشارة الى وجود أشراف من جند الشام في هذا الجيش (٥) . ويمكن استبعاد مشاركة جند

---

(١) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٧ .

(٢) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٦ (عن الطبرى) انظر ابن الاثير ،الكامل ، ج ٣ ،ص ٩٢ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٩ .

(٣) تذهب طائفة من الموءرخين مثل ابن عذارى والنويرى وابن خلدون الى أن معاوية بن حديج خرج بحملته من دمشق الا أن الثابت هو أن معاوية كان قائد جند مصر في ولاية عتبة بن أبي سفيان سنة ٤٣ هـ وكان خروج معاوية من مصر الى افريقية . انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٦ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٩ ،ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٨٥ ، حسين موءنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١١٨ ،١١٩ .

(٤) المالكي ،ج ١ ،ص ١٧ - ١٨ ،الدباغ ،معالم ،ج ١ ،ص ٤٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٦ (عن الطبرى) ص ١٧ (عن الرقيق) ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٩ ، انظر ابن أبي دينار ، الموءنس ، ص ٢٧-٢٨ .

(٥) المالكي ،ج ١ ،ص ١٩ ، النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

همام اللخمي (١) ، ومن حمير كريب بن أبرهة بن الصباح الأصبحي (٢) والتابعي حنش الصنعاني (٣) ، ومن مهرة عبد الرحمن بن شماسة المهرى (٤) ، ومن فزارة عبد الله بن قيس الفزارى (٥) ومن هلال سليمان ابن يسار الهلالي (٦) ، ومن أشراف قريش عبد الله بن الزبير وعبد الله

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ١٨ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ١٨ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٤٣ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٩ ، الحميرى ، الروض ، ص ١٦٨ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٨ وانظر البكرى ، وصف ، ص ٣٣ ، الحميرى ، الروض ، ص ١٦٨ .

(٤) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٥) البلاذرى ، فتوح ، ص ٣٢٩ (عبد الله بن قيس بن مخلد الدزقيّ) (" الدزقى " نسبة الى دزق وهي قرى في بلدان شتى ، منها دزق حفص بمرو ودزق باذان بمرو ودزق مسكين بمرو ، والدزق العليا بمرو الروذ عند عرجسان ، والدزق السفلي عند بنج ديه ، والدزق قرية كبيرة في طريق الشاس فوق سمرقند يقال لها دزق وسباط) ، انظر السمعاني ، الأنساب ، ج ٥ ، ص ٣٠٧ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٨ (عن البلاذرى) ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٠ ، (عن البلاذرى ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ١٠٨ ، فروخ ، العرب والاسلام ، ص ٦١ .

(٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٣ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٩٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن عمر بن الخطاب (١).

دخل ابن حديج بجيشه افريقية وعسكر في قمونية (٢) قرب منطقة القيروان، ثم اتجه الى جبل القرن (٣) في غرب قمونية، واتخذه قاعدة عسكرية لانطلاق عملياته (٤)، ومن هذه القاعدة أرسل حملة بقيادة عبد الله

---

(١) خليفة، تاريخ، ص ٢١٠ - ٢١١، أبو العرب، ص ٧٨، ٨٠، المالكي، ج ١، ص ١٧ - ١٨، التيجاني، رحلة، ص ٢٧، الدباغ، معالم، ج ١، ص ٤٣، ١٤٣، ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١٥٦، ابن عذارى، ج ١، ص ١٦، ١٧، النويرى، ج ٢٢، ص ٩، ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) قمونية: مدينة بافريقية كانت موضع القيروان قبل ان تمصّر، وقال بعضهم أن قمونية هي المدينة المعروفة بسوس المغرب، انظر ابن عبد الحكم (قونية)، ص ١٩٣، المالكي، ج ١، ص ١٨، البكرى، وصف، ص ٧٥، الدباغ، ج ١، ص ٤٣، ياقوت، معجم، ج ٤، ص ٣٩٩، ٤١٥.

(٣) جبل القرن: جبل في الجنوب الغربي من القيروان، وهو المعروف الآن بجبل الباطن، وكان يعرف في ايام التيجاني بجبل وسلات كان يسكنه أخلاط من البربر وقد سماه معاوية بن حديج الممطور (لكثرة مطره)، انظر خليفة، تاريخ، ص ٢٠٧، التيجاني، رحلة، ص ٣٢، المالكي، ج ١، ص ١٨، البكرى، وصف، ص ١٤٦، الدباغ، ج ١، ص ٤٣، ياقوت، ج ٤، ص ٣٣٣، ابن عذارى، ج ١، ص ١٥، النويرى، ج ٢٢، ص ٩، السراج، الحلل، ج ١، ق ٢، ص ٣٠٣ (عن التيجاني)، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج ١، ص ٤٥.

(٤) خليفة، تاريخ، ص ٢٠٧، ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٩٣، المالكي، ج ١ ص ١٨، البكرى، وصف، ص ١٤٦، الدباغ، ج ١، ص ٤٣، ابن الاثير، ج ٩١ ص ٢٤٧، ابن عذارى، ج ١، ص ١٥، النويرى، ج ٢٢، ص ٩، السراج، الحلل، ج ١، ق ٢، ص ٣٠٣، حسن حسني عبد الوهاب، ج ١، ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن الزبير الى سوسة (١) ففتحها (٢) .

وأرسل حملة ثانية بقيادة عبد الملك بن مروان في ألف مقاتل الـــى

---

(١) سوسة : مدينة ومرفأ في تونس أسسها الفنيقيون من قديم وكان اسمها (هدروميتوم) وقد اكتشف فيها آثار رومانية ومسيحية هامة وفي العصور الاسلامية اشتهرت سوسة بصناعة السفن والغزل والنسيج واليها تنسب الثياب السوسية الرفيعة ذات البياض الناصع وقد أفاض الجغرافيـــون العرب في وصف حصانة هذه المدينة ومنارها وآثارها الرومانية وطعبها القديم كما اشاروا الى كثرة خيراتها ورخص اسعارها ، انظر ابـــــن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣ ، هامش رقم ٤ ، اليعقوبـي ، البلدان ، ص ٣٤٨ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، التيجاني ، رحلة ، ص ٢٥ - ٥٥ ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١١٩ ، ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ٣٠٣ (نقلا عن التيجاني) وانظر صفحـــة ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، الحميرى ، الروض ، ص ٣٣١ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٦ ، وانظر التيجاني ، رحلة ، ص ٢٧ ، البكرى ، وصف ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جلولاء (١) وقيل أنه هو الذى فتحها (٢) ، وبعد ذلك صار الجيش كلـــه الى بينزرت (٣) بقيادة ابن حديج فدخلها (٤) . كما بعث حملة بقيـادة عبد الله بن قيس في مائتي مركب الى صقلية (٥) لغزوها وهو أول قائد بغـزو صقليـة .

---

(١) جلولاء المغرب : مدينة كان يضرب المثل بكثرة ورودها وطيبة عسـلها وكانت القيروان تتمون منها وبينها وبين القيروان أربعة وعشرين ميلا . انظر البكرى ، وصف ، ص ٣٢ ، الاستبصار ، ص ١١٩ ، ياقوت ، معجم ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ابن ابي دينار ، الموئنس ، ص ٢٨ ، الحميرى ، الروض ، ص ١٦٨ .

(٢) خليفة ، تاريخ ، ص ٢١٠-٢١١ (يجعل الغزوة سنة ٥٠هـ) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٨ ، البكرى ، وصف ، ص ٣٢-٣٣ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٩٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٦ (عن الطبرى) ، ص ١٧ (عن الرقيق) ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٦٩ ، حسـن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٣) بينزرت : تقع على الساحل التونسي على مقربة من سطفورة بينها وبـين تونس يومان ، انظر البكرى ، وصف ، ص ٥٨ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٤٩٩-٥٠٠ ، ابن أبي دينار ، الموئنس ، ص ٢٨ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ١٩ ، البكرى ، وصف ، ص ٥٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٤٥ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ، ابن ابي دينار ، الموئنس ، ص ٢٨ .

(٥) البلاذرى ، فتوح ، ص ٣٢٩ (قالوا ، عن الواقدى) ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٨ (عن البلاذرى) ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٠ (عن البلاذرى) وانظر كذلك عبيد الله بن صالح ، نص جديد في فتح المغرب ، ص ٢١٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ١٠٨ ، فروخ ، العرب والاسلام في الحوض الغربي ، ص ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورجع جيش معاوية من هذه الغزوة الطويلة محملا بالغنائم والسبايا(١) وكان نصيب المقاتلة من الغنائم مائتي دينار لكل جندي راجل وثلاثمائة دينار لكل فارس(٢) وأرسل خمس الغنائم الى بيت المال في الشام(٣).

ترد الاشارات لأول مرة الى مبادرة العرب الفاتحين للاستقرار بافريقية، فيذهب بعض المؤرخين الى أن معاوية بن حديج بنى في موضع القيروان قبل ان تمصر مساكن للجند سماها "القيروان" واحتفر آبارا كثيرة كانت تعرف بآبار حديج (٤).

---

(١) خليفة، تاريخ، ص ٢١٠، ٢١١، ابن عبد الحكم، ص ١٩٣، البلاذري، فتوح، ص ٣٢٩، المالكي، ج ١، ص ١٨، ١٩، البكري، وصف، ص ٣٢، الدباغ، ج ١، ص ٤٤، ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١٥٦، ابن عذاري، ج ١، ص ١٦، ١٧، ١٨ (عن البلاذري)، النويري، ج ٢٢، ص ١٠، ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٢٨.

(٢) ابن عبد الحكم، ص ١٩٣، البكري، وصف، ص ٣٢، ياقوت، معجم، ج ٢، ص ١٥٦ (مائتا درهم وللفرس أربعمائة درهم)، الدباغ، ج ١، ص ١٤٣، ابن عذاري، ج ١، ص ١٦ (مثقال بدل دينار)، الحميري، الروض، ص ١٦٨.

(٣) المالكي، ج ١، ص ١٨، الدباغ، معالم، ج ١، ص ٤٥، ابن عذاري، ج ١، ص ١٧، ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٢٨.

(٤) ابن عبد الحكم، ص ١٩٣، المالكي، ج ١، ص ١٩، ٦٠، الدباغ، ج ١، ص ٤٥، ١٤١، الباجي، الخلاصة النقية، ص ٥، وانظر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص ٦٤، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج ١، ص ٤٥، ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دخل ابن حديج الى افريقية ومرّ بطريقه على طرابلس ،ولم يبد أهلها أية مقاومة ولعل ذلك يعود الى ان الأفارقة هم الذين طلبوا المساعدة من العرب ولذلك وقفوا موقف المتفرج حين دخل معاوية بن حديج الى افريقية فانتهز الفرصة وخلف عليها رويفع ابن ثابت الانصارى (١) ، الذى أصبح واليا عليها سنة ٤٦ هـ، ومنها وجّه حملة قصيرة يقودها حنش الصنعاني وفضالة ابن عبيد الانصارى الى جزيرة جربة (٢) سنة ٤٧ هـ ، ففتحها وعاد سريعا (٣) ، ويبدو أنها كانت آهلة بالسكان لأن المسلمين أصابوا فيها سبيا كثيرا (٤) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١١٠ (عن الليث بن سعد) (كان رويفع واليا على برقة سنة ٤٣ هـ) ، ابن أبي دينار ، المؤنس ،ص ٢٨-٢٩ ، الزاوى ، تاريخ الفتح ، ص ٦٣ .

(٢) جربة : جزيرة على الساحل التونسي على مقربة من قابس اشتهرت بكثرة بساتينها وزيتونها وأهلها كانوا من الخوارج وجربة بطن من قبيلة لماية وقد سميت الجزيرة باسمها . انظر البكرى ، وصف ، ص ١٩ ،الادريسي ، نزهة المشتاق ،ص ١٢٧-١٢٨ ،ياقوت ، معجم ، ج ٢ ،ص ١١٨ ، التيجاني ، رحلة ، ص ١٢١ - ١٢٤ ، الحميرى ، الروض ، ص ١٥٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٣ ،ص ٧٨ هامش ٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٢٢ ،السراج ،الحلل ،ج ١ ، ق ٢ ،ص ٣٧٣-٣٧٤ .

(٣) خليفة ، تاريخ ،ص ٢٠٨ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٥٢ ،البكرى ،وصف ،ص ١٩ ، ابن الاثير ، أسد الغابة ،ج ٢ ،ص ١٩١ ،الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ١٠٥ ، ١٢٢ ، ياقوت ،معجم ، ج ٢ ،ص ١١٨ ،السراج ، الحلل ، ج ١ ،ق ٣ ، ص ٣٧٣-٣٧٤ ،الزاوى ، الفتح العربي ، ص ٦٤-٦٥ .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير كل من ابن عبد الحكم والبكرى الى حملات اخرى وجهت الى افريقية ، منها حملات عقبة التي قام بها في الصحراء وجنوب تونس الحالية سنة ٤٦ هـ .

وكان عقبة قد اتخذ مغمداش (١) ، غرب سرت ، قاعدة عسكرية لانطلاق حملاته ومنها سار بأربعمائة فارس وأربعمائة جمل ، فأعاد فتح ودان ، التي فتحت على يد بسر بن أبي أرطأة سنة ٢٦ هـ ، ثم نقض أهلها الصلح ، واستخلف عليها عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوى ، كما أقرها على ما كان بسر فرضه عليها ثلاثمائة وستين رأسا من العبيد .

كما فتح عقبة واحات كثيرة من فزان ، مثل جرمة (٢) التي أجاب أهلها الى الاسلام ، وفرض على ملكها ثلاثمائة وستين رأسا من العبيد تأديباله وفتح قصورا كثيرة من فزان مثل جاوان (٣) وكوار (٤) ، وفرض على ملكهما

---

(١) مغمداش : موضع غرب مدينة سرت وفي منتصف الطريق بينها وبين قصور حسان ، انظر البكرى ، المغرب ، ص ٧ ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٦٨ ، انظر تعليقه في هامش رقم ١ .

(٢) جرمة : كانت عاصمة بلاد فزان آنذاك . انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ ، البكرى ، وصف ، ص ١٣ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ، المزاوى ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٦٩ .

(٣) جاوان : أو خاوار : كانت عاصمة بلاد كوار . انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٥ ، البكرى ، وصف ، ص ١٣ ، الزاوى ، تاريخ الفتح ، ص ٦٩ .

(٤) كوّار أو كاوار : اقليم من بلاد السودان جنوب فزان . انظر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٥ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥ ، البكرى ، وصف ، ص ١٣ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٤٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثلاثمائة وستين رأسا من العبيد . ثم عاد عن طريق زويلة ليتصل بجيشه في مغمداش بعد خمسة أشهر من غيابه عنهم . ومن مغمداش زحف غربا ، ففتح غدامس (١) ، وقفصة وقسطيلية وذلك قبل ان يتجه شمالا ليبدأ بتأسيس القيروان (٢) .

وبقدوم عقبة سنة ٥٠ هـ واليا على افريقية تنتهي فترة المحاولات التمهيدية ، ويبدأ الفتح الثابت المستقر ، حيث ان السنوات التي قضاها في افريقية ما بين (٤١ هـ - ٥٠ هـ) غازيا للبربر متنقلا بين قبائلهم وواحاتهم ، كانت فرصة طيبة لتنمية العلاقات بين الجيش الفاتح والأهالي (٣) .

---

(١) غدامس : وهي احدى واحات طرابلس الصحراوية ، تقع في الجنوب الغربي من مدينة طرابلس، أقدم مراكز الحضارة في صحراء طرابلس وأكثر سكانها يعتمدون في معيشتهم على التجارة مع طرابلس ومصر والسودان دخلها المذهب الاباضي في اوائل القرن الثاني للهجرة ولم يلبث ان تقلص منها في القرن الرابع الهجرى وحل محله المذهب المالكي . واتخذت الكاهنة فيها سجونا للمجرمين ،كما كانت غدامس في أغلب الأزمنة مأوى للمنشقين والخارجين على السلطة . انظر البكرى ، وصف ، ص ١٤٨ ، الاستبصار ، ص ١٦٦ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، الحميرى ، الروض ، ص ٤٢٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ - ١٩٦ ، البكرى (عن ابن عبد الحكم) ص ١٢- ١٤ ، انظر ياقوت ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ج ٤ ، ص ٤٨٧ ، ج ٥ ، ص ٣٦٦ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٠ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٨ ، الزاوى ، الفتح ، ص ٦٩ - ٧١ .

(٣) ابن الاثير ، أسد ، ٣ ، ص ٤٢٠-٤٢١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتفق ابن الاثير وابن عذارى والنويرى على أن معاوية ولىّ عقبة أمر افريقية في سنة ٥٠ هـ وبعث له بمدد من مصر يتكون من عشرة آلاف مقاتل بينهم كثير من الصحابة والتابعين (١)، وكان يرافقه قادة بارزون مثل بسر ابن أبي أرطأة العامرى، وشريك بن سمي المرادى، وعمر بن علي القرشي، وزهير بن قيس البلوى (٢).

ويمكن معرفة أسماء هذه القبائل التي كانت تكون المدد من خلال مشاركة شخصياتها البارزة في الفتح، ومن خططها في مدينة القيروان في بداية تأسيسها .

وهذه القبائل هي قريش (٣)، وبنو فهر (٤)، وبنو عامر بن لوّى (٥)، وليث (٦)، وغفار (٧)، وهذيل (٨)، وحمير (٩)، وحضرموت (١٠)،

---

(١) ابن الاثير، أسد، ج ٢، ص ٤٢٠، ابن عذارى، ج ١، ص ١٩، النويرى، ج ٢٢، ص ١١ .

(٢) ابن عبد الحكم، ص ١٩٤، انظر خليفة، تاريخ، ص ٢٥١، البلاذرى، ص ٢٢٩، المالكي، ج ١، ص ٢٢، البكرى، ص ١٣، ياقوت، معجم، ج ٥، ص ٣٦٦، الدباغ، ج ١، ص ٤٨، أبن أبي دينار، ص ٣٠ .

(٣) الدباغ، معالم، ج ٣، ص ٨ .

(٤) الرقيق، ص ٤١، انظر ابن عبد الحكم، ص ١٩٤، أبو العرب، ص ٧٨، ٨٠، المالكي، ج ١، ص ٢٢، ٨٤، البكرى، ص ٢٣، الدباغ، ج ١، ص ١١، ١٩٠، مفاخر البربر، ص ١، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج ١، ص ٤٨ .

(٥) ابن عبد الحكم، ص ١٩٤، البلاذرى، ص ٢٢٩، أبو العرب، ص ٩٦، البكرى، ص ١٣، ياقوت، ج ٤، ص ٣٩٠ .

(٦) المالكي، ج ١، ص ٨٠، الدباغ، ج ١، ص ١٧٨ .

(٧) ابن عبد الحكم، ص ٢١٨، ٢٢١-٢٢٢، انظر المالكي، ج ١، ص ٨٢، الرقيق، ص ١١٣، ابن عذارى، ج ١، ص ٥٣-٥٤، النويرى، ج ٢٢، ص ٣٦ .

(٨) أبو العرب، ص ٥٠، ٩١، المالكي، ج ١، ص ٧٩، الدباغ، ج ١، ص ٢١٥-٢١٦ .

(٩) أبوالعرب، ص ٨٢، المالكي، ج ١، ص ٢٨، ٧٨، الدباغ، ج ١، ص ٣١، ٥٦، ١٨٨ .

(١٠) المالكي، ج ١، ص ٢٨، الدباغ، ج ١، ص ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخولان (١) ،وبليّ (٢)، ومعافر (٣) ، ويحصب (٤) ، ومراد (٥) ،ولخم (٦) وجذام (٧) ، وتجيب (٨) ، وتنوخ (٩) والانصار (١٠) .

وضم هذا الجيش أيضا جماعة من البربر الذين أسلموا في هذه الفترة

---

(١) خليفة ، تاريخ ، ص ٢٧٠ ،ابن عبد الحكم ،ص ١١٣ ، المالكي ،ج ١ ، ص ٥٩ ،الدباغ ، ج ١ ،ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) أبو العرب،ص ٧٧ ، ٨٠ ، انظر ابن عبد الحكم ،ص ١٩٣ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٢٢ ، ٥٥ ، البكرى،ص ١٣ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٤٨ ، ٩٨ .

(٣) المالكي ، ج ١ ،ص ٦٤ ،الدباغ ، ج ١ ،ص ١٨٠ .

(٤) أبو العرب ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، المالكي ، ج ١ ،ص ١٩٩ ، عياض ، المدارك ، ج ٢ ،ص ٤٨٠ ، تراجم أغلبية ،ص ٧١ ، ابن فرحون ،الديباج ، ج ١ ، ص ٤١٨ ،حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج ١ ،ص ٥٢ .

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ ، البكرى ، ص ١٣ ،ياقوت ، ج ٥ ،ص ٣٦٦ .

(٦) أبو العرب ، ص ٨٢ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٧٧ ، الدباغ، ج ١ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٧) المالكي ، ج ١ ، ص ٧٤ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، ٢١٦ .

(٨) المالكي ، ج ١ ،ص ٨٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

(٩) المالكي ، ج ١ ،ص ٧٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(١٠) أبو العرب ،ص ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، المالكي ،ج ١ ،ص ٧٠ ،الدباغ ، ج ١ ، ص ٢٧ ، ١٩٢ ، ج ٣ ،ص ١٨ ،ابن الابار ، الحلة ، ج ٢ ،ص ٣٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبكرة (١) من لواتة (٢) ومغراوة (٣) وصنهاجة (٤)، مما يشعر بأن الفاتحين الاوائل كسبوا بعض القبائل جانبهم واستطاعوا نشر الاسلام بينهم وكانت سياسة عقبة منذ حملاته الاولى من سنة (٢٢ هـ - ٤٩ هـ) ،هي ضم من اسلم من البربر الى جيشه (٥). وبهذا الجيش انطلق عقبة من زويلة (٦) واتجه نحو الغرب ففتح غدامس ومدن من جنوب تونس مثل قفصة وقسطيلية وما تبعها من مدن مثل نفطة وتقيوس وقابس والحامة ثم اتجه شمالا ليبدأ بتأسيس القيروان (٧).

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٦٥، النويرى، ج ٢٢، ص ١١، ياقوت، ج ٤، ص ٤٢٠، ابن خلدون، ج ٣، ص ١٣٥.

(٢) ابن عبد الحكم، ص ١٧١، البلاذرى، ص ٢٢٦، ابن زكريا، سيرة الأئمة، ص ٣٤، ياقوت، ج ١، ص ١٠٠، ٣٨٤.

(٣) ابن خلدون، ج ٧، ص ٢٤ - ٢٥، انظر ابن عذارى، ج ١، ص ٢٥٢، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٣، ص ١٥٣، مفاخر البربر، ص ٥، ٤٦.

(٤) أبو العرب، ص ٢٢٢، المالكي، ج ١، ص ١٥٩، تراجم أغلبية، ص ٢٥.

(٥) ابن الاثير، أسد، ج ٣، ص ١٨٤، النويرى، ج ٢٢، ص ١١.

(٦) ابن الاثير، أسد، ج ٣، ص ٤٢٠، النويرى، ج ٢٢، ص ١١.

(٧) ابن عبد الحكم، ص ١٩٤ - ١٩٦، البكرى، ص ١٣ - ١٤، ياقوت، ج ٢، ص ١٢٩، ج ٤، ٤٨٧، ج ٥، ص ٣٦٦، ابن ابي دينار، ص ٣٠، السراج، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفكر عقبة في بناء دار هجرة للمسلمين بافريقية تكون مركزا للمقاتلة ينطلقون منها للجهاد ونشر الاسلام . وتشمر الروايات بالاسرار على الاستمرار في الجهاد والاهتمام بنشر الاسلام في المغرب من خلال الاحاديث الكثيرة التي تشجع الهجرة الى افريقية وتجعلها جهادا ورباطا في سبيل الله (١) .

وقد اقترح عقبة بن نافع على أصحابه انشاء مدينة (القيروان) ،" تكون عزا للاسلام الى آخر الدهر ! " (٢) ، فأجابوه الى ذلك وقالوا " نقرب من البحر ليتم لنا الجهاد والرباط ! "(٣) ، وأراد عقبة من بناء هذه المدينة أن تكون قاعدة عسكرية لفتوحات جديدة ، وأن تكون مناسبة لطبيعة القبائل العربية فتكون في منطقة خصبة ليستطيع العرب رعي ابلهم فيها ويبعدها عن البحر لتكون آمنة من هجمات البيزنطيين على الساحل (٤) .

---

(١) أبو العرب ،ص ٤٣ - ٤٤،٤٥-٤٦ ، ٤٧ - ٤٨ ، ٤٩ - ٥٠ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٣ - ٤ ، ٥ ،البكرى ،ص ٢١ -٢٢ ،الدباغ ، ج ١ ،ص ٤ - ٥ ، ٧ ، انظر الدورى ، الاسلام وانتشار اللغة العربية ،ص ٨١ .

(٢) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٩ ، وانظر المالكي ، ج ١ ،ص ٦ ، الدباغ، ج ١ ،ص ٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١١ ، الدورى ،الاسلام ، ٨٠ ، R.et M. Cornevin, Histoire de l'afrique, p.114.

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٩ ، وانظر المالكي ، ج ١ ،ص ٦ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٨ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٩ - ٢٠ ، انظر المالكي ، ج ١ ،ص ٦ - ٧ ، البكرى ،ص ٢٤ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٨ - ٩ ، ياقوت ، ج ٤ ،ص ٤٢١ ، الاستبصار، ص ١١٣ - ١١٤ ،ابن ابي دينار ، ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويخبرنا ابن عبد الحكم كيف نفذ عقبة عزمه في انشاء دار الهجرة هذه بقوله : " . . . ثم انصرف عقبة الى القيروان فلم يعجب بالقيروان الذى كان معاوية بن حديج أنشأه قبله ، فركب والناس معه حتى أتى الى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثير الشجر ، كثير القطف ، تأوى اليه الوحوش والسباع . . . وأمر الناس بالتنقية والخطط ، ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان اليوم وركز رمحه وقال : هذا قيروانكم "(١) ، كما ركز لواءه في موضع المسجد وقال : " هذا محرابكم "(٢) . وبذلك كان مسجد عقبة أول مسجد بني في افريقية(٣) ، واستغرق بناء القيروان من سنة ٥٠ هـ - ٥٥ هـ (٤) وخططت على أساس القبائل كالكوفة والبصرة والفسطاط (٥) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١ ، انظر البلاذرى ، ص ٢٢٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٢ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١ ، انظر البلاذرى ، ص ٢٢٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٢ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٤) الطبرى ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٩٣ - ٩٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٧ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٠ - ٢١ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٤٢١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٢ ، الاستبصار ، ص ١١٤ .

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ٤٨ ، ١١٦ - ١٢٦ ، انظر حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٤٧ ، الدورى ، الاسلام ، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان عقبة يقدر أهمية اقامة مدينة للمسلمين في افريقية ، لأنه قال عنها : " ان افريقية اذا دخلها امام تحوموا بالاسلام ،فاذا خرج منها رجع من كان أسلم بها وارتد الى الكفر "(١) .

كما كان عقبة يعرف أهمية اقامة القيروان بالنسبة للجيش العربي الفاتح فقد أراد منها : " أن تتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد "(٢) . ولذا انفق في بناءها وتخطيطها وقتا طويلا (٣) . فكان تأسيس مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ هو الحد الفاصل بين محاولات الفتح الاولى التي سبقتها والتي لم تنته الى شيء راسخ ، والأعمال التي تلتها والتي انتهت بفتح البلاد وتحولها الى الاسلام .

ودامت ولاية عقبة على افريقية خمسة أعوام من سنة ٥٠ هـ - ٥٥هـ بنى خلالها القيروان ووطّد الفتح ، كما انه لم يتوقف عن بعث السرايا الى المناطق المجاورة للقيروان لاخضاعها (٤) .

---

(١) النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٢ .

(٢) ابن الاثير ، أسد ، ج ٣ ،ص ٤٢١ ، الكامل ، ج ٣ ،ص ٤٦٥ .

(٣) النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٢ .

(٤) خليفة ،تاريخ ،ص ٢١٠ ،ابن عبد الحكم ،فتوح ،ص ١٩٧ ، البلاذرى ، ص ٢٢٦ (عن الواقدى) ،اليعقوبي ، تاريخ ،ج ٢ ،ص ٢٢٩ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٧ - ٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٠ ، ياقوت ، ج ٤ ، ص ٤٢١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ،ص ٤٤٦ ،ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٠ - ٢١ ، ٢٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١١ - ١٢ ،ابن ابي دينار ، ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتشير الروايات الى أن عددا كبيرا من البربر اعتنقوا الاسلام في ولايته ، وهكذا ثبت عقبة راية الاسلام في افريقية وفتح أمامه أفقا واسعا (١) . وفي سنة ٥٥ هـ ضمت افريقية لمسلمة بن مخلد الانصارى الذى كان واليا على مصر منذ سنة ٤٧ هـ ، فقام بعزل عقبة بن نافع وعين مولاه أبا المهاجر دينار واليا على افريقية (٢) .

ويبدو أن عزل عقبة بن نافع لم يكن لأخطاء ارتكبها فقد أجمع بعض المؤرخين أنه كان " خير والي وخير أمير " (٣) ، بل كان عزله لاعتبارات أخرى، وقد قيل لمسلمة بن مخلد : " لو استعملت عقبة وأقررته على افريقية ،

---

(١) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ ، ياقوت ، معجم ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١ ، شكرى فيصل ، حركة الفتح الاسلامي ، ص ١٦٤ ، R. et M. Cornevin, Histoire de l'afrique, p. 114 .

(٢) انظر خليفة ، تاريخ ، ص ٢٢٢ ، ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ ، البلاذرى ، ص ٢٢٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ ، الطبرى ، ج ٧ ، ص ٩٣-٩٤ ، الكندى ، الولاة ، ص ٣٧ - ٣٨ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٩ ، الرقيق ، ص ٤٠ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٤٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١ ، ٢٣ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢٠٦ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٢-١٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، ابن أبي دينار ، ص ٢٩ ، حسن حسني عبد الوهاب ، تاريخ تونس ، بونار ، المغرب العربي ، ص ١٦ ، الزاوى ، ص ٧٨ ، ذنون ، الفتح ، ص ١٢٢ . A? Pellegrin, Hisroire de la Tunisie, p.130 .

(٣) انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان له فضلا وسابقة وهو الذى بنى القيروان ! " فقال مسلمة : " ان أبـا المهاجر كأحدنا ،صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل إفنحن نحب ان نكافئـه ونصطنعه ! "(١) .

لا تعطي الروايات أية معلومات عن تكوين جيش أبي المهاجر ، كمـا أنها لم تقدم أى تفسير لاساءته لعقبة وسجنه له (٢) .

وأول عمل قام به أبو المهاجر هو ترك منزل عقبة وبناء منزل آخر ويشـير المالكي الى ذلك قائلا : " ... كره أن ينزل في الموضع الذى اختطـه عقبة بن نافع ومضى حتى خلفه بميلين فابتنى ونزل " (٣) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٢ .

(٢) انظر خليفة ، تاريخ ،ص ٢٢٣ ، ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ ،البلاذرى ، ص ٢٢٦ (عن الواقدى) ، اليعقوبي ، تاريخ ،ج ٢ ،ص ٢٢٩ ، المالكـي ، ج ١ ،ص ٢١ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٤٦ ، ٤٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٢ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢٠٦ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٨٦ ، ج ٦ ،ص ١٤٦ ،شكرى فيصل ، حركـة الفتح ،ص ١٦٦ ،ذنون ،الفتح ، ص ١٢٣ ،

A. Pellegrin, Histoire de la Tunisie, p. 130.

(٣) ابن عبد الحكم ،ص ١٩٧ ، وانظر أبو العرب ، ص ٥٧ ،المالكـي ، ج ١ ،ص ٢٠ ، الدباغ ،ج ١ ،ص ٤٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٣ ، ابن أبي دينار ، ص ٢٩ ، السراج ، ج ١ ، ق ١ ،ص ٢٤٨ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ،ص ٨٠ ، حسن حسـني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ،ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينفرد ابن عبد الحكم بابراز اتجاه جديد لأبي المهاجر اذ يروى عن يزيد بن أبي حبيب " كان الناس قبل أبي المهاجر يغزون افريقية ثم يقفلون منها الى الفسطاط وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الانصار ، أقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلا ... "(١) . وهو نص يشير الى أمر على جانب عظيم من الأهمية ، وهو أن افريقية أصبحت مركزا ثابتا ينطلق منه المسلمون لفتح الشمال الافريقي وبذلك يكون أبو المهاجر قد اتم ما بدأ به معاوية بن حديج وعقبة بن نافع . ويذكر أن المدينة الجديدة التي بناها أبو المهاجر أطلق عليها اسما بربريا هو " تيكروان " (٢) ، والظاهر ان أبا المهاجر أشرك البربر في بنائها وأعطاها اسما بربريا لتأليف قلوبهم ولكسب ولائهم .

ويظهر أن أبا المهاجر اتخذ صنائع وأعوانا من البربر ولعلهم حبذوا له نقل معسكره من القيروان الى قرية بربرية تدعى " بدكور "(٣) لتكون مركز انطلاق حملاته الى المغرب . وكان لأبي المهاجر غزوتان : الاولى ، وصل فيها الى تلمسان في غرب المغرب الأوسط حيث اطلق اسمه على ينابيع نزل بها في ضواحي هذه المدينة (٤) ، وهناك التقى بكسيلة بن لمزم ، احد ملوك

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٧ .

(٢) أبو العرب ، ص ٥٧ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ١٣ يسميها (تيكروان) ، ابن أبي دينار ، ص ٢٩ ، السراج ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٤٨ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٨ وانظر خليفة ، تاريخ ، ص ٢٢٦ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، ج ٦ ، ص ١٠٨ ، ابن ابى دينار ، ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البربر البرانس ، والقائد المسيحي لقبائل أوربة الأورسية القوية والتي كانت تشكل خطرا دائما على المسلمين بحكم علاقتها الوطيدة بقوطاجنة المسيحية (١) .

ويبدو أن أبا المهاجر أدرك خطورة هذا التحالف البربرى البيزنطي ، وأن القوة التي كانت معه غير كافية للسيطرة على المغرب الأوسط ، فحاول استمالة البربر ، فلما هاجم تلمسان وانتصر على قبائل البرانس عامل ملكهم كسيلة معاملة حسنة ووفر له ولأتباعه من البربر والروم شروطا حسنة للصلح ، واتخذ كسيلة صديقا له مما جعل هذا الاخير يعتنق الاسلام ، ثم يرافق أبا المهاجر في تحركاته الحربية ويظل معه في القيروان الى حين عزله ووصول عقبة (٢) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٨ ، انظر خليفة ، تاريخ ، ص ٢٥١ (كسيلة بن كيزم) ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٨ ، البكرى ، ص ٧ ، الرقيق ، ص ٤٧ (كسيلة بن ليوم) ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٧ (كسيلة بن كمرم) ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٨ ، ابن أبي دينار ، ص ٣١ ،
Gautier, Le passe de l'afrique au nord, pp.252, 253,254,255, A. Pellegrin, Histoire de la Tunisie, p.131, R. et M. Cornevin, Histoire de l'afrique, p.114.

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٨ - ٢٩ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٢١ ، ٢٥-٢٦ (قيل) ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٤٦ (عن المالكي) ، ص ٥٢ - ٥٣ (قيل) ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٨ ، ابن أبي دينار ، ص ٣١ ، حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، ص ٥٧ ، ورقات ، ج ١ ، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكانت غزوته هذه بالغة الأهمية ،فمن ناحية يكون أبو المهاجر بهـــذا الفتح قد أضاف أرضا جديدة الى المسلمين ، كما أنه بمعاملته اللينة لكسيلة دل على سياسة هادفة وهي زيادة التآلف بين العرب والبربر . ويظهـــر أن أبا المهاجر ضم الكثيرين من القبائل البرنسية الى جيشه ،مما ســاعده على بدء عملياته الحربية ضد البيزنطيين سنة ٥٩ هـ (١) .

انطلق أبو المهاجر من معسكره في جنوب تونس الى قرطاج (٢) ،كمـا أرسل حملة بقيادة حنش بن عبد الله الصنعاني لفتح جزيرة شريك والتي تقـع بين تونس وسوسة (٣) . وانتهت المعركة بين البيزنطيين والمسلمين بالصلـح على ان يخلي البيزنطيون جزيرة شريك . وبعد هذا الصلح رفع أبو المهاجر الحصار عن قرطاج ، كما فتح في هذه الأثناء ميلة (٤) .

والملاحظ في حملات أبي المهاجر أنه لم يكن يهدف بها الى اكتساب الغنيمة بقدر ما كان يسعى الى ضم أراض جديدة للمسلمين وبخاصة المناطـق الساحلية ليستطيع أن يحمي ما وراءه من أقطار ويرد بذلك غارات الروم البحرية المفاجئة .

---

(١) خليفة ، تاريخ ، ص ٢٢٦ .

(٢) خليفة ،تاريخ ،ص ٢٢٦ ، المالكي ، ج ١ ،ص ٢٠ ، أبو المحاســن ، النجوم ، ج ١ ،ص ١٥٢ .

(٣) أبو العرب ،ص ٨١ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٢٠ ، البكرى ، ص ٤٥ ،التيجاني ، ص ١١ ، ١٣ ، ابن أبي دينار ، ص ٢٩ ، السراج ، ج ١ ،ق ٢ ،ص ٥٥٢- ٥٥٣ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ،ص ٧١ .

(٤) خليفة ، تاريخ ، ص ٢٢٦ ، أبو المحاسن ، النجوم ، ج ١ ،ص ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما كانت سياسته تستهدف اتخاذ الذين اسلموا من البربر أعوانا وحلفاء لفتح المناطق النائية من المغرب ومما يؤكد ذلك نصيحته لعقبة حين أراد هذا الأخير التوجه الى طنجة لفتحها فقال له : " ليس بطنجة عدو لك لأن النـاس قد أسلموا وهذا رئيس ـ يريد كسيلة ـ فابعث معه واليا ، فأبى عقبة الا أن يخرج بنفسه " (١) .

انتهت ولاية أبي المهاجر دينار بوفاة مسلمة بن مخلد الأنصاري سـنة ٦٢ هـ (٢) وأكبر دور قام به أبو المهاجر في افريقية هو تألف البربـر ومداراتهم (٣) .

وفي سنة ٦٢ هـ عين عقبة بن نافع واليا على افريقية والمغرب من قبـل يزيد بن معاوية (٤) . ويظهر أن يزيد لم يكن يحبذ السياسة التي كـان

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦ (قيل) ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٣ (قيل) .

(٢) الكندي ، الولاة ، ص ٤٠ ، ابن عذاري ، ج ١ ، ص ٢٣ ، ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

(٣) A. Pellegrin, Histoire de la Tunisie, p. 130 .

(٤) خليفة ، تاريخ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ ، البلاذري ، ص ٢٢٦ (عن الواقدي) ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤١ ، أبـو العرب ، ص ٧١ ، الكندي ، ص ٤٠ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٢ ، الدبـاغ ، ج ١ ، ص ٤٧ (عن المالكي) ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢٠٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٣٥ (عن الواقدي) ، ابن أبي دينار ، ص ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسير عليها أبو المهاجر ،وهي تقربه من البربر وتركه لقيروان عقبة بالاضافة الى فشله في الاستيلاء على قرطاجنة بعد حصار دام مدة طويلة ، وهذا ما يبدو في كلمة يزيد المشهورة لعقبة "أدركها قبل أن تفسد" (١) .

خرج عقبة من الشام سنة ٦٢ هـ ومعه خمسة وعشرون رجلا من الصحابة وأخذ خمسة آلاف رجل من القبائل العربية في مصر (٢) ، وتذكر روايات أخرى أن العدد وصل الى عشرة آلاف فارس (٣) . وكان أول عمل قام به عقبة حين وصل الى افريقية أن ثأر لنفسه من أبي المهاجر فأساء عزله واعتقله في الحديد ، وخرّب تيكروان التي بناها أبو المهاجر وأعاد بناء القيروان ورد الناس اليها (٤) .

وكانت سياسة الشدة أو اللين تختلف من قائد الى قائد الا أن الاهداف كانت واحدة ، وهي الجهاد في سبيل نشر الاسلام وتثبيت أقدام المسلمين في الشمال الافريقي (٥) .

---

(١) الدباغ ،ج ١ ،ص ٤٧ ،انظر المالكي ،ج ١ ص ٢٢ ، ابن عذارى ،ج ١ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن عبد الحكم ،ص ١٩٩ (عن بجير بن داخر المعافرى) ،أبو العرب، ص ٧٨ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢٣ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ١٣ .

(٣) المالكي ، ج ١ ،ص ٢٢ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٤٨ .

(٤) انظر ابن عبد الحكم ،ص ١٩٨ ، الرقيق ، ص ٤٠ ، المالكي ،ج ١ ، ص ٢٢ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٤٧ (عن المالكي) ، ابن الاثير ، الكامل ،ج ٣ ، ص ٤٦٦ ،ج ٤ ،ص ١٠٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٣ ، النويرى ،ج ٢٢ ، ص ١٣ ،ابن خلدون ،ج ٣ ،ص ١٣٦،٣٥ ، ج ٤ ،ص ١٨٦ ، ج ٢ ،ص ١٠٨ ، ابن أبي دينار، ص ٣٠ .

(٥) انظر شكرى فيصل ،حركة الفتح الاسلامي ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أبرز ما يؤثر عن عقبة حماسه الديني ورفع راية الاسلام والعروبة ، فحين انتهى من اعادة بناء القيروان جمع أصحابه من الصحابة والتابعين وصار يدعو لها ويقول " يا رب املأها فقها وعلما ،واعمرها بالمطيعين والعابدين ، واجعلها عزا لدينك وذلا لمن كفر بك ،وأعز بها الاسلام . . . وامنعها من جبابرة الأرض" (١) .

ويبدو اصرار عقبة في ولايته الثانية على الجهاد حتى النصر أو الشهادة من وصيته لأبنائه لما عزم على فتح المغرب اذ جاء فيها : " يا بني ! اني بعت نفسي من الله ، وما أدري ما يأتي عليّ في سفري " . ثم قال : " اللهم تقبل نفسي في رضاك ،واجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عنك "(٢) ، ثم نهض لفتح المغرب الأوسط والأقصى بعد أن عين زهير بن قيس البلوى نائبا عنه بالقيروان وتركه برفقة عمر بن علي القرشي وأبقى معهما ستة آلاف رجل ، بينما خرج هو برفقة أبي المهاجر مقيدا بالحديد ، بجيش يقدر بخمسة عشر ألفا (٣) .

---

(١) الرقيق ،ص ٤٠ ،انظر أبو العرب،ص ٥٧ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢٣ .

(٢) انظر المالكي ،ج ١ ،ص ٢٢ ،الرقيق ،ص ٤١ ،الدباغ،ج ١ ،ص ٤٨ ، ابن الأثير ،الكامل ،ج ٤ ،ص ١٠٥ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢٢-٢٤ ، النويرى ،ج ٢٢ ،ص ١٣-١٤ ،عبيد الله بن صالح ،ص ٢١٩ ، حسن حسني عبد الوهاب ،تاريخ تونس،ص ٥٩ ،الزاوى ،الفتح العربي ،ص ٨١ .

(٣) ابن عبد الحكم ،ص ١٩٨ (يقال) ،انظر خليفة ، تاريخ ، ص ٢٥١ ، المالكي ، ج ١ ،ص ٢٢ ، الرقيق ،ص ٤٠ ، ٤٧ ، الدباغ، ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ،ص ١٠٥ ، ١٠٨ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢٣ ، ٢٨ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ١٣ ، ابن خلدون ، ج ٣ ،ص ١٢٥ ، ج ٤ ،ص ١٨٦ ، ج ٦ ،ص ١٠٨ ، ١٤٦ ، ٣٣٠ ، السلاوى ، الاستقصاء ،ج ١ ،ص ٨١ .
Pellegrin, Histoire de la Tunisie, p.131 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتختلف الروايات في نطاق حملة عقبة على المغرب الأوسط والأقصى وفي تاريخها . ويبدو مما تتفق عليه أن عقبة خرج بجيشه من القيروان لاخضاع الروم والبربر من نصارى ووثنيين ،حتى وصل الى بغاية الواقعة الى الشمال من جبل الأوراس ،وانتصر فيها على البيزنطيين الا أنه لم يدخل المدينة نتيجة المقاومة التي أبداها البيزنطيون الذين تحصنوا في معاقلهم واكتفى بأخذ الغنيمة التي كانت تتألف من خيول الأوراس الشهيرة ، ثم أعقب ذلك بانتصار آخر على المنستير .

وبعد اخضاعه لافريقية كان على عقبة ان يخضع المغرب الاوسط فسار باتجاه الغرب الى اقليم الزاب الذى كان جزءًا من مقاطعة نوميديا وانتصر على الروم قرب مسيلة وفتح آذنة عاصمة الزاب وبذلك " . . . ذهب عز الروم وملكهم من الزاب الى آخر الدهر " (١) ، وبهذا يكون عقبة قد أخرج الروم من افريقية . ثم كان عليه ان يواجه تجمعا بربريا بيزنطيا ضخما في اقليم تاهرت ، حيث كانت القبائل البربرية من لواتة ،وهوارة ، وزواغة ، ومطماطة في انتظاره ،ويحتمل ان القيادة العليا كانت للروم (٢) .

ويبدو أن الهزيمة التي الحقت بالروم والبربر في اقليم تاهرت قد الجأتهم الى حصونهم ومعاقلهم مما دفع عقبة الى تركهم والتفرغ الى اخضاع المغرب الأقصى فوصل الى احواز طنجة ، " ولم يدخل من ولاة بني أمية بالمشرق الا عقبة بن نافع ولم يعرف المصامدة غيره "(٣) . وبطنجة التقى

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٤ .

(٢) ن ٠ م ٠ ج ١ ،ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) ن ٠ م ٠ ج ١ ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقبة بيليان النصراني من بني غمارة والذى كان واليا من قبل القوط على المنطقة الممتدة من أحواز طنجة الى سبتة وكان موقفه ودياً من عقبة فأبقاه عقبة واليا على المنطقة فأصبح ساحل المغرب حتى سبتة تحت سلطان العرب .

وقبل عقبة بنصيحة حليفه يليان وهي عدم التفكير في فتح الاندلس ومتابعة فتح المغرب الاقصى الذى كان يعج بالبربر الوثنيين بينما كان قد رفض نصيحة أبا المهاجر في اتخاذ كسيلة حليفا وارساله الى فتح طنجة (١) .

وسار عقبة من طنجة الى الجنوب الغربي أي السوس الادنى والاقصى لقتال المصامدة وصنهاجة الوثنيتين ثم واصل سيره الى ايفيران يطوّف (Capguir) على ساحل الأطلسي ، وحين أراد الرجوع الى القيروان استشهد في تهودة مع من بقي معه من أصحابه (٢) .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، وانظر ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ٤٢ ، حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ١٩١ - ١٩٤ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٤ - ٢٨ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ وانظر خليفة ، تاريخ ، ص ٢٥١ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٣-٢٥ ، الرقيق ، ص ٤٠ - ٤٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٥-١٠٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٤٨ - ٥٤ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٣ - ١٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، ج ٦ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٠ - ٣٢ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٨١-٨٢ ، عمر فروخ ، العرب والاسلام ، ص ٦٥ - ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجدر أن تناقش أسباب مقاومة البربر العنيفة في هذه الفترة بدء بالزاب وتاهرت واعتراضهم على كل خطوة يخطوها المسلمون وتغلبهم بعد ذلك على عقبة وارتداد المسلمين الى برقة .

يبدو أن عقبة بالغ في تحقير كسيلة والنيل منه أمام قبيلته ، فنال هذا من نفس كسيلة الذى كان رجلا شريفا في قومه عظيم المنزلة بين البربر والمسلمين وأهمل سياسة أبا المهاجر في تقريب الأهالي وكسبهم بالمودة وحسن المعاملة (١) ، وقد فزع أبو المهاجر لمعاملة عقبة لكسيلة وخشي عاقبة هذا التصرف فقال ينصحه : " ما هذا الذى صنعته ؟ كان رسول الله (ص) يستألف جبابرة العرب كالاقرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن ، وأنت تجيء الى رجل هو خيار قومه في دار عزه قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه ! توثق من الرجل فاني أخاف فتكه " (٢) . وكانت شكوك أبي المهاجر في محلها اذ أن كسيلة أدرك أن عقبة لم يعامله بمبدأ المساواة الذى نادى به الاسلام وان انطواءه تحت راية العرب يهدد سيادته ومصالح قبيلته (٣) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٩ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٩ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، ج ٦ ، ص ١٤٦ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٢ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦ ، انظر الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٦ .

(٣) انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٩ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٦ ، المؤنس ، ص ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن كسيلة كان يغافل عقبة ليراسل قبيلته أوربة ، والعشائر الأخرى المحالفة لها في تاهرت مثل هوارة ، وزواغة ، ومطماطة ، ومكناسة ، ولواتة ، وزناتة ، ويشير ابن خلدون الى ذلك بقوله : " فانتهز فيه الفرصة وأرسل للبربر فاعترضوا عليه في تهوده "(١) ، كما أعاد كسيلة الحلف السابق مع البيزنطيين " ورأى الروم قلة من مع عقبة فأرسلوا الى كسيلة وأعلموه حاله وكان في عسكر عقبة مضمرا بالغدر وقد أعلم الروم ذلك واطمعهم ، فلما راسلوه أظهر ما كان يضمره وجمع أهله وبني عمّه وقصد عقبة "(٢) .

ويفهم من رواية لابن عبد الحكم أن كسيلة كان قد فرّ من معسكر عقبة قبل وصول هذا الأخير الى طنجة " وخرج ابن الكاهنة البربري على أثر عقبة كلّما رحل عقبة من منهل دفنه ابن الكاهنة ، فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة الى السوس ولا يشعر بما صنعه البربري . . . "(٣) .

وحين رجع عقبة وجد المياه قد تلفت فأصبح المسير عليه صعبا فآثر العودة مسرعا ، ويؤيد ذلك ان عقبة أذن لفرق من جنده في أن تسرع الى القيروان بعد وصوله طبنة ، وسار هو الى تهودة(٤) . وفي هذه الاثناء

---

(١) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، وانظر ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٥ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٢) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٤٢٠ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ (عن عثمان بن صالح) ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٨ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢١٩ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ١٥ ، ١٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، ج ٦ ، ص ١٤٦ ، ج ٧ ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان كسيلة يجمع جموعه فيذكر ابن الاثير أن أبا المهاجر قال لعقبة : " عاجله قبل أن يقوى جموعه "(١) ، ثم يقول : " فزحف عقبة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه "(٢) .

ويوضح ابن عذارى خطة كسيلة وأحلافه بقوله : فوقف اليه عقبة ، فتنحى أمامه . فقالت له البربر : لم تتنح عنه وهو في خمسة آلاف ، ونحن في خمسين ألفا في الزيادة ! والرجل ليس عنده من يمده وقد سار عنه أصحابه !(٣) ، مما يفهم أن البربر كانت تلتحق بكسيلة يوميا فيزداد جنده بينما كان جند عقبة في نقص ، كما انقطع طريق الامداد اليه بانحرافه نحو تهودة . وكانت النتيجة هجوم كسيلة على عقبة على مقربة من تهودة واستشهد عقبة وجميع أصحابه في تهودة سنة ٦٣ هـ ، وهي المنطقة التي تسمى الآن سيدى عقبة جنوب بسكرة حيث أقيم مسجد يضم ضريح عقبة الذى أضحى مزارا (٤) .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٧ (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٩ ، انظر النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٦ - ١٧ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٩ ، أبو العرب ، ص ٥٩ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، الرقيق ، ص ٤٦ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٩ (عن عبيد الله بن صالح) ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٦ - ١٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، ج ٦ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظل السؤال عن هدف عقبة من حملته الواسعة في المغرب بين قائمـا ، بغض النظر عن خطته الحربية المجازفة التي أدت الى الوصول الى المحيط .

كان يظهر عقبة في بعض المصادر وليا من أولياء الله (١) ، وكانـت غايته واضحة ،وهي جهاد المشركين والسعي لنشر راية الاسلام في المغـرب ويبدو ذلك من خطبته الواعظة في جنده حين واجه التجمع البربرى البيزنطـي الضخم في اقليم تاهرت " أيها الناس : ان أشرافكم وخياركم الذين رضـي الله عنهم وأنزل اليهم كتابه ،بايعوا رسول الله (ص) بيعة الرضوان على مـن كفر بالله الى يوم القيامة ،وهم أشرافكم والسابقون منكم للبيعة ،باعوا انفسـهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة ،وأنتم اليوم في دار غربة ، وانما بايعتـم ربّ العالمين وقد نظر اليكم في مكانكم هذا ،ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلبـا لرضاه واعزازا لدينه ،فابشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شـاء الله ،وربّكم -عز وجل- لا يسلمكم ،فألقوهم بقلوب صادقة ،فان الله جعلكـم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين ،فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونـه "(٢) . وكانت سياسته تقوم على مهاجمة القبائل البربرية في مواطنها والسعي لنشـر الاسلام فيها (٣) ،فحين انتهى به المطاف الى ساحل الاطلسي قال : ..اللهم

---

(١) انظر مثلا : ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢١ .

(٢) الدباغ ، ج ١ ،ص ٤٩ - ٥٠ ، انظر المالكي ، ج ١ ،ص ٢٤ ، الرقيق ، ص ٤٣-٤٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٥ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ١٤ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٤ - ٣٠ ،عبيد الله بن صالح ،ص ٢١٩-٢٢٠ ، وانظر البلاذرى ، ص ٢٢٦ (عن الواقدى) ،المالكي ،ج ١ ،ص ٢٢-٢٥ ، الرقيق ، ٤٠ - ٤٦ ،الدباغ ،ج ١ ،ص ٤٨-٥٣ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ١٣-١٦ ،ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ١٨٦ ،ج ٦ ،ص ١٠٨-١٠٩ ، ١٤٦-١٤٧ ، ج ٧ ،ص ٨ ،ابن أبي دينار، ص ٣٠ - ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اشهد اني قد بلغت المجهود ،ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك "(١) .

ولم يقف عمل عقبة عن الجهاد بل رافق ذلك بناء المساجد مثل مسجد درعة ومسجد ماسة بالسوس الاقصى (٢) ،كما كان يترك نفرا من أصحابه يعلمون الناس القرآن وشرائع الاسلام . ومن هؤلاء شاكر الذى بنى رباطا ما بين بلدتي مراكش وموجادور ولا زال موقعه باقيا الى اليوم وهو المعروف عند العامة بالمغرب الأقصى بسيدى شاكر (٣) . ويظهر أن أغلبية بربر المغرب الاقصى أسلموا على يده طوعا ،مثل صنهاجة وهسكورة وجزولة (٤) كما أخضع المصامدة " وحملهم على طاعة الاسلام "(٥) .

---

(١) الدباغ ،ج ١ ،ص ٥١ ،انظر المالكي ،ج ١ ،ص ٢٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٥ ، ابن أبي دينار ، ص ٣١ (بما معناه) .

(٢) المالكي ،ج ١ ،ص ٢٦ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢٧ (عن عبيد الله بن صالح) ،عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٠ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٧ ، عبيد الله بن صالح ،ص ٢٢٠ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٢ ، عبيد الله بن صالح ،ص ٢١٩ ،٢٢٠ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكي يأمن القبائل الكثيرة الانتقاض ،كان عقبة يأخذ منها رهائن ويولي عليها رجلا منها مثلما فعل مع مصمودة فقد ترك عليها أبا مدرك زرعة بن أبي مدرك ،أحد روساعها ، الذى شارك في فتح الاندلس فيما بعد (١) .

ويلاحظ أن الوثنية كانت غالبة على بربر المغرب الاقصى مما يفسر كثرة السبايا والغنائم ،" وأصاب (عقبة) نساء لم ير الناس مثلهن فقيل أن الجارية كانت تساوى بالمشرق ألف مثقال وأكثر "(٢) . وكان السبي أحد عوامل انتشار الاسلام بين البربر بحكم اختلاطهم بالبيئة العربية الاسلامية (٣) . ثم أن الاحتكاك والاختلاط المستمرين بين المقاتلة العرب والبربر أوجد صلات وروابط تجلت في الحلف والولاء في هذا الوقت المبكر . يذكر السلاوى أن عقبة حين وصل الى جبل درن : " نهضت زناتة وكانت خالصة للمسلمين منذ اسلام

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٢ (عن ابن القطان) ، انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٧ ،البلاذرى ،ص ٢٢٨ (عن الواقدى) ، الامامة والسياسة ، ج ٢ ،ص ٦٧ ، ٧١ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٤ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٢٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٨ .

(٢) الرقيق ،ص ٤٦ ،انظر المالكي ،ج ١ ،ص ٢٤ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٥١ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢٧ (دينار بدل مثقال) ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٥ ، ان خلدون ،ج ٤ ،ص ١٨٦ ، ج ٦ ،ص ١٠٨ ، ابن أبي دينار ، ص ٣١ ، الدورى ،الاسلام وانتشار اللغة العربية ، ص ٨٢ .

(٣) انظر أبو العرب ، ص ٨٥ - ٨٦ ، المالكي ، ج ١ ،ص ٧٠ ، ١٩٣-١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفراوة "(١) وهذا يشعر بأن بعض زناتة ومفراوة كانتا قد أسلمتا منذ زمن وكانتا حليفتان للعرب فنهضتا للدفاع عن المسلمين . ويقول ابن الاثير : " أن صاحب قفصة سعى لخلاص من أسر من المسلمين وردهم الى القيروان"(٢) بعد مقتل عقبة مما يشعر بأن هذا الوالي البربرى كان حليفا للعرب مواليا لهم .

وكان عقبة أول من بلغ في غزواته هذه طنجة ودخل السوس الادنى " وجوّل لا يعرض له أحد ولا يقاتله ..."(٣) كما كان أول من ادخل الاسلام الى افريقية (٤) ووضع أساس الاستقرار ،كما يبدو من قوله لمعاوية " فتحت البلاد ودانت لي ،وبنيت المنازل ،واتخذت مسجد للجماعة ،وسكنت الناس ..."(٥) .

---

(١) السلاوى ، الاستقصاء ،ج ١ ،ص ٨٢ ،انظر ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٥٢ ، عبيد الله بن صالح ،ص ٢١٢ ،ابن الخطيب، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ١٥٣ ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٠٨ ، ج ٧ ،ص ٢٤ - ٢٥ ،مفاخر البربر ، ص ٢٢ - ٤٢ .

(٢) ابن الأثير ،الكامل ،ج ٤ ،ص ١٠٨ ، انظر ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٨٦ ، أبو المحاسن ، النجوم ، ج ١ ،ص ١٥٩ .

(٣) ابن عبد الحكم ،ص ١٩٨ (عن عثمان بن صالح) ، البلاذرى ،ص ٢٢٦ (عن الواقدى) ،ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٨ (عن ابن عبد البر) ، ابن أبي دينار ، ص ٣١ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ،ص ٤٦٦ ، انظر R.et M.Cornevin,p.114

(٥) ابن عبد الحكم ،ص ١٩٧ ،انظر المالكي ،ج ١ ،ص ٢٢ ، الدباغ ،ج ١ ، ص ٤٧ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٤٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كانت حملة عقبة لم تضف أراضي جديدة لولاية افريقية ، فقد نجحت من الناحية الدينية بدخول قبائل جنوب المغرب الاقصى الى الاسلام مثل مصمودة وبرغواطة (١) ، فكانت هذه الحملة تمهيدا لفتح المغرب الاقصى والاندلس على يد موسى بن نصير .

لئن أخرجت افريقية من يد المسلمين فانها لم تخرج عن الاسلام فقد كانت أسلمت قبائل من البربر وكانت تعيش مع الجالية العربية بالقيروان وكان كسيلة يحسب حسابها ويتفاداها لشدة بأسها . فقد اعترف كسيلة بذلك حين اقترح على جيشه الخروج من القيروان واختيار موضع آخر لمواجهة جيش زهير بن قيس قائلا : " اني أردت ان أرحل الى ممس فأنزلها ، فان هذه المدينة (يعني القيروان) فيها خلق عظيم من المسلمين ولهم علينا عهد ، فلا نغدر بهم ونحن نخاف اذا التحم القتال أن يثبوا علينا ..." (٢) . ان كسيلة لم يقصد بكلامه هذا المقاتلة من العرب المسلمين لأن الروايات تشير الى أن الذين بقوا في القيروان هم من اهل الذمة ، ومن موالي افريقية الذين خرجوا من طرابلس مع العرب وجندوا للعيش معهم في القيروان ، وممن تخلف من العرب من تجار وشيوخ ونساء وذراري (٣) .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠٦ ، السلاوى ، ج ١ ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) الرقيق ، ص ٥٠ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٣٠ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٣) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، الرقيق ، ص ٤٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٤ ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من بقي في القيروان من المسلمين قد استأمنوا الى كسيلة فأمنهم، ود خلوا في عهده (١) . ويبدو أن همّ كسيلة كان منصرفا، بعد دخوله القيروان، الى تأمين افريقية من الجيش العربي، فذكر ابن عبد الحكم انه أرسل جندا وصلوا باب قابس وأنه جعل يرسل أجناده في كل وجه ليقضوا على كل أثر لجند العرب . "ثم سار كسيلة ومن معه حتى نزلوا الموضع الذى كان عقبة اختطه فأقام به، وقهر من قرب من باب قابس وما يليه، وجعل يبعث أصحابه في كل وجه" (٢) . ويظهر أن جيش كسيلة كان يتكون من البربر والروم "فأجمع اليه جميع أهل افريقية" (٣) . وكان أحد قادة جيش كسيلة، من الروم وهو سكرديد الرومي الذى كان قد اسلم مع كسيلة وارتد لردته (٤)، ولذا يرى جوتي ان الانتصار على عقبة هو انتصار بيزنطي أكثر منه انتصار بربرى (٥) .

قد أدى استيلاء كسيلة على القيروان الى انقسام الجيش العربي على نفسه، مجموعة منه بقيادة حنش بن عبد الله الصنعاني فضلت الانسحاب الى

---

(١) الرقيق، ص ٤٦، المالكي، ج ١، ص ٢٨، الدباغ، ج ١، ص ٥٥، ابن عذارى، ج ١، ص ٣١، النويرى، ج ٢٢، ص ١٧، ابن خلدون، ج ٤، ص ١٨٢، ج ٦، ص ١٠٩، ابن أبي دينار، ص ٣٢ .

(٢) ابن عبد الحكم، ص ١٩٨ .

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ١٠٨ .

(٤) ابن خلدون، ج ٦، ص ١٠٨ .

(٥) Gautier, Le passe de l'afrique du nord, p.255.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصر والأخرى بقيادة زهير بن قيس أصرت على البقاء والمدافعة والقتال ، وكانت النتيجة انسحاب حنش بن عبد الله وجماعته فلم يجد زهير بدا من الانسحاب أيضا فعاد الى برقة وأقام مرابطا فيها (١) .

وبقيت القيروان بيد كسيلة مدة تقارب خمس سنوات من ٦٤هـ - ٦٩هـ (٢) ، ولم ترد اشارة الى أيّ تمرد أو مقاومة صادرة من الذين بقوا بالقيروان . ويرجح أن التعايش السلمي هذه الفترة كان له أثره في حركة التعريب ، فالذين كانوا يدينون بالاسلام من البربر كانوا معرضين الى الاتصال باللغة العربية بحكم الاختلاط في السكنة وبحكم أن القرآن كان عربيا ، ومن جهة اخرى فان انسحاب الجيش العربي من القيروان أثار من أسلم من البربر كما يفهم من قول المالكي حين يتحدث عن استيلاء كسيلة على القيروان : " وزحف على القيروان

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ (يقال) ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، الرقيق ، ص ٤٧ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣١ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٢ .

(٢) الرقيق ، ص ٤٦-٤٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، ٣٠ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ٥٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٠ ، ٣١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٧ ، ١٨ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٢ ، السلاوى ، ج ١ ، ص ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانقلبت افريقية نارا "(١) . وهذا يشير الى خروج جماعات من البربر المسلمين على كسيلة مناصرة للعرب(٢) .

وبالرغم من أن الخليفة عبد الملك بن مروان قد شغل بالثورات وخاصة ثورة ابن الزبير ، فانه رأى أهمية الالتفات الى المغرب واستعادة القيروان خاصة(٣) ، ولهذا عين عبد الملك زهير بن قيس البلوى واليا على افريقية سنة ٦٩ هـ(٤) و "أمد زهيرا بالخيل والرجال والأموال ، وحشد اليه وجوه العرب ، وبعثهم اليه ، فوفدت الجيوش على زهير ، وتسارع الناس معه الى افريقية "(٥) . وكانت لزهير خبرة في أمور افريقية لاشتراكه في غزوات عقبة

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٢) انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، ٣٥ .

(٣) خليفة ، تاريخ ، ص ٢٥٧ وما بعدها ، البلاذرى ، ص ٢٢٦ (عن الواقدى) ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٨ ، الكندى ، الولاة ، ص ٤٠ ، ٥١ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ١٧ - ٣١ ، الرقيق ، ص ٤٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٩ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣١ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٨ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٢ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٠ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٥٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٨ (ويشير كل من الرقيق ، ص ٤٩ وابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، وابن أبي دينار ، المؤنس ، أن التعيين كان سنة ٦٧هـ) .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمكثه نحو خمس سنوات ببرقة مرابطا حتى تأتيه الامدادات من المشرق (١) ، وكانت الامدادات من مقاتلة الشام ومصر (٢) ، لكن الروايات لا تذكر عدد القوات المرسلة ولا تحدد الجماعات التي كانت تؤلف جيش زهير ، ومع هذا يمكن القول أن جلّ المقاتلة كانت من اليمانية متمثلة في شخصيات مثل ابن حبان الحضرمي ، وزهير بن قيس البلوى نفسه (٣) . أما ما يذكره المالكي من أن جيش زهير كان في أربعة آلاف من العرب وألفين من البربر (٤) ، فلا يمكن أن يشمل القوات التي وصلت من الشام ومصر والبربر المحالفين للعرب في منطقة برقة وطرابلس .

ويلاحظ وجود البربر في جيش زهير وهي ظاهرة تستمر بعده ، خاصة أيام حسان ويلاحظ عندئذ أن أغلبيتهم من البتر (٥) ، أو البربر البدو ، بينما

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٨ - ٢٠٠ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٢٢ ، الرقيق ، ص ٤٠ ، ٤٧ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٤٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٣ ، ٣١ ، النويري ، ج ٢٢ ، ص ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٠ ، ٣٢ . ويشير ابن عبد الحكم أن زهيرا غادر الى مصر ليطلب الامدادات من الخليفة ، بينما تشير روايات اخرى أنه بقي مرابطا في برقة حتى وصلته الامدادات ، انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ (يقال) ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٩ ، الكندى ، ص ٤٣ ، وانظر الرقيق ، ص ٤٧ - ٤٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٩ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٩ ، انظر الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انحصرت المقاومة في البرانس ،اذ " جمع كسيلة البرانس " كما يقول ابن الاثير (١) . وفي سنة ٦٩ هـ نشبت المعركة بين زهير وكسيلة وانتهت بانتصار المسلمين وهزيمة جيوش كسيلة على كثرة عددها ومقتل كسيلة (٢) .

ويرى السلاوى أن البربر رعبوا من العرب بعدها رعبا عظيما فلجأوا الى الحصون والقلاع وفارقوا الأوراس وتحصنوا بالمغرب الاقصى " في وليلي ، بين فاس ومكناس بجوار جبل زرهون " (٣) .

وبعد هذه المعركة الفاصلة انصرف زهير الى القيروان ،فأوطنها كما يقول ابن عذارى (٤) ، بينما تشير روايات اخرى الى ان زهيرا رأى ان مهمته انتهت باسترجاع القيروان وأخذ الثأر لعقبة فعاد الى برقة مكتفيا بما حققه من نصر بينما أقام الكثير من اصحابة بالقيروان (٥) .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ،ج ٤ ،ص ١٥٧ ،١٠٨ .

(٢) الرقيق ، ٥٠ - ٥١ ، انظر خليفة ،تاريخ ،٢٥١ ، ٢٥٣ ، المالكي ، ج ١ ،ص ٣٠ ، الدباغ،ج ١ ، ص ٥٧ - ٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ،ص ١٠٨-١٠٩ ،ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٢ ،عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢١ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٨٧ ، ج ٦ ،ص ١٠٩ ، ابن أبي دينار ،ص ٣٢ - ٣٣ ، السلاوى ،ج ١ ،ص ٩١ (ويذكر الرقيق ان " في تلك الوقعة هلك رجال الروم والمشتركين من البربر وفرسانهم وأشرافهم ،ففزع منهم اهل افريقية ") ، انظر الرقيق ، ص ٥٢ .

(٣) السلاوى ،ج ١ ،ص ٩١ .

(٤) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٢ .

(٥) الرقيق ،ص ٥٢ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٣٠ ،ابن الاثير ،الكامل ،ج ٤ ،ص ١٠٩ ، الدباغ، ج ١ ،ص ٥٨-٥٩ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ١٨ ، ابن خلدون ،ج ٦ ، ص ١٠٩ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن زهيرا عاد الى برقة لمواجهة الخطر البيزنطي لا ليخـــرج الى المشرق كما جاء في بعض المصادر (١) ، لأن الروم انتهزوا فرصة انشغال زهير بحرب كسيلة فأخذوا يدبرون للخلاص منه ، وطلبوا مددا من القسطنطينية فأرسل اليها بمراكب ، وكان الروم على علم أن زهيرا لم يؤمن طريقة عودتـــه بترك حامية ببرقة أو طرابلس وهذا ما يؤكده ابن الأثير : " وكان قد بلـــغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة عظيمة من جزيرة صقلية ، وأغاروا على برقـــة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا . . . ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة ، فأخبر بالخبر فأمر العسكر بالسرعة والجدّ في قتالهم" (٢) . الا أن زهيرا لم يتوقع أن يجد الروم في قوة عظيمة فحين بلغه أن مراكب رومية ألقـــت مراسيها بالساحل " عرج على طريق البحر في نفر قليل من أصحابه بينما أمـــر بقية عسكره بالمسير على الطريق " (٣) ، فلما وصل زهير الى الساحل وجـــد الأمر أعظم مما كان يتوقع " فرآهم في خلق عظيم ، فلم يقدر على الرجوع . . . " (٤)

---

(١) النويري ، ج ٢٢ ، ص ١٨ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٣٠ ، الرقيق ، ص ٥٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٢ - ٣٣ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، ابـــن أبي دينار ، ص ٣٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

(٣) ابن أبي دينار ، ص ٣٣ .

(٤) الرقيق ، ص ٥٣ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٣١ ، ابن عـــذارى ، ج ١ ، ص ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن زهيرا أراد أن يخلص من كان يستغيث به من المسلمين وهكذا استشهد ومن معه من المسلمين قرب درنة سنة ٧١ هـ(١). الا أن نهاية زهيرا لا تحجب انجازاته فقد حقق أمرين : الأول : أنه ثبت الاسلام في افريقية باسترجاعه القيروان ، والثاني : أنه قضى على أكبر قوة بربرية وكانت تتمثل بالبرانس .

يبدو من سير الفتوح أن البربر كانوا يعتمدون على القلاع والحصون وبعد المسافات وأن البيزنطيين كانوا يعتمدون على الاسطول وهذا ما ينقص العرب(٢) . وقد أدركت الخلافة هذا النقص فأولت اهتمامها لبناء دار صناعة للسفن في افريقية وارسال قوات ترابط في المسالح

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، البلاذرى، ص ٢٢٧ ، المالكي ، ج ١، ص ٣٠ - ٣١ ، الرقيق، ص ٥٢ - ٥٣ ، ياقوت ، ج ٢، ص ٤٥٢ ، ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ١٠٩ - ١١٠ ، ابن عذارى، ج ١، ص ٣٣ ، عبيد الله بن صالح، ص ٢٢١ ، النويرى، ج ٢٢، ص ١٨ ، ابن خلدون ، ج ٤، ص ١٨٦ ، ج ٦، ١٠٩ .

(٢) انظر ابن عبد الحكم، ص ١٧١-٢٠٣ ، الرقيق، ص ٤١ - ٦٥ ، المالكي ، ج ١، ص ١٢ - ١٣ ، ١٧ - ٣٨ ، الدباغ، ج ١، ص ٣٤ - ٦٩ ، ابن عذارى ، ج ١، ص ٩ - ٣٦ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢١٦-٢٢٣ ، النويرى ، ج ٢٢، ص ٤ - ٢٢ ، ابن خلدون ، ج ٤، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، ج ٦، ص ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعسكرات(١) . وقد أثار استشهاد زهير وصحبه ثائرة العرب وحفزهم على مواصلة الفتح ، واختار عبد الملك بن مروان لهذه المهمة حسان بن النعمان الغساني ، رجلا من خيرة قادته وجهزه بجيش كبير لم تشهد له افريقية مثيلا من قبل (٢) . امر الخليفة بتجهيز جيش عربي كبير من نحو أربعين

---

(١) الرقيق ، ص ٦٥-٦٦ ، ١٠٧ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٣٧ ، البكرى ، وصف ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، التيجاني ، رحلة ، ص ٦-٧ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ٦١ - ٦٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥١ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٤ ، ابن أبي دينار ، ص ١٥ - ١٦ ، ٣٠ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٥٦٤-٥٦٧ ، ق ٢ ، ص ٢٩٦- ٢٩٧ ،
Dominique Sourdel, Histoire des Arabes, dans que sais-je? p.24, 1976, Gautier, Le passe, p. 239, Les travaux maritimes de Hassan Ibn 'Nu'man " , institut des belles lettres Arabes, XXXIII, 1970, p. 5 .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، البلاذرى ، ص ٢٢٧ ، اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ، الرقيق ، ص ٥٢ - ٥٤ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣١ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٤٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٢ - ٣ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥٩ - ٦٠ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، السراج ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٥٠ ، ق ٢ ، ص ٥٣٢ . ويبدو أن حسان بن النعمان كان أول قائد من جند الشام يدخل افريقية في الفترة الاموية وكان يلقب بالشيخ الامين . انظر الرقيق ، ص ٥٤ ، ٦٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٩ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٢ ، السراج ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٢ ، الباجي ، الخلاصة النافية ، ص ١٠ ، السلاوى ، ج ١ ، ص ٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألف مقاتل ،معظمهم من جند الشام وعهد بقيادته الى حسان بن النعمان الفساني (١) .

وتختلف المصادر في تاريخ تولية حسان بن النعمان (٢) ،ولعل التاريخ الذى يقدمه ابن الاثير أقرب للقبول وهو سنة ٧٤ هـ (٣) .

---

(١) ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٠-٢٠٢ ،الكندى ،ص ٥٢ ،ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ،ص ٣٤ ،ياقوت ،ج ٤ ،ص ٣٦٦ ،ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٤ ، عبيد الله بن صالح ،ص ٢٢١ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ١٩ ،أبو المحاسن ، النجوم ،ج ١ ،ص ١٨٣ ، السراج ،ج ١ ق ٢ ،ص ٥٣٢ ،السلاوى ، ج ١ ،ص ٨٣ ، Marçais, La Berberie musulmane, pp. 33-34, Pellegrin, Histoire de la Tunisie,p.131 Ret M. Cornevin, Histoire de l'afrique,p.114 .

(٢) اختلف المؤرخون في تاريخ حملة حسان فيذكر ابن عبد الحكم سنة ٧٣هـ و ٧٨ هـ ،وذكر ابن الاثير سنة ٧٤ هـ ،وأيده في ذلك ابن خلدون ، وحدد ابن عذارى سنة ٧٨ هـ وتردد أبن ابي دينار بين سنوات ٧٦ ، ٧٧ هـ ،٧٩هـ . وذكر الباجي سنة ٧٩ هـ. ويقول ابن عذارى في هذا التباين : " أن غزوات حسان لم تضبط بتاريخ محقق وتستحق الدراسة والتحقيق" . ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٩ ، وانظر ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٠-٢٠٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ،ص ٣٦٩ ، ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ١٨٤ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٤ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٣ ، الباجي ، الخلاصة ،ص ١٠ .

(٣) ابن الاثير ،الكامل ،ج ٤ ص ٣٦٩ . ويقول : " فلما علم عبد الملك قتل زهير عظم عليه وعلى المسلمين وأهمه ذلك وشغله عن افريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير ، واجتمع المسلمون عليه فجهز جيشا كبيرا واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان ابن النعمان الفساني ،وسيرهم اليها سنة ٧٤هـ". فان نص ابن الاثير صريح فمن غير المعقول ان يوجه الخليفة هذا العدد الضخم في وقت تكون الخلافة فيه مهدده . ويبدو أن هذا الجيش سير أولا الى مصر سنة ٧٤ هـ وأمره الخليفة بالتوقف هناك تحسبا لما يحدث من فتن في الشام بعد مقتل ابن الزبير ،انظر في ذلك ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٤ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ١٩ ، المؤنس ،ص ٣٣ ،السراج ،ج ١ ،ق ٢ ، ص ٥٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظل هذا الجيش على أهبة الاستعداد في مصر حتى عاد الاستقرار الى بلاد الخلافة في المشرق وحينئذ تحرك الى افريقية . ففي سنة ٧٦ هـ (١) خرج حسان بن النعمان بجيشه الذى كانت تتكون عناصره من القبائل اليمنية بالدرجة الاولى (٢) فاجتاز برقة وطرابلس دون ان يلق مقاومة تذكر .

وينفرد ابن عبد الحكم برواية تفيد أن حسان نزل طرابلس ، حيث التحقت بالحملة امدادات اخرى عربية ، وبربرية من قبيلة لواتة : " فوجه على مقدمته محمد بن بكير وهلال بن شروان اللواتي وزهير بن قيس " (٣) . ولهذه الرواية اهمية خاصة في انها تبين ان الاسلام انتشر في لواتة ، وان المشاركين فيها كانوا في أعداد كبيرة مما جعل حسان يعين أحد

---

(١) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٩ . انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ابن ابي دينار ، ص ٣٣ . Diehl, L'afrique Byzantine, P.584, Gaudel, L'Afrique d nord les Byzantins etles Berberes avant les invisions Arabes, Paris, 1900, p.150, Ret M. Cornevin, p.114.

(٢) كان معظم جند الشام يمانية بالدرجة الاولى من غسان وحمير ومذحج وتنوخ ولخم وجذام وهمدان وطي والأزد وقضاعة وكنده وبعض القبائل من قيس . انظر الدورى ، العرب والارض في بلاد الشام ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحد رجالها وهو هلال ابن شروان اللواتي قائدا على مقدمة الجيش .

وصل حسان القيروان ودخلها دون أن يواجه أية مقاومة ، ثم توجه بعد ذلك الى الشمال حيث قرطاجنة ، القاعدة البيزنطية على الساحل (١) . ويبدو أن قدوم حسان أقلق الروم والبربر فتوجهوا نحو قرطاجنة ليتحصنوا بها ، ويقول ابن الاثير : " ... وسار (حسّان) الى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك افريقية ، ... فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة "(٢) ولم تطل المعركة مع البيزنطيين ودخل حسان قرطاجنة عنوة . ولم يكد حسان ينصرف منها عائدا الى القيروان حتى عاد اهلها

---

(١) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٩ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ ، انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣١ - ٣٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٠ - ٦١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٥ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، ابن أبي دينار ، ص ٧٣ ، مؤنس ، فتح العرب ، ص ٢٣٦ ، Diehl, L'afrique Byzantine, p.583, EI, T3,p.279, Pellegrin ; p.131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للاعصام بها مرة أخرى ، مما أضطر حسان لفتحها ثانية (١) " فهدم المسلمون ما أمكنهم منها " (٢) لكي لا يعود اليها من يطمع في التحصن بها .

ثم أعقب حسان حملته هذه بحملة على صطفورة وبنزرت فافتتحها ولم يتبع المنهزمين من الروم الذين تحصنوا في مدينة باجة ولا البربر الذين تحصنوا في مدينة بونة (٣) . ويبدو أن طول القتال قد نال من جيش حسان وأصاب منهم كثيرا ، " فعاد حسان الى القيروان ، لأن الجراح قد كثرت في أصحابه فأقام بها حتى صحوا " (٤) .

وبعد ضرب الروم التفت حسان الى زعامة البربر القائمة ، فيذكر ابن الاثير أنه قال : " دلوني على أعظم من بقي من ملوك افريقية ؟ فدلوه على امرأة تملك البربر وتعرف بالكاهنة " (٥) .

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٤ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٩ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٤ ، السراج ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٥٧ (يقال) .

(٢) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٩ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٩-٢٠ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٠ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .

(٥) ابن الاثير ، الكاكل ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ ، انظر النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتختلط الحقائق التاريخية بالاسطورة في الروايات عن شخصية الكاهنة (١) ، ولكنها تتفق على وجود الكاهنة "كملكة للمغرب" (٢) ، وعلى دورها الكبير في مقاومة المسلمين الفاتحين ودفاعها عن موطنها جبل الاوراس (٣) .

يصف ابن خلدون حال البربر بعد استشهاد زهير قائلا : " واضطربت افريقية نارا وافترق البربر وتعدد سلطانهم في روؤسائهم ، وكان من اعظمهم شأنا يومئذ الكاهنة داهيا بنت ماتيه بن تيفان ملكة جبل الاوراس ،وقومها من جراوة ملوك البتر وزعمائهم "(٤) وهذا يشعر بأن الكاهنة كانت زعيمة جراوة فقط وكان سلطانها ينحصر على منطقة جبل الاوراس .

---

(١) ابن عبد الحكم،ص ٢٠٠ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٣٤ - ٣٥ ،الرقيق ، ص ٦٠- ٦١ ، ٦٢ ، الدباغ،ج ١ ،ص ٦٥ - ٦٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٧ ، عبيد الله بن صالح ،ص ٢٢٢-٢٢٣ ،ابن خلدون ،ج ٦ ،ص ١٠٩-١١٠ ، ابن ابي دينار،ص ٣٥ ،السراج ، ج ١ ،ق ٢ ،ص ٥٣٦ ، الــــزاوى ، الفتح ،ص ٨٨ ،حسن حسني عبد الوهاب،خلاصة تاريخ تونس،ص ٦٠ - ٦١ ،
Gautier, Le passe de l'afrique,pp.256,Pellegrin,p.132.

(٢) ابن عبد الحكم،ص ٢٠٠ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٣٢ ، ابن الأثير ،الكامل ، ج ٤ ،ص ٣٧١ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٥ ، عبيد الله بن صالـــح ، ص ٢٢٢ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٢٠ ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٠٧ ، ابن ابي دينار،ص ٣٤ ، مفاخر البربر ، ص ٦٥ . EI.TIV,p.440-441

(٣) حسن حسني عبد الوهاب،شهيرات التونسيات،ص ١٧ - ٢١
Gautier,Le passe,p.255, Ret M Cornevin,p, 114,
EI, TIV, p. 440-441.

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير بعض المؤرخين الى علاقة الكاهنة بكسيلة وبثورته ، فابن عبد الحكم يدعو كسيلة بابن الكاهنة (١) ، وابن الاثير يذكر ان الكاهنة ثارت بسبب غضبها لمقتل كسيلة (٢) ، في حين يذكر ابن خلدون (والسلاوى) أن استشهاد عقبة بتهودة كان دافعه تحريض الكاهنة لكسيلة (٣) ، أما البكرى يذكر أن القائد البربرى الذى حارب بجانب كسيلة كان هو نفسه قائدا لمقدمة جيش الكاهنة (٤) .

ويفهم من هذه الاشارات أن هناك علاقة بين الحركتين ، ولكننا لا نعرف طبيعتها هل هي القرابة بين القبيلتين ؟ أو الشعور بالخطر المشترك ، فالمؤرخون لا يعطون تفسيرا لهذه العلاقة (٥) .
ولم يكن حسان يعلم ابتداء بأمر الكاهنة وقومها كما يفهم من ابن عذارى (٦) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ (عن الواقدى) .

(٣) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٩ ، السلاوى ، ج ١ ، ص ٩٣ .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٩ .

(٥) انظر ما أورده حسين مؤنس في فتح العرب للمغرب ، ص ١٤٣-١٤٤
Gautier, Le passe, p.259, et Pellegrin, p.132
M Talbi, " Un nouveau fragment de l'histoire de l'occident musulmane, p.42.
(يعتقد الطالبي ان الكاهنة كانت مسيحية) .

(٦) يقول ابن عذارى " لما دخل حسان القيروان أراح بها أياما . ثم سأل أهلها عمن بقي من أعظم ملوك افريقية ، ليسير اليه فيبيده أو يسلم فدلوه على أمرأة بجبل الأوراس يقال لها الكاهنة " ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأغلب الظن أن الكاهنة كانت تتوقع مسيرة الجيش العربي اليهـــا ، لأنها لم تكد تسمع بمسير حسان اليها حتى رحلت من الجبل في عدد : "لا يحصى ولا يدرك بالاستقصاء "(١) ، وسبقت حسان الى باغاية وهي مدينة حصينة على سفح الاوراس ،على مقربة من مواطن جراوة لكي تستمد منهـــا المدد والعون ثم ما لبثت ان هدمتها ظنا منها ان حسان يريد مدينـــة ليتحصن بها (٢) .

التقى حسان بن النعمان بالكاهنة عند نهر يدعى نيني أو مسكيانة على مرحلة من باغاى ومجانة . فانتصرت الكاهنة وقتل من العرب خلـــق، كثير وانسحب حسان الى قابس(٣) .

---

(١) انظر ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٥ .

(٢) ابن عذارى، ج ١ ،ص ٣٥ - ٣٦ ، انظر المالكي ،ج ١ ،ص ٣٢ ،الرقيق ، ص ٥٥ ، البكرى ،ص ٥٠ ، ابن الأثير ، الكامل ،ج ٤ ، ص ٣٧١ ، الدباغ، ج ١ ،ص ٦١ ، ابن خلدون ، ج ٧ ،ص ٩ ، ابن ابـــي دينار ، ص ٣٤ ،السراج ،ج ١ ،ق ٢ ،ص ٥٣٣ .

(٣) انظر ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٠ ،البلاذرى ،ص ٢٢٩ ، المالكـــي ، ج ١ ،ص ٣٢ - ٣٣ ، الرقيق ،ص ٥٦ - ٥٧ ، البكرى ، ص ٧ - ٨ ، ابن الاثير، الكامل ، ج ٤ ،ص ٣٧٠، الدباغ ، ج ١ ،ص ٦١ - ٦٢ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٦ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٢ ،النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٨٧ ، ج ٦ ،ص ١٠٩ ، ج ٧ ، ص ٩ ،ابن ابي دينار، ص ٣٤ ، السراج ، ج ١ ،ق ٢ ،ص ٥٣٣ ، السلاوى ،ج ١ ،ص ٩٣ - ٩٤ ،

Gautier, P.258, Pellegrin, p.132, A. Julien, Histoire de L'Af.N., p. 21 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتصور الروايات العربية عنف المقاومة وضراوة القتال والأثر البالغ الذى تركته هذه المعركة في نفوس العرب(١) .

أرسل حسان الى عبد الملك يطلب الامدادات فجاءه الجواب بالبقاء حيث هو، بسبب انشغال الخليفة بثورة الخوارج الصفرية .

وفي انتظار وصول الامدادات أقام حسان بعض المنشآت في برقـــة فبنى قصوره المعروفة بقصور حسان (٢) .

وكانت الكاهنة قد أسرت نفرا من المسلمين ، وتجمع الروايات علـــى أنها أحسنت معاملتهم وأطلقت سراحهم (٣) . وكان من بين هوءلاء الاسرى رجل من المقربين الى حسان وهو خالد بن يزيد العبسي فأبقته عندهـــا وبالغت في اكرامه حتى آخته بولديها (٤) . ويبدو من معاملة الكاهنة لخالد انها كانت تهدف الى التعرف على نوايا حسان وخططه ، ولكن خالدا لـــم يكن عند ظن الكاهنة به ،بل كان في هذه الاثناء يراسل حسانا ويصف لـــه أمر الكاهنة وافريقية وأفاد حسان في ذلك فائدة كبرى كما سنرى .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٦ ، انظر المالكي ،ج ١ ،ص ٣٣ ، الرقيـــق ، ص ٥٧ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٦٢ ، عبيد الله ، ص ٢٢٢ ، النويـــرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٠ .

(٢) خليفة ،تاريخ ، ص ٢٥٦ وما بعدها ، اليعقوبي ، تاريخ ،ج ٢ ،ص ٢٧٢-٢٧٣ ، الكندى ، ص ٤٠-٤١ ، الامامة،ج ٢ ،ص ٦٠ - ٦١ ، ابـــن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٦ ، ابن خلدون ، ج ٣ ،ص ١٣٧ .

(٣) ابن عبد الحكم،ص ٢٠٠ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٣٥ ، الرقيق ، ص ٥٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٠ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاحظت الكاهنة ان العرب يتجهون في فتحاتهم الى المدائن والنواحي العامرة فأرادت قطع رجاءهم في هذه البلاد بتخريب المعالم العمرانية فيها . يقول ابن عذارى : " وملكت الكاهنة المغرب كله بعد حسان خمس سنين ، فلما رأت ابطاء العرب عنها ، قالت للبربر : ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ونحن انما نريد منها المزارع والمراعي ! فلا نرى لكم الا خراب بلاد افريقية كلها ، حتى ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر الدهر "(١) ، واستجاب لها قومها من جراوة الذين كان يغلب عليهم الطابع البدوى ، فذهبوا الى كل ناحية ، يقطعون الشجر ، ويهدمون الحصون (٢) " ... فكانت افريقية من طرابلس الى طنجة ظلا

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٦ . أما ليفي بوفنسال فينسب هذا التخريب والدمار اللذين وصلت اليهما افريقية ، الى العرب . انظر عبيد الله ابن صالح ، تحقيق بروفنسال ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ، ويؤيده في رأيه جوتيه Gautier, p.261 ، الا ان ما أورده ابن ناجي ينفي هذا الرأى اذ يقول : "وكان قد وجه اليه (أى الى حسان) عبد الملك بن مروان يأمره بالنهوض الى افريقية قبل ان تخربها ". انظر الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٥ و Pellegrin, p. 130

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقرى متصلة فأخربت جميع ذلك "(١) . وقد أضر هذا التخريب بالبرانس والأفارقة حتى ألجأهم الى الفرار وطلب المساعدة " وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة ، فتفرقوا على الأندلس وسائر الجزر البحرية "(٢) .

وقد وصف ابن الاثير ما آل اليه حكم الكاهنة : " وملكت افريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم "(٣) . ولم يلبث الامتياء أن عم البلاد من تصرف الكاهنة وأسرع بعض اهلها فاستغاث بحسان واستقدمه (٤) .

ومن ناحية أخرى كان لسقوط قرطاجنة بيد المسلمين أثر بالغ على البيزنطيين ، ووجدوا في خروج حسان من افريقية ، والفوضى التي عمّت البلاد مجالا لاعادة نفوذهم في الشمال الافريقي . فجهز الامبراطور ليونتوس - الذى خلف جستنيان الثاني سنة ٦٩٥ م - حملة كبيرة بقيادة البطريق يوحنا الى افريقية وأعد اسطولا كبيرا لنقل الجند اليها ، فتمكنت القوة البيزنطية من أستعادة قرطاجنة سنة ٧٨ هـ ، دون مقاومة تذكر واضطر أبو صالح نائب حسان عليها أن ينسحب منها مع من كان معه من المسلمين ودخلها البطريق يوحنا (٥) .

---

(١) الرقيق ، ص ٦١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢١ (عن عبد الرحمن بن يزيد بن أنعم) .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٧١

(٤) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢١ ، انظر الرقيق ، ص ٦١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٥-٥٣٦ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٧ ، البكرى ، ص ٣٧-٣٨ ، التيجاني ، رحلة ، ص ٥ - ٦ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ٦١ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤٢ ، انظر حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٢٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتضح من دراسة حركة الفتح أن مصير المغرب كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالاوضاع في المشرق . أقام حسان في منطقة طرابلس قرب سرت في المكان المسمى قصور حسان خمس سنين ، وحين استقرت الاوضاع في المشرق سارع عبد الملك بارسال المدد الى حسان وأمره بالمسير الى افريقية في أواخر سنة ٨١ هـ (١) .

يبدو أن حسانا اتبع اسلوب الاستطلاع والحذر هذه المرة ، وأنهج بتأليف البربر . فكتب الى خالد بن يزيد العبسي مع رجل يثق به ليتعرف على وضع الكاهنة ، فأجاب خالد على ظهر الكتاب " ان البربر متفرقون لا نظام لهم ولا رأى عندهم ، فأطوى المراحل ، وجد في السير" (٢) .

وتشعر الروايات ان الكاهنة شعرت بتحدى في النظرة الى نتيجة التذمر (٣) ، وكانت متخوفة من العرب (٤) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ ، البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٧١-٣٧٢ ، البكرى ، وصف ، ص ٨ ، الرقيق ، ص ٥٧ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٦ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٤ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٣ ، السلاوى ، ج ١ ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٩ اذ يقول : " وشق ذلك على البربر فاستأمنوا لحسان فأمنهم " .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ ، الرقيق ، ص ٦٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢١ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعكس مما حدث عند دخول حسان في المرة الأولى الى افريقية لمس المسلمون في تقدمهم الثاني تعاطفا وقبولا من الأهالي ، ويصور ابن الاثير الوضع بقوله : " فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من أهلها ومن الروم يستغيثون به من الكاهنة ، ويشكون اليه منها ، فسره ذلك ، وسار الى قابس فلقيه أهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الامراء ، وجعل فيها عاملا ، وسار الى قفصة يستقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوة وبلغ الكاهنة قدومه "(١) .

ويبدو أن جماعات من البربر انضمت الى حسان (٢) ، ولعل ذلك يشعر بارتياح الى سياسته ، في حين ان الانقسام بدا في صفوف اتباع الكاهنة (٣) .

وتذكر الروايات انها فضلت ان تستأمن لولديها عند حسان بوساطة خالد بن يزيد ، وفي ذلك غرابة ولعل الأرجح انهما انفصلا عنها مع

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٧١ ، وانظر الرقيق ، ص ٦١ - ٦٢ (نفس الصيغة) وانظر كذلك ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٦ - ٣٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢١ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٥- ٥٣٦ .

(٢) راجع ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٨ اذ يقول : " وكان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا اليه " .

(٣) الرقيق ، ص ٥٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جماعة من قومها ،وهذا ما جعل حسان يولي الابن الأكبر على جماعة من البتر معه (١) .

ودارت المعركة بين الكاهنة وحسان على مقربة من قابس(٢)، وانتهت بنصر كبير للمسلمين وبمقتل الكاهنة عند بئر سمي " بئر الكاهنة " (٣) .

---

(١) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٨ ، وانظر ابن عبد الحكم، ص ٢٠١ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٣٥ - ٣٦ ،الرقيق ،ص ٦٢ - ٦٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ،ص٣٧٢، الدباغ، ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٢- ٢٢٣ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٨٧ ، ج ٦ ،ص ١٠٩ ، ج ٧ ،ص ٩ ،السراج ، الحلل ،ج ١ ،ق ٢ ،ص ٥٣٦ Gautier, Le passe, p.262, R et M Cornevin, p. 114, Pellegrin, p.132.

(٢) انظر ابن عبد الحكم ،ص ٢٠١ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٣٥ - ٣٦ ،الرقيق ، ص ٦٢ - ٦٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ،ص ٣٧١، الدباغ ،ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٧ - ٣٨ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، ج ٦ ،ص ١٠٩ ، ج ٧ ،ص ٩ ،ابن ابي دينار ، ص ٣٤ ، السراج ،ج ١ ،ق ٢ ،ص ٥٣٦ .

(٣) انظر ابن عبد الحكم ،ص ٢٠١ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٣٦ ،البكرى ،وصف، ص ٣١ ، الرقيق ، ص ٦٣ - ٦٤ ، الدباغ ،ج ١ ،ص ٣٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٨ ، عبيد الله ، ص ٢٢٣ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٠٩ ،حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ،ص ٦١ (في قصر الجمّ) R et M Cornevin, p.114, Pellegrin, p.132.
ويذكر كل من الدباغ والبكرى والسراج انها قتلت عند طبرقة . انظر الدباغ ،ج ١ ،ص ٦٧ (يقال) ، البكرى ،ص ٥٧ ، السراج ، ج ١ ، ق ٢ ،ص ٥٣٧ (عن ابن ناجي) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد هذا الانتصار عاد حسان الى القيروان في سنة ٨٢ هـ ومنها زحف الى قرطاجنة وأعاد فتحها (١) . وبهذا النصر المزدوج خلصت أرض افريقية للمسلمين ، تلت ذلك فترة استقرار ثم انطلاق لفتح ما تبقى من المغرب .

نهج حسان نفس السياسة التي سار عليها أبو المهاجر وهي تأليف البربر واشراكهم في الفتوح ولعله توسع في ذلك باد خالها في الجيش على نطاق واسع (٢) ، فكانت سياسته خطوة كبيرة في اكتساب ولاء البربر واخلاصهم .

ففي حملته الاولى عين هلال بن شروان اللواتي قائدا على مقدمته مع اثنين من العرب هما محمد بن بكير وزهير بن قيس (٣) . كما استعان بالبربر كعيون ، فقد أرسل أحد رجالهم الذى أسلم طوعا ليأتيه بالأخبار عما يجرى في معسكر الكاهنة (٤) ورحب بولدي الكاهنة وولّى أكبرهما قيادة الجيش في منطقة الاوراس واثقا باخلاصه وحسن اسلامه مما ادى الى

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٣٧ - ٣٨ ، التيجاني ، ص ٥ - ٦ ، وانظر المالكي ، ج ١ ،ص ٣٧ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٦٥ ، السراج ، ج ١ ،ق ٢ ، ص ٥٤٢ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٢٠٠ .

(٤) الرقيق ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسـلام نفر كبير من البتر (١) .

ويبدو نجاح سياسته من استغاثة اهل قابس وقفصة وقسطيلية وأهـل نفزاوة به " فسره ذلك " (٢) .

واتبع حسان في سياسته اسلوبا مميزا وذلك بالصلح على مال مقدم ، " ومضى حتى وصل الى قابس فخرج اليه اهلها ... فاستأمنوا اليه وأدخلوا عامله فأمنهم على مال معلوم " (٣) ، أو بأخذ الرهائن (٤) ، يقول المالكي :

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠١ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣٥ ، الرقيق ، ص ٦٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٨ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٣ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، ج ٧ ، ص ٩ ، وانظر شكرى فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٧٩ ، Gautier, p.262, Pellegrin, p.132, R. et M. Cornevin, p.262 .

(٢) الرقيق ، ص ٦١ - ٦٢ ، وانظر المالكي ، ج ١ ، ص ٣٥ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٥ ، السراج ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٦ . ويعلق ابن شباط على قول الرقيق فيقول : " والظاهر قوله (فسره ذلك) يوءذن بأن هذا فتح واذا كان فتحا فهو صلح ، ويحتمل ان يكون اهل هذا البلد على عهد تقدم ولذلك أهدوا اليه " .

(٣) الرقيق ، ص ٦٢ ، السراج ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٦ .

(٤) انظر شكرى فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٦٤ ، أحمد بـدر ، التنظيم العسكرى عند العرب المسلمين في مجلة دراسات تاريخيـة ، العدد ٤ ، ص ١٢٢ ، دمشق ١٩٨١م ، J. Berques, Les Arabes, p.61 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ثم ان الروم والبربر تخوفوا بعد ذلك واجتمعوا على قتال حسان وقاتلــــوه فهزمهم الله تعالى ، فلم يقبل أمانهم حتى أعطوه من جميع قبائلهم اثـــني عشر ألف فارس تكون مع العرب مجاهدين فأجابوه وأسلموا . . . "(١) . كما أنه التفت الى تألف الرؤساء فقد عقد لولدي الكاهنة على اثني عشر ألــف فارس،لكل واحد منهما على ستة آلاف ليجاهدوا مع العرب(٢) .

وبهذه السياسة ضمن حسان ولاء البربر وحبب لهم الاسلام " فأجابوه وأسلموا "(٣) ، وحين جند البربر ساوى بينهم وبين العرب المسلمين وذلك وفقا لمبادئ المساواة في الاسلام ، ففرض لهم ومنحهم نصيبهم من الغنائم(٤) ، ثم خطا خطوة كبرى بأن قسم المغرب خططا للبربر(٥) . ويبدو أن حسانا اعتبر أرض المغرب أرضا أسلم عليها اهلها ، يقول أبو زكريا يحيى بن أبـــي

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ٣٦ وانظر الرقيق ،ص ٦٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ،ص ٣٧١، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٣٨ ،عبيد الله ،ص ٢٢٣ - الدباغ، ج ١ ،ص ٦٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٨٧ ، ج ٦ ،ص ١٠٩ ،ابن ابي دينار،ص ٣٥ ، السراج ، ج ١ ،ق ٢ ،ص ٥٣٧ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٣) ن . م . ج ١ ،ص ٣٦ .

(٤) ن . م . ج ١ ، ص ٣٦ .

(٥) ن . م . ج ١ ، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكر : " أنه لا خلاف في أن أهل المغرب أسلموا عليها فلم يعز الى عنوة ولا الى صلح "(١) ، ومن هذا المنطلق جعل حسان لكل قبيلة بربرية أسلمت عدلة تسأل عنها وتؤدى عنها العشر .

وكان حسان أول أمير اهتم بالتنظيم الادارى في المغرب خلال مدة اقامته بافريقية (٨٢ هـ - ٨٦ هـ) ، ورغم قلة المعلومات يمكن اعطاء فكرة عن ذلك . فقد أنشأ الديوان أو ديوان الجند ، وهو سجل يحفظ فيه اسماء المقاتلين وأنسابهم وصفاتهم ومقدار أعطياتهم ، ونظم ديوان الخراج بأن عني بتحديد الجزية والخراج . يقول ابن عذارى : " فدون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم افريقية وعلى من اقام معهم على دين النصرانية "(٢) ، وكان عامتهم من البرانس الا قليلا من البتر(٣) .

---

(١) يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٦٥ " ويحكى ان احد عمال المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس حين تغلب على أرض فاس قال لهم : أخبروني عن ارضكم أصلح هي أم عنوة ؟ فقالوا له : لا جواب لنا حتى يأتي الفقيه - يعنون - أبا جيدة ، فجاء الشيخ المذكور فسأله العامل فقال : ليست بصلح ولا عنوة انما أسلم عليها اهلها . فقال : خلصكم الرجل " . انظر السلاوى ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٨ ، انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ ، الرقيق ، ص ٦٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، ج ٦ ، ص ١١٠ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم حسان اهتماما ملحوظا بالقيروان فجدد بناء مسجدها أحسن مما كان عليه أيام عقبة (١) . ويبدو أن تجديد جامع القيروان وتوسيعه يرجع الى أن القيروان عمرت وكثر فيها المسلمون واطمأنوا للاقامة بها (٢) .

واهتم حسان بتعليم البربر الذين انضموا الى المقاتلة مبادىء الاسلام " فترك معهم ثلاثة عشر رجلا من علماء التابعين يعلمون لهم القرآن وشرائع دينهم "(٣) كما بث الدعاة في مختلف القبائل لنشر الاسلام بين البربر " فعزموا على الاسلام بنية صحيحة ، فبنوا المساجد ، وحولوا القبلات للمساجد التي كانت لهم قبل ذلك ، واستعملوا المنابر في المساجد التي عزموا أن يجعلوا فيها الجماعات "(٤) . ومن ذلك بناءهم لمسجد أغمات سنة ٨٥ هـ(٥) .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٢٢-٢٣ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٣٧ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، السراج ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧٥٩ ، حسن حسني عبدالوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣) عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٣ ، وانظر عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٣ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٣ ، وانظر عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والظاهر أن اقبال البربر على الاسلام في هذه الفترة يعود الى سياسة حسان العادلة وتطبيقه لمبادئ المساواة التي لم يعرفوها أيام الحكم الروماني مهما بلغت ثقافتهم ومكانتهم الاجتماعية (١) .

أدرك حسان أن الانتصار على قرطاجنة غير كاف ويجب حماية الساحل بانشاء محرس بحرى، يواجه الروم اذا حاولوا النزول الى البر، وبناء أسطول في افريقية (٢) . فقام بحفر خليج متسع يصل بحيرة تونس بماء البحر من جهة رادس (٣) من ناحية، وبحلق الوادى من ناحية اخرى ليربط تونس بالبحر، وهذا ما أشار اليه صاحب المؤنس " ان حسانا هو الذى خرق البحر الى تونس " (٤) . ثم شرع في بناء اول دار صناعة في افريقية لانشاء الاساطيل (٥) . وطلب من الخليفة ان يبعث اليه بمن كانت له خبرة في انشاء دور الصناعة وبناء السفن . فكتب الخليفة الى أمير مصر

---

(١) Marcel Benabou, La resistance, africaine a la romanisation, p.584,585.

(٢) التيجاني ، الرحلة ، ص ٢٣ .

(٣) وقد كان هذا الميناء يونانيا قديما ،اضمحل أمره ولم يبق منه الا دير يقيم به طائفة من الرهبان . انظر ابن أبي دينار، ص ٨ ، ١٠ ، السراج ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٥٦٠ .

(٤) ابن أبي دينار، ص ٣٥ .

(٥) ابن أبي دينار، ص ١٥ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٣٢ ، ٣٧ ، البكرى ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ٦٠ - ٦٢ ، التيجاني ، ص ٦ - ٧ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٨ ، السراج ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٥٦٤ - ٥٦٥ ، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد العزيز بن مروان ان يوجه الى تونس ألف قبطي مع اهلهم ، وأشار على حسان ان يبني لهم دار صناعة ليعملوا فيها (١) .

وأنشأ حسان مدينة اسلامية ثانية بافريقية أصبحت رباطا يحمي القيروان ومحرسا للبحر وميناء جديدا للبلاد (٢) . وصارت تونس ثانية المواصم الافريقية حين أولاها حسان اهتمامه ، فأقام فيها مسجدا وخطط دورها ، وبدأ الاقبال عليها ، لأن موقعها على شاطئ السبخة حبب للمسلمين تعميرها وسكناها (٣) . وقد أثبتت الأحداث حسن اختيار حسان لقاعدة تونس ، فبعدها عن البحر جعل العرب يطمئنون لسكناها ، وسهل على الحامية العربية الدفاع عنها اذ تكفي مراقبة السبخة كي ينتبه اهل المدينة لأي خطر قبل وصوله الى الميناء الجديد (٤) . كما ان مياه

---

(١) البكري ، ص ٣٨ - ٣٩ ، انظر الرقيق ، ص ٦٦ ، ابن أبي دينار ، ص ١٥ - ١٦ ، السراج ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

(٢) البكري ، ص ٣٨ - ٣٩ ، التيجاني ، ص ٦ .

(٣) البكري ، ص ٣٧ ، ابن أبي دينار ، ص ٩ (عن ابن الشماع) ، ص ١٥ (قال) ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٤٠٤ ، السراج ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٥٦٠ (عن ابن الشماع) ، ص ٥٦١ ، (عن البكري) ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٢٩١ . Pellegrin, p. 131

(٤) صالح بن قربة ، حسان بن النعمان ودوره في نشر الاسلام ، ص ٨٧ ، في الاصالة ، عدد ٦٤ ، ديسمبر ١٩٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحيرة الهادئة هيأت للسفن الاسلامية الحماية من عواصف البحـــــر وأنوائــه (١) .

وفي سنة ٨٥ هـ عزل حسان بن النعمان من قبل والى مصر عبــد العزيز بن مروان ، ويذكر أن خلافا نشب بين حسان وعبد العزيز على ولايتي برقة وطرابلس أثر تعيين عبد العزيز واليا منفصلا عليها ،فلم يوافق حســـان على هذا الأمر (٢) .

ويبدو أن المشكلة هي ان حسان رأى انه تابع للخليفة مباشـــرة وأن افريقية ولاية (٣) ، بينما رأى أمير مصر انها تابعة له وأن حسان يجـــب أن يراجعه ولذلك أخذ أغلب الغنائم والهدايا الثمينة التي كان حسان ينـــوى أن يحملها الى الخليفة في دمشق ، فحين وصل حسان الى دمشق شـــكاه للخليفة وأعطاه ما تبقى من الغنائم (٤) . وواضح من شكوى حسان انـــه يرى أن عبد العزيز يتهمه بالخيانة المالية ظلما ، فحين اراد الخليفـــة مكافأته برده الى ولاية افريقية رفض حسان وأقسم انه لا يولي لبني أميـــة أبدا (٥) .

---

(١) ابراهيم العدوى ،الاساطيل العربية ،ص ١٤١ ، وانظر الامامـــة ، ج ٢ ،ص ٧٠ .

(٢) ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٣ ،انظر خليفة ،تاريخ ،ص ٢٧٧ ، الكندى ، ص ٥٢ ،الامامة ، ج ٢ ،ص ٦١ ، ابن الابار ،الحلة ،ج ٢ ،ص ٣٣٢ .

(٣) البكرى ،ص ٣٨ ، الرقيق ، ص ٦٦ .

(٤) انظر ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،الرقيق ،ص ٦٦-٦٧ ، الامامة ، ج ٢ ،ص ٦٤ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٨-٣٩ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٢١-٢٢ .

(٥) انظر ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٤ ،الرقيق ،ص ٦٦ ، ٦٧ ، ابن عـذارى ، ج ١ ،ص ٣٩ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يستبعد أن عبد العزيز كان يرغب أن تدار افريقية من قبل أحد رجاله ، واصرار عبد العزيز لتولية موسى بن نصير دليل على ذلك ، فحمل الخليفة الوليد بن عبد الملك على تعيين موسى بن نصير على افريقية سنة ٨٦ هـ . (١)

خرج موسى بن نصير من مصر الى افريقية مصحوبا ببعض المتطوعين من رجال القبائل العربية هناك (٢) . واعتمد في حملاته على العرب والبربر المسلمين الذين كونوا جيش حسان (٣) . ويبدو ان عدد الجيش الذى كان مع موسى بن نصير حين غزا ديار صنهاجة سنة ٨٦ هـ وصل الى ستة آلاف مقاتل عدا القبائل البربرية التي شاركت في الغزو . وينفرد مؤلف

---

(١) كان موسى بن نصير مستشارا ووزيرا لعبد العزيز بن مروان سنة ٦٥ هـ فكانت له مكانة خاصة عند والي مصر . انظر في ذلك خليفة ، تاريخ ، ص ٢٧٧ ، ٢٩٨ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ ، الكندى ، ص ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٨ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ - ٦٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٠ - ٤١ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٣ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢٩ (عن ابن حيان) ، ابن ابي دينار ، ص ٣٥ .

(٢) أخبار مجموعة من ، ص ٣ - ٤ ، المقرى ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، ٢٥٠ .

(٣) انظر ما سبق في حملة حسان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الامامة بهذا الخبر فيذكر أن الجيش كان يتكون من أربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعة ، ومن قبائل البربر وخلف أحد قادته وهو عياش بن أخيل على أثقال المسلمين وعيالهم في طبنة (١) . ويبدو أن جماعات أخرى وفدت على موسى بن نصير من الشام أثر سماعها بوفرة الغنائم ، " فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الى الغرب فخرج نحو مما كان معه " (٢) .

ويمكن تقديم رقم تقريبي لجيش موسى بن نصير وبيان عناصره من بعض المعلومات والشخصيات التي شاركت في حملاته في فتح المغرب والاندلس سنة ٩٣ هـ . فقد كان يرافق موسى بن نصير جيش عربي يقدر عدده بنحو ثمانية عشر ألف مقاتل (٣) معظمه من القبائل اليمنية (٤) التي كانت قد استقرت بافريقية ولها خطط بالقيروان . وضمت الحملة عددا من

---

(١) الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٢) ن . م . ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٥ ، فتح الاندلس ، ص ١٠ ، المقرى ، ج ١ ، ص ٢٦٩ (عن ابن حيان) ، الغساني ، الرسالة الشريفة ، ص ١٩٢ ، ابن شباط ، صلة السمط ، ص ١١٦ - ١١٧ ، ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ ، ابن حزم ، ص ٤٣٠ ، اخبار مجموعة ، ص ١٥ ، فتح الاندلس ، ص ١٠ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، الغساني ، الرسالة ، ص ١٩٢ .

(٥) انظر الفصل الثالث عن استقرار القبائل العربية في القيروان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التابعين من قريش والأنصار كانوا يتولون قيادة وحدات الجيش . فقد ساهم من قريش ، من فهر ، أولاد عقبة ، ومنهم أبو عبيدة ، وعياض ، وعثمان ، وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة وابنه عبد الرحمن ، وعثمان بن عبيدة القرشي الفهرى وأبو صالح الفهرى خليفة حسان بن النعمان على القيروان (١) . ومن بني زهرة ، عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، أحد قادة ميسرة جيش موسى أثناء فتح الاندلس ، وعبد الرحمن بن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (٢) . ومن بني عبد الدار ، المغيرة بن أبي بردة القرشي ، وعامر بن عمرو بن وهب (٣) . ومن بني عامر بن لؤى ، بسر بن أبي أرطأة فاتح قلعة مجانة ، والتي نسبت اليه فيما بعد " بقلعة بسر " (٤) .

---

(١) انظر ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، الحميدى ، جدوة المقتبس ، ص ١٩٩ ، الرقيق ، ٧٧ ، ٨٥ ، ابن حزم ، ص ١٧٨ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤١ ، ج ٢ ، ص ١٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، المقرى ، نفح ، ج ٣ ، ص ١٠ ، ٢٥ .

(٢) الامامة ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، ابن حزم ، ص ١٣٢ ، المقرى ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ، ج ٣ ، ص ١١ ، ٦٤ .

(٣) خليفة ، تاريخ ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٧ ، ٧٩ ، ٨٢ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٩٧ ، ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ .

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ ، البلاذرى ، ص ٢٣٠ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٩ ، البكرى ، ص ١٤٥ ، الرقيق ، ص ٧٠ - ٧١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٤٠ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن بني عدي بن كعب ، عثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب (١) . ومن سهم ، يحيى بن يعمر السهمي ، أحد الشهود على معاهدة الصلح التي عقدت بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير (٢) . وشارك من هذيل ،عطاء بن أبي نافع الهذلي ،وأبو عاصم الهذلي ، وحسان بن يسار الهذلي (٣) ، ومن ليث ، يزيد بن عامر الليثي الذى أسلم على يده شملال المصمودى الاصادى (٤) ، ومن تميم ،زياد بن نابغة التميمي (٥) ، ومن ربيعة ، سعدون الربعي الذى شهد على وثيقة الصلح مع تدمير (٦). وشارك من عشائر قيس ، سليم ،منهم حمود بن عنبسة بن حارث السليمي (٧) وفهم ، منهم عبد الله بن ميسرة الفهمي وكان أحد الشهود الذين وقعوا على معاهدة الصلح مع تدمير (٨) .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ١٠١ ، ١٠٥ ، وانظر ابن حزم ،ص ١٥٤ .

(٢) العذرى ، نصوص عن الاندلس ،ص ٥ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ ، العذرى ، نصوص ،ص ٥ ، الامامة ، ج ٢ ،ص ٧٠ ، ٧٨ .

(٤) عياض ، المدارك ، ج ٣ ،ص ٣٧٦ - ٣٦٤ .

(٥) ابن عبد الحكم ،ص ٢١٢ ، الحميدى ، جدوة ،ص ٢١٩ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٢٨٠ ، أخبار مجموعة ، ص ٢٠ ، ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٦) العذرى ، نصوص عن الاندلس ، ص ٥ .

(٧) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٢ ،ص ١٤٣ .

(٨) الضبي ، بغية ، ص ٣٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشارك من القبائل اليمنية : سبأ ، ومنهم التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني (١) ، ويحصب ، ومنهم القائد يزيد بن مسروق اليحصبي (٢) . ويبدو أن أعدادا كثيرة من يحصب كانت في جيش موسى وعبرت معه الاندلس واستقر بعضها هناك في زمن الفتح وسميت قلعة باسمها في منطقة جيّان (٣) .

وكان مستقر غافق في كل من مصر وشمال افريقية وعند ما عبر موسى بن نصير الى الاندلس التحق بعض الغافقيين بجيشه (٤) . وكان من لخم ، قائد الحملة ، موسى بن نصير وأبناؤه مروان وعبد الله وعبد العزيز وعبد الأعلى وعبد الملك ، ومن قادته ، صبيح اللخمي ، وعبد الرحمن بن علقمة اللخمي ، وزياد بن عمرو اللخمي وابن أخت موسى ، أيوب بن حبيب اللخمي والتابعي علي بن رباح اللخمي وبشر بن قيس اللخمي (٥) . وشارك من جذام بنو هود (٦) ومن الأزد ، عبد الله بن حذيفة الأزدي ويعيش بن عبد الله الازدي (٧) ومن الاصبح ، عمرو بن أويس الأصبحي (٨) ومن خشين ، عبد الملك

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٧٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ١٢٢ ، ١٨٧ ، عبد الغني عبود ، تاريخ التعليم في الاندلس ، ص ٧٢ .

(٢) خليفة ، تاريخ ، ص ٣٢٨ .

(٣) ابن حزم ، ص ٤٠٦ .

(٤) الامامة ، ج ٢ ، ص ٧٠ .

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٤ ، ٢١١ ، الرقيق ، ص ٦٨-٨٩ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٤- ٨٥ .

(٦) ذنون ، الفتح ، ص ٢٢٢ .

(٧) خليفة ، تاريخ ، ص ٣٠٠ ، العذري ، نصوص ، ص ٥ .

(٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخشيني (١) ،ومن شيبان ، حبشر الشيباني (٢) ، ومن المعافر ،التابعي أبو عبد الرحمن الحبلي المعافرى وعبد الملك بن أبي عامر المعافرى الذى عبر مع طارق بن زياد الى الاندلس ولعب دورا كبيرا في افتتاح الجزيرة الخضراء وحصن قرطاجنة (Torre de Cartegena) ، وعبد الله بن يزيد المعافرى (٣) ، ومن تجيب ، سليمان بن قيس ونعيم بن عبد الرحمن ابن معاوية بن حديج ،وعميرة بن المهاجر وأخوه عبد الله بن المهاجر (٤) ، ومن حضر موت ، النعمان بن عبد الله (٥) ، ومن الصدف ،أبو شبة الصدفي (٦) ، ومن مهرة ، عبد الله بن شماتة المهرى (٧) ، ومن بليّ ، زياد بن عذرة البلوى (٨) ،ومن سعد العشيرة ،عبد الله بن بشير بن أبي ضمرة السعدى (٩) .

---

(١) الامامة ، ج ٢ ،ص ٦٣ .

(٢) ن . م . ج ٢ ،ص ٨٠ .

(٣) ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٩ ، ابن القوطية ،افتتاح الاندلس ،ص ٨-٩ ، الامامة ، ج ٢ ،ص ٧٥ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ١٨٠ ، ١٨٤ ، ابن عذارى ، ج ٢ ،ص ٩ ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٢ ،ص ١٠٢ ، أعمال الأعلام ،ق ٢ ،ص ٥٩ ،المقرى ، نفح ، ج ٣ ،ص ٩ .

(٤) ذنون ، الفتح ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٥) ن . م . ص ٢٢٥ .

(٦) الامامة ، ج ٢ ،ص ٧٧ .

(٧) المقرى ، نفح ، ج ٣ ،ص ٦٠ - ٦١ .

(٨) الرقيق ،ص ٩٥ ، ٢٠٣ ، ابن عذارى ، ج ٢ ،ص ٢٤ .

(٩) ذنون ، الفتح ، ص ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان في الجيش بعض الشخصيات التي لم نعثر على أنسابها مثل عياش بن أخيل صاحب شرطة موسى ، وعبد الله بن مرة أحد قادة موسى الذى أرسل الى سردانية سنة ٨٦ هـ ، وجعفر بن الأشطر الذى يروى عن فتح الاندلس وعبد الرحمن بن سلام وهو من شهد الفتح مع موسى وأحد رواته (١) . وضم جيش موسى جماعة من الانصار ومنهم محمد بن أوس الانصارى ، من قادة وحدات الجيش ، وعيسى بن عبد الله الطويل الذى كان على تقسيم الغنائم في فتح الاندلس (٢) . وكان فيه شخصيات من البربر مثل طارق ابن زياد وأبو مدرك زرعة بن أبي مدرك (٣) .

برز موسى بن نصير قائدا منتصرا في فتح المغرب ويرجع ذلك الى السياسة التي اتبعها مع الأهالي وهي سياسة التعاون والاندماج الكلي مع البربر (٤) . فحين كان يقدم على موسى وفود القبائل ليعلنوا ولاءهم كان يولي عليهم رجلا منهم ويأخذ رهائن من خيارهم لضمان هذا الولاء ، كما فعل مع وفد كتامة (٥) ومع وفد مصمودة وغيرهم (٦) . ولكن ما أن يعتنق البربر الاسلام ، كان موسى يقر زعماءهم في الرئاسة مقابل مساهمة كل قبيلة بعدد كاف من المقاتلين للانضمام للمقاتلة العرب . وأعطت

---

(١) الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١١ ، ٢١٥ ، الحميدى ، جذوة ، ص ٤٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٣) الامامة ، ج ٢ ، ص ٧٠ ، ابن شباط ، صلة ، ١٠٦ .

(٤) الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٩ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٢ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٤ .

(٥) الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، ٧١ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٦) ويذكر ابن عذارى : " حمل أبو مدرك زرعة بن أبي مدرك رهائن المصامدة ، فجمعهم موسى مع رهائن البربر الذين اخذهم من افريقية والمغرب " انظر ج ١ ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياسة التفاهم هذه ثمارها . فقد استطاع موسى أن يجند اعدادا كبيرة من قبائل البربر مثل كتامة ، وهوارة ، وزناتة ،ومصمودة (١) . وألحق موسى ابن نصير هؤلاء المقاتلة من البربر مع جراوة الذين كانوا قد جنّدوا في عهد حسان ، ووضعهم جميعا في حامية طنجة تحت قيادة طارق بن زيا النفزاوى الذى وليها سنة ٩٠ هـ من قبل موسى بن نصير (٢) .

وكان موسى بن نصير يعتق بعض سباياهم ويتولاهم في نطاق خطته لتشجيع البربر على الدخول في الاسلام ،ويحدثنا بذلك صاحب الامامة بقوله : " وكان موسى بن نصير اذا أفاء الله عليه شيئا ، اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام وينجب ،فيعرض عليه الاسلام ،فان رضي قبله من بعد أن يمحص عقله ويجرب فطنة فهمه ، فان وجده ماهرا امضى عتقه وتولاه ، وان لم يجد فيه مهارة ردّه في الخمس والسهام " (٣) .

كما طبق مبدأ المساواة في النفل بين البربر المسلمين والعرب الذين أبلوا بلاء حسنا وذلك تشجيعا لهم وتقديرا لبلائهم ، " وكتب موسى الى عبد العزيز ببلال زرعة بن أبي مدرك وما اوصله ،وأنه لولا ذلك أوفده الى أمير المؤمنين ، ففرض له عبد العزيز في مائة ، وفرض لثلاثين

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٢ ، عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٤ ، انظر الامامة ، ج ٢ ،ص ٦٦ ، ٧١ .

(٢) الرقيق ،ص ٦٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٢ ،عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٤ .

(٣) الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رجلا من قومه "(١) . وبهذا التصرف تمكن موسى من جلب أعداد كبيرة الى الاسلام واشراكهم في الجيش العربي .

واختلف المؤرخون في عدد المقاتلة من البربر المسلمين ، فيذكر ابن عبد الحكم في رواية سبعة عشر ألفا ، وفي رواية أخرى اثني عشر ألفا (٢) ، ويؤيده في الرواية الثانية كل من : الرقيق وابن الاثير وابن خلدون ، ويجعل ابن أبي دينار فرسان العرب والبربر سبعة عشر الفا (٤) ، والراجح ان العدد اثنا عشر ألفا لأن طارقا خرج من طنجة بهذا العدد

---

(١) الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٩ . كان زرعة بن أبي مدرك قد أبلى بلاء حسنا في فتح سجوما ويشهد على ذلك ما ذكره مؤلف الامامة فقال : " قاتل يومئذ زرعة بن أبي مدرك قتالا شديدا أبلى فيه حتى اندقت ساقه ، قال : فآلى موسى ان لا يحمل الا على رقاب الرجال ، حتى يدخل القيروان ، وأن يحمله خمسون رجلا ، كل يوم يتعاقبون بينهم " ، انظر الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٨ (قال) .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٤٠ (يقال) .

(٣) الرقيق ، ص ٦٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٤٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١١٠ .

(٤) ابن ابي دينار ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لفتح الاندلس ،فيذكر ابن شباط ان طارقا " اجتمع اليه اثنا عشر الف مقاتل من البربر ، ليس فيهم من العرب الا نفر يسير "(١) .

ويبدو أن موسى بن نصير حين دخل افريقية وجدها في حاجة ماسة الى ادارة مستقرة ، فقد انفردت كل قبيلة بربرية بناحيتها واستبدت بها دون ان تخضع لولاة أو عمال . فأخذ موسى يعمل على اخضاع كل المغرب الى الحكم الاسلامي فبدأ ينقل البيزنطيين من المدن الساحلية والنواحي الداخلية وأسكنهم قرب مراكز الحكم العربي مما يتيح للعرب مراقبتهم(٢) .

كما وجه موسى عناية الى تكوين القوة البحرية ،فيذكر ابن أبي دينار: أن دار السفن في تونس كانت من انشاء موسى بن نصير(٣) ،ويذكر البكرى أن حسانا قام بانشائها(٤) ،بينما يذكر ابن شباط ،عبيد الله بن الحبحاب(٥)

---

(١) ابن شباط ، صلة ،ص ١٠٦ .

(٢) ابن خلدون ،ج٦ ،ص ١٠ ، وانظر خليفة ، تاريخ ،ص ٣٠٥ ،الرقيق ، ص ٦٨ ، الامامة ، ج١ ،ص ٦٣ (في خطبة موسى) ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤١ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ،ص ٣٥ ، حسين مؤنس ، التنظيم الادارى والمالي لافريقية والمغرب(مجلة كلية الآداب والتربية) ، العدد ١ ،جامعة الكويت ، ١٩٧٢ ،ص ٨٨ ، ذنون ، الفتح والاستقرار ،ص ١٤٠ .

(٣) ابن ابي دينار،ص ٣٥ - ٣٦ (قيل) .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٥) ابن أبي دينار ، ص ١٥ (عن ابن شباط) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انا قد أنشأ النواة الاولى لدار صناعة السفن ثم استكملها
ر وعبيد الله بن الحبحاب (١) . ويذكر أنه صنع بهـــا
(٢) مما مكنه من غزو صقلية (٣) .

ويبدو أن حسـ
بعده موسى بن نـ

ويبدو أنه بادر بسك النقود بافريقية ، اذ يرى حسن حسني عبـــد
الوهاب أن أول أمير سك النقود بافريقية ، هو موسى بن نصير سنة ٩٥ هـ (٤) .

الرقيق ، ص ١١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤١ ، النويرى ،
(١) ، ص ٣٤ ، ابن أبي دينار ، ص ٤٠ ، السراج ، ج ١ ،
١ ، ص ٥٦٥ .

أبي دينار ، ص ١٦ .

ر خليفة ، تاريخ ، ص ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ابن عبد الحكـــم ،
٢٠٤ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٧١ ، ياقوت ، ج ٣ ، ص ١٠١ ،
ن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٢ (عن ابن القطان) ، النويرى ، ج ٢٢ ،
ن ٣٠ - ٣١ ، ابن أبي دينار ، ص ٣٦ .

ضربت فلوس نحاسية وعثر حسن حسني عبد الوهاب على فلس مضروب
في تلمســان مكتوب عليه بالخط الحجازى (ضرب فــي تلمســـان) ،
ويرجـــح حســن حسـني عبـد الوهاب أن الفلس صيغ بمناســـبة
فتح موسى لهذه المدينة سنة ٨٦ هـ ، انظـــر في ذلـــــك ،
ورقـات ، ج ١ ، ص ٥١ ، ٢٩٧ ، ٤٠١ - ٤٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتلخص أعمال موسى بن نصير في حرصه على نشر الاسلام بين البربر ولهذا كان يختار عمالا يحسنون السيرة في أهالي المناطق المفتوحة (١) . واختار فئة من أصحابه لتعليم البربر حديثي الاسلام ، القرآن ومبادىء الاسلام . وعن الرقيق : " أمر العرب أن يعلموا البربر القرآن وان يفقهوهم في الدين "(٢) ، وذكر ابن عذارى ان موسى ترك سبعين رجلا من العرب في طنجة يعلمون البربر القرآن وشرائع الاسلام . وهذه السياسة هي استمرار لسياسة عقبة بن نافع وحسان بن النعمان (٣) . وهذا أدى الى انتشار الاسلام في المغرب الأقصى ، ويذكر عبيد الله بن صالح : " فأسلموا كلهم اسلاما صحيحا "(٤) . ولعل في قوله بعض المبالغة ،لكنه يشعر بالانتشار الواسع للاسلام .

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ .

(٢) الرقيق ،ص ٧٠ ، وانظر ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٢ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٢ .

(٤) عبيد الله بن صالح ، نص جديد ،ص ٢٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثالـــث

- التمصـــير والاســـتقرار -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هجرة القبائل العربية الى الشمال الافريقي

١ - يعتبر العامل البشرى من أبرز العوامل في حركة التعريب بالشمال الافريقي .

وقد أوردت كتب الطبقات أحاديث تشجع الهجرة الى افريقية ، وتبين صعوبة فتح بلاد افريقية وعظمة أجر المجاهدين والشهداء (١) .

كما أوردت أحاديث اخرى تذكر مزايا افريقية مشجعة على الهجرة اليها وتعتبرها مرابطة وجهادا : " بساحل افريقية باب من أبواب الجنة يقال له المنستير " (٢) و " من رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة " (٣) ، و " من أتى افريقية لقي خيرا وخبرا " (٤) .

وكتب علماء المشرق سنة ٨٦ هـ الى اهل افريقية بما يلي :
" من رابط عنا يوما برادس حججنا عنه حجة " (٥) .

---

(١) انظر أبو العرب ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٢) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٥ وانظر أبو العرب ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) ن . م . ج ١ ، ص ٥ .

(٤) أبو العرب ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٥) الرقيق ، ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الفتوحات وما صاحبها من أمجاد ومزايا اقتصادية دافعا الى الهجرة أمام قلة امكانات الجزيرة العربية (١) . وقد عجب العرب الفاتحون من الثروة الذهبية التي غنموها في افريقية (٢) .

ويذكر المالكي في الحديث عن غزوة العبادلة سنة ٢٧ هـ أن عبد الله بن سعد صالح البيزنطيين في سبيطلة على خرج بلغ ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار ، وفي رواية اخرى صالح أهل المدائن والحصون على مائة ألف رطل ذهبا ، وفي رواية ثالثة ان رؤساء اهل افريقية اجتمعوا بعد الهزيمة وسقوط سبيطلة ، وطلبوا ان يقبض منهم ثلاثمائة قنطار من الذهب جزية (٣) .

كانت لهجرة العرب أثناء الفتوحات والبعوث صلة بالعطاء ففي سنة ٨٧ هـ بعث عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان الغساني الى افريقية في أربعين ألفا من العسكر ، وكتب له يقول : "أني قد أطلقت يدك في أموال مصر ، فأعط من معك ومن ورد عليك ، وأعط الناس ، . . . " (٤) .

وكانت كثرة الغنائم والأموال من الدوافع للهجرة خلال النصف الثاني من القرن الأول . فقد خرج حسان بالسبي والغنائم

---

(١) الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٨٠ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٣) انظر المالكي ، ج ١ ، ص ١١ ، ١٢ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاموال الى عبد الملك بن مروان ، " وكان معه خمسة وثلاثون ألف رأس من سبي البربر ، وكان معه من الذهب ثمانون ألف دينار قد جعلها خياطة عليها في قرب الماء " (١) .

وكانت الاموال التي عاد بها موسى بن نصير محل اعجاب كبير في المشرق فقال الليث بن سعد : " لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام " (٢) .

وكانت الاوساط الحاكمة بالمشرق تشجع الهجرة لتعمير افريقية ولتدعيم السلطة العربية الاسلامية . فلما أصيبت القوات الأموية في ثورة الخوارج سنة ١٢٢ هـ ، " اقسم هشام بن عبد الملك أن يرسل جيشا عربيا كبيرا " ، وأضاف ، " ثم لا تركت حصن بربرى الآ جعلت الى جانبه خيمة قيسي أو تميمي " (٣) ، وكان العلماء من النابتة يشجعون الهجرة الى افريقية التي كانت تمتاز بخصوبة أراضيها من طرابلس الى طنجة (٤) ، فكان عبد الرحمن بن زياد بن انعم المتوفي سنة ١٦١ هـ يقول : " ينقطع الجهاد من كل بلد وسيعود الى افريقية وليضربن القبائل من الافاق الى افريقية لعدل امامهم ورخص اسعارهم (٥) " وهذا تشجيع صريح للهجرة .

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٨ .
(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٣ .
(٣) الرقيق ، ص ١١١ .
(٤) ن . م . ص ٦١ (عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم) .
(٥) البكرى ، وصف ، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ - كانت هجرة القبائل العربية بشكل جماعي أثناء الفتح وكانت ذات صبغة عسكرية ، فيلاحظ أن البعوث توافدت الى افريقية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة .

دخل عقبة بن نافع الى افريقية سنة ٥٠ هـ في عشرة آلاف من المقاتلة (١) ، وفي سنة ٦٥ هـ أمدّ الخليفة عبد الملك بن مروان زهير بن قيس البلوى " بالخيل والرجال والأموال ، وحشد اليه وجوه العرب ، وبعثهم اليه " (٢) .

ويذكر الرقيق القيرواني أن الامدادات كانت من جند الشام (٣) ولا يذكر ابن عذارى ولا الرقيق الارقام ، أمّا صاحب معالم الايمان فيذكر ان الجيش الذى خرج مع زهير لمواجهة كسيلة كان ستة آلاف منه أربعة آلاف من العرب (٤) . وفي سنة ٧٨ هـ جاء حسان ابن النعمان الغساني في جيش عدده أربعون ألفا (٥) .

وبعد معركة وادى العذارى سنة ٧٩ هـ ، " توافت (على حسان) فرسان العرب ورجالها من قبل أمير المؤمنين عبد الملك" (٦) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٢) ن . م . ج ١ ، ص ٣١ .

(٣) الرقيق ، ص ٤٨ .

(٤) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(٦) ن . م . ج ١ ، ص ٣٧ وانظر كذلك الرقيق ، ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سنة ١٢٣ هـ بعث هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض وعقد له على اثني عشر ألفا من أهل الشام (١) ، وبلغ مجموع قواته حين خرج لمواجهة الخوارج ثلاثون ألفا (٢) ،وقال ابن القطان (ت ٦٢٨هـ) : " فيهم عشرة الاف من صلب بني أمية ،وعشرون ألفا من سائر العرب" (٣) . وفي سنة ١٢٤هـ وجه هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان الكلبي في أربعين ألفا (٤) .

وفي سنة ١٤٤هـ وجه والي مصر ،محمد بن الاشعث ،أبا الأحوص المحلي بالمسودّة لمحاربة ابي الخطاب الاباضي (٥) ، " فانهزم أبو الاحوص وأصحابه ،واحتوى أبو الخطاب على عسكرهم . ورجع أبو الاحوص الى مصر" (٦) .

وفي سنة ١٤٤هـ ولّى أبو جعفر المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي فخرج الى افريقية في جيش عدده أربعون ألفا ،ثلاثون الفا من اهل خراسان وعشرة الاف من اهل الشام (٧) وكان على هذا الجيش ثمانية وعشرون قائدا (٨) .

وفي سنة ١٥١هـ ولى أبو جعفر المنصور عمرو بن حفص بن قبيصة المهلبي فخرج الى افريقية في خمسمائة فارس (٩) .

وفي سنة ١٥٥هـ ولى يزيد بن حاتم افريقية والمغرب من قبل أبي جعفر المنصور فجاء في ستين ألفا (١٠) من جند الشام والعراق

---

(١) الرقيق ،ص ١١٢ وابن عذارى ، ج ١ ،ص ٥٤ .
(٢) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٥٥ .
(٣) ن٠م ٠ ج ١ ،ص ٥٥ (عن ابن القطان) .
(٤) الرقيق ،ص ١١٨ والنويرى ،ج ٢٢ ،ص ٣٧ .
(٥) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٧١ ، ٧٢ .
(٦) ن ٠ م ٠ ج ١ ،ص ٧١ .
(٧) النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٤٥ وابن عذارى ،ج ١ ،ص ٧٢ .
(٨) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٧٢ .
(٩) ن ٠ م ٠ ج ١ ،ص ٧٥ .
(١٠) الرقيق ،ص ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخراسان (١) ، على أن هذا العدد من المقاتلة لم يستقر بالبلاد ، اذ تحول بعضهم الى الاندلس (٢) ورجعت مجموعات أخرى الى المشرق (٣) ، وماتت ثالثة بالبلاد (٤) .

انّ الارقام التي اوردناها تعطينا فكرة عن الاعداد الكبيرة من العرب المقاتلة التي جاءت الى المغرب وكانت لها مساهمة في تعريبه .

٣ - كان خروج المقاتلة الى افريقية على العطاء منذ البداية . ويبدو أنه كان هناك سجل بالمقاتلة واعطياتهم في القيروان منذ أن دوّن حسان بن النعمان الغساني الدواوين (٥) .

والغالب أن أعطيات الجند تصرف لهم من أموال المغرب ودليل ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم من أن يزيد بن أبي مسلم حين قدم افريقية أرسل الى عبد الله بن موسى بن نصير : " بأن أعد من مالك عطاء الجند خمس سنين " (٦) . وكان المقاتلة يأخذون اضافة الى العطاء الارزاق كما يبدو (٧) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٩ .
(٢) ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، وابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١١٩-١٢٠ .
(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٦٩ .
(٤) الرقيق ، ص ١١٨ .
(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٨ .
(٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٤ .
(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان جند افريقية يأخذون ارزاقهم من بيت المال في القيروان ، وقد وقع جدل فقهي بين البهلول بن راشد وعلى بن زياد في (ق ٢هـ) حول هذا الموضوع : هل يحق للجند أخذ الارزاق من بيت المال (١) .

وكان والي افريقية مكلفا بأن يعطى من معه من الجند ، قال عبد الله بن أبي حسان اليحصبي عن أبيه : "رأيت عبيد الله بن الحبحاب يوما ينظر في دفتر العطاء ، ويملي رسالة ، ويأمر بحاجات في ناحية أخرى . . . "(٢) .

ويلاحظ ان الجند كان لهم قاض خاص بهم يتكلف بأمورهم فقد كان على قضاء جند افريقية التابعي جمثل بن هاعان بن عمير الرّعيني من قبل هشام بن عبد الملك (٣) .

وترد اشارة في القرن الثاني للهجرة الى أن عطاء الجند كان يوزع عليهم في وقت معين ، وبصفة منتظمة فقد "كان ابن فروخ اذا أخذ الجند أعطياتهم أغلق حانوته تلك الايام حتى يذهب ما بأيديهم ، فاذا ذهب ما في ايديهم فتح حانوته "(٤) .

---

(١) الدباغ ، معالم ، ج١، ص ٢٧٥ .

(٢) الرقيق ، ص ١٠٧ .

(٣) الدباغ ، معالم ، ج ١، ص ٢٠٣ .

(٤) المالكي ، ج١، ص ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تكن هذه الفئة بمعزل عن الأهالي فكان الاختلاط يقع بينهم وبخاصة أيام الانتفاضات في ثورة الخوارج سنة ١٢٢ هـ " وجه عبيد الله ابن الحبحاب خالد بن حبيب الفهرى الى البربر بطنجة ومعه أهل افريقية من قريش والانصار وغيرهم .. "(١) . وينتظر من هؤلاء البربر ان يعرفوا لغة المقاتلة وهي العربية . وكانت القيروان وتونس مركزان يجمعان المقاتلة ، واعتبر هؤلاء فئة خاصة لها اعتبارها الخاص عند السلطة الحاكمة .

فحين ولي ابراهيم بن الاغلب افريقية سنة ١٨٤ هـ " قمع أهل الشر بها وضبط امرها . وكان له مع بربرها حروب يطول ذكرها . وأحسن الى عرب جيشها " (٢) .

ورغم ارتباط الجند بالسلطة فقد بلغوا درجة من القوة والعدد جعلهم يلعبون دورا هاما في الاحداث السياسية في افريقية . فترد الاشارات الى عدد من الثورات قام بها جند القيروان وتونس خلال فترة الولاة وحكم الأغالبة (٣) . وغالبا ما كانت هذه الثورات تودى بحياة والي افريقية (٤) ، كما كان لهم دور في عزل وال وتعيين آخر مثلا ثار قواد الجند المصرية بقيادة موسى بن عيسى سنة ١٨٤ هـ وعزلوا الوالي ابن الاشعث الخزاعي (٥) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٨ (عن الليث بن سعد) .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٣) الرقيق ، ص ١٨٦-٢٠٢ ، ٢٠٥ - ٢١١ ، ٢١٧-٢٢٢ ، ٢٢٤-٢٢٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٣ - ٧٤ ، ٨٦ - ٨٨ .

(٤) الرقيق ، ص ١٩٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨٦ - ٨٨ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ذلك يقول ابن عذارى : " لما بلغ المنصور ما كان من أمر قوّاد الجند المصرية وصرفهم محمد بن الأشعث بعث الى الاغلب بن سالم بن عقال التميمي عهده بولايته ... ووصله كتاب المنصور بعد كتاب العهد ، يأمره بالعدل في الرعية وحسن السيرة في الجند ... "(١)

وقد امتد نفوذ هذه الفئة الى الحياة العامة فيذكر ان ولاية عبد الله بن غانم قضاء افريقية لم تصدر عن أمير المؤمنين ، " وانما كانت من المسودة - يعنون الجند - وروح بن حاتم ... "(٢) .

استقر معظم المقاتلة الذين دخلوا افريقية أثناء الفتوح والبعوث بالقيروان وتونس وطنجة(٣) . وتفرقت مجموعة منهم في بقية المدن والقلاع والثغور وكان ذلك بداية لانطلاقة كبرى نحو التعريب .

وسكنت بعض الجاليات العربية في أرباض برقة وتوالد الجند هناك وصار لهم الاولاد والاعقاب(٤) . كما استقرت حامية عسكرية بطرابلس لمنع قبائل هوارة ونفوسة وزناتة من الاستيلاء عليها (٥) . وسكن باجة جند من بني هاشم(٦) . وسكن مجّانة جند من ربيعة(٧) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٣) الرقيق ، ص ٦٩ ، ١٤٤ ، ١٨٦ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٣ .

(٥) البكرى ، وصف ، ص ١١ .

(٦) اليعقوبي ، البدان ، ص ٣٤٩ .

(٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٩ وانظر الرقيق ، ص ١١٩ (من تجيب) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ - كان لتمصير القيروان دور أساسي في هجرة القبائل العربية واستقرارها بافريقية واختلاطها تدريجيا بالسكان الاصليين ومن ثم تعريبهم .

ويذهب بعض المؤرخين الى أن معاوية بن حديج السكوني طال مكوثه بناحية القرن سنة ٤٥ هـ ، فحفر بها ابارا لا تزال تسمى آبار حديج ، وانه ابتنى بها دورا سماها قيروانا (١) في موضع القيروان قبل ان يأتي عقبة (٢) . وبذلك يكون معاوية بن حديج

---

(١) لفظ القيروان فارسي معرب،أصله كروان أو كربان ومعناه قافلة أو مراح القوافل وكان هذا اللفظ مستعملا في الجاهلية بمعنى القافلة قال امرىء القيس في وصف غارة له":وغارة ذات قيروان كان أسر بها الرعال" . انظر لسان العرب ، ج ١٣ ، ٣٤١ - ٣٤٢ وياقوت معجم ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ (نقله عن لسان العرب) . وقال الدباغ في تفسيره لهذا اللفظ : " واختلف في لغة العرب في لفظ القيروان ،فقيل هي موضع اجتماع الناس والجيش ، وقيل محط أثقال الجيش ، وقيل هي الجيش نفسه والمعنى متقارب" ، معالم ،ج ١ ،ص ٨ ، وانظر كذلك ابن خلكان ،وفيات ، ج ١ ،ص ٣٨ ، والسراج ، الحلل ، ج ١ ،ق ١ ،ص ٢٥٩ وانظر عن تطور هذه التسمية حسين مؤنس في فتح العرب للمغرب ، ص ١٥٣ .

(٢) الباجي ، الخلاصة الناقية ، ص ٥ ، وانظر المالكي ، ج ١ ، ص ٦٠ ، ومعالم ، ج ١ ،ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد أقام معسكرا للجند قبل اختطاط مدينة القيروان . وفي سنة ٥٠ هـ بدأ عقبة بتخطيط مدينة القيروان " فاختط دار الامارة والمسجد الاعظم ولم يحدث فيه بناء وكان يصلي فيه وهو كذلك" (١) .

ويذكر النويري أن نقاشا قام بين عتبة وأصحابه على موضع القبلة فقالوا له : " ان اهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فاجهد نفسك في امرها " فظل عقبة متحيرا اياما حتى ألهمه الله باتجاهها فأقامها (٢) .

ثم اهتم عقبة ببناء الدور والمساكن للعرب الفاتحين ، فقد روى الطبري في حوادث سنة ٥٠ هـ ما يلي : " عن يزيد ابن ابي حبيب عن رجل من جند مصر قال قدمنا مع عقبة بن نافع ، وهو أول الناس اختطها وقطعها للناس مساكن ودورا ، وبنى مسجدها فأقمنا معه حتى عزل وهو خير وال وخير أمير " (٣) .

وكان عقبة يدرك أهمية اقامة مركز مثل القيروان ، فقد أراد بها : " ان تتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من اهل البلاد " (٤) ، فأنفق في بنائها وقتا طويلا

---

(١) النويري ، ج ٢٢ ، ص ١٢ .
(٢) ن . م ج ٢٢ ، ص ١٢ .
(٣) الطبري ، ج ٧ ، ص ٩٣ - ٩٤ ، انظر أبو العرب ، ص ٥٨ (عن يزيد ابن أبي حبيب) .
(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استغرق مدة خمس سنوات من ٥٠ هـ الى ٥٥ هـ (١). وقد ذهب ابن عذارى الى أن دور المدينة في ذلك الحين بلغت " ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع " (٢).

ويبدو أن عقبة أقام حول المدينة سورا يحميها من الغارات لأن الباجي يقول : " انه (أى عقبة) جعل دور سورها اثني عشر ميلا " (٣).

ويمتاز موقع القيروان الجغرافي بأنه يقع على المسلك الرئيسي بين الاندلس والمغرب الاوسط والاقصى من جهة ، والمشرق الاسلامي كما انها على صلة بالموانى التجارية الواقعة على شواطئ افريقية من جهة ثانية (٤).

وكانت القيروان في منطقة متوسطة خصبة نسبيا في افريقية وقد وصف البكرى ميزة موضع القيروان بقوله : " انها في بساط من الارض مديد ، من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة

---

(١) النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٢ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٣) الباجي ، ص ٥ .

(٤) انظر حبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ، ص ٤٩ .

عن الموانى : انظر البكرى يذكر المراسي مثل مرسى قصر الفلوس ، مرسى تنس ، مرسى جزيرة وقور ، مرسى حنابية ، مرسى الدجاج ، مرسى عحرود ، مرسى جبل تاماسان .

البكرى ، وصف ، ص ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمهدية ،وفي القبلة بحر اسفاقس وقابس وأقربها منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم ، وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم ،وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف وسائر جوانبها أرضون طيبة كريمة وأحسنها الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدّرارة يصاب فيه في السنة الخصبة للحبة مائة "(١).

وقد عرفت القيروان تطورا سريعا بعد تأسيسها وساعد على ذلك مركزها السياسي والديني وموقعها الجغرافي ،فلم تمض سوى فترة قصيرة على اختطاط عقبة لمسجدها الجامع ودار امارتها حتى : " أخذ الناس في بناء الدور والمساكن والمساجد ، وعمرت وشد الناس اليها المطايا من كل أفق ،وعظم قدرها" (٢).

خططت القيروان على غرار دور الهجرة في المشرق ،دار الامارة والمسجد الجامع في الوسط ،وحولها منازل القبائل . ومعظم القبائل التي دخلت الى افريقية جاءت من مصر (٣).

ويبدو أنه كان لكل قبيلة موقعها قرب الجامع ، اذ تجمعت كل قبيلة واختطت منازلها في حيّ خاص بها .

---

(١) البكري ، وصف ، ص ٢٤ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢١ .

(٣) انظر الفصل الثاني عن القبائل المشاركة في الفتح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك اشارات الى عشائر مختلفة تعود الى قريش مثل بني مخزوم (١) وبني عبد الدّار (٢) ، وبشكل خاص بني فهر (٣) اختطت منازلهـــا الى الجهة الشمالية من الجامع (٤) . وترد اشارات الى جماعات مـــن الانصار (٥) الذين وفدوا من المدينة والى جماعات ينتمون الى عشـــائر

---

(١) انظر خليفة ، تاريخ ، ص ٣٢٣ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٣ ، البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٣ ، أبو العرب ، ص ٨٤ ، المالكـــي ، ج ١ ، ص ٧٥ ، الرقيق ، ص ٩٧ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٠٣-٢٠٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٢ - ٣٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٨ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٥ ، أبو العرب ، ص ٨٩ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٨٠ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ٩٥ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٢٣ .

(٥) ابـن عبد الحكـم ، فتوح ، ص ١٩٣ ، أبو العـرب ، ص ٩٣ - ٩٤ ، المـالكي ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ٨٦ ، ٩٣ ، الدبـــاغ ، معالـم ، ج ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ٢١٤ - ٢١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خولا ن(١) وغفار(٢) وبليّ (٣) ومعافر (٤) وتجيب(٥) وجذام(٦) ، ويحصب(٧) وحضر موت (٨) ومراد (٩) ولخم (١٠) وأسلم(١١)

---

(١) المالكي ، ج ١ ،ص ٥٨ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ١٥١ - ١٥٢ ٠

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٨ ، ٢٢٢ ، المالكي ، ج ١ ،ص ٨٢ ، الرقيق ،ص ١١٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥٣ - ٥٤ ٠

(٣) ابو العرب ، ص ٧٦ ، ٧٧ ،المالكي ، ج ١ ، ٥٤ - ٥٥ ، الدبـاغ ، معالم ، ج ١ ،ص ٩٧ - ٩٨ ٠

(٤) أبو العرب ،ص ٨٤ ، ٨٧ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٦٥ ، ٧٤ ، ٨٤ ،الدباغ، معالم ، ج ١ ، ص ١٨٠ - ١٨٤ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ٠

(٥) أبو العرب ، ص ٨٧ ، المالكي ،ج ١ ،ص ٦٦ - ٦٩ ، ٨٢ ،الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ١٨٤ - ١٨٧ ، ٢١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٨ ٠

(٦) المالكي ، ج ١ ،ص ٧٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ٢١١ - ٢١٣ ، العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج ١ ،ص ٤٨٢ ٠

(٧) الرقيق ، ص ١٠٧ ، عياض ،تراجم ، ص ٧٠ - ٧١ ، ابن عـذارى ، ج ١ ،ص ٥١ ٠

(٨) أبو العرب ،ص ٥٣ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٥ ، ٢٨ ، الدباغ ، معالـم ، ج ١ ،ص ٥٥ - ٥٦ ٠

(٩) ابن عبد الحكم ، فتوح ،ص ١٩٤ ٠

(١٠) ابن عبد الحكم ،فتوح ، ٢١٣ - ٢١٤ ٠ انظر المالكي ، ج ١ ،ص ٧٧ ، الدباغ ،معالم ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ،العسقلاني ، تهذيب ، ج ٧ ، ص ٣١٩ ٠

(١١) أبو العرب ،ص ٦٩ ،ابن خلفون ، شجرة ، ص ١٠٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضمرة (١) ، وهذيل (٢) ورعين (٣) وسبأ (٤) وتنوخ (٥) ، فقد اختطوا منازلهم في اماكن مجاورة للجامع .

وقد ترجم أصحاب الطبقات لرجال من الصحابة والتابعين من هذه القبائل شاركوا في الفتح واستقروا بالقيروان وبنوا فيها المساكن والمساجد الصغيرة وكان لهم بها أعقاب (٦) وقد اتخذت الكثير من المحلات والساحات والطرق اسماء هذه العشائر مثال

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ١١٢ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٢) خليفة ، تاريخ ، ص ٣٤٥ ، طبقات ، ص ٢٩٤ ، أبو العرب ، ص ٩١ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٧٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢١٥-٢١٦ ، العسقلاني ، تهذيب ، ج ١٢ ، ص ١٩٠ - ٢٠٠ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٧٥ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ابن الأبّار ، الحلة ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ ، تهذيب ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

(٤) ابو العرب ، ص ٨٢ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٧٨ ، ٨٢ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩٦ ، العسقلاني ، تهذيب ، ج ٦ ، ص ٢٩٣ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٧٢ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٦) انظر المالكي ، رياض النفوس ، ج ١ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، وأبو العرب ، طبقات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك رحبة القرشيين (١) ورحبة الانصار (٢) ورحبة بني دراج (٣) وحارة يحصب (٤) وحارة بني نافذ (٥) .

وفي بعض الاحيان اطلق اسم أحد الأعيان العرب النازلة بالقيروان على حيّ أو درب مثال ذلك درب المغيرة (٦) ودرب ازهر (٧) ودرب أم أيوب (٨) ودرب الهذلي (٩) ودرب عابد بن سوادة (١٠) ، ودرب ابن الطفيل التجيبي (١١) وزقاق ابن غانم الرّعيني (١٢) وزقاق ابن دينار (١٣) .

---

(١) غياض ، تراجم ، ص ٣٦٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٢) الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ١٨ .

(٣) ابو العرب ، ص ٢٢٢ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٥٩ في تراجم دار بني درّاج عائلة قيروانية نزل عندها الفقيه على بن زياد التونسي عند مجيئه الى القيروان ، انظر تراجم أغلبية ، ص ٢٥ . وفي ابن حزم ، جمهرة ، ص ٥٠١ (بنو درّاج من صنهاجة وهم رهط أبو عمر أحمد بن محمد بن درّاج القسطليّ) .

(٤) تراجم ، ص ٧١ .

(٥) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٦) ن . م . ج ١ ، ص ٥٢ .

(٧) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٨) أبو العرب ، ص ١٧٤ ، (سوق الاحد بالقيروان) ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٩) معالم ، ج ٣ ، ص ٤٩ .

(١٠) معالم ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

(١١) الرقيق ، ص ١٦٧ .

(١٢) معالم ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(١٣) المالكي ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما نسبت أبواب القيروان الى العرب النازلين حولها مثال ذلك باب أبي الربيع، وباب سلم، وباب نافع، وباب اصرم، وباب ازهر، وباب عبد الله، وباب سحنون (١).

وأطلقت على الاسواق اسماء مؤسسيها من التجار العرب الاوائل وأسماء بعض من كان يسكن بجوارها من مشاهير العرب الوافدين على القيروان، فعرفت بها مثال ذلك سوق التابعي اسماعيل بن عبيد الانصارى (ت ١٠٧ هـ) (٢) وسويقة المغيرة (٣)، نسبة الى عبد الله بن المغيرة الكوفي من كبار المحدّثين الوافدين على القيروان في القرن الثاني للهجرة (٤)، وسوق بني هاشم المنسوبة الى صالح بن حاجب بن هاشم (٥)، وسوق دار الامارة لقربها منها (٦).

وسميت بعض المحارس والقصور والمواجل والقناطر بأسماء العرب الذين بنوها. ومن ذلك محرس علي بن مسلم البكرى (٧)،

---

(١) انظر البكرى، وصف، ص ٢٥، الرقيق، ص ١٤٤، الدباغ، معالم، ج ١، ص ٣٠، ٣١، ٣٢، ١٨٤، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٦١، ٢٧٨، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٠٦، ج ٢، ص ٢٩، ٣٩، ٦٢، ١٠١، ١٠٩.

(٢) أبو العرب، ص ٨٥.

(٣) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج ١، ص ٨٨.

(٤) أبو العرب، ص ١٦٢.

(٥) أبو العرب، ص ١٨٠.

(٦) ابو العرب، ص ١٣٥.

(٧) تراجم، ص ٣٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومحرس بني الأغلب (١) وقصر ابن زياد (٢) ومواجل بني الاغلب (٣) وقنطرة ابي الربيع (٤) .

وحين دخل عبيد الله الشيعي الى افريقية سنة ٢٩٦هـ أمر بابطال هذه الاسماء وكتابة اسمه عليها (٥) .

ولم يقتصر سكنى القيروان على العرب بل نزلها البربر المسلمون أيضا . قال المالكي : " ورجع حسان بن النعمان الى القيروان بعد مقتل الكاهنة ، أقام بها وعمّرها المسلمون وانتشروا بها ، وكثروا فيها وأمنوا " (٦) .

وفي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة أصبحت القيروان مدينة أغلب سكانها من العرب فيها بيوتهم وخططهم ، ويشير الرقيق الى ذلك " فلما وصل بلج (ابن بشر القيسي) الى القيروان قال : " يا اهل افريقية ، لا تغلقوا أبوابكم ، حتى يعرف اهل الشام منازلهم " . . . فكتب عرب افريقية الى حبيب بن أبي عبيدة ، وهو

---

(١) التيجاني ، الرحلة ، ص ٨٥ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٤١ .
(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .
(٣) البكرى ، وصف ، ص ٢٦ ، معالم ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .
(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٠٦ .
(٥) البكرى ، وصف ، ص ٢٧ .
(٦) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواقف للبربر: " انك تواقف عدوا ، وهذا عدو قد نزل بنا ، يريد نزول ديارنا علينا "(١). وهذا يدل على تزايد هجرة القبائل العربية الى القيروان والمساهمة في تمصيرها وينتظر من نزول القبائل العربية بين السكان الاصليين حركة تعريب تدريجية .

وقد اهتم الولاة بمنشآت القيروان المعمارية اثر تزايد عدد سكانها نتيجة هجرة القبائل العربية والبربر المسلمين اليها . فقد زيد في مسجدها ثلاث مرات على التوالي في القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة (٢) .

وقد وردت بعض الاشارات عند البكرى (ت ٤٨٧ هـ) تبين التطور الديمغرافي التي وصلت اليه مدينة القيروان ، فبلغ عدد حماماتها ثمانية واربعين حماما ، وأحصي ما ذبح بها في أيام عاشوراء من البقر خاصة فانتهى الى تسعمائة وخمسين رأسا (٣) ، ووصل عدد أبوابها الى أربعة عشر بابا (٤) .

وتطورت مدينة القيروان بسبب هجرة التجار العرب اليها بعد تأسيسها بمدة قصيرة فلما استولى كسيلة عليها سنة ٦٤ هـ فر منها سكانها " وبقي بها أصحاب العيال ، وكل مثقل من التجار

---

(١) الرقيق ، ص ١١٢ .
(٢) البكرى ، وصف ، ص ٢٢ - ٢٤ .
(٣) ن . م . ص ٢٦ .
(٤) ن . م . ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأهل الذمة "(١) . ويبدو أن فئة التجار كانت تتوافد على القيروان باستمرار فقد أصبح السماط الكبير محور حركتها التجارية ، فبلغ طول هذا الشارع التجارى الرئيسي ميلين وثلثا (٢) ، أى ما يزيد على أربعة كيلومترات ونصف (٣) . وكان هذا الشارع يحتوى على جميع المتاجر والصناعات بحيث أمر هشام بن عبد الملك بترتيبه ، كما أمر عامله عبيد الله بن الحبحاب بانشاء خمسة عشر ماجلا خارج سور المدينة تكون سقايات لأهلها (٤) .

وفي سنة ١٥٦ هـ أعاد الامير يزيد بن حاتم ترتيب الاسواق وتنظيمها وجعل لكل صناعة مكانا (٥) ، مما يشير الى كثرة التجار العرب الذين وفدوا عليها ، كما يدل على التطور العمراني والازدهار الاقتصادى التي وصلت اليه القيروان منذ منتصف القرن الثاني للهجرة .

وتعتبر الاسواق من المراكز الاساسية في المدن وهي قاعدة تنطلق منها حركة تعريب واسعة بين الاهالي .

وترد اشارة من النصف الثاني للقرن الثاني للهجرة الى أن التجار العرب أصبحوا من الفئة ذات رؤوس الاموال الكبيرة " وكان

---

(١) الدباغ ، معالم ، ج١ ، ص ٥٥ .

(٢) البكرى ، وصف ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) حبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ، انظر ص ٥٣ هامش رقم ٩ ، الميل = حوالي ٢ كم .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٢٦ .

(٥) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابراهيم (ابن الاغلب) لما عزم على النهوض من الزاب لنصرة ابن المكي على تمام لم يجد مالا يقوى به ، فسأل التجار ان يقرضوه مالا ، ..... واستقر عند ابراهيم ان امهات اولاده وخاصته أرسلوا الى التجار يسألونهم الا يعينوه على الخروج خوفا عليه "(١) .

واشتهرت اسواق القيروان وبلغ صيتها المترف المشرق فأمّها التجار العرب من الاندلس(٢) ومن المشرق (٣) وبقية المدن المغربية (٤) للاشتغال بالتجارة فيها .

كما اشتغل عدد كبير من العلماء بالقيروان بالتجارة المحلية . فكان للفقيه عبد الله بن فروخ حانوت (٥) وكان الزاهد عبد الرحيم ابن الاشرس (ت ٢٤٧هـ) تاجرا في سوق البزازين (٦) وكان الفقيه عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩ هـ) يبيع الكتان في حانوته (٧) . وينتظر من هذه النخبة المثقفة مساهمة جادة في تعريب الاهالي .

---

(١) الرقيق ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٣) ابو العرب ، ص ١٥٩ .

(٤) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٦) ن ٠ م ٠ ج ١ ، ص ٣٢٧ ، تراجم أغلبية ، ص ١٥٨ - ١٦٤ .

(٧) أبو العرب ، ص ١٨٩ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت القيروان تعتمد في توفير موادها الغذائية على الريف والقرى القريبة منها وصارت سوقا رئيسية لها ، فاليها يقدم الفلاحون لبيع انتاجهم وحاصلاتهم ولشراء حاجاتهم فيتعرضون بذلك للتعريب اذ " ان العربية هي لغة الاسواق الرئيسية " (١) . فكانت قلشانة تمد القيروان بالتين الاخضر (٢) . وكان قصب السكر والعسل يأتي اليها من جلولاء (٣) . وكانت البقول والفواكه ترد يوميا الى أسواق القيروان من القرى الزراعية المجاورة لها . فقد كان يرد من جلولاء " كل يوم الى القيروان من احمال الفواكه والبقول ما لا يحصى كثرة " (٤) . وكانت قفصة تمير القيروان بأنواع الفواكه والثمار (٥) وهكذا .

كانت التجارة المحلية بالقيروان مرتبطة بالزراعة وهذا يعني قدوم الفلاحين باستمرار الى القيروان واحتكاكهم بعربها وبذلك يتعرضون للتعريب .

وتشير كتب الطبقات الى تردد الفلاحين والحصادين والعمال بالاجرة على مجلس أسد بن الفرات (٦) .

---

(١) الدوري ، الاسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب ، ص ٧٣ .

(٢) البكري ، وصف ، ص ٢٩ .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٣٢ .

(٤) ن ٠ م ٠ ص ٣٢ .

(٥) ن ٠ م ٠ ص ٤٧ .

(٦) المالكي ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اقتضى التطور العمراني والاقتصادي لمدينة القيروان تطور الحرف وتنوع المهن فيها .

فكان أهل الريف يأتون الى المدينة فيقصدون أصحاب المحلات ليتعلموا منهم الحرف(١) .

فكان صاحب المحل يسمى " المعلم " وكان الاجراء يتقاضون أجورهم باليوم وحسب القطعة (٢) . وينتظر من هوءلاء ان يتعلموا العربية .

فقد قال زكريا بن الحكم للبهلول بن راشد مولى زعبن " يا أبا عمرو هذه القراءة التي تقرأ عنك أشيء رويته عن السلف أم شيء رأيته ؟ فقال : " ما أخذته عن أحد ، الا اني كنت عند معلمي أخيط فأمر علي مسافر بن سليمان الواعظ بالجامع والقرّاء يقروءون عليه ، فأقف اليه واستحلي ذلك ... "(٣) .

وكانت الحرف ميدانا أساسيا للشغل بالنسبة للفئات الاجتماعية المختلفة وينظر الى تعلمها نظرة ايجابية ، فقد روى أبو محمد عبد الله التّبان قائلا : " قال لي أبي ذات يوم يا بني ما يكون منك لا تعرف صنعة واشتغلت بالعلم ، ولا شيء عندك ... "(٤) .

---

(١) أبو العرب ، ص ١٢١ .

(٢) المالكي ، ج ١ ،ص ١٣١ .

(٣) تراجم أغلبية ، ص ٣٥ .

(٤) معالم ، ج ٣ ،ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووردت الاشارة في كتب الطبقات الى أصحاب المهن التالية :
البناء ، الرّفاء ، والصبّاغ ، والحائك ، والخيّاط ، والزجاج ، والطحان ، والخبّاز والاسفنجي ، والصيرفي ، والقصار والفرابلي ، والسقاء والخراز والدّلال والنسّاخ (١) وغيرها من المهن التي تنسب اليها كثير من الاسواق والحوانيت (٢) .

ولمّا كان أغلب هؤلاء من غير العرب ، فقد اقتضى تطور الحرف والمهن والاقبال عليها توسع في الولاء وانتشار التعريب . وكان من بين هؤلاء فقهاء وعلماء ومحدّثون وأدباء ، فكان الفقيه المالكي البهلول بن راشد مولى رعين (ت ١٨٣هـ) خيّاطا يعمل

---

(١) أبو العرب ، ص ١٠٦ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ٢٠٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، والمالكي ، ج ١ ، ص ١١٧ ، ١٣٨-١٣٩ ، ١٩٥ ؛ عياض ، تراجم أغلبية ، ص ٣٤٣ ، ٣٩٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٧٥ ، ج ٣ ، ص ١١ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٧٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩٩ ، ٢٤٣ ، ٢٨٠ .

(٢) انظر أبو العرب ، ص ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، والمالكي ، ج ١ ، ص ٧٠ ، ١٠٩ ، ١٣٩ ، ١٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٨٠ ، ٣٩٤ ، عيّاض ، تراجم ، ص ٢١٦ ، ٢٩٦ ، ٣٥٩ ، البكري ، وصف ، ص ٢٢ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٤٧ - ٣٨ ، ٦٣ ، ١٣٦ ، ١٦٧ ، ٣٤٣ - ٣٤٤ ، ج ٣ ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالاجرة عند معلمه (١). وكان الفقيه نفيس (٢١٤هـ - ٣٠٩هـ)، مولى لامرأة من سوسة يصنع الفرابيل فسمي بالفرابلي (٢). قال أبو ميسرة: "قال لي نفيس: كان سحنون يقول لي يا نفيس، أنت رومي وأنا أحبك لأنك تختلف الى وتحب السماع والعلم، وكان صهيب روميا، وكان يحبه النبي، صلى الله عليه وسلم" (٣). وكان الفقيه سعيد بن عبّاد المعروف بمرغلة (ت ٢٥١ هـ) من اهل سرت، سكن القيروان وكان يعمل بناءًا بالاجرة (٤)

قال ابن بسطام: "انه كان لامرأة عنده شهادة فأتته فوجدته في خمرة طين قد بلغت منه الى فوق الركبتين وهو يعجنها، فدعته لاداء الشهادة، فقال لها: أنا مستأجر كما ترى، وانت مضطرة. فقال له صاحب البناء: اذهب معها وانت في حل ..." (٥).

وكانت الهجرة من الريف والبوادى الى المدن لطلب الرزق حركة مألوفة خاصة في سنوات الجفاف وهي سنوات متكررة في منطقة القيروان (٦). فقد التقى اسماعيل بن رباح الجزرى وهو راجع

---

(١) عياض، تراجم اغلبية، ص ٣٥ .

(٢) انظر ترجمته في تراجم أغلبية، ص ٣٨٦ - ٣٩٠ .

(٣) تراجم أغلبية، ص ٣٨٨ .

(٤) انظر ترجمته، في تراجم أغلبية، ص ١٩٧ - ١٩٩ .

(٥) عياض، تراجم أغلبية، ص ١٩٨، وانظر الدباغ، معالم، ج ٢، ص ١١٩ .

(٦) الدباغ، معالم، ج ١، ص ٢٨٦، ج ٢، ص ١١٥، ابن عذارى، ج ١، ص ١٩٤، ٢٥٦ - ٢٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من احدى اسفاره برجل من الساحل ومعه أهله وولده وهم بحال رثة ، وبعد ان كساهم واطعمهم سألهم اين يتوجهون فقال الساحلي : " بلغني ان بصطفورة زرعا فأحببت ان أبلغ اليها فأعيش فيها أنا وأهلي وصبياني " (١) .

وجاء أبو خالد عبد الخالق من سكان القرن بضواحي القيروان الى زوجته المريضة بلحم بقر وغنم مع خبز نقي ، ولكنه لم يكد يصل المنزل ويدفع به لأسرته ويتجه الى المسجد حتى شاهد رجلا " من أهل البادية وأثر البؤس عليه ، ومعه اطفال ، وهو يقضم الشمير كما تقضم الدواب " (٢) فدفع بالطعام الى الشيخ البدوى .

وكانت هذه الفئة الفقيرة النازحة من الارياف تكوّن احيانا الجزء الأكبر من عدد السكان . روى عن أبي رباح بن يزيد اللخمي ، وكان من علماء القيروان وزهّادها " انه كان اذا دخل الشتاء اخذ في البكاء رحمة على الفقراء " (٣) . وروى انه كان عند البهلول ابن راشد طعام ، ففله السعر ، فأمر به فبيع ، ثم أمر من يشترى له ربع قفيز ، فقيل له تبيع ثم تشترى ؟ فقال : نفرح اذا فرح الناس ، ونحزن اذا حزن الناس " (٤) .

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٤٣ انظر كذلك ابو العرب ، ص ١٤٨ .
(٢) أبو العرب ، ص ١٤٢ .
(٣) ابو العرب ، ص ١١٨ (عن ابي زرجونة) .
(٤) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأهدى القاضي أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب (ت ٢٧٥هـ) حمولة قمح لرجل كان يسايره رفقا به لما كان يتعذر عليه (١). وتبرع محمد بن الاغلب (٢٢٦هـ - ٢٤٢ هـ)، لفداء أسرة سنة كاملة، بخمسين قفيز قمح، ولعلف برذون صاحبها بخمسين قفيز شعير، وبثلاثمائة قفيز زيت للاكل والاضاءة (٢).

وكتب محمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ) رقعة لرجل أراد اعانته الى الصيرفي بعشرين دينارا، وقال: "اشتر بها لأهلك ما يحتاجون" (٣). وهذا الاحتكاك المتواصل بين الفئة الفقيرة من الارياف واهل المدن يساعد على انتشار التعريب بصورة تدريجية ومتزايدة في الارياف.

٥ - يشير البكرى (ت ٤٧٨ هـ) الى العديد من القرى لعشائر عربية، وهذا يعني انتقال جماعات عربية الى الريف وتكوينها القرى، وتملك اخرين الضّياع في القرى، وتوسع ملكيتهم وعددهم فيها لحد الغلبة عليها. ولعل بعض هذه القرى توسعت بالعرب الى مدن صغيرة. فمثال ذلك قرية الجهنيين (٤) وقرية غافق (٥) وقرية

---

(١) المالكي، ج ١، ص ٣٨٠.

(٢) ن. م. ج ١، ص ٣١١.

(٣) تراجم أغلبية، ص ١٨٢.

(٤) بينها وبين القيروان مرحلة، انظر البكرى، وصف، ص ١٤٣.

(٥) تقع هذه القرية على الطريق ما بين مدينة فاس وسفاقس، انظر البكرى، وصف، ص ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهميين (١) وقرية خولان (٢) وقرية منستير عثمان وأربابها قـــوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان ، وهو الذى اختطها عند دخوله افريقية ، وبها ايضا عرب وبربر وأفارق (٣) . ومدينة الســــهميين ، ومدينة الحضرميين (٤) ومدينة الانصار المنسوبة الى قوم من الانصار من ولد جابر بن عبد الله (٥) .

ويذكر الدباغ قرية زرود المنسوبة الى احد المقاتلة من القرن الثاني للهجرة ، وهو ميسرة الزرودى الذى سكن القيروان (٦) . يشير ابن عذارى الى قرية لوزة بافريقية تسب اليها حامد بن حمدان الهمداني من رجالات القرن الرابع الهجرى ، وكان يعرف باللوزى (٧) .

ونلاحظ ان هذه الملكيات التي كانت على شكل قرى أو مـدن هي لأناس من القبائل اليمنية والحجازية .

---

(١) تقع على الطريق من القيروان الى مدينة بونة ، انظر البكرى ، وصف ، ص ٥٤ .

(٢) تقع هذه القرية قرب قلعة ابن خروب من أعمال طنجة ، انظر البكرى ، وصف ، ص ١٠٩ ، انظر كذلك المالكي ، ج ١ ، ص ٣٣٩ . وعلــى ضفاف وادى سبو توجد عيون خولان الساخنة ، انظر هامش كتــاب ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ٥٦ .

(٤) هاتان المدينتان بودّان ، البكرى ، وصف ، ص ١١

(٥) يذكر البكرى ان بين هذه المدينة ومدينة الاربس مسيرة يوم وارضها طيبة ، كثيرة الريع وحنطها اجل حنطة بافريقية .

(٦) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢١٩ (تعرف هذه القرية بقلشانة قرب القيروان) .

(٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٣ (وهذه القرية تقع على ما يبدو في عمل سفاقس لأن البكرى يذكر محرس اللوزة التابع لعمل سفاقس) انظر البكرى ، وصف ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ - أحدثت تونس على يد حسان بن النعمان سنة ٨٢ هـ وأصبحت ثانية المراكز الاسلامية في افريقية . لقد أولاها حسان اهتمامه فأقام فيها مسجدا وخطط دورها وبدأ الاقبال عليها من المسلمين ، فأصبحت رباطا يحمي القيروان ومحرسا للبحر (١) .

وقد عرفت تونس تطورا ديموغرافيا ملحوظا حين جدّد ابن الحبحاب سنة ١١٦ هـ مسجدها ودار صناعتها وقام بتحصينها " فلم تزل تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد الروم ويكثرون فيها النكاية " (٢) . وفي ولاية الفضل بن روح بن حاتم سنة ١٧٧ هـ " كانت تونس تعدل بالقيروان في كثرة العرب والجند الذين كانوا فيها " (٣) .

ورافق هذا التطور السكاني تطور اقتصادى ونشاط ثقافي . فقد وصل عدد أبواب تونس الى خمسة أبواب (٤) ، وكثرت فيها الأسواق والحمامات والفنادق يقول البكرى : " وبها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وبمدينة تونس خمسة عشر حماما وفنادق كثير " ، ويضيف

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ٣٧ ، وابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٤٠٤ ، ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص ٩ ، ١٥ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ق ٣ ، ص ٥٦٠ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

(٢) البكرى ، وصف ، ص ٣٩ .

(٣) الرقيق ، ص ١٨٦ .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى ذلك : " ومدينة تونس دار علم وفقه ولي منها قضاء افريقيـــــة جماعة كثيرة . . . "(١) .

وقد ساعد على هذا التطور مركزها السياسي والاستراتيجي فأصبحت ثاني العواصم الافريقية من حيث الأهمية السياسية والاقتصادية. " فكان أبو جعفر اذا قدم عليه رسول صاحب المغرب يقول : " ما فعلت احدى " القيروانيين " - يريد تونس " (٢) .

ومن أشهر مدن الزاب في عهد الولاة مدينة طبنة ،التي قـــام بتجديد بنائها الوالي أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي حوالي ســـنة ١٥٣ هـ بأمر من ابي جعفر المنصور (٣) . وكان الولاة العـــرب ينزلون بها وسكانها اخلاط من قريش والعرب والعجم والافـــارق والروم (٤) . وجاء في وصف البكرى لها : " ولمدينة طبنة مـــن الابواب باب خاقان ،مبني بالحجر عليه باب حديد وهو سرى ، وباب الفتح غربي باب حديد أيضا وبينهما سماط يشق المدينة من البـــاب الى الباب ، وباب تهوذا قبلي عليه باب حديد وهو سرى أيضـــا ،

---

(١) البكرى ، وصف ،ص ٤٠ .

(٢) الرقيق ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ،ص ٣١ ، وابن أبي دينار ، المؤنـــس ، ص ٤٦ ، وفي البكرى ، وصف ، ص ٥٠ " ويقال الذى بناهـــا أبو جعفر عمر بن حفص " .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١ ، البكرى ، وصف ، ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والباب الجديد حديد أيضا ، وباب كتامة جوفي ، وخارج المدينة بازاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبنة بناه عمر بن حفص ، ويشق سكك المدينة جداول الماء العذب ، وبها أسواق كثيرة غير السماط المذكور ، ولها بساتين يسيرة ملاصقة للربض ، ومقبرتها بشرقيها ... وليس من القيروان الى سجلماسة مدينة أكبر منها "(١).

ومن المدن التي أحدثت جنب مدينة القيروان في عهد الاغالبة ، مدينة القصر القديم ، أسسها ابراهيم بن الأغلب سنة ١٨٥هـ ، وانتقل اليها بعبيده وأهل ثقته (٢). ومدينة رقادة التي بناها ابراهيم ابن محمد بن الأغلب سنة ٢٦٣ هـ (٣) " واتخذها دارا ووطنها ... وانتقل اليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا وعمّرت بالاسواق والحمامات والفنادق، ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الاغلب الى أن هرب عنها زيادة الله من أبي عبد الله الشيعي (٤) ، ومدينة صبرة القريبة من مدينة القيروان بناها اسماعيل بن ابي القاسم ابن عبيد الله الشيعي ، سنة ٣٣٧هـ ، وكان اسماعيل يلقب بالمنصور ،

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) انظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٨ (على ميلين من مدينة القيروان) ، الرقيق ، ص ٢٢٢ ، وفي البكرى ، وصف ، ص ٢٨ ، وابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩٢ (على ثلاثة أميال من القيروان) ، وانظر : ص ٩٤ ، ٢٠٧ ،

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١١٧ ، ٢٠٧ وانظر اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٨ .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فسماها المنصورية ، وكان لهذه المدينة خمسة أبواب (١) . وارتبطت أسواق مدينة القصر القديم ورقادة وصبرة بأسواق القيروان (٢) .

ومن المدن التي استحدثت في عهد العبيد بين مدينة المهدية التي أسسها عبيد الله المهدى سنة ٣٠٨ هـ " وكان لها أرباض كثيرة آهلة عامرة أقربها اليها ربض زويلة ، فيه الاسواق والحمامات ، وربض الحمى كان مسكنا لأحناد افريقية من العرب والبربر ، وقصر أبي سعيد وبقّه وقاساس والفيطنة وربض قفصة وغيرها ، ولم تزل دار ملك لهم الى أن ولى الامر اسماعيل بن القاسم سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة فسار الى القيروان محاربا لأبي يزيد واتخذ مدينة صبرة واستوطنها" (٣) .

ومدينة المسيلة أسسها أبو القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة ٣١٣ هـ ، وتولى بنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود الجذامي المعروف بابن الاندلسي واستعمله القاسم عليها الى أن توفي في فتنة يزيد بن مخلد ، فتولى أمرها ابنه جعفر من بعده الى سنة ٣٦٠ هـ .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٢٥ (متصلة بالقيروان) ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ (بينها وبين القيروان نحو نصف ميل) .

(٢) البكرى ، وصف ، ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١٩ (عن البكرى) .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ٣٠ - ٣١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٠٧ . انظر القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الأرض التي بنيت عليها المسيلة لقبائل بربرية من هوارة وبني برزال (١)، وبنيت مدن جديدة الى قرب المدن القديمة مثل مدينة تنس الحديثة التي أسسها مجموعة من البحريين الاندلسيين سنة ٢٦٢ هـ(٢). ومدينة حمزة من أعمال أشير قام بتأسيسها حمزة ابن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب(٣). ومدينة وهران بناها محمد بن أبي عون ومحمد ابن عبدون، وجماعة من البحريين الاندلسيين سنة ٢٩٠ هـ(٤).

وتطورت بعض القرى الى مدن مثال ذلك قرية قلمجنة، هي قرية قريبة من تونس، شرع في بنائها أبو القاسم بن عبيد الله سنة ٣٢٢ هـ واتخذها مدينة يسكنها الغريب السائل من هوارة ونفوسة(٥).

٧ - وكان لانتشار العرب وصلتهم بالارض دور كبير في نشر الاسلام والعربية. وكان خروج القبائل العربية الى افريقية يعقبه الاستقرار في الغالب، مما كان له أكبر الاثر في نشر الاسلام والعربية بين الاهالي، واتجه بعضهم الى امتلاك الارض، عن طريق الاقطاع والشراء وغير ذلك. ويبدو أن تقسيم الاراضي على الفاتحين يرجع

---

(١) البكرى، وصف، ص ٥٩ .

(٢) البكرى، وصف، ص ٦١ .

(٣) ن . م . ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤) ن . م . ص ٧٠ .

(٥) ن . م . ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى بداية الفتح . يذكر ابن خلدون انه عندما " استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاتها واقتسموها وأمدهم الخلفاء بالبعوث الى جهاد البربر وكان فيهم من كل القبائل من العرب وكان صالح بن منصور الحميدى من عرب اليمن في البعث الاول وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه واقطعه اياها الوليد بن عبد الملك في أعوام احدى وتسعين من الهجرة "(١) .

وترد اشارات توضح ان القبائل العربية قامت في البداية بالسيطرة على بعض الاراضي ، فحين ولي الياس بن حبيب الفهرى امارة افريقية سنة ١٣٨هـ أراد ان يبعد ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن عن الحكم " فأغرى الناس للقيام عليه في ما يتزيد به من ضياع أبيه "(٢) .

ويشار الى جماعات عربية توزعت بين القبائل البربرية التي اسلمت لتعليمهم مبادئ الاسلام وأصوله (٣) . وتحولت الرئاسة لبعضهم وامتلكوا الاراضي ومن بين هؤلاء : عرب سبتة الذين دخلوها بالصلح أيام موسى بن نصير (٤) . ويذكر العذرى (ت ٤٧٨ هـ) ، أن قوما من قلشانة دخلوها في فترة الادارسة ، فاشتروا فيها أرضا من البربر وبنوا فيها دورا (٥) .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٢ .

(٢) الرقيق ، ص ١٣٧ .

(٣) الرقيق ، ص ٦٩ - ٧٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٧ ، ٤٢ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١١ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٠٣ (عن العذرى) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير ابن عذارى في وصفه لمدينة سبتة الى أن أهلها عرب وبربر وهي دار علم (١) .

ويذكر صالح بن منصور الذى نشر الاسلام بين قبائل غمارة وصنهاجة وولي أمرهم وصارت الرئاسة من بعده في أعقابه (٢) . ويفهم من أخبار ثورة الخوارج سنة ١٢٢ هـ ان دعاة الخارجية من العرب توزعوا بين القبائل البربرية في نواح مختلفة من المغرب، فمن هوءلاء عكاشة بن أيوب الفزارى الصفرى وكان على قابس ، ومسعود التجيبي الاباضي بطرابلس ، وعبد الجبار بن قيس المرادى والحارث بن تليد الحضرميّ وكان على زناتة وأرضها وهوارة وأرضها (٣) .

وقد حرص المقاتلة العرب على امتلاك الاراضي واستغلالها ، ومع قلة الاشارات المتوفرة ،فاننا نجد قرى بكاملها يمتلكها ملاكون عرب. فقد كان أبو عبد الله محمد بن مسروق ، من اهل القيروان ومن رجالات القرن الثاني ، بعد أن تزهد " يمر بالقرية من قرى أبيه ، فيخرج اليه اهلها ، ومن فيها فيقولون : نحن عبيدك ،وكل ما لنا في هذه القرية فهو لك " ، فيقول : " ان كنتم صادقين فأنتم احرار ومالكم لكم " (٤) . وكانت قراه على طريق سوسة (٥) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٠٢ .

(٢) البكرى ،وصف ،ص ٩٠-٩٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٧٣ وما بعدها ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ٢١١ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

(٤) المالكي ، ج ١ ،ص ١٢٥ ، الدباغ،معالم ، ج ١ ،ص ٣٢٤ .

(٥) الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ٣٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني قاضي افريقية لعمر بن عبد العزيز، أحد كبار ملاكي القيروان، وهو صاحب قصر مغيرة وقرية المغيريين وورث أعقابه ممتلكاته من بعده (١).

وأكبر ملاكي تونس آل تمام بن تميم الدارمي كان تمام بن تميم من أبناء الجند قاد ثورة الجند سنة ١٨١ هـ وتوفي بسجن بغداد سنة ١٨٧ هـ (٢). وحين خرج سلمة بن تميم الى بغداد يطلب العفو لاخيه وجده قد توفي في سجنه فأمر الخليفة هارون الرشيد "لسلمة بسجل الى ابراهيم بن الاغلب ليعلم قدره وقدر اهل بيته ويحملهم في أوفر الصلات ورفع عنهم الخراج فيما صار لهم من الضياع، وأن يستعين بهم في الاعمال وأمر له بجائزة وصرفه الى افريقية" (٣).

وكانت الملكيات الكبيرة على شكل ضياع وقرى وكان ملاكو الارض من الامراء، وبعضهم من العلماء. فكان لامراء بني فهر عدد من الضياع (٤). وكان للامير يزيد بن حاتم (١٥٥ هـ - ١٧١هـ) ضيعة

---

(١) الدباغ، معالم، ج ١، ص ٢١١.

(٢) الرقيق، ص ٢٠٥ - ٢١٠، ٢١٥ - ٢١٦، ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ١٥٤ - ١٥٥، ابن الأبّار، الحلة، ج ١، ص ٩١ - ٩٣، ابن عذارى، ج ١، ص ٨٩ - ٩١، النويرى، ج ٢٢، ص ٦٠ - ٦٢، ابن خلدون، ج ٤، ص ١٩٥.

(٣) الرقيق، ص ٢١١.

(٤) الرقيق، ص ١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واسعة بفحص القيروان (١) ، وللقاضي عبد الله بن عمر بن غانم الرّعيني (١٢٨ هـ - ١٩٠ هـ) ضيعة بالريدان (٢) ، وللقاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى (٧٥ هـ - ١٦١ هـ) ضيعة (٣) .

وكان للامام سحنون بن سعيد (١٦٠ هـ - ٢٤٠ هـ) ، ضيعة بالبادية في منطقة الساحل (٤) ولأخي البهلول بن راشد مولى رعين ضيعة بالبادية (٥) ، وكان للجزرى (٦) ، صاحب سحنون ، ضيعة (٧) ، ولعبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد (ت ٢٤٧ هـ) ضيعة واسعة وكان يملك سبع عشرة ألف شجرة زيتون ، وكان مع ذلك أزهد اهل زمانه ، كثير الصدقة والمعروف (٨) .

---

(١) الرقيق ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، وفي الرقيق ، " الديدان " ، ص ٢٢٩ .

(٣) الرقيق ، ص ١٦٦ .

(٤) عياض ، تراجم أغلبية ، ص ٩٧ .

(٥) أبو العرب ، ص ١٢٧ . وعن سحنون بن سعيد : " ان البهلول كان جالسا مع رباح حين جاء أخو بهلول " بقية " من البادية فجعل يلهج بخبز المطر والزرع " .

(٦) هو أبو عثمان الجزرى ، أحد زهاد المنستير ، وقد أورد المالكي ترجمته في الرياض دون ذكر تاريخ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٧) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٨) ن . م . ج ١ ، ص ٣٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان القاضي عبد الله بن طالب (ت ٢٧٥ هـ) يملك آلافا من شجر الزيتون بالساحل (١)، وكانت لأبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبدوس (ت ٢٦٠ هـ) ضيعة، وكثيرا ما كان يتصدق منها، وجاء في ترجمته، عن محمد بن بسطام: "كنت في بيتي في ليلة شتوية اذ دقّ عليّ الباب، واذا محمد بن عبدوس وعليه جبّة صوف، وقلنسوة من فرو، فقلت: "ما جاء بك في هذا الوقت؟" فقال: "ما بت الليلة غمّا بفقراء أمة محمد صلى الله عليه وسلم تسليما!؟ هذه مائة دينار ذهبا - واخرج بها يده من طوقه - وهي غلّة ضيعتي، احذر ان تمسي الليلة وعندك منها شيء، ثم انصرف (٢).

وكان بعض الوافدين على القيروان يقتنون الضياع. قدم موسى ابن معاوية الصمادحي (ت ٢٢٦ هـ) الى افريقية سنة ١٨٤هـ، (٣) فاستقر بالقيروان واشترى ضياعا كثيرة، فعرف بالصمادحي (٤)، وتشير الروايات الى عدد من الضياع حبست للمرابطين، حول رباط قصر زياد (٥).

---

(١) الدباغ، معالم، ج٢، ص ١٧٠.
(٢) المالكي، ج١، ص ٣٦١، الدباغ، معالم، ج٢، ص ١٤٠.
(٣) أبو العرب، ص ١٩٠ - ١٩١.
(٤) عياض، تراجم أغلبية، ص ١٤١.
(٥) المالكي، ج١، ص ٣٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان القاضي عبد الله بن عمر بن غانم هو الذى أوقف الاحمية التي كانت بمراسي افريقية لمرافق المرابطين (١) .

وكان الملاكون الصفار على صلة بالبادية ، سأل أشهب عن سحنون : "مالي لا أسمع له ذكرا في بلدكم ؟" فقيل له : "انه رجل قليل ذات اليد ،وانّما لزومه البادية أكثر أيامه" (٢) .

وكان أصحاب الملكيات الكبيرة يقيمون في القيروان وتونس والمنستير ،ويديرون ملكياتهم بواسطة وكلاءهم يقومون بالاشراف على قراهم وضياعهم ،ومراقبة الفلاحين ،وتزويد الضيعة بما تحتاجه ،وبيع الغلة عند نضوجها ، وهم في الغالب من مواليهم (٣) . وكانوا أغلب الاحيان يستخدمون الرقيق في ضياعهم (٤) .

وكانت لتجارة الرقيق أهمية خاصة في علاقات القيروان التجارية مع المشرق الاسلامي وكان للرقيق سوق خاص بها هو سوق البركة (٥) . وينتظر من هذه الفئة ،من عبيد وموالي أن تتعرض الى العربية لغة السوق والتجارة .

---

(١) تراجم أغلبية ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٣) الرقيق ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨٢ ، انظر كذلك الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ .

(٤) الرقيق ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٥) تراجم أغلبية ، ص ٢١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصــــل الرابـــــع

- الأقسام الادارية لولاية افريقية وتوزيع العرب فيهـــــــــا -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان دراسة دقيقة لكتاب البلدان لليعقوبي تعطينا فكرة عن الأقسام الادارية والسياسية التي عرفتها افريقية والمغرب في عصرى الولاة والأغالبة، بالاضافة الى انتشار العرب واستقرارهم في المدن في القرن الثالث للهجرة.

يذكر اليعقوبي برقة وأرباضها والأعمال التابعة لها وكأنها قسم اداري قائم بذاته.

ففي برقة وأرباضها كان الجند وأخلاط من الناس، والأكثرية من الجند الذين دخلوا اوائل الفتح فاستقروا بها، فكان لهم الاولاد والاعقاب هناك (١). ولبرقة جبلان شرقي وغربي، فيهما قوم من العرب. ففي الشرقي، الازد، ولخم، وجذام والصدف وغيرهم من أهل اليمن. وفي الغربي قوم من غسّان وجذام والازد وتجيب وغيرهم من بطون العرب (٢).

وفي برقة أقاليم كثيرة تسكنها بطون مختلفة من البربر ومن مدنها برنيق واجدابية. ومدينة اجدابية لها سور وبها مسجد جامع، وأهلها قوم من البربر من زناتة وواهلة ومسوسة وتحلالة وغيرهم. وتسيطر على هذه المدينة، وتستفرد بحكمها قبيلة وجدانه التي يبدو أنها من القبائل المستعربة (٣). وتغلبت مزاتة على مدينة سرت، على ساحل البحر (٤).

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٤٣.

(٢) ن. م. ص ٣٤٣.

(٣) ن. م. ص ٣٤٤.

(٤) ن. م. ص ٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أعمال برقة التابعة لها ، ودّان ، وفيها قوم مسلمون يدّعون أنهم عرب من اليمن ، وأكثرهم من مزاتة ، وهم الغالبون عليها (١) . وفي زويلة قوم اباضيّة ، ويتاجرون بالرقيق الذى يجلبونه من السودان ، وبها أخلاط من اهل خراسان ومن البصرة والكوفة (٢) . أما كوّار ففيها قوم من المسلمين من البربر من سائر المدن لأن أغلبهم كان يمتهن تجارة الرقيق (٣) .

ويعتبر اليعقوبي قبيلتي مزاتة ولواتة أهل برقة (٤) . ويبدو أن آخر حد أقليم برقة من المغرب بلدة تورغة التي هي ديار مزاتة وكلهم من الاباضية (٥) . ومن تورغة الى طرابلس ست مراحل . وتنتهي ديار مزاتة من تورغة لتبدأ ديار هوارة ، " فأول ذلك ورداسة ثم لبدة وهي حصن كالمدينة على ساحل البحر " (٦) .

وكانت طرابلس ديار هوارة ، وتزعم أنها من اليمن وجهلت انسابها (٧) . ويبدو أن هوارة استعربت في فترة الفتح فصارت تنتسب للعرب مع مرور

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥ .

(٢) ن . م . ص ٣٤٥ . وانظر كذلك الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٤ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥ .

(٤) ن . م . ص ٣٤٦ .

(٥) ن . م . ص ٣٤٤ .

(٦) ن . م . ص ٣٤٦ .

(٧) ن . م . ص ٣٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزمن ، ويذكر اليعقوبي أن هوارة كانوا يتناسبون كما تتناسب العرب فمنهم بنو اللّهان ، ومليلة وورسطفة ، وبطون اللّهان ، بنو درما ، وبنو مرمزسان وبنو ورفلة وبنو مسراتة ، وكانت منازل هؤلاء المستعربة من هوارة من آخر عمل سرت الى طرابلس (١) .

كانت طرابلس وسواحلها من أعمال افريقية كما يبدو من قول اليعقوبي " وهي من أعمال الاغالبة أصحاب افريقية " (٢) ، وكان يسكنها اخلاط من الناس (٣) . أما جبل نفوسة فهو في أعمال الرّستميين بتاهرت وقد تصالح عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الاباضي صاحب تاهرت مع ابراهيم بن الاغلب سنة ١٩٦ هـ ، على أن يكون الساحل له ، ويكون جبل نفوسة للاباضية (٤) . ويؤكد ذلك اليعقوبي " ومن طرابلس الى أرض نفوسة وهم قوم عجم الالسن اباضية كلهم ولهم رئيس يقال له الياس لا يخرجون عن أمره ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع وقرى، ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجا الى سلطان ولا يعطون طاعة الاّ الى رئيس لهم بتاهرت وهو رئيس الاباضية يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن الفارسي " (٥) .

ويفهم من اليعقوبي ان منطقة الجبل استفردت بها قبائل بربرية من نفوسة صاروا اباضية ولم يستعربوا .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦ .

(٢) ن . م . ص ٣٤٦ .

(٣) ن . م . ص ٣٤٦ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقابس أول بلد من أعمال اقليم افريقية ، وأهلها اخلاط من العرب والعجم والبربر ، وبها عامل لابن الاغلب صاحب افريقية ، وتمتد سلطة هذا العامل الى اقليم طرابلس عند موضع يسميه اليعقوبي وسلة وهو أول مرحلة من طرابلس ، ثم قيترة ، ثم الى قابس بعد أن يمر المسافر بقرى صغيرة . ومن قابس الى مدينة القيروان أربع مراحل (١) .

والقيروان مركز اقليم افريقية كما يفهم من اليعقوبي ، وهو يتحدث عنها في فترة حكم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب ويذكر أسماء الجند الذين ثاروا عليه مثل عمران بن مجالد الربعي وعبد السلام بن المفرج ومنصور الطنبذى ، وهم من الجند العرب الوافدين على افريقية مع الوالي ابن الأشعث (٢) .

وكان عمران بن مجالد الربعي وعبد السلام المفرّج قائدين على حامية تونس التي كان معظم رجالها من الجند العربي (٣) . أما منصور الطنبذى فكان رئيسا للجند العرب في طنبذة التي تقع غربي القيروان (٤) . وبعد ثورة الجند وقضاء زيادة الله عليها هدم أسوار تونس وجعلها تابعة للقيروان (٥) .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٧ .

(٢) ن . م . ص ٣٤٧ .

(٣) ن . م . ص ٣٤٧ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩٨ - ١٠٢ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القيروان فكان فيها اخلاط من الناس من قريش ومن سائر قبائل العرب ، من مضر ، وربيعة ، وقحطان . وبها اصناف من اهل خراسان ، ومن كان وردها مع عمال بني هاشم من الجند وبها عجم البلد ، البربر والروم (١) .

يتحدث اليعقوبي عن ولاية افريقية التي تشمل أعمالها طرابلس وافريقية (تونس الحالية) والزّاب ، وهي :

١ - القيروان التي تشمل رقادة وسوسة وسطفورة وباجة والاربس ومجانة (٢) . وتقع رقادة على ثمانية أميال من القيروان وهي القاعدة الثانية للأغالبة (٣) . وتبعد سوسة عن القيروان بمرحلة اذ تقع على البحر ، وفيها دار صناعة ، وسكانها اخلاط من الناس (٤) .
وفي سطفورة ، على مرحلتين من القيروان ، قوم من قريش وقضاعة (٥) ، وفي باجة ، على ثلاث مراحل من القيروان ، قوم من جند بني هاشم من القدم وقوم من العجم (٦) . وفي الاربس اخلاط من الناس وهي على مرحلتين من القيروان (٧) . ومن القيروان الى مجانة أربع مراحل أهلها من ديار ربيعة وهم جند للسلطان (٨) .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٨ .
(٢) انظر اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
(٣) ن . م . ص ٣٤٨ .
(٤) ن . م . ص ٣٤٨ .
(٥) ن . م . ص ٣٤٨ .
(٦) ن . م . ص ٣٤٩ .
(٧) ن . م . ص ٣٤٩ .
(٨) ن . م . ص ٣٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ - جزيرة شريك وماجاورها ، فيها مدن صغيرة ، يتفرق فيها الناس، وينزل عاملها في احدى مدنها يقال لها النّواتية التي تقع بالقرب من اقليبيّة .
وفي الجزيرة على مرحلة من القيروان ، قوم من رهط عمر بن الخطاب، وسائر بطون العرب والعجم (١) .

٣ - قمودة وهي بلاد واسعة فيها مدن وحصون قاعدتها مدينة مذكور، وكان بها عامل في الوقت الذى زارها اليعقوبي (٢) .

٤ - قفصة ويبدو من اليعقوبي انها قسم ادارى قائم بذاته ،فيها عامل يمتد سلطانه على طرابلس أيضا (٣) .

٥ - تونس وكانت قسما اداريا له عامله حتى ثورة منصور الطنبذى حين هدمت اسوارها فألحقت بالقيروان (٤) .

٦ - قسطيلية وكانت قسما اداريا قائما بذاته، وهي أربع مدن، هي : توزر، والحامية ،وتقيوس ، ونفطة . وأكبر هذه المدن، مدينة توزر التي كان ينزل بها العمال (٥) .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٨ .
(٢) ن . م . ص ٣٤٩ وانظر الادريسي ،ص ١٣٣ ، ابن حوقل ، ص ٦٩ ، البكرى ، وصف ، ص ٧٥ ، التيجاني ، ص ١٣ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٠٢ .
(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٩ .
(٤) ن . م . ص ٣٤٨-٣٤٩ .
(٥) ن . م . ص ٣٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧ - نفزاوة ، وتتكون من عدة مدن ، أكبرها مدينة بشرّة التي كان ينزلها العمّال (١) .

٨ - ومما يلي جنوب القيروان بلاد يقال له الساحل ، وهو ليس بساحل بحر ، انما سمّي بذلك لكثرة أشجاره من الزيتون والكروم ، وهي قرى متصل بعضها ببعض ، وهي كثيرة ، ومنها قرية غافق التي هي من أعمال سفاقس (٢) .

ومدينة سفاقس تكثر فيها الحصون والرباطات حيث ينزل العباد والمرابطون (٣) .

أما بلاد الزاب فهي واسعة تحوى مدنا وأقاليم شتى ، وقاعدتها طبنة التي تقع في وسط الزاب ، وهي التي ينزلها الولاة ، وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والافارقة والروم والبربر (٤) . ومن مدائن الزاب ، المدينة القديمة وتسمى باغاية ، سكانها قبائل من الجند وعجم من اهل خراسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم ، وحولها قوم من البربر من هوارة بجبل الاوراس (٥) .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٠ .

(٢) ن ٠ م ٠ ص ٣٥٠ ، والبكرى ، وصف ، ص ١٩ ، وانظر الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٩٩ ، والسّراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٠ ، وانظر كذلك ابن حوقل ، ص ٧٣ ، والبكرى ، وصف ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٥) ن ٠ م ٠ ص ٣٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن عمل باغاية ، مدينة تيجس ،حولها قوم من بربر نفزة (١) ، وميلة مدينة محصنة " لم يلها وال قط ،ولها حصن دون حصن فيه رجل من بني سليم يقال له موسى بن العباس بن عبد الصمد من قبل ابن الاغلب " (٢) . ويفهم من قول اليعقوبي ان ميلة كان لها كيان اداري داخل ولاية افريقية ويحكمها عربي كان هناك قبل مجيء بني الأغلب وكان أشبه بصاحب اقطاع فدخل تحت طاعة بني الأغلب ولم يكن من ولاتهم .

أما سطيف ففيها قوم من بني أسد بن خزيمة " عمال من قبل بني الاغلب " (٣) . ويبدو أن سطيف كانت طيعة لبني أسد الا ان عمالها كان يحكمون باسم بني الأغلب .

وبلزمة واهلها قوم من بني تميم ومواليهم " وقد خالفوا على ابن الاغلب في هذا الوقت " (٤) . ويفهم من اليعقوبي ان بلزمة كانت قطيعة لبني تميم وحين زارها كان اهلها قد نقضوا اتفاقهم مع بني الاغلب (٥) .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١ ، تيجس تقع في الجنوب الشرقي من قسنطينة .

(٢) ن ٠ م ٠ ص ٣٥١ ، انظر القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ١٣٥ . (فيها قوم من ربيعة) .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٣٥١ .

(٤) ن ٠ م ٠ ص ٣٥١ .

(٥) كان هذا في عهد ابراهيم بن أحمد بن الاغلب (٢٦١ - ٢٨٩ هـ) ، وكانت ثورة بلزمة سنة ٢٨٠ هـ وهذا التاريخ يحدد لنا الوقت الذى كان فيه اليعقوبي في افريقية . انظر عن ثورة بلزمة ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونقاوس ، مدينة كثيرة العمارة والشجر والثمر وبها قوم من الجند وحواليها البربر من مكناسة ، بطن من زناتة ، وحولهم قوم يقال لهم أوربة (١) .

ومن مدن الزاب مدينة اسمها مقرّة ، وهي بلد كبير ذو ثمار وانهار ومزارع ، وأهل مقرّة قوم من بني ضبّة وبها أيضا قوم من العجم وحولهم بربر يقال لهم بني زنداج (٢) ، ومساكن للعرب (٣) . ويفهم من اليعقوبي ان بني ضبّة كانوا من العرب الذين استقروا في هذه المنطقة في بداية الفتح ، فاستبدوا بها ، وأصبحت كما يبدو قطيعة لهم ، ثم دخلوا في طاعة بني الأغلب ، فتركت المنطقة لهم .

وتلي مدينة مقرّة حصون رحلس وطلمة وحسرور وكان سكانها قوم من بني تميم من بني سعد يقال لهم بنو الصمصامة خالفوا على بني الاغلب ، وظفر ابن الاغلب ببعضهم فحبسهم (٤) .

وتلي مدينة مقرّة ، مدينة أجرّ وبها قوم من هوارة خالفوا على ابن الاغلب ، والمخالفون هم من البربر المستعربة من بني سمعان (أو سمغار)

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١-٣٥٢ ، وانظر البكرى ، صفة ، ص ١٤٤ (يسميهم بنو زنراج) ، وياقوت ، معجم ، ج ٥ ، ص ١٧٥ ، يذكر ان بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ وبها مسلحة للسلطان ضابطة للطريق وينسب اليها عبد الله بن محمد الحسن المقرى) .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ١٤٤ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٥) عند اليعقوبي (أجه) ، ص ٣٥١-٣٥٢ ، انظر البكرى ، وصف ، ص ٥٤ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبني ورجيل (١) . وحول هذه المدينة قبائل من العرب والبربر من ضريسة ومرنيسة (٢) .

وفي آخر حديثه عن اقليم الزاب يذكر اليعقوبي مدينة أربة (٣) ويجعلها آخر مدن الزاب مما يلي المغرب، وهي آخر عمل بني الاغلب ولم يتجاوزها سلطان بني العباس (٤) .

ويفهم من اليعقوبي ان اقليم الزاب قسم اداري قائم بذاته ،قاعدته طبنة وهو مقسم الى أقسام ادارية صغيرة ،انفرد بكل قسم منها بيت أو جماعة من العرب أو البربر المستعربين وهم احيانا في طاعة عامل الزاب ووالي افريقية بالقيروان وأحيانا يخرجون عن الطاعة .

كما يتبين ان حدود ولاية افريقية بأقسامها الثلاثة ،طرابلس ،افريقية والزاب ،تمتد من طرابلس الى مدينة أربة التي تقع الى الشمال الغربي من مدينة طبنة . وأن ولاية بني الاغلب لم تتجاوز الحدود الغربية لاقليم الزاب .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٢) البكري ، وصف ، ص ٥٤ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ،ص ١٠٢ .

(٣) أربة : مدينة من أعمال الزاب ،وهي أكبر مدنه ، ويقال ان حولها ثلاثمائة وستين قرية ، انظر ياقوت ، ج ١ ،ص ١٤٠ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يتضح السبب في وقوف حدود ولاية افريقية عند هذا الحد اذا رجعنا الى بداية الفتح ، وفترة عصر الولاة . ذلك ان البلاد التي تلي مجرى شلف غربا وتمتد الى مجرى الملوية والتي يطلق عليها اسم المغرب الأوسط - وقاعدتها تلمسان - كانت من بداية الفتح قسما اداريا قائما بذاته يحكمه عامل تابع لوالي افريقية ،فقد وصل أبو المهاجر دينار سنة ٥٥ هـ في فتوحاته الى تلمسان ويقول ابن خلدون في حديثه عن فتح العرب للمغرب الاوسط ما يلي : " وكانت رئاسة البربر يومئذ في أوربة لكسيلة ابن لمزم ،وهو رأس البرانس ، ومرادفه سكرديد بن رومي بن مازرت من أوربة ، وكانا على دين النصرانية ، فأسلما لأول الفتح ثم ارتدا عنه عند ولاية ابي المهاجر حتى نزل تلمسان ،فهزمهم وظفر بكسيلة فأسلم واستبقاه " (١) .

وهكذا يتبين ان أبا المهاجر أبقى كسيلة بعد اسلامه سيدا على هذه الناحية وحليفا للعرب ،فنشأ قسم تلمسان كجزء من المغرب يسوده الاسلام وهذا القسم يمتد حتى نهاية بلاد كسيلة غربا عند حوض الملوية .

ويبدو ان هذه المنطقة ظلت تديرها زناتة بعد مقتل أميرها كسيلة سنة ٦٥ هـ(٢) ، وذلك ان البكرى ، وابن خلدون يذكران في حديثهما عن المغرب الاوسط ان المنطقة كانت ملكا لزناتة حتى عرفت باسمها فقيل

---

(١) ابن خلدون ، ج٦ ،ص ٢١٦ . انظر كذلك ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٢) انظر ابن خلدون عن امتلاك زناتة ومغراوة لهذه المنطقة ، ج ٧ ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مطكة زناتة (١) ، ثم ان زناتة هي التي اختطت تلمسان (٢) .

وحين انتشر المذهب الخارجي بالمغرب انتحلته زناتة وبنو يفرن ، ومن ثم اندلعت ثورة الصّفرية بالمغربين الاقصى والاوسط بزعامة ميسرة المدغرى وعبد الحميد الزناتي فأدت الى هزيمة الجيش العربي في وقعة الاشراف سنة ١٢٢ هـ (٣) .

وتقاسم المغرب الاوسط أو اقليم تلمسان الخوارج المتغلبون من صفرية واباضيّة (٤) . فأنشأت امارة صفرية بتلمسان برئاسة الزعيم البربرى المستعرب ابي قرّة اليفرنيّ الذى أعلن نفسه أميرا على هذه المنطقة في سنة ١٤٨هـ ، واجتمعت على بيعته زناتة وبنو يفرن وسلمت عليه هاتين القبيلتين بالخلافة لمدة أربعين سنة (٥) .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٧٦ - ٧٧ وابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٢ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٤ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١٢ ، ١٧ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٨ وانظر الرقيق ، ص ١١٠ - ١١١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥٣ - ٥٤ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٩ ، ج ٦ ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١١ ، ١٢ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١٢ ، ١٧ ، ج ٦ ، ص ١٢٥ ، ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدأ عبد الرحمن بن رستم زعيم الاباضية بتأسيس الدولة الاباضيّة سنة ١٤٤ هـ وشملت معظم الاقاليم التابعة لمدينة تاهرت ، كما عمل على تقوية نفوذه ،فجمع حوله طوائف البربر من لماية ولواتة ونفزاوة ونفوسة تمهيدا لاعلان قيام دولته الرّستميّة الاباضية سنة ١٦١ هـ (١) .

وفي سنة ١٥٠ هـ تكتل صفريّة المغرب الاقصى والاوسط وثاروا على الوالي عمر بن حفص بزعامة ابي قرّة اليفرني الصفرى (٢) ، وتلت هذه الثورة سلسلة من الثورات قام بها الخوارج الصفريّة والاباضية ولم يبق للخلافة العباسية بعد مقتل عمر بن حفص سنة ١٥٤ هـ الّا بقية من الجند في القيروان والزّاب (٣) .ولم ينته الصراع بين عمال الخلافة والخوارج الا سنة ١٧٣ هـ في ولاية روح بن حاتم الذى قام بمهادنة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الامام الثاني للدولة الرستمية الاباضية بتاهرت (٤) .

وهكذا ظهرت في المغرب الاوسط مجموعة من الكيانات السياسية مستقلة عن مركز الخلافة كما في اقليمي تلمسان وتاهرت . الا ان امارة تلمسان لم يكتب لها البقاء طويلا ، فدخلت في حوزة الادارسة سنة ١٧٣هـ

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٧٢ ، ١٩٦ ، ابن خلدون ، ج ٧ ، ١٢ ، ج ٦ ، ص ١٢١ ، ١١٧ ، ١١٥ ، وانظر ابن الصغير ، ص ٥ .

(٢) الرقيق ،ص ١٤٣ ، انظر ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٧٥ - ٧٦ ،النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٤٨ - ٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٧ ،ص ١٢ ، ج ٤ ،ص ١٩٣-١٩٤ .

(٣) الرقيق ،ص ١٤٦-١٤٨ ، وابن عذارى ، ج ١ ،ص ٧٦-٧٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٤) الرقيق ،ص ١٧٣ وانظر النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٥٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك بمساعدة مغراوة احدى بطون زناتة (١) ، يقول السلاوى : " لما قفل ادريس من غزو بلاد المغرب الاقصى سنة ١٧٣ هـ ... خرج برسم غزو مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبني يفرن فانتهى اليها ونزل خارجها فخرج اليه صاحبها محمد بن خزر من ولد صولات المغراوى مستأمنا ومبايعا له فأمضاه ادريس وقبل بيعته " (٢) . ويضيف بعد ذلك انه دخلها سنة ١٧٤ هـ وأمّن أهلها وبنى مسجدها وعيّن عليها أخاه سليمان سنة ١٧٥ هـ (٣) .

صارت تلمسان ملكا لبني الادارسة وهذا ما يوضّحه ابن خلدون بقوله : " وأما سليمان أخو ادريس الأكبر فانه فرّ الى المغرب أيام العباسيين فلحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه ادريس ... ولحق بتلمسان فملكها وأذعنت له زناتة وسائر قبائل البربر هنالك وورث ملكه ابنه محمد بن سليمان على سنته ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الاوسط واقتسموا ممالكه ونواحيه فكانت تلمسان من بعده لابنه محمد بن أحمد بن القاسم بن محمد بن أحمد " (٤) . ويذكر البكرى ان تلمسان لم تزل دار العلماء والمحدثين وحملة الرأى على مذهب مالك بن أنس (٥) .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٢٤ .

(٢) السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٥٧ وانظر ابن ابي زرع ، القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، ابن ابي زرع ، القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٣ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١٧ .

(٥) البكرى ، وصف ، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وواضح ان سيادة مذهب مالك في تلمسان كانت بعد استيلاء الادارسة عليها وهذا ما يؤكده ابن خلدون بقوله : " انتظمت لادريس ابن ادريس كلمة البربر وزناتة ومحى دعوة الخوارج منهم واقتطع المغربيين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادى شلف ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه بعدما ضايقه بالمكاد واستفساد الاولياء . . . وعجز الاغالبة من بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادارسة "(١) . وهذا يعني ان المغرب الاوسط ،كما حدّده ابن خلدون ،أى ما بين نهر شلف وملوية تقريبا وقاعدته تلمسان ، كان وحدة ادارية وسياسية يحكمها عامل مركزه تلمسان يتّبع والي افريقية حينا والمغرب الاقصى حينا آخر .

أما المغرب الاقصى فقد جعله موسى بن نصير سنة ٩٠ هـ اقليما اداريا مركزه طنجة . وجند أعدادا كبيرة من قبائل البربر مثل كتامة وهوارة وزناته ومصمودة (٢) ، ووحّد هؤلاء الجنود الجدد مع جراوة الذين جندوا في عهد حسان ، ووضعهم جميعا في حامية طنجة تحت قيادة طارق بن زياد بعد ان عيّنه حاكما على هذه المدينة في حدود سنة ٩٠ هـ ولم يبق مع طارق الاّ قلّة من العرب مهمتهم نشر تعاليم الاسلام بين البربر (٣)

وأنشيء قسم ادارى آخر في جنوب المغرب الاقصى يسمى السوس الادنى تارة والسوس الاقصى تاره اخرى . ويعرف ابن عذارى السوس الادنى بأنه اقليم تامسنا ، ويمتد من جنوب سلا بالمغرب الاقصى وحدّه جبل درن (٤) ،

---

(١) ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ١٤ ، ج ٧ ، ص ١٠ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٣-٤٤ ،عبيد الله بن صالح ،نص جديد ،ص ٢٢٤ .

(٣) ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٤-٢٠٥ وانظر الرقيق ،ص ٦٩-٧٠ ،ابن الاثير ،الكامل ، ج ٤ ،ص ٥٤٠ ،ابن خلكان ،ج ٥ ،ص ٣٢٠ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٤٢ ،عبيد الله بن صالح ،ص ٢٢٤ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٢٢ ،ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ٤٠٢ ، ج ٦ ،ص ٢٢٠ ، ٤٣٧ ، السلاوى ،الاستقصاء ،ج ١ ،ص ٩٦ ، المقرى ، نفح الطيب ،ج ١ ،ص ٢٣٩ .

(٤) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو سلسلة الجبال التي يطلق عليها اسم الا طلس الكبير (١) .

وكان عقبة بن نافع قد غزا هذا الا قليم في ولا يته الثانية لا فريقية والمغرب وفي ذلك يقول ابن عذارى : " وغزوته أيضا للبربر بالسوس الا دنى ، وهي بلاد تامسنا ، وهي بلاد المصامدة .. فهزمهم وأفناهم ... "(٢) .

أما السوس الا قصى فيقال لها بلاد ماسة ، ويتصل السوس الا قصى ببلاد الصحراء الى بلاد السودان (٣) . وكان عقبة بن نافع قد وصلها في غزوته الثانية (٤) وبنى عقبة مسجدين أحدهما بالسوس الا دنى والآخر بالسوس الا قصى (٥) .

---

(١) جبل درن أو اطلس الكبرى ، هي سلسلة الجبال التي تبدأ من المحيط الا طلسي من اقصى السوس وتمر شرقا حتى تصل الى جبل نفوسة فتسمى باسمه هناك ، وتتصل بعد ذلك بجبال طرابلس ، انظر عن ذلك الا دريسي ، صفة المغرب وأرض السودان ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، و البكرى ، وصف ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٦ ، وانظر الرقيق ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٦ ، انظر اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٦٠ .

(٤) الرقيق ، ص ٤٦ ، ويقول في ذلك : " ... ومضى كذلك (أى عقبة) حتى دخل السوس الا قصى ، فاجتمع به البربر في عدد لا يحصى فلقيهم ، فقاتلهم قتالا شديدا ... وأصاب منهم نساء لم ير الناس في الدنيا مثلهن ، فقيل ان الجارية منهن كانت تبلغ ألف دينار ... " ، وانظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٦-٢٧ (برواية ابن ابي الفيّاض) ، البكرى ، وصف ، ص ١٦٢ .

(٥) عبيد الله بن صالح ، ص ٢١٩-٢٢٠ ، وابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٧ وانظر البكرى ، وصف ، ص ١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودخل موسى بن نصير اقليم السوس بعد عقبة بن نافع . ويذكر ابن عذارى، أن موسى بعد أن هزم بعض قبائل البربر في المغرب الاقصى استمر في غزوهم حتى بلغ السوس الادنى (١) ثم أرسل موسى حملتين الى السوس الاقصى ،كانت الاولى بقيادة ابنه مروان (٢) ، والثانية بقيادة زرعة ابن أبي مدرك البربرى (٣) .

وفي امارة عبيد الله بن الحبحاب على افريقية والمغرب سنة ١١٦هـ بعث عامله حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة الفهرى لغزو المغرب فبلغ السوس الاقصى وأرض السودان (٤) . ثم عيّن بعد ذلك ابنه اسماعيل عاملا على

---

(١) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٤٣ ، وانظر ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٥ ، الرقيق ، ص ٦٩ ، ابن الاثير، الكامل ،ج ٤ ،ص ٥٤٠ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٥ ،ص ٣٢٠ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٢٢ ، أخبار مجموعة ، ص ٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ٤٠٢ ، المقرى ، نفح ، ج ١ ، ص ٢٥٠ ،السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٤ ، عبيد الله بن صالح ،نص جديد ،ص ٢٢٤ وانظر خليفة ، تاريخ ، ص ٣٠٢ ، وابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٢ ، عبيد الله بن صالح ،ص ٢٢٤ .

(٤) الرقيق ، ص ١٠٨ ، وانظر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤، ص ١٧٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السوس الى جانب عامله على طنجة ،عمر بن عبد الله المرادى (١) . ويبدو أن المقصود بالسوس هنا ، هو السوس الاقصى ،أى منطقة سجلماسة التي تقع في جنوب ، جنوب المغرب الاقصى ، وتعدّ آخر مرحلة في اتجاه الطريق الصحراوي نحو بلاد السودان (٢) . وقد نفّذ عبد الرحمن بن حبيب في امارته سنة ١٢٧هـ مشروعا هاما ، له أكبر الأثر في انتشار الاسلام ،اذ قام بحفر سلسلة من الآبار بين واحات افريقية ومدينة أودغشت بصحراء المغرب الاقصى ، وأصبح هذا الطريق ممهد امام القوافل التجارية للتوغل في غربي الصحراء ، بعد ان كان الطريق الوحيد للتجارة هو طريق الساحل بمحاذاة المحيط (٣) . ويخبرنا البكرى ان معسكر عبد الرحمن بن حبيب كان موجودا في ايامه بالسوس الاقصى (٤) .

وقد عدّ الجغرافيون والمؤرخون القدامى افريقية والمغرب ولاية واحدة (٥) . ثم قسموا هذه الولاية الى أربعة اقسام ادارية غير متناسبة في المساحة والاهمية وهي افريقية ، والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى والسوس (٦) .

---

(١) الرقيق ،ص ١٠٨ ، ابن عبد الحكم ،ص ٢١٧ ، ابن الاثير ، ج ٥ ،ص ١٩١ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٥١ .

(٢) انظر عن تحديد منطقة سجلماسة : اليعقوبي ، البلدان ،ص ٣٥٩-٣٦٠ ، والبكرى ، وصف ، ص ١٤٩ ، وياقوت ، معجم ، ج ٣ ،ص ١٩٢ .

(٣) يحيى هويدى ، تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية ، ج ١ ،ص ١٤٥ .

(٤) البكرى ، وصف ،ص ١٦٢ .

(٥) انظر ابن عبد الحكم ،فتوح ،ص ١٧٠ والبلاذرى ، فتوح ،ص ٢٢٢ ، البكرى ، وصف ،ص ٢١ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ،ص ٢٢٨ .

(٦) انظر الاقسام الادارية في الفصل الاول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرجع أول تنظيم للمغرب الاسلامي الى ايام حسان بن النعمان الغساني ، بعد ان قضى على ثورة الكاهنة سنة ٨٢ هـ وضع اساس تنظيم ولاية افريقية والمغرب لتصبح ولاية قائمة بنفسها مستقلة بادارتها لا تعتمد على مصر في شأن من شؤونها " فدون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم افريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية "(١) .

ويعطي المالكي فكرة عما فعله حسان بن النعمان ، فيقول : " ثم ان الروم والبربر تخوفوا بعد ذلك ، واجتمعوا على قتال حسان وقاتلوه فهزمهم الله تعالى ، فلم يقبل أمانهم حتى أعطوه من جميع قبائلهم اثني عشر ألف فارس تكون مع العرب مجاهدين ، فأجابوه وأسلموا ، فعقد لولدى الكاهنة بعد اسلامهما لكل واحد منهما على ستة الاف فارس من البربر والديا عليهم ، وأخرجهم مع العرب يفتحون افريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر ، فمن ذلك صارت الخطط للبربر بافريقية ، فكان يقسم الفيء بينهم والارض ، وحسنت طاعتهم فدانت له افريقية ودوّن الدواوين ، ثم قدم القيروان فأمر بتجديد بناء المسجد الجامع فبناه بناءا حسنا ، وجدده في شهر رمضان سنة ٨٤ هـ "(٢) .

ويفهم من نص المالكي ان حسانا شارك اهل المغرب في الحرب شرطا لتأمينهم ، واشركهم في الغنائم وفرض لهم الاعطيات . ثم قسم حسان المغرب خططا للبربر ، أى اختص كل قبيلة بخطة تتصرف فيها وتكون مسؤولة عنها امام عامل المغرب . ويبدو أن حسان اعتبر أرض المغرب مفتوحة صلحا

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٣٨ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا عنوة ،فأقرّ البربر على ما بيدهم من الارض ،وهذا ما قصده المالكي من قوله : " فمن ذلك صارت الخطط للبربر بافريقية ، فكان يقسم الفيء بينهم والأرض "(١) . ويبدو أن هذا النظام طبق مع الذين اسلموا (٢) .

ويفهم من ابن عذارى ،ان حسانا اعتبر الاراضي التي لم يسلم اهلها أرض خراج " وكتب الخراج على عجم افريقية ومن أقام معهم على دين النصرانية من البربر والبرانس "(٣) . ثم قام حسان بتدوين الدواوين ، مثل ديوان الخراج ،وديوان الجند ، وديوان الرسائل .

ويعطي ابن خلدون بعض التفاصيل عن الموضوع اذ يقول : " ... واختلفت أيدى البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب ،فخلت أكثر البلاد "(٤) ، وهو يشير الى الفوضى التي عمّت المغرب ،فبعد ان قسم حسان الاراضي على قبائل البربر انفردت كل قبيلة بربرية بناحيتها واستبدت بها دون أن تخضع لولاة أو عمال .

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ٣٦ .

(٢) لأن الشرع يبيح ترك الارض لمن اسلموا يتوارثونها ويتبايعونها : انظر في ذلك كتاب الخراج لابي يوسف ، النص الذى عنوانه : " في اسلام قوم من اهل الحرب واهل البادية على ارضهم وأموالهم " ،ص ٦٨ .

(٣) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٨ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين أتى موسى بن نصير لم يرض عن هذا الوضع فبدأ باصلاحـــه واخضاع البلاد اخضاعا مباشرا للحكم الاسلامي وهذا ما أشار اليه ابـــن خلدون بقوله : " وقدم موسى بن نصير الى القيروان واليا على افريقيـــة ورأى ما فيها من خلاف ، وكان ينقل العجم من الاقاصي الى الادانـــي . وأثخن في البربر ودوّخ المغرب ، وأدى اليه البربر الطاعة . . ."(١) ،ثم أنشأ موسى بن نصير مركزا للحكم والادارة في طنجة أقام عليه طارق بـــن زياد ومعه حامية اسلامية عددها ٢٧ ألفا من العرب و ١٢ ألفا من البربر، وكلّف رجاله في هذا المركز الجديد بنشر الاسلام بين البربر وتعليمهـــم أصوله وعقائده (٢) .

ويبدو أن جماعات من البيوتات العربية أقامت بين بربر المغرب تعلمهم أصول الدين ، فيذكر ابن خلدون : "لما استولى المسلمون ايام الفتـــح على بلاد المغرب وعمالاته واقتسموه وأمدهم الخلفاء بالبعوث الى جهـــاد البربر، وكان فيهم من كل القبائل من العرب ، كان صالح بن منصور الحميرى من عرب اليمن في البعث الاول ، وكان يعرف بالعبد صالح ،فاســـتخلص نكور لنفسه ، واقطعه اياها الوليد بن عبد الملك في أعوام احدى وتسعين"(٣) .

ويفهم من نص ابن خلدون ان العرب الفاتحين تقاسموا نواحـــي المغرب ، أى أن كل جماعة منهم اقتطعت منه قطعة واعتبرتها ناحيتهـــا ،

---

(١) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢٢٠ .

(٣) ن . م . ج٦ ، ص ٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم صالح بن منصور الحميرى الذى استخلص نكور لنفسه فأصبح أميرا عليها واستقر بها مع قومه ، ثم أقرّه الخليفة الوليد بن عبد الملك عليها ، أى أقطعه اياها سنة ٩١ هـ .

وقد اسلم بربر هذه الناحية على يديه ، منهم صنهاجة وغمارة (١) . وتوارثت ابناء صالح هذه المنطقة الى سنة ٣٠٥ هـ (٢) .

ونكور مدينة بالمغرب قرب مدينة مليلة (٣) ، يحددها البكرى بقوله : وحدّه (أى حد بلد نكور) ينتهي من جانب الشرق الى زواغة وجراوة الحسن ابن أبي العيش . . . وينتهي من جانب الغرب الى قبيل من غمارة يعرفون ببني مروان وبني حميد ، اليهم تنسب الحميدية ، والى مسطاطة وصنهاجة ومن ورائهم اوربة حزب فرحون ، وبنو وليد وزناتة اهل تابريدا وبنو يرنبيان ، وبنو مراس حزب قاسم صاحب الصاع" (٤) .

ويبدو من نص البكرى ان قبيلتي زواغة وجراوة انتسبت الى الحسن ابن أبي العيش الذى كان رئيسا في ناحيتهم عند التقاسم ، وانتسبت قبيلة غمارة الى بني مروان وبني حميد ويبدو أن هذين كانا في الاصل بيتين من العرب نزلا عند الفتح وصارت لهما رياسة هذا الفرع من غمارة والسيادة في منازله .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، انظر البكرى ، وصف ، ص ٩١ .

(٢) ن . م . ج ١ ، ص ١٧٦ وما بعدها .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ٩٠ ، والحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥٧٦ .

(٤) ن . م . ص ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قول البكري أن اوربة حزب فرحون ، وبني يرنبيان وبني مراسن حزب قاسم صاحب الصاع ، فيفهم منه ان هذه القبائل البربرية انتسبت الى البيتين العربيين اللذين نزلا في مواطنها وكانت لهما الرياسة فيها . ولدينا اشارات كثيرة عند النسابين والمؤرخين والجغرافيين عن البيوتات العربية التي اشتركت بالفتح أو لحقت بالفاتحين ونزلت في ديار بعض القبائل البربرية واتخذتها مواطن لها . فمن هؤلاء بيت أبي بكر بن عبد الله من أحفاد ابي بكر الصديق الذى ثار بالسوس زمن مروان بن محمد (١) . ولا يمكن ان يثور بهذه المنطقة الا اذا كانت الزعامة له ولا سلافة هناك .

وأشار ابن حزم الى ما يشبه ذلك عن بني فهر ، حين يحدث عن محمد بن أحمد بن هارون بن طالوت بن خالد بن حبيب بن قيس الذى ثار على عبيد الله المهدى في طرابلس (٢) .

وفي حديثه عن أولاد الحسين بن علي يقول ابن حزم : " ومنهم حمزة بن الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين ، ملك هاز من أرض المغرب " (٣) . وهاز بلدة بناحية تلمسان (٤) ، وسميت المدينة وسوقها باسمه .

---

(١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ١١ .

(٢) ن . م ، ص ١٨٠ .

(٣) ن . م . ص ٥٥ ، وانظر البكرى ، وصف ، ص ٦٥ .

(٤) البكرى ، ص ٦٤ - ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي وصف البكرى لسوق حمزة يقول ما يلي : " هي مدينة عليها سور وخندق وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة وكان نزلها حمزة بن الحسن ابن سليمان ... "(١) ، وهذا مثل للبيوتات العربية التي نزلت في منازل صنهاجة واتخذتها موطنا لها .

ويذكر ابن حزم بيتا عربيا هاجر من المشرق فاستقر بودّان ، وهو بيت بني عويج بن عديّ بن كعب(٢) . ويذكر ياقوت ان الذى بني مدينة وهران محمد بن عون(٣) ، وبنو عون من بني جمح (٤) .

وكان بناء المدن على يد البيوتات العربية النازلة في مواطن البربر أمرا مألوفا ، فسعيد بن ادريس بن صالح بن منصور الحميرى هو الذى بنى وأسس مدينة نكور(٥) ، ومدينة هاز بناها حمزة بن الحسن(٦) ، ومدينة جراوة بناها ابو العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان(٧) .

---

(١) البكرى ، ص ٦٥ .

(٢) ابن حزم ، جمهرة ، ص ١٥٨ .

(٣) ياقوت ، معجم ، ج ٥ ، ص ٣٨٥ ، وانظر البكرى ، ص ٧٠ ، عياض ، تراجم أغلبية ، ص ٧٧ ، ١٦١ ، وابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٤) ابن حزم ، جمهرة ، ص ١٦٠ .

(٥) البكرى ، وصف ، ص ٩١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

(٦) البكرى ، وصف ، ص ٦٥ .

(٧) ن . م . ص ٧٧ ، وانظر الادريسي ، صفة ، ص ٨٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الاشارات تؤكد ما ذكره ابن خلدون عن امراء نكور (١) ، من أن السلطة العربية جعلت على رأس كل قبيلة ممن أسلمت من البربر بيتا عربيا ، ليكون ركيزة ومعتمدا لها وجعلوا له الرئاسة في هذه القبيلة ، يريدون بذلك نشر الاسلام والعربية بين القبائل البربرية . ومع مرور الزمن أصبحت لهذه البيوتات العربية ولأعقابها الرئاسة في الاماكن التي نزلت فيها . وقد تجابه البيوتات العربية مشاكل في مهمتها ، ويروى البكرى مثل ذلك في حديثه عن تاريخ بني صالح اليمنيين أصحاب نكور " وصالح هو المعروف بالعبد الصالح ، وهو الذى افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل أرض المغرب في الافتتاح الاول فنزل مرسى تمسامان على البحر بموضع يقال له بدكون بوادى البقر ، وبين مرسى تمسامان ومدينة نكور عشرون ميلا ، ... وعلى يديه أسلم بربر بها ، وهم صنهاجة وغمارة ، ثم ارتد اكثرهم لما ثقلت عليهم شرائع الاسلام ، وقدموا على انفسهم رجلا يسمى داوود ويعرف بالرّندى ، وكان من نفزة ، وأخرجوا صالحا من البلد ، ثم تلاقاهم الله بهداه وتابوا من شركهم ، وقتلوا الرّندى ، واستردوا صالحا ، فبقي هناك الى أن مات " (٢) .

وواضح من هذا النص ان رئاسة البيوتات العربية كانت تتم بموافقة اهل الناحية لدورهم في نشر الاسلام .

وقد يتحول العربي من زعيم ديني الى زعيم سياسي فيصبح رئيس هذه القبائل وأراضيها ، ويقودها في عملية توسع وفي حديث البكرى عن

---

(١) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) البكرى ، وصف ، ص ٩١ - ٩٢ ، وانظر ابن عذارى ، ج١ ، ص ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امارة نكور ما يؤيد ذلك " وخرج (سعيد بن صالح أحد أحفاد صالح ابن منصور) بعد ذلك في خاصته (أى من غمارة وصنهاجة) الى بلاد بطوية وبني ورتدى فأدخلوا قلوع حارة (وهي مدينة مليلة الحالية) (١) ، ونهد بهم الى مدينة وزناتة ، فقتل واستقاد له هذا البلد "(٢) . وبهذا اتسعت الرقعة الجغرافية لبني صالح واصبحوا امراء على امارة قائمة بنفسها (٣) .

ولم يكن بنو صالح البيت العربي الوحيد الذى رأس في المغرب الاوسط ، بل كانت هناك بيوت اخرى سادت بين قبائل البربر ، ولدى اليعقوبي شواهد كثيرة على ذلك .

قال اليعقوبي بعد ان انتهى من كلامه عن اقليم الزاب وحدوده الغربية : " ومن هذا الموضع (أى غربي نهر شلف) البلد الذى تغلب عليه الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز سكانها قوم من البربر القدم ، يقال لهم بنو يرنيان من زناتة ، وتلي مدينة هاز مدن اخرى تابعة لها ، سكانها صنهاجة وزواوة يعرفون بالبرانس وهم أصحاب عمارة وزرع وضرع ، والى هذا (أى الحسن بن سليمان) ينسب البلد ... "(٤) .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٨٨ ، ٩١ .

(٢) ن . م . ص ٩٤ .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ٩١ - ٩٤ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا البيت العربي من الادارسة ، نزل في ديار زناتة وصنهاجة وزواوة ، وتغلب على المغرب الاوسط منذ سنة ١٧٥هـ ، وكانت الرئاسة لسليمان أخو ادريس الاكبر سنة ١٩٩ هـ(١) . وقد ورث أعقابه ملكه ، ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله : " ... ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الاوسط واقتسموا ممالكه ونواحيه ... "(٢) . ومن بين هذه الممالك امارة هاز التي أصبحت لحسن بن سليمان ومن بعده لحمزة بن الحسين وأعقابه(٣) .

وقد استمرت هذه الامارة العلوية حتى ظهرت الدعوة العبيدية واعتنقها زيرى بن مناد فأجلب عليها وأخربها . وفي أيام المعز (٣٤٢-٣٦٢هـ) قصدها جوهر الصقلي فقضى عليها ، وحمل بني حمزة الى القيروان ، وبقيت منهم بقايا في الجبال والاطراف معروفون عند البربر(٤) ومن بين الامارات العلوية امارة متيجة ، ولعل مقرها هو قزرونة ، البليدة حاليا(٥) ، ويقول اليعقوبي عنها " ومتيجة بلد واسع فيه عدة مدن وحصون وهو بلد زرع وعمارة وتغلب فيه رجل من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب يقال لهم بنو محمد بن جعفر "(٦) .

---

(١) السلاوى ، الاستقصا ، ج١ ، ص ١٥٧ ، ابن ابي زرع ، القرطاس ، ص ٢١ ، وانظر ابن خلدون ، ج٧ ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) ابن خلدون ، ج٧ ، ص ١٧ .

(٣) انظر اليعقوبي ، ص ٣٥٢ ، والبكرى ، وصف ، ص ٦٤ - ٦٥ ، وابن حزم ، جمهرة ، ص ١١ .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ١٤٣ وانظر الميلي ، تاريخ الجزائر ، ج٢ ، ص ٩٠ .

(٥) الميلي ، تاريخ الجزائر ، ج٢ ، ص ٦٥ ، ورابح بونار ، المغرب العربي ، ص ٤٠ .

(٦) اليعقوبي ، ص ٣٥٢ ، انظر البكرى ، وصف ، ص ٦٥ - ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر اليعقوبي بعد ذلك بلدا واسعا يحتوي على قرى وحصون ومدن كثيرة، وأشهر مدنه ، مدركة ، والخضراء (١) ، تغلب عليه فرع من الادارسة " وهم ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ، كل رجل منهم مقيم متحصن في مدينة وناحية وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف بهم وينسب اليهم ، وآخر المدن التي في ايديهم المدينة التي تقرب من ساحل البحر يقال لها سوق ابراهيم ، وهي المدينة المشهورة ، فيها رجل يقال له عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب " (٢) . ويدل كلام اليعقوبي على أن هذا البيت العربي اقتطع امارة كاملة ، بين وادي شلف ومنطقة تاهرت ، كما تقاسم اهل هذا البيت الناحية كلها فيما بينهم لكل منهم حصن تحيط به مدينة وتتبعه ناحية .

ويذكر اليعقوبي بعد ذلك دولة بني رستم الاباضية بتاهرت . وقد مر اليعقوبي بها في عهد محمد بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم رابع ائمة الاباضية بتاهرت (٣) . ووصف اليعقوبي مدينة تاهرت بقوله: " مدينة تاهرت جليلة المقدار عظيمة الامر تسمى عراق المغرب لها اخلاط من الناس ، تغلب عليهم قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي . وكان عبد الرحمن يتولى افريقية وصار ولده الى تاهرت فصاروا اباضية ورأس الاباضية ، فهم رؤساء اباضية المغرب ، ويتصل بمدينة تاهرت بلد عظيم ينسب الى تاهرت في طاعة محمد

---

(١) مدينة الخضراء : قريبة من تنس وكان يسكنها قبائل البربر ، منهم مدغرة ، وبنو دمّر ، ومديونة وبنو واريفن . انظر البكرى ، وصف ، ص ٧٧ ، ٦١ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٣ .

(٣) ن . م . ص ٣٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، والحصن الذى على ساحل البحر الاعظم ترسي به مراكب تاهرت يقال لها مرسى فرّوخ "(١) .
وهذا يعني ان الاباضية برئاسة عامل من الفرس المستعربة غلبوا على الرقعة الواقعة ما بين نهر شلف ونهر ملوية واسسوا امارة تحدها امارة الأغالبة شرقا والادارسة غربا وشمالا والصحراء جنوبا .

ولم تكن امارة بني رستم منحصرة في الحدود التي ذكرناها ،فأحيانا قد تمتد حدودها ويتسع نفوذها الى طرابلس . ويذكر ذلك ابن الصغير مؤرخ دولتهم حين يتحدث عن فترة الامام عبد الوهاب : "وكان عبد الوهاب هذا قد اجتمع له من امر الاباضية وغيرهم ما لم يجتمع للاباضية قبله ودان له ما لم يدن لغيره واجتمع له من الجيش والحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله ولقد حكى لي جماعة من الناس انه قد بلغت سمته الى ان حاصر مدينة طرابلس ووصلا المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان ... "(٢) ، الا أن علاقة هذه الامارة بجيرانها الادارسة والاغالبة كانت علاقة اقتصادية وثقافية . الا أن قيام دولة الرستميين بتاهرت وما جاورها توحي بميلاد دولة اسلامية بالمغرب الاوسط،وان هذه الامارة كانت اسلامية في قضائها ،عربية في معارفها (٣) .

ويذكر اليعقوبي امارة اباضية اخرى لهوارة كانت مخالفة لدولة بني رستم(٤). وتقع هذه الامارة بجنوب اسافل نهر شلف ، ما بين سهلي منداس

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٣ .

(٢) ابن الصغير ، ص ١٦ - ١٧ .

(٣) الميلي ، تاريخ الجزائر ، ج٢ ، ص ٥٢ . EI, VI, p. 1210

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسيف غربا ، وتجاورها امارة الادارسة من بني محمد بن ادريس(١) . ومؤسس هذه الامارة رجل بربرى مستعرب يدعى ابن مسالة اعتنق المذهب الاباضي واستبد بهده الناحية فأصبحت ملكا له (٢) .

ويتابع اليعقوبي حديثه يشير الى ملك بني محمد بن سليمان ،فيقول : " ثم من مملكة ابن مسالة الهوارى الى مملكة لبني محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن أيضا سوى المملكة التي ذكرناها وهي مدينة مدكرة ،ومسكنهم في المدينة العظمى التي يقال لها شطلاس "(٣) . ويفهم من نص اليعقوبي ان املاك بيت محمد بن سليمان موزعة ، بعضها غربي نهر شلف مباشرة وبعضها غربي تاهرت وقرب تلمسان .

ويعطي اليعقوبي بعد ذلك تفاصيل عن سكان هذه الناحية أو القبائل البربرية التي نزل عليها هذا البيت العربي وأقام امارته بينهما ويقول : " واهل هذه المملكة قوم من بطون البربر من سائر قبائلهم وأكثرهم قوم يقال لهم بنو مطماطة ، وهم بطون كثيرة . . . "(٤) .

ويذكر اليعقوبي وحدات سياسية اخرى من هذا النوع في سيره الى المغرب، منها امارة خارجية باضية ،وهي امارة بني دمّر يرأسها رجل بربرى مستعرب يقال له مصادف بن جرتيل ، واتباعه زناتة من الخوارج ، وبين هذه الامارة وامارة هاز مرحلة ، أى انها تقع في الطريق من وادى شلف الى تلمسان (٥) .

---

(١) رابح بونار، المغرب العربي ، ص ٣٤ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٦ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٣٥٦ .

(٤) ن . م . ص ٣٥٦ .

(٥) ن . م . ص ٣٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يذكر اليعقوبي حصنا يلي هذه الامارة يقال له حصن بن كرّام ، وأهله من السنة (١) . ثم يذكر امارة اخرى اباضية ، وهي امارة بني مسرة يرأسها رجل بربرى مستعرب يدعى عبد الرحمن بن أودمت، وأتباعه زناتة من الخوارج ، وتبعد هذه الامارة عن تاهرت ثلاث مراحل (٢) .

وهكذا يتبين ان هذه الامارات الصغيرة كان بعضها من الخوارج وبعضها الآخر من اهل السنة .

التنظيم المالي لولاية افريقية :

ومن القيروان أقام والي افريقية العمال على الاقسام الرئيسية الثلاث (طرابلس وافريقية والزاب) ،والاقسام الادارية الاصغر ، وكان هذا التقسيم الادارى اساسا للنظام المالي .

ويذكر اليعقوبي أنواع الجبايات التي جبيت من برقة التابعة لمصر آنذاك (٣) ، وما ينطبق على برقة ،ينطبق على ولاية افريقية باقسامها الثلاث . يقول اليعقوبي : " وخراج برقة قانون قائم كان الرشيد وجه مولى له يقال له بشّار فوزّع خراج الارض بأربعة وعشرين الف دينار ، على كل ضيعة شيء معلوم ،سوى الاعشار والصدقات والجوالي . ومبلغ الاعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر ألف دينار ، وربما زاد وربما نقص ، والاعشار

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٢) ن ٠ م ٠ ص ٣٥٩ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٤-٣٥٥ ، الاصطخرى ، ص ٣٣ ، ابن حوقل ، ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمواضع التي لا زيتون بها ولا شجر ولا قرى مقرّاة "(١) .

ويورد ابن حوقل انواع الجبايات لولاية افريقية والمغرب، فيذكر الخراج والعشر والصدقات والمراعي والحوالي والمراصد وعشور التجارة الصادرة والواردة (٢) . وهذا ينطبق على العصر الفاطمي ، أما في عصر الولاة فلا نملك شواهد على وجود بعض انواع الضرائب مثل ضريبة المراعي والمراصد وعشور التجارة الصادرة ، ويبدو أن هذه الجبايات مستحدثة ظهرت في العصر العباسي كما ورد في النص عن خراج برقة .

ولقد قدر ابن حوقل وارد الدولة الفاطمية بناء على قول صاحب بيت مال المغرب في سنة ٣٣٦ هـ بما بين ٧٠٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠٠ دينار (٣) . وكان الدخل اقل من ذلك بكثير في عصر الولاة ، فلم يكن يفي بحاجات البلاد ، فباسلام البربر نقصت المداخل المالية لولاية القيروان سنة ١٣٠هـ حتى كانت هذه تستمد من ولاية مصر سنويا مائة ألف دينار (٤) .

وحين عقد ابراهيم بن الاغلب اتفاقه المشهور مع هارون الرشيد سنة ١٨٤ هـ تنازل عن هذا المبلغ وتعهد بأن يؤدى الى خزانة الخلافة ٤٠٠٠٠ دينار سنويا (٥) .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٤ .

(٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤ .

(٣) ابن حوقل ، ص ٩٤ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .

(٥) ن . م . ج ٤ ، ص ١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الا أن نظام الضرائب في ولاية افريقية خلال فترة الأغالبة كان شديد الوطأة على السكان ، وكان من أسباب اندلاع الانتفاضات داخل المدن والقرى .

ويشير البكرى الى ذلك حين تحدث عن قرية ريفية بضواحي القيروان اذ يقول : " وأبواب الدور بمدينة قلشانة قصار ليس يدخلها الدواب فعلوا ذلك خوفا من نزول العمال والجباة "(١) .

وفي رحلة اليعقوبي شواهد كثيرة على أن الاهالي كانوا يتغلبون على المناطق المقيمين بها ولا يؤدون خراجا لولاة بني الاغلب(٢) . ويشير ابن عذارى الى أول اجراء ضريبي ثقل على السكان في عهد عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب(١٩٦ هـ - ٢٠١هـ) قال : " وكان من اجمل الناس وجها ، واقبحهم فعلا ، وأعظمهم ظلما ، أحدث بافريقية وجوها من الظلم شنيعة ، منها آفة قطع العشر حبا وجعله ثمانية دنانير للقفيز أصاب أو لم يصب ، وغير ذلك من الظلم والمغارم والمظالم ، فاشتد على الناس ذلك "(٣) . ويفهم من النص ان العشر أصبح يدفع نقدا بصرف النظر عن حالة الزراعة .

وتبدو رواية المالكي اكثر وضوحا من رواية ابن عذارى . فقد ذكر في ترجمة حفص بن عمر الجزرى الزاهد ان عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب كان " من أجمل الناس ، وكان قد جعل على كل زوج تحرث ثمانية دنانير ، فضاق الامر بالناس ، فقدم حفص مع رجال صالحين من اهل الجزيرة فدخلوا على ابي العباس ، فقال له حفص : أيها الامير ، اتق الله الذى اليه مصيرك .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٢٩ .

(٢) انظر اليعقوبي ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وارحم شبابك هذا ، واحذر على وجهك الجميل النّار . وخفف عن النـــاس ، واسقط عنهم ما وضعت من الازواج من هذه الدنانير ، فقال له : لســـت أفعل ولا احطهم شيئا ، فخرجوا من عنده يريدون القيروان "(١) .

وتشير كتب الطبقات الى اعتراف زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلـــب (٢٠١ - ٢٢٩ هـ) بأن جميع الخراج من بلاد الجريد أخذ بطريق الغصب ، فقد كان جالسا ، وعنده يحيى بن سلام ، وأسد بن الفرات ، وأبو محرز وزكريا ابن محمد بن الحكم : فأتي زيادة الله بجراب فيه مال من قسطيلية ، ففـرّغ بين يديه ، فاذا فيه خلاخيل ، وأسورة ، وحلى من حلي النساء ، ودنانير عينا ، فقال زيادة الله للقوم الذين حضروا : " والله ما اعطى هذا اهله وهـــم طائعون " ثم لما كان بعد ساعة اراد القوم القيام فقال ليحيى بن ســـلام : " هاك " فحفن له في طرف ردائه ، وأعطى القوم ، فأخذوا كلهم ، ثم قـــال لزكريا بن الحكم " هاك " فقال له زكريا : " أنت تخبرنا انه انما اعطـــوه غير طائعين فكيف نأخذه ولم يأخذ منه شيئا "(٢) .

ويشهد على ظلم الرعية ما قاله سحنون حين قبل ان يلي قضاء افريقيـة لمحمد بن الاغلب " ابدأ بأهل بيتك وقرابتك واعوانهم ، فان قبلهم ظلمـات للناس واموالا لهم منذ زمن طويل ، اذ لم يجترئ عليهم من كان قبلي "(٣) .

وقد استمرت هذه السياسة الضريبية الثقيلة طوال العصر الاغلـــبي ، وكانت من نقاط الضعف التي استغلها أبو عبد الله الشيعي ضد حكام بـــني

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٢) أبو العرب ، ص ١٦٩ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٦١ ، عياض ، تراجم ، ص ٨٥ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاغلب حيث ادخل اصلاحا جبائيا في المناطق التي احتلها جيشه ، فخفف من شدة الضرائب(١) . ويشير الى ذلك ابن عذارى فيذكر انه في سنة ٢٩٣ هـ تغلب أبو عبد الله الداعي على مدينة بلزمة وطبنة وكان بهما جباة على ضروب المغارم ، فأتوه بما في ايديهم من الجباية ، فقال لأحدهم : " من أين جمعت هذا المال؟ " فقال له : " من العشر " (فقال أبو عبد الله : " انما العشر حبوب ، وهذا عين ! " ثم قال لقوم من ثقات طبنة : " اذهبوا بهذا المال ، فليرد على كل رجل ما أخذ منه ، وأعلموا الناس انهم أمناء على ما يخرج الله لهم من أرضهم ، وسنة العشور معروفة في اخذه وتفرقته ، على ما ينصه كتاب الله - عز وجل "(٢) . ثم قال لآخر : " من أين هذا المال الذى بيدك ؟ " قال : " جبيته من اليهود والنصارى جزية عن حول مضى لهم " . فقال : " وكيف أخذته عينا ، وانما كان يأخذ رسول الله - صلعم - من المليء ثمانية وأربعين درهما ، ومن المتوسط أربعة وعشرين درهما ، ومن الفقير اثنى عشر درهما ! " . . . وقال لمن أتاه بمال الخراج : " هذا مال لا خير فيه ، ولا قبالة ولا خراج على المسلمين في اموالهم ! " ثم أمر ثقاة اهل طبنة برده على أهله ، وقبض مال الصدقة من الابل والبقر والغنم ، بعد أن قيل له انها قبضت من الانعام على الاسنان الواجبة في الصدقات ، ثم بيعت وجمعت اثمانها . فرضي بذلك وجوزه . فلما نظر اهل طبنة الى فعله ، سروا به ورجوا ان يستعمل فيهم الكتاب والسنة . وانتشر فعله في جميع نواحي افريقية ، فتاقت انفسهم اليه وكاتبوه ، ودخلوا في طاعته "(٣) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحاول ابراهيم ابن أحمد الاغلبي ، وابنه بعده أبو العباس كسب سكان افريقية في مواجهة الدعوة الشيعية فاتبعا سياسة جبائية جديدة ، فقد أظهر ابراهيم بن احمد سنة ٢٨٩ هـ " التوبة لما استقام امر ابي عبد الله الداعي بكتامة . فأراد ابراهيم بن أحمد ان يرضي العامة ، ويستميل قلوب الخاصة بفعله ، فرد المظالم ، وأسقط القبالات ، وأخذ العشر طعاما ، وترك لأهل الضياع خراج سنة وسماها سنة العدل .. "(١) .

ويتصل موضوع معاملة الارض بالنقاش الذى دار بين الفقهاء ، حول طريقة الفتح ، هل فتحت ارض افريقية والمغرب صلحا أو عنوة ، قال أبو جعفر أحمد بن نصر الدّاودى (ت ٤٠٢ هـ) ، أحد أئمة المذهب المالكي : " واختلفت الروايات في امر افريقية ، فقيل انها فتحت صلحا وقيل عنوة ، وقيل أسلم عليها أهلها وقال سحنون : كشفت امرها فما ثبت فيها عندى أمر ... وقال : حد افريقية من طرابلس الى طبنة ، والذى يوجب النظر فيها ان تجرى على ما تواطأت عليه القرون في أمرها ، وتقر بأيدى مالكها ، الا ما تواترت الاخبار انه اغتصب أو أجلي عنه اهله ، بالاخماس التي اشتهر اسمها ، وتواترت القرون علم ذلك . وما من موضع منها يعمّر بشيء قد جرى فيه الا تواطأ على ذكره من يليه وذكر السبب فيه ، ولا يكاد مثل هذه الاشياء يخفى على أهلها وعمن يليها "(٢) .

ويفهم منه ان الارض تركت بيد أصحابها ، وما جلا عنه اهله .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٣١ ، القاضي النعمان ، افتتاح ، ص ١٤٧، ١٥٥ .

(٢) H.W. Abdul-Wahab, et, F. Dachraoui, Le regime foncier en sicile, au moyen age(IX-X siecle), edition et traduction d'un chapitre au Kiteb Al-Amwal - d, Al-Dawude, dans etudes d'orientalismes dediees a la memoire de Levi-Provencal, Paris,1962, vol., 11,pp. 401-404.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرد في المعيار للونشريسي نص يوضح فقرة كتاب الاموال للداودى هو : " ونقل الشيخ عبد الله بن أبي زيد في كتابه النوادر والزيادات على المدونة عن سحنون قال : كشفت عن أرض افريقية فلم اقف منها على حقيقة ، هل هي عنوة أو صلح ، وسألت عن ذلك علي بن زياد فقال : لم يصح عندى فيها شيء . وأما بلاد المصامدة وأرض مراكش قال ابن أبي الحليم اتفق أشياخ بلادنا من اهل العلم انها اسلم عليها أربابها ، وليس فيها صلح ولا عنوة ... "(١) .

ويستنتج من نص الداودى والونشريسي ما يلي :

ان ارض ولاية افريقية بحدودها التي ذكرها سحنون من طرابلس الى طبنة ، لا يعرف عنها ان كانت فتحت صلحا أو عنوة . وان هذه الارض صارت للعرب ، اما لأنهم استقروا فيها وهي خالية أو جلا عنها أهلها ، أو غصبها العرب ، فهي اراضي ملك لهؤلاء العرب .

أما بلاد المصامدة وأرض مراكش المشار اليها في نص الونشريسي وهي بقية المغرب باستثناء افريقية ، فتعامل على أساس انها أرض اسلم عليها أهلها ، لا أرض صلح ولا عنوة ، واهلها هم ملاكها .

ويبدو ان سبب عدم اقرار فقهاء المغرب برأى حاسم في شرعية ارض افريقية والمغرب يعود الى الثورات العنيفة التي اندلعت في اقليم طرابلس وافريقية والمغربين الاوسط والاقصى في بداية القرن الثاني للهجرة ، واستبداد العرب والبربر المستعربة بنواحيه .

---

(١) الونشريسي : المعيار المعرب ، ج ٦ ، ص ١٣٤ ، طبعة بيروت ١٩٨١ .
وانظر المراكشي ، الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الشخصيات التي استبدت في الحكم في تلك النواحي ، حبيب ابن ميمون ، شيخ عرب سبرت والقائم بأمرها عند ما قامت ثورة الخوارج سنة ١٢٣هـ(١) وصفوان بن أبي مالك صاحب طرابلس سنة ١٢٣هـ(٢)، وسعيد بن بجرة الغساني صاحب قابس(٣) ، وعامر بن نافع بن الازرق صاحب سيبية (في الزاب) (٤) ، وعبد الله بن مسعود التجيبي الاباضي امام بربر طرابلس الذى قتل على يد عبد الرحمن بن حبيب الفهرى(٥) ، وعروة بن الوليد الصدفي الذى رأس في تونس(٦) ، وأبو عطاف عمران بن عطاف الازدى الذى رأس في الساحل(٧) ، وعبد الله بن حيان الاباضي زعيم اباضية زويلة(٨) ، وصالح بن نصير الاباضي شيخ باجة(٩) ، واسماعيل بن زياد الاباضي الذى ثار على عبد الرحمن بن حبيب فيمن معه من بربر نفوسة واستولى على قابس(١٠) ، وعكاشة بن أيوب الفزارى الصفرى الذى رأس في ناحية قابس ، ومعه عبد الواحد ابن يزيد

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٩ .

(٢) ن . م . ص ٢١٩ .

(٣) ن . م . ص ٢١٩، ٢٢١ .

(٤) ن . م . ص ٢١٩

(٥) ن . م . ص ٢٢٤ .

(٦) الرقيق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ، وابن عذارى ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٧) الرقيق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٨) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(٩) الرقيق ، ص ١٦٩ وابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٥٥ .

(١٠) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهوارى وأبو يوسف الهوارى (سنة ١٢٥ هـ) (١)، وثابت الصنهاجي وعبد الله بن سكرديد، من البربر المستعربة، وقد ثارا في ناحية باجة فاستقلا بها (٢).

ومن الشخصيات البربرية المستعربة التي رأست في نواحيها، عبد الجبار ابن قيس المرادى والحارث بن تليد الحضرمي، من رؤساء البربر في اقليم طرابلس، وكلاهما يلقب بالهوارى أى انهما يمانيان بالولاء (٣)، واعتنقا المذهب الاباضي، وقد حدث ان حبيب بن عبد الرحمن والي طرابلس لابيه قتل أحد شيوخ العرب الاباضية ممن رأسوا في نواحي طرابلس فثأر له عبد الجبار بن قيس والحارث بن تليد الهواريان المستعربان، فاستولى عبد الجبار على زناتة وارضها.

وقد بلغت الثورة الخارجية سنة ١٢٧ هـ أشدها في ولاية الفهريين، فحاول عبد الرحمن بن حبيب ان يتجنب ثورة عبد الجبار والحارث الهواريين فأقام على طرابلس عربيا هو يزيد بن صفوان المعافرى، فندب هذا، هواريا مستعربا، هو مجاهد بن مسلم الهوارى ليتألف الناس، وانتهت الثورة بانتصار عبد الجبار والحارث اللذين استوليا على طرابلس كلها، ثم وقع خلاف بينهما وتقاتلا، فولى البربر على انفسهم اسماعيل بن زياد النفوسي فعظم شأنه وكثر اتباعه (٤).

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٢٢٠، ٢٢٢.

(٢) الرقيق، ص ١٢٦، ابن خلدون، ج ٤، ص ١٩٠.

(٣) الرقيق، ص ١٢٩، انظر ابن عبد الحكم، فتوح، ص ٢٢٤، ابن خلدون، ج ٤، ص ١٩٠.

(٤) انظر ابن عبد الحكم، فتوح، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يوفق بنو حبيب الفهريين الى ضم النواحي التي كانت تحت روءساء البربر المستعربة ،بل كانت نهايتهم على يد زعيم بربرى مستعرب ، وهو عاصم بن جميل ،شيخ قبيلة ورفجومة الزناتية ،وكان بيته قد رأس في ناحية سدراتة باقرار العرب اثناء الفتح (١) .

واستمر الصراع بين الحكومة المركزية وهوءلاء الروءساء من البربر طوال فترة حكم المهالبة (١٥٥هـ - ١٧٤هـ) ،ومن امثلتهم في تلك الفترة ،أبو يحيى بن قرياس الهوارى الذى امتنع على يزيد بن حاتم ورفض ان يتنازل له عن حقه في ناحيته مما أدى الى حرب طويلة بينهما (٢) .

ومن هوءلاء الروءساء من البربر المستعربة ،أبو القاسم سمفون بن واسول المكناسي ، جد بني واسول الذين أنشأوا دولة بني مدرار في سجلماسة ، فقد أسلم جدهم أبو القاسم ايام الفتح ،وأقره الخليفة عثمان على ناحيته ،فرجع الى مكناسة ورأس فيها ،فلما دخل مذهب الصفرية ناحية سجلماسة قام آل سمفون بتأييد عيسى بن يزيد الاسود في قيادة الجماعة ، ثم عاد الامر الى بيت القاسم بن سمفون وتولى رئاسة منهم الياس بن أبي القاسم ثم أخوه اليسع وهو الموءسس الحقيقي لهذا البيت(٣) . ويقول

---

(١) الرقيق ، ص ١٤٠ - ١٤١ ، وانظر ابن الاثير ،الكامل ،ج ٥ ،ص ٣١٥ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٧٠ ، النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٤٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٩٤ ، ج ٦ ،ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) ابن عذارى ،ج ١ ، ص ٧٩ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٣٠ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٥٦ ، EI, VI, p. 1210

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن خلدون في هذا البيت ما يلي : " كان أهل مواطن سجلماسة من مكناسة يدينون لأول الاسلام بدين الصفرية من الخوارج ، لقنوه عن ائمتهم وروءسهم من العرب لما لحقوا المغرب وانتزوا على الاصقاع ، وماجت أقطار المغرب بفتنة ميسرة ، فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم نقضوا طاعة الخلفاء وولوا عليهم عيسى بن يزيد الاسود من موالي العرب وروءسهم الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة لأربعين ومائة من الهجرة ، ودخل سائر مكناسة من اهل تلك الناحية في دينهم " (١) .

ويبدو مما ذكران المغرب الاوسط والاقصى والسوس ، انقسمت الى أقسام ادارية محلية تولت الرئاسة والحكم فيها أسر عربية وأسر بربرية مستعربة ، وان اوائل الولاة تركوا البيوتات العربية والبربرية المستعربة ممن اتصل بهم وأسلم وجاهد معهم تنزل النواحي وترأس فيها وتقوم بحكمها ، ومن امثلة ذلك بنو صالح في نكور وبنو أبي القاسم في سجلماسة وبنو صولات بن وزمار المغراوي في المغرب الاوسط ، وبنو طريف بن صبيح بتامسنا (٢) ، وبنو عاصم بن ماحكس بسبته (٣) . وأدى نزول البيوتات العربية بين القبائل البربرية الى انتساب هوءلاء البربر الى الاسر العربية التي أقامت بينهم ، ومن أمثال هوءلاء بالمغرب ، عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي (٤) ،

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٣٠ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٠٧ .

(٣) ن . م . ج ٦ ، ص ٢١١ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكليب بن جميع الكليبي الهواري وعياض بن وهب الهواري (١) ، وحصل تزاوج بين الاسر العربية والبربرية بحكم الجوار ، فنشأ جيل من المولدين ، فكان لصالح صاحب نكور أولاد امهم بربرية من قبيلة صنهاجة (٢) .

واحتوت مدن أخرى على المولدين نتيجة التزاوج بين الاهالي والعرب منذ بداية الفتح ، فالبكرى في حديثه عن مدينة قرب تاهودة ، جنوب بسكرة الحالية ، تسمى بنطيوس طالقة يقول انها " ثلاث مدن ، احداهما يسكنها المولدون والثانية يسكنها اليمن ، والثالثة يسكنها قيس " (٣) .

ويذكر البكرى ان سكان قسنطينة ، من العرب والعجم والمولدين (٤) . كما كانت في عاصمة الزاب ، طبنة ، التابعة للامارة الاغلبية أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والافارقة والروم والبربر (٥) ، ولم تكن العلاقة بين هذه المجموعات علاقة سلمية دائما بل قد تتحول الى صراعات فيما بينها . وقد أشار البكرى الى وجود اختلاف ونزاع بين العرب والعجم بهذه المدينة ، واذا وقع قتال بين العرب والمولدين استنجد العرب بعرب مدينة تهودا وسطيف ، واستنجد المولدون بأهل بسكرة وما والاها (٦) .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٩ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ٧٢ .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٧٦ ، انظر القاضي النعمان ، افتتاح ، ص ١٤٠ ، ١٦٥ .

(٥) ن . م . ص ٣٥١ .

(٦) البكرى ، وصف ، ص ٥٠ - ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان هذا التوتر في المدن المغربية أمرا مألوفا فالى جانب طبنـــة يذكر البكرى مدنية تهوذا حين سكنها قبائل من العرب ومن قريش ،فكانـت بينهم وبين الاباضية من هوارة ومكناسة عداوة وحرب(١) .

وقد شمل هذا الاختلاط البشرى أغلبية مدن افريقية والمغرب مما ساعد على تعريبهـــا ، فسكنت بعض الجاليات العربية في ارباض برقة وتوالـــــد الجند هناك حتى صار لهم الاولاد والاعقاب(٢) . وكان في حصن لبـــدة قوم من العرب عددهم نحو ألف فارس يحمونها من غزوات البربر (٣) .

وكان في مدينة ودّان قبيلتان من العرب ، السـهميون والحضرميـــون ومنهم الفقهاء والقرّاء والشعراء(٤) . وكان اهل قابس من العرب والافارقـــة وحولها قبائل من البربر من لواتة ولماية ونفوسة ومزاتة وزواغة وزواوة(٥) . واستقر قوم من قريش بمنستير عثمان الواقع بين القيروان وباجة(٦) .

وكان الاختلاط أوسع في المغربيين الاوسط والاقصى والسوس وسجلماسة ، اذ قامت بها مدن مستحدثه اهتم بانشائها لتكون مركزا لهم ،ومن هـــذه المدن تلمســـان(٧) ، ومكناســـــة(٨) ، ووهـــران(٩) ،واوزكي(١٠) ،

---

(١) البكرى ، ص ٧٢ .
(٢) اليعقوبي ،البلدان ،ص ٣٤٣ .
(٣) البكرى ، وصف ، ص ٩ .
(٤) ن . م . ص ١١ .
(٥) ن . م . ص ١٧ ، ١٨ .
(٦) ن . م . ص ٥٦ .
(٧) ابن خلدون ،ج ٧ ،ص ١٢ ، ١٧ .
(٨) البكرى ، وصف ،ص ٨٨ .
(٩) ن . م . ص ٧٠ .
(١٠) اليعقوبي ،البلدان ،ص ٣٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقصر الفلوس(١) ، ومليلة(٢) ، وسوق حمزة(٣) ،وتنافللت كتامة(٤) ، وحصن مرنيسة(٥) . وسميت المدن احيانا بأسماء جماعة من العرب أو المستعربة ، مثل الانصاريين(٦) وبني مروان وبني حميد (٧) وبني مغراوات(٨) وبني وارث(٩) ، وعقبة الافارق(١٠) وبني حصين(١١) .

وتنسب المدينة احيانا الى مؤسسها من رؤساء القبائل العربية أو المستعربة مثل مدينة حمزة ، ومدينة جنّون من ابراهيم الكتامة(١٢) ، وتشوس وهي مدينة ميمون بن القاسم(١٣) ، ومدينة زهجوكة ، وهي مدينة ابراهيم بن محمد (١٤) ، ومدينة تامدلت ،مدينة من مدن سجلماسة ، وهي

---

(١) البكرى ،وصف ، ص ٨١ ٠
(٢) ن ٠ م ٠ ص ٨٨ ٠
(٣) ن ٠ م ٠ ص ٦٤ - ٦٥ ٠
(٤) ن ٠ م ٠ ص ٧٤ ٠
(٥) ن ٠ م ٠ ص ٩٠ ، ٩٤ ٠
(٦) ن ٠ م ٠ ص ٤٦ ، ٥٤ ٠
(٧) ن ٠ م ٠ ص ٩٠ ٠
(٨) ن ٠ م ٠ ص ١٠٧ ٠
(٩) ن ٠ م ٠ ص ١٥٧ ، ١٦٤ ٠
(١٠) ن ٠ م ٠ ص ١١٤ ٠
(١١) ن ٠ م ٠ ص ١١٤ ٠
(١٢) البكرى ،وصف ،ص ٦٤ - ٦٥ ٠
(١٣) ن ٠ م ٠ ص ١١٤ ٠
(١٤) ن ٠ م ٠ ص ١١٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليحيى بن ادريس العلوى (١) ، ومدينة العلويين بالقرب من تلمسان كانت في ايدى العلويين من ولد محمد بن سليمان ، ثم تركوها فسكنها رجل بربرى مستعرب من زناتة يدعى علي بن حامد بن مرحوم الزناتي (٢) ، ومدينة ماسنة قرب فاس ، وهي مدينة عيسى بن الحسن المعروف بالحجّام (٣) ، ومدينة البصرة وأصيلا مدينتين مستحدثتين بالمغرب الاقصى ، فكانت أصيلا أرضا للواتة ، فابتنتها كتامة ، وكان بها مسجدان احدهما لكتامة والآخر للواتة ، ثم ملكها القاسم بن ادريس (٤) . أما مدينة البصرة فكانة أرضا لمصمودة فتغلب عليها ابراهيم بن القاسم بن ادريس وملكها نحو اربعين سنة ، ثم اتصلت الرئاسة في اعقابه من بعده (٥) .

ومدينة فاس التي تعتبر المركز الاساسي الذى ستنطلق منه حركتا الاسلام والتعريب نحو الجنوب والسودان أسسها ادريس بن عبد الله سنة ١٧٢ هـ ،بعد ان أيدته أكبر قبيلة بربرية بأسا وقوة ، وهي قبيلة أوربة . ولحقت بها القبائل الريفية الاخرى مثل زناتة ،وزواغة ، وزواوة ،ولماية ،

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٣٥٧ .

(٢) ن . م . ص ٣٥٧ .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ١١١ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٣٢ - ٢٣٣ وانظر البكرى ، وصف ،ص ١١١ ، والادريسي ،ص ١٣٩ ، والحميرى ، الروض ،ص ٤٢ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٢٣٥ - ٢٣٧ وانظر البكرى ، وصف ،ص ١٠ ، الاستبصار ، ص ١٨٩ ، الحميرى ، الروض ، ص ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسدراتة ،وغياثة ،ونفزة ،ومكناسة ،وغمارة ،ومغيلة ،وصدينة ، فبايعته اماما عليها ودخلت في طاعته (١) . وكون ادريس جيشا كبيرا من هذه القبائل فغزا به بلاد تامسنا وتادلا . وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية فأسلم جميعهم على يده (٢) . وثم غزا من بقي من قبائل البربر بالمغرب ففتح حصون فندلاوة ومديونة ومدينة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازار ، وبذلك محى ادريس الاول جميع ما كان في نواحي المغرب من الاديان والملل حتى دخلوا في الاسلام طوعا وكرها ومن أبى الاسلام منهم اباده قتلا وسبيا (٣) . وتحرك في اوائل سنة ١٧٣ هـ فنازل مدينة تلمسان ودخلها صلحا وبني مسجدها وبها أثره (٤) .

وفي سنة ١٩٣ هـ بنى ادريس الثاني فاس في غربي مدينة أبيه وبنى سورها ومسجدها المعروف بمسجد الاشراف ثم اطلق عليها اسم العالية وضرب هذا الاسم على نقوده (٥) . وسبب بنائه لفاس الجديدة كثرة الوفود العربية عليه من كل الاصقاع ،فكانت هذه المدينة ذات طابع عربي اذ أن معظم الذين وفدوا عليه من العرب ،فاجتمع لديه منهم نحو خمسمائة فارس من قيس

---

(١) السلاوى ،الاستقصاء ،ج ١ ،ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، ابن ابي زرع ، القرطاس ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ،ق ٣ ، ص ١٩٣ .

(٢) أعمال الاعلام ،ق ٣ ،ص ١٩٠ - ١٩١ ، انظر كذلك السلاوى ،الاستقصاء ، ج ١ ،ص ١٥٦ ، ابن أبي زرع ،القرطاس ، ص ٢٠ .

(٣) السلاوى ،الاستقصاء ، ج ١ ،ص ١٥٦ ، وانظر كذلك ابن أبي زرع ، ص ٢١ ، وأعمال الاعلام ،ق ٣ ، ص ١٩٢ .

(٤) السلاوى ، الاستقصاء ،ج ١ ،ص ١٥٧ ، ابن أبي زرع ، القرطاس ، ص ٢١ .

(٥) لسان الدين الخطيب ،أعمال الاعلام ،ق ٣ ، ص ١٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والازد ،و مذحج ويحصب والصدف وغيرهم ،بالاضافة الى العرب القيروانيين الذين وفدوا الى المغرب الاقصى فارين من الاغالبة ، وكانوا في ثلاثمائة بيت ، والعرب الاندلسيين الذين وفدوا الى المغرب بعد وقعة الربض أيام حكم الحكم بن هشام ، وكان عددهم كثيرا يقدر بأربعة الاف أهل بيت (١) .

استقر عرب القيروان بعدوة القرويين ،وانفرد عرب الاندلس بعدوة خاصة بهم يفصل بينها وبين الاولى وادى فاس ،وسميت عدوة الاندلسيين (٢) .

وقد ساعدت هجرة العرب الى المغرب الاقصى على نشر اللغة العربية في هذا الاقليم ،كما دعمت السلطة العلوية الناشئة هذا الاتجاه قال ابن أبي زرع : " فسر ادريس بوفادتهم واجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لأنه كان فريدا بين البربر ليس معه عربي "(٣) . وسرعان ما أصبحت فاس مدينة عربية كبرى تنافس تونس والقيروان وقرطبة ،وكانت مركز اشعاع ثقافي هام انطلقت منها حركة التعريب نحو المناطق المجاورة .

---

(١) السلاوى ،الاستقصاء ،ج ١ ،ص ١٦٣ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، الكتاني ،الازهار ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢١١ ، انظر البكرى ،ص ١١٥ ، السلاوى ،الاستقصاء ، ج ١ ،ص ١٦٦ ، ابن أبي زرع ، القرطاس ،ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) ابن أبي زرع ، القرطاس ،ص ١٣ ، وانظر السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ،ص ١٦٣ ، الكتاني ، الازهار، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن القول ان دولة الادارسة والامارات التي تزعمها رؤساء من العرب ومن البربر المستعربة كانت عاملا مهما في تعريب بلاد المغرب الاوسط والاقصى .

وكان لحركة التجارة أثر في التعريب ،فقد استقرت جاليات عربية بالمدن الكبرى لغايات تجارية ، فساهمت في حركة التعريب . كاستقرار التجار الاندلسيين ببونة (١) وتاهرت (٢) ووهران (٣) وبني جلداسن وهي مدينة مطغرة (٤) ، كما سكنت جاليات عربية من البصريين والكوفيين ، تاهرت وسجلماسة ، وهما من أبواب الصحراء ومراكز أساسية لتجارة الذهب والرقيق (٥) .

---

(١) البكرى ، وصف ،ص ٥٥ .

(٢) ن . م . ص ٦٦ .

(٣) ن . م . ص ٧٠ .

(٤) ن . م . ص ٦٥ .

(٥) انظر ابن الصغير ، ص ١٢ ، وابن حوقل ، ص ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الخامـــس

- الثقافة العربية الاسلامية : الشيوخ والمؤسسات التعليمية -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ ـ الشيوخ ودورهم في الحياة الثقافية

١ - تكون الجيش الفاتح من مختلف القبائل العربية وكانت أغلبيته يمنية ،الا أن قاعدته الاساسية كانت تشكلها مجموعة من الصحابة والتابعين (١) . لم يقتصر دورها على الجهاد فحسب انما كانت النواة الاولى لتعليم الاسلام . وقد ساعد على ذلك استقرار البعض منها بافريقية فاختطت الدور والمساجد وكان لها أثر مباشر في تلقين الاهالي الأسس الاولى للتعاليم الاسلامية . وقد أوردت كتب الطبقات أسماء مجموعة منهم ، الفقيه التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني (ت ١٠٠ هـ) (٢) ، وأبو يحيى عيّاض ابن عقبة بن نافع

(١) انظر الفصل الثاني من هذا البحث فقد تحدثنا فيه عن المقاتلة التي كونت جيش الفتح .

(٢) المالكي ، ج ١ ،ص ٧٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ١٨٧ - ١٨٨ ، وانظر ابن سعد ، طبقات ،ج ٥ ، ص ٣٩١ ، ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٩ ، أبو العرب ،ص ٨٢ ، ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة ،ص ١٨٤ ، البكرى ، وصف ،ص ٤٥ ، الرقيق ، ص ٨٠ - ٨١ ، الحميدى ،جذوة ، ص ١٨٩ ، ياقوت ، معجم ، ج ٣ ،ص ٤٢٦ ، ٣٤٠ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٨ ، ابن حجر ،تهذيب ،ج ٣ ،ص ٥٧ ، عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم في الاندلس ، ص ٧٢ ، بونار ، المغرب تاريخه ،ص ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهري (ت ٠٠١ هـ) (١) ، وأبو ليلى د حين بن عامر الحجري (ت ٠٠١ هـ) ، الذي كان كاتبا لعقبة بن نافع (٢) ، وأبو أيوب سليمان بن يسار الهلالي (ت ١٠٧ هـ) ، أحد الفقهاء المبرزين في علم الحديث (٣) . ومن رجالات القرن الثاني ، أبو منصور الفارسي مولى سعد بن أبي وقاص ، كان مقرئا ومفتيا ، كثير العلم (٤) ، والمغيرة بن أبي بردة القرشي ، شهد له أهل افريقية بفضله ودينه (٥) ، وابنه عبد الله قاضي افريقية من قبل

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ٩٥ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، انظر الكندي ، ص ٤١ ، الرقيق ، ص ٧٧ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٧ ، ٨٢ ، ٩١ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٩٥ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ .

(٣) أبو العرب ، ص ٩٤ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٩٤ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٣٧ ، وانظر خليفة ، طبقات ، ص ٢٤٧ (ذكره انه توفي سنة ١٠٤ هـ) ، ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٣٨ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٤) أبو العرب ، ص ٨٣ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٨٥ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٧٧-١٧٨ ، وانظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ١٨١ ، ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ٣٠٧ ، ابن حجر ، الاصابة ، ج ٤ ، ص ١٨٦ .

(٥) أبو العرب ، ص ٨٨-٨٩ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٨٠ - ٨١ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ، انظر ابن سعد ، طبقات ، ج ٥ ، ص ١٧٨ ، خليفة ، تاريخ ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٤-٢١٥ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ١٠ ، ص ٢٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمر بن عبد العزيز (١) ، وعمارة بن غراب الغفارى التجيبي ، فقيه تابعي ممن ذكره سحنون في تأليفه (٢) ، وزياد بن انعم والد الفقيه عبد الرحمن (٣) .

وهذه النخبة من التابعين أخذت الرواية عن الصحابة وصنفت في الثقاة وكان لها دور بارز في نشر الحديث بين أهالي القيروان وتونس . وقد تفقّه عليها مجموعة من النّابتة العرب أبرزهم عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم . وبذلت هذه النخبة جهدا كبيرا في نقل علوم اللغة العربية والدين الاسلامي لافريقية ، ترك آثاره على اللاحقة ، والتي شهدت نهضة ثقافية عامة خلال عصر الأغالبة .

---

(١) أبو العرب، ص ٨٩ ،الخشني ،طبقات،ص ٢٣٤ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٨١ ، الدباغ،ج ١ ،ص ٢١٠-٢١١ ، انظر مالك ،الموطأ ، كتاب الجهاد باب ما جاء في الغلول ، ج ٢ ،ص ٤٥٨ - ٤٥٩ ، وخليفة ،تاريخ ،ص ٢٤٢،ابن عبد الحكم ، فتوح ،ص ٢١٤ ، ابن حجر،لسان الميزان ، ج ٣،ص ٣٦٥ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٣٦ ، المقرى ، نفح ، ج ٢ ،ص ٧٩ .

(٢) المالكي ،ج ١ ،ص ٨٢ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٢١٧ ، انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٣٥ ، ابن ماكولا ،الاكمال ، ج ٧، ص ١٣ ، ابن الأثير ، أسد ، ج ٤ ،ص ٥١ ، ابن حجر، تهذيب ، ج ٧،ص ٤٢٢ ، والتقريب ، ج ٢ ،ص ٥٠ ، رقم ٣٧٨ .

(٣) ابو العرب، ص ٨٧ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٨٣ ، الدباغ ، معالم، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، وانظر كذلك ابن الاثير، اللباب ،ج ٢ ،ص ٢٠ ، ابن حجر ،تهذيب ، ج ٣،ص ٣٥٤ ، ج ٦ ، ص ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تقتصر علاقة الاهالي بهذه النخبة من التابعين ، بل شهدت فترة الولاة قدوم دفعات جديدة من العرب ، بعضهم جاء ضمن الامدادات التي كان يرسلها خلفاء دمشق الى افريقية ، وبعضهم جاء يدفعه الحماس الديني للقيام بتعليم اللغة ونشر الاسلام ، وبعضهم جاء في بعثة علمية موفدة الى افريقية من قبل الخليفة .

ومن هؤلاء النازلة ، التابعي أبو غطيف الهذلي ، سكن القيروان وكانت له بها خطة . وروى عنه من النابتة موسى بن علي ابن رباح اللخمي ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم (١) ، وعبد الرحمن بن اشيفع بن وعلة الشيباني المعروف بابن وعلة المصرى ، وهو فقيه تابعي ، من أشراف مصر ، ذكره محمد بن سحنون في " الطبقات " وقال فيه " من اهل افريقية وبها مسجده ومواليه الى اليوم " وروى عنه عبد الرحمن بن أنعم (٢) . وأبو الاشعث

---

(١) أبو العرب ، ص ٩١ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٨٠ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢١٥ ، وانظر خليفة ، طبقات ، ص ٢٩٤ ، ابن ماكولا ، الاكمال ، ج ٧ ، ص ٤١٨ ابن حجر ، تهذيب ، ج ١٢ ، ص ١٩٠ - ٢٠٠ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٨٣ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، انظر ابن حبان ، مشاهر علماء الامصار ، ص ١٢٠ (رقم ٩٣٧) ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ٦ ، ص ٢٩٣ ، الخزرجي ، الخلاصة ، ص ٢٠٠ ، وانظر مالك ، الموطأ ، كتاب القيد ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ربيعة بن يزيد الايادى (بطن من ربيعة) ،أصله من دمشق وهو معدود في التابعين قدم الى افريقية في جيش كلثوم بن عياض سنة ١٢٣ هـ ، سكن القيروان واشتهر بكثرة الرواية (١) ،ومسلم بن يسار الافريقي ، من موالي الانصار ، عرف بالطنبذى ، فقيه تابعي ، سكن القيروان الى أن توفي بها زمن هشام بن عبد الملك ،روى عنه أهل مصر وافريقية ، منهم عبد الرحمن بن أنعم (٢) ، وأبو عمران موسى بن الاشعث البلوى ، من رجالات القرن الثاني ، صنّف ضمن علماء افريقية وسكن قرية من قرى افريقية ، وروى عنه عبد الرحمن بن يحيى الصوفي وبكر بن سوادة الجذامي (٣) ، وميسرة الزرودى ، فقيه تابعي نزل افريقية وسكن بقرية زرود ،التي تعرف بقلشانه على مقربة من القيروان . وعمر بن راشد بن مسلم الكناني الشامي ، من فقهاء القرن الثاني ، نزل افريقية واستقر بتونس الى ان توفي فيها وكانت له بها خطة ، روى عنه عبد الرحمن بن أنعم (٥) . وأبو معمر عباد بن عبد الصمد التميمي أصله من البصرة ، فقيه تابعي ،

---

(١) المالكي ، ج ١ ،ص ٨٤ ،الدباغ،ج ١ ،ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ،ابن حبان ، مشاهير،ص ١١٤ (رقم ٨٧٢) ، انظر ابن سعد ، طبقات ، ج ٧ ، ٢،ص ١٦٩ ، ابن حجر، تهذيب ، ج ٣،ص ٢٦٤ ، والتقريب ، ج ١ ،ص ٢٤٨ ، رقم ٦٨ .

(٢) خليفة ،طبقات ، ص ٢٩٦ ، أبو العرب ،ص ٩٢ - ٩٣ ، المالكي ، ج ١ ،ص ٨٦ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٢١٤-٢١٥ ،ابن حجر، تهذيب ، ج ١٠ ، ص ١٤١ .

(٣) المالكي ، ج ١ ،ص ٨٦ .

(٤) أبو العرب، ص ٩٣ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٨٧ ،الدباغ،ج ١ ،ص ٢١٩ .

(٥) ن . م . ص ٩١ ، ن . م . ج ١ ،ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سكن القيروان ثم رحل الى قصطيلية فاستقر بها الى أن توفي . وكان معاصرا لأسد بن الفرات ، واشتهر بكثرة الرواية ، وروى عنه كثيرون من القيروان وطرابلس (١) . وأبو عبد الله عكرمة من سبي البربر (ت ١٠٥ هـ) من موالي عبد الله بن عباس ، عد من التابعين وكان كثير الرواية عن مولاه وعليه كان اعتماده .

دخل عكرمة في اوائل القرن الثاني للهجرة وسكن القيروان وكان درّس بجامعها ، ونشر في افريقية علما كثيرا . وقد اتفق علماء الحديث على قدرته على الحفظ ومعرفته بالعلم وتفسيره للقرآن (٢) . ويحيى بن سعيد بن قيس بن مهد الانصاري ، فقيه تابعي ، وفد على افريقية في اوائل القرن الثاني للهجرة وكان عاملا لعمر بن عبد

---

(١) أبو العرب ، ص ٩٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٨٨ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، انظر ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٢) أبو العرب ، ص ٨٣ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٩٢-٩٣ ، وانظر ابن سعد ، طبقات ، ج ٥ ، ص ٢١٢-٢١٦ ، خليفة ، طبقات ، ص ٢٨ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٠٧ ، ابو المحاسن ، النجوم ، ج ١ ، ص ٢٦٣ ، أبو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ ، ياقوت ، ارشاد الاريب ، ج ٥ ، ص ٦٢ - ٦٥ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، ص ٩٠-٩٦ ، وميزان الاعتدال ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج ٧ ، ص ٢٦٣ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العزيز على الصدقات ،نزل تونس واجتمع مع خالد بن ابي عمران التجيبي التونسي وأخذ كل منهما عن صاحبه وعده أبو العرب من فقهاء تونس ،وسمع منه كثيرون من أهالي تونس والقيروان وتوفي سنة ١٤٣ هـ ببغداد وهو قاضي لأبي جعفر المنصور (١) . ويمكن الاشارة هنا بدور البعثة العلمية التي ارسلها عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ لتعليم البربر مبادئ الاسلام وتفقيههم في الدين . وضمت هذه البعثة عشرة من فقهاء التابعين ، اختط كل واحد منهم دارا بالقيروان وبنى بحذائها مسجدا لعبادته ومجالسه ، واتخذ بقربه كتّابا لتحفيظ القرآن وتلقين مبادئ العربية لصغار النابتة وهؤلاء هم : اسماعيل بن عبد الانصارى ،من مواليهم (ت ١٠٧هـ) ، عرف بتاجر الله لأنه كان يتصدق بثلث ماله على الفقراء ، سكن القيروان فبث فيها علما كثيرا . وروى عنه من اهل افريقية بكر بن سوادة الجذامي ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٢) .

وأبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي (ت ١٣٣هـ) ،أول قاضي لافريقية بعد استقرار الفتح فيها ، استقضاه عليها موسى بن

---

(١) أبو العرب،ص ٩٤ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٩٣ ،ابن حجر، تهذيب ، ج ١١ ،ص ٢٢١ - ٢٢٤ .

(٢) أبو العرب ،ص ٨٤ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٦٩ - ٧٢، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٨ ، ١٩١ - ١٩٥ ، وانظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نصير سنة ٨٠ هـ . كانت له خطة بالقيروان وأخذ عنه العلم كثيرون . وكان ممن يشجع على طلب العلم ويحث الناس عليه ، وروى له في فضل العلم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (١) . وكان رئيس البعثة اسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي التابعي (٦١ هـ - ١٣١ أو ١٣٢هـ) ، عاملا على افريقية لعمر بن عبد العزيز . سكن القيروان وسار في اهلها بالعدل وعلّمهم السنن وأسلم على يده خلق كثير من البربر (٢) وقال فيه الطبرى : " كان خير وال وخير أمير ، سار فيهم بالعدل والحق ،وكان حريصا على دعاء البربر الى الاسلام " (٣) . وكان اسماعيل قبل دخوله الى افريقية يؤدب أولاد الخليفة عبد الملك بن مروان بدمشق (٤) .

وقد أحسن عمر بن عبد العزيز الاختيار ، فقد كان اسماعيل في طليعة من أسس كتّابا بجوار سكنه بالقيروان . وقد ذكر بعض

---

(١) أبو العرب ،ص ٨٦ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٧٢ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ١٩٨-١٩٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٨ (ذكر بن نافع بدل ابن رافع) ، ابن حجر، تهذيب ، ج ٦ ،ص ١٨٦ .

(٢) أبو العرب ،ص ٨٤ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٧٥ ،الدباغ ، ج ١ ،ص ٢٠٣ - ٢٠٦ ،ابن الأبّار، الحلة، ج ٢ ، ص ٣٣٥ ، ابن حجر، تهذيب ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٨ (عن الطبرى) .

(٤) ابن عساكر ،تهذيب التاريخ الكبير، ج ٢ ،ص ٣٠٨ ، ج ٣ ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤرخين أن عامة البربر أسلمت على يده ، قال ابن عذارى : " وما زال اسماعيل حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى اسلمت بقية بربر افريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز ، وهو الذى علّم أهل افريقية الحلال والحرام "(١) .

وعبد الله بن يزيد المعافرى المعروف بالحبلي (ت ١٠٠ هـ) سكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا وكتّابا ، وانتفع بفقهه جماعة من الافارقة . وذكر الدباغ انه عثر على عمود قبره وهو لوح كبير مكتوب عليه اسمه (٢) .

وأبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي ، سكن القيروان وبث فيها علما كثيرا ، واشتهر بالدين والفضل ولما ثارت الخوارج بطبنة استعان الامير حنظلة بن صفوان (١٢٣ هـ - ١٢٩ هـ) ، ببعض الفقهاء ومنهم سعد بن مسعود لارجاع الثائرين الى الصواب . ولم

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٨ ، انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ ، الرقيق ، ص ٩٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٢ - ٣٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٨ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٨٠ - ١٨٤ ، ص ٣٠٠ ، انظر ابن سعد ، طبقات ، ج ٧ ، ٢ ، ص ٢٠٠ ، خليفة ، طبقات ، ص ٢٩٥ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٩ ، الحميدى ، جذوة ، ص ٧ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ٧٥ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ٦ ، ص ٨١ - ٨٢ ، عبد الحميد عيسى ، تاريخ التعليم ، ص ٧٢ ، بونار ، المغرب ، ص ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعثر على تاريخ وفاته الا انه توفي بالقيروان وبها دفن (١) .

وموهب بن حبي المعافرى ، سكن القيروان وبث فيها علما كثيرا وبها كانت وفاته . روى عنه من اهل افريقية عبد الرحمن بن زياد بن انعم وعياش بن عباس القتباني (٢) . وحبان بن أبي جبلة القرشي (من موالي بني عبد الدار) . سكن القيروان وانتفع بعلمه أهلها . وتوفي بها سنة ١٢٥ هـ . روى عنه جماعة من اهل افريقية منهم عبد الرحمن بن أنعم وأبو شيبة عبد الرحمن الصدفي وعبيد الله بن زحر الكناني (٣) . وأبو ثمامة بكر بن سوادة الجدامي (ت ١٢٨ هـ) ، سكن القيروان ، اشتهر بفقهه وفتاويه وروى عنه الحديث الكثير من أبناء افريقية (٤) .

---

(١) أبو العرب ، ص ٨٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٦٦ - ٦٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٨٤ - ١٨٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٨ ، ابن حجر ، الاصابة ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

(٢) أبو العرب ، ص ٨٤ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٧٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢١٣ ، ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٤١٥ ، ج ١ ، ٢ ، ص ٢٧٦ ، انظر بونار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ص ٦٤ .

(٣) أبو العرب ، ص ٨٤ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٧٣ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، ابن ابي حاتم ، الجرح ، ج ١ ، ٢ ، ص ٢٤٨ ، ٢٦٩ ، ابن ماكولا ، الاكمال ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ٢ ، ص ١٧١ ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) أبو العرب ، ص ٨٦ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٧٤ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢١٣ ، ٢١٦ ، انظر ابن سعد طبقات ، ج ٧ ، ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن أبي حاتم ، الجرح ، ج ١ ، ١ ، ص ٣٨٦ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ١ ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ ، المقرى ، نفح ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير البتور الرّعيني (ت ١٢٥هـ) ، من الفقهاء المجتهدين بمصر ، تولى قضاء الجند بافريقية لهشام ابن عبد الملك ، وهو أحد الفقهاء القرّاء الذين استقروا بالقيروان وانتفع بعلمه أهلها . روى عنه الحديث التابعي بكر بن سوادة الجذامي وعبيد الله بن زحر وعبد الرحمن بن أنعم (١) . وطلق بن حبان الفارسي وهو ممن اشتهروا بالفقه ،وتفقه عليه أهل القيروان وروى عنه من اهل افريقية موسى بن علي بن رباح اللخمي وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٢) .

ويذكر أبو العرب أن هؤلاء الفقهاء العشرة ثقاة عند المحدثين وقد روى عنهم كلهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٣) .

---

(١) المالكي ، ج ١ ،ص ٧٥ ،الدباغ ، ج ١ ،ص ٢٠٢ ، انظر ابن ماكولا ، الاكمال ، ج ٤ ، ص ١٣٤ ، ابن حجر، تهذيب ، ج ٢ ،ص ٧٩ ، السيوطي ،حسن المحاضرة ،ج ١ ،ص ٢٩٨ (توفي قريبا من ١١٥هـ) .

(٢) أبو العرب،ص ٨٦ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٧٦ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢١٥ ، وانظر ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ،ج ٢ ،ق ١ ،ص ٤٩١ .

(٣) أبو العرب ، ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ ان مجموعة طيبة دخلت افريقية ونشرت العلم من حديث وتفسير وفقه ،وكان لبعضهم حلقات من طلبة العلم ، الذين برز بعضهم وقادوا بدورهم نشر العلم وتوسيع حلقاته . ويبدو ان دور البعثة العلمية كان كبيرا كما يظهر من الاشارات اليهم في كتب الطبقات . فقد أسلم على عهدهم بقية البربر ، وانشاء بعضهم المساجد والكتاتيب كمراكز للتعليم وتدريس القرآن والسنة ساعد على توسع الاسلام باستمرار واكسب العربية قاعدة أوسع .

وكان لنفوذ هذه النخبة التربوية دور واضح في تعريب جماعات من البربر . فقد كانت المهمة الرئيسية لهؤلاء التابعين هي تعليم الاهالي الدين الاسلامي واللغة العربية . ومن هنا يمكن القول بأن التعليم على أرض افريقية وضعت اسسه الاولى في بداية القرن الثاني للهجرة ، وان اتسم بطابع القلة والبساطة وتركز في تعليم اللغة العربية والدين الاسلامي . أما انتشار الثقافة وتوسيع التعليم فنهض به الطلاب الذين اتموا دراستهم الاولى في القيروان وخرجوا لطلب العلم في العواصم الاسلامية .

٢ - لم يكتف النابتة من العرب ولا المستعربون من الاهالي بأخذ العلم والفقه من الفقهاء المشارقة الذين وفدوا على القيروان ، انما تطلعوا الى أبعد من ذلك فرحلوا الى المشرق ليأخذوا العلم من منبعه .

ففي بداية القرن الثاني للهجرة رحلت نخبة من النابتة الى المشرق في طلب العلم ، فكانت تمكث سنين طويلة في الحواضر الاسلامية ، مثل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدينة والكوفة والبصرة ودمشق والفسطاط للسماع والحفظ والتدوين ثم رجعت الى افريقية لتبث ما لديها من علوم اسلامية بين أبناء المغرب .

فمن بين الجيل الاول من النابتة الذين حملوا العلوم الاسلامية الى المغرب ،خالد بن أبي عمران التجيبي ، تابعي بن تابعي . كان أبوه ممن صحب عبد الله بن سلام ، ثم قدم في جيش حسان بن النعمان سنة ٧٤ هـ، واستقر بتونس، وولد له خالد ، فقرأ على أبيه وعلى غيره من حفظة القرآن ورواة الحديث . وكانت له رحلة الى المشرق فسمع الحديث من علمائه ، وروى عنه أكثر من واحد من كبار الأئمة ، مثل الليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، وغيرهما ،وعاد من رحلته الى افريقية فأخذ عنه جماعة من الافارقة ، مثل عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم ، وعبد الله بن أبي كريمة ، الذى كان من اخلص تلاميذه وأكثرهم ملازمة له ، كما روى عنه عبيد الله بن زحر الكناني . وروى له مسلم في صحيحه وكذا أبو داود والترمذى والنساقي ،ومالك في موطأه بسند يحيى بن سعيد الانصارى .

وبهذه الرحلة اشتهرت امامته بالمشرق وبالمغرب . وتولى قضاء افريقية في ولاية عبيد الله بن الحبحاب ، وكانت أكثر اقامته بتونس الى أن توفي هناك سنة ١٢٣هـ. وقد ترك موءلفا في الحديث فيه مروياته عن تابعي المدينة (١) . وكان له دور كبير في تعليم الاهالي

(١) أبو العرب، طبقات، ص ٢١٢-٢١٥ ،المالكي ،ج ١ ،ص ١٠٣-١٠٦ ، انظر ابن سعد ، طبقات ،ج٧ق٢، ص ٢٠٧ ، خليفة ،طبقات، ص ٢٩٥ ، ابن عبد الحكم ،فتوح ،ص ٢١٥ ،الرقيق ،ص ١٠٠ ،ابن الاثير ،الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٦٠ ،ابن حجر ،تهذيب، ج ٣ ،ص ١١٠-١١١ ، أبو المحاسن ، النجوم ،ج ١ ،ص ٣١٠ ،السيوطي ،حسن المحاضرة ،ج ١ ،ص ٢٩٩ ، ابن ماكولا ، الاكمال ، ج ٧ ،ص ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمور دينهم ،فكان يذهب بمسائلهم الى فقهاء المدينة ليعود اليهم بالفتاوى الصحيحة .

وذكر المالكي ان خالد بن أبي عمران ذهب الى القاسم وسالم بمسائل من المغرب وبدأ يسألهما عنها ، فرفضا الاجابة ،فقال لهما : "انا بموقع جفاء في هذا المغرب ، وانهم حملوني هذه المسائل ،وقالوا لي : انك تقدم على المدينة وبها أبناء أصحاب رسول الله (ص) ،فسلهم لنا وانكما ان لم تفعلا كانت حجة لهم ، (فما شئتما) . فقال له القاسم : سل ،فسألهما خالد ، فأجاباه فيما سألهما فيه ، وكثير منها في مدونة سحنون "(١) .

وممن رحل في طلب العلم ، أبو خالد عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم قاضي افريقية ، الذى يعتبر أول مولود في الاسلام بعد استقرار الفتح بافريقية (سنة ٧٤ هـ) . ويعد من حملة التابعين مع براعة في اللغة والشعر . روى جانبا كبيرا من الحديث على من كان في عصره من التابعين مثل خالد بن ابي عمران التونسي السابق الذكر .

وعن البعثة العلمية التي أرسلها عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠هـ وكانت له رحلة الى المشرق قصد فيها مصر والشام والحجاز والعراق . وصحب أبا جعفر المنصور العباسي قبل ان يلي الخلافة في طلب

---

(١) المالكي ،ج ١، ص ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم بالكوفة ورجع الى القيروان فتولى بها القضاء مرتين في فترة بني أمية وبني العباس . وأخذ عنه خلق كثير من أبناء افريقية الى أن توفي سنة ١٦١ هـ (١) .

وعبيد الله بن زحر الكناني ، ولد بافريقية وهو معدود في شيوخها ، روى الحديث عن جماعة من علماء افريقية مثل التابعي عبد الله بن مسعود التجيبي وحبان بن أبي جبلة وخالد بن أبي عمران ، رحل الى المشرق وأخذ الحديث عن الاعمش ، وابن هارون العبدى ،والربيع بن أنس . وتفقه عليه جماعة من اهل المشرق والمغرب ، وهو من رجالات القرن الثاني (٢) .

وأبو عمران موسى بن علي بن رباح اللخمي ،أصله من القيروان وبها ولد (سنة ٨٩ هـ أو ٩٠ هـ) روى عن مجموعة من التابعين

---

(١) أبو العرب ،ص ٩٥ - ١٠٣ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٩٦ - ١٠٤ ، الرقيق ، ص ١٦٣ - ١٦٨ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٢٣٠ - ٢٣٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٨٠ ، النويرى ، ج ٢٢ ،ص ١٩ - ٢٠ ، انظر كذلك طبقات ، خليفة ، ص ٢٩٦ ، وتاريخ ، ص ٢٤٧ ، الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ، ج ١٠ ،ص ٢١٤ ، ابن حجر ، تهذيب ،ج ٦ ، ص ١٧٣ ، ابن العماد ، الشذرات ، ج ١ ،ص ٢٤٠ .

(٢) المالكي ، ج ١ ،ص ١١٢ ، الدباغ ، ج ١ ،ص ٢٤٨ ، انظر ابن ماكولا،الاكمال ، ج ٤ ،ص ١٧٨-١٧٩ ، ابن الاثير ، اللباب ، ج ٢ ، ص ٧٣ ،ابن حجر، تهذيب ، ج ٧ ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ضمنهم والده علي بن رباح . وفي أثناء رحلته الى المشرق روى عن أكابر علمائه مثل الليث ،وابن وهب ، وابن المبارك (١) . قال عبد الله بن وهب : " قدم علينا موسى بن علي بن رباح سنة ١٢٠هـ وافدا الى هشام بن عبد الملك وكان فاضلا ثقة " . وحدّث عنه من فقهاء المغرب البهلول بن راشد الرّعيني (٢) .

وأبو سليمان خلاد بن سليمان الحضرمي (ت ١٧٨هـ) ،اشتهر بفضله ودينه ،وروى عن نافع بن عمر وخالد بن أبي عمران بافريقية ، ثم رحل الى المشرق فأخذ عنه الحديث ابن وهب ، وسعيد بن أبي مريم (٣) .

وعبد الله بن غانم الرعيني القاضي (١٢٨ هـ - ١٩٦هـ) ،كانت له رحلة الى الحجاز والشام والعراق في طلب الحديث والفقه وقد

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ١١٢ - ١١٣ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ٢٣٨ ، وانظر خليفة ، طبقات ، ص ٢٩٦ ، وتاريخ ، ص ٤٧٣ ، الكندى ، الولاة ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، الرقيق ، ص ١٣٣ ، ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ١٠ ، ص ٣٦٣-٣٦٤ ، أبو المحاسن ، النجوم ،ج ٢ ، ص ٢٥-٢٦ ، السيوطي ،حسن المحاضرة ، ج ١ ،ص ٢٨٢ ، ابن العماد ، الشذرات ، ج ١ ،ص ٢٥٨ ، تراجم أغلبية ، ص ٢٧ .

(٢) المالكي ،ج ١ ،ص ١١٢ - ١١٣ ، الدباغ ،ج ١ ،ص ٢٣٧ - ٢٣٨ (عن المالكي) .

(٣) المالكي ، ج ١ ،ص ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون ما سمعه من مالك مباشرة . وكان مالكا يقدر فيه سعة اطلاعه وعلمه (١) . وحين رجع الى افريقية أتى بكتاب الموطأ وكان يقرأه على الناس بالقيروان (٢) ، بينما تفقه ابنه أبو شراحيل على الكوفيين ومال الى رأيهم (٣) .

وعلي بن زياد التونسي العبسي (ت ١٨٣هـ) ، من فقهاء تونس، كانت له رحلة الى العراق والحجاز وهو أول من أدخل موطأ مالك وجامع سفيان الى افريقية ووضّح لأهلها فقه مالك وكان جديدا عليهم (٤) . وقد اشتهر بسعة معرفته بالفقه حتى كان علماء القيروان اذا اختلفوا في مسألة كتبوا اليه لأخذ رأيه فيها (٥) .

---

(١) أبو العرب ، ص ١١٦ - ١١٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، تراجم أغلبية ، ص ٩ - ١٠ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٣) تراجم أغلبية ، ص ٢٠ .

(٤) أبو العرب ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٥٨ ، تراجم أغلبية ، ص ٢٢ .

(٥) تراجم أغلبية ، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان لعبد الرحيم بن أشرس التونسي مولى الانصار، ومن طبقة علي بن زياد التونسي، رحلة الى الحجاز في طلب الحديث، اشتهر فيها بدقة الرواية، وبأمره بالمعروف والنهي عن المنكر (١).

والبهلول بن راشد الرعيني القيرواني (١٢٨ هـ - ١٨٣هـ)، أحد تلامذة مالك ومن المجتهدين في الفقه والعبادة، ولما عاد من رحلته الحجازية الى القيروان نقل الى الناس معرفته عن الموطأ وجامع سفيان الصغير، وقام بالفتوى، ودون الناس ما سمعوه عنه. وكان أشد تلاميذ مالك على أهل الاهواء والبدع (٢).

ويعد أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي الاندلسي المولد (١١٥ هـ - ١٧٦هـ) من أفقه اهل القيروان في عصره. رحل في طلب العلم الى الشام والعراق ومصر، ولما عاد اقام بالقيروان يعلّم الناس العلم ويحدثهم. فانتفع به خلق كثير. وعدّه المصريون من أئمة الحديث ورغبوا في التعلم منه (٣).

---

(١) أبو العرب، ص ٢٢٣، المالكي، ج ١، ص ١٧٠، تراجم أغلبية، ص ٢٦.

(٢) أبو العرب، ص ١٢٦ - ١٣٩، المالكي، ج ١، ص ١٣٢، عياض، ترتيب المدارك، ج ٣، ص ٨٩ - ٩٨، الدباغ، معالم، ج ١، ص ٢٦٤ - ٢٨٨، ابن حجر، لسان الميزان، ج ٢، ص ٦٦، السراج، الحلل، ج ١، ق ٣، ص ٧١٣ - ٧٢١، تراجم أغلبية، ص ٢٧، ٢٨.

(٣) أبو العرب، ص ١١٠ - ١١١، المالكي، ج ١، ص ١١٤، عياض، ترتيب المدارك، ج ٣، ص ١٠٢ - ١١٠، الدباغ، معالم، ج ١، ص ٢٣٨ - ٢٤٨، ابن حجر، تهذيب، ج ٥، ص ٣٥٦، الزركلي، الاعلام، ج ٤، ص ٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت لأسد بن الفرات قاضي صقلية (١٤٢هـ - ٢١٣هـ) رحلة واسعة في طلب العلم ، ومكث في العواصم الاسلامية مدة طويلة حتى نفذت نفقاته ولم يبق معه ما ينفقه للرجوع الى افريقية . كانت أول رحلة له الى الحجاز بقصد السماع من مالك ، وتفقه في العراق على أصحاب أبي حنيفة ، وأخذ تفريع مسائل الفقه العراقي عن أبي يوسف ، وأسد ابن عمر ، ومحمد بن الحسن الشيباني . وحين توفي مالك ندم أسد على عدم ملازمته له ، فقصد مصر للاخذ من أصحاب مالك ، فلازم عبد الرحمن بن القاسم وعرض عليه الفروع العراقية ونحوها وسمع حكمها على مذهب مالك ودوّن ذلك في كتابه الاسدية . وأحضر الاسدية الى القيروان فسمعها منه خلق كثير ، كما سمعوا منه الموطأ والعلوم الاسلامية وعبر انتشار هذه الكتب انتشرت امامته في المغرب (١) .

ورافق أسد بن الفرات في رحلته الى الحجاز ، صهره الحارث ابن أسد القفصي ، من القرّاء المجتهدين ، فكان يختم القرآن في كل ليلة من رمضان . وقد امتنع عن الفتوى ، وكان يقول : " لم يرني مالكا اهلا للعلم " (٢) .

---

(١) أبو العرب ، ص ١٦٣ - ١٦٦ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، ١٧٦ ، عياض ، ترتيب ، ج ٣ ، ص ٢٩١ - ٣٠٦ ، الدباغ ، ج ٢ ، ص ٢٤ - ٢٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٧٣ ، ٢٣٩ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، ص ٢٤٨ ، النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٥٤ ، ابن مخلوف ، شجرة النور ، ج ١ ، ص ٦٢ ، تراجم أغلبية ، ص ٥٤ ، ٥٨ .

(٢) تراجم أغلبية ، ص ٥٤ ، ٨٣ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الاشراف النابتة الذين استهروا بالجدل ، عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت ٢٢٧ هـ) كانت له رحلة الى الحجاز ، وكان قد جعل لرجل ثلاثة دراهم كل يوم مقابل أن يأخذ له مجلسا عند مالك (١) . وحين رجع الى افريقية روى عنه مجموعة من فقهائها ، منهم سحنون بن سعيد الذى كان يقدر فيه سعة علمه وقال فيه : "كنت أول طلبي اذا انغلقت عليّ مسألة من الفقه آتي ابن ابي حسان فكأنما في يده مفتاح لما انغلق من مسائل الفقه" (٢) . وكان لابن أبي حسان سماع مدون من مالك (٣) .

ومن معاصرى عبد الله بن غانم الرعيني القاضي ، أبو عثمان حاتم ابن عثمان المعافرى وأخوه أبو طالب وكانت لهما رحلة الى الحجاز مع ابن غانم في طلب العلم (٤) . وكان حاتم بن عثمان المعافرى كثيرا ما يذهب الى مالك وابن كنانة بأسئلة فقهية من عند ابن غانم ، ويرجع اليه بأجوبتها (٥) .

ومن المرتحلين الى مالك والمتعصبين لمذهبه ، أبو خارجة عنبسة ابن خارجة الغافقي (ت ٢١٠ هـ) ، أحد فقهاء سفاقس ، كان له سماع مدون من مالك كسماع ابن القاسم وأشهب (٦) . سمع منه

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، تراجم أغلبية ، ص ٧١ ، ٧٢ .
(٢) تراجم ، ص ٧٢ .
(٣) ن . م . ص ٧٥ .
(٤) أبو العرب ، ص ١٥٠ ، المالكي ، ج ١ ص ١٥٧ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣١٣ ، تراجم ، ص ٧٧ .
(٥) المالكي ، ج ١ ص ١١٦ ، ١٥٦ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣١٣ ، تراجم ، ص ٧٧ .
(٦) المالكي ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، تراجم ، ص ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معاصروه بأفريقية وضواحيها كما سمع منه غير واحد من المغرب، وذلك لسعة اطلاعه على العلوم الشرعية ومعرفته بخلاف الفقهاء فيها (١) .

ومن الثقاة ، وممن سمع مباشرة عن مالك وغيره ، محمد بن الحكم اللخمي (ت ٢٠٦هـ) (٢) وزكرياء بن محمد بن الحكم اللخمي (ت ٢٢١هـ) . وزكرياء من الفقهاء المدنيين سمع وروى عن مالك ، وكان يفتي الناس بالقيروان مع أسد بن الفرات وابن محرز القاضي (٣) .

ويزيد بن محمد الجمحي (ت ٢١٢هـ) ، من فقهاء القيروان النابتة ، وممن كثرت عنهم رواية الحديث في افريقية . وكانت له رحلة الى الحجاز سمع فيها من مالك وابراهيم بن محمد ، كما سمع من اهل الكوفة وأهل الشام والبصرة ، ويروى عنه من أهل افريقية موسى بن معاوية الصمادحي (٤) .

ويلاحظ ان الرحلة كانت من اهم سمات التعليم الاسلامي في العصور الاسلامية . وتعتبر الرحلة من أعلى مراحل التعليم ، كما أنها لعبت دورا هاما في توحيد ثقافة العالم الاسلامي وتنشيطها .

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ١٦٣ ، تراجم ، ص ٧٨ .

(٢) أبو العرب ، ص ١٥٣ ، السراج ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧٦٨ ، تراجم ، ص ٨٥ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ١٦١ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، تراجم ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٤) أبو العرب ، ص ١٦٨ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، الدباغ ، ج ٢ ، ص ٦٩-٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان الحج ،عاملا أساسيا في تشجيع سكان افريقية على الرحلة في اتجاه مكة والحجاز ،وساعدا على الاجتماع واللقاء بين المسلمين من كافة العواصم الاسلامية ،وفرصة لاقتناء العلم .

ولم يقتصر الامر على الوفاء بالواجبات الدينية ،فقد بدأ أهالي افريقية من طلبة وأساتذة ،منذ بداية القرن الثاني يرحلون لطلب العلم ،كهدف في حد ذاته وقد رحل عدد كبير من الفقهاء والطلاب كما وردت الاشارة الى ذلك وكان العامل الاساسي المحرك لها شهرة الفقيه وشهرة المدينة . وهذا العامل رسم اتجاه الرحلة فأغلب طلبة العلم كانوا يتوجهون الى الحجاز والعراق ومصر للتعلم على مشاهير اساتذتها ولجلب امهات الكتب الفقهية مثل الموطأ وجامع سفيان .

وقد انقسمت الرحلات الى قسمين رئيسيين : رحلة داخلية ، وهي تتم عادة قبل الرحلات الخارجية . فقد درس الطلاب أول الامر على الاساتذة الموجودين بالقيروان وتونس وقفصة وقسطيلية وكانت القيروان وتونس محطتان للعلم ومطمح كافة الطلبة لتجمع عدد كبير من العلماء فيهما ، كما كانت تتيسر في الحاضرتين أسباب المعيشة ، ثم كان الطلاب يرحلون الى المشرق بهدف المزيد من العلم واكتساب الشهرة العلمية . وتميزت الرحلات الداخلية منها والخارجية ،بطول المدة وكثرة الشيوخ الذين يمكن لطلبة العلم مقابلتهم خلالها والسماع منهم والقيام بتدوين ما سمعوه ليعودوا به الى طلابهم بافريقية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه النخبة من الفقهاء والطلبة الذين رحلوا الى المشرق هي التي قامت بوضع أسس علوم الشريعة بافريقية وعن طريقها انتشرت المذاهب المختلفة كمذهب مالك وابي حنيفة وغيرها .

٣ - ففي اواخر القرن الثاني للهجرة قام نفر من كبار رجال مذهب أبي حنيفة ،مثل أسد بن الفرات ، ومن رجال مذهب مالك مثل سحنون بن سعيد بنشر المذهبين بالمغرب ووضع أسس المدارس الفقهية . وترد أول اشارة لعناية اهل افريقية بمذهب أبي حنيفة في ترجمة عبد الله بن غانم الرعيني (ت ١٩٣هـ) وابنه . فحين عاد عبد الله ابن غانم من رحلته قام يسمع الناس بالقيروان كتب أبي حنيفة كل يوم جمعة(١) . وكانت رحلة ابنه أبو شراحيل الى العراق فتفقه بفقه أبي حنيفة ومال الى رأيه(٢) . وكان امام الحديث عبد الله بن فروخ (١١٥ هـ - ١٩٦هـ) يميل الى قول أهل العراق اذ تبين له ان الصواب في قولهم(٣) .

ويبدو أن افريقية حوت في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة الكثير من المتكلمين في الاعتزال الذين كانوا يميلون الى المدرسة العراقية . روى عن أبي عثمان انه قال : " سمعت أبي يقول مررت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في الاعتزال ، فوقفت أسمع منهم مناظرتهم . . ." (٤) . وكان لأبي محرز القاضي (المتوفي

---

(١) عياض ، تراجم أغلبية ، ص ١٠ .

(٢) ن ٠ م ٠ ص ٢٠ .

(٣) المالكي ،ج ١ ،ص ١١٦ ، ١٢٠ ، وعياض ،تراجم ،ص ٤٠ ، ٤٨ - ٤٩ .

(٤) المالكي ، ج ١ ،ص ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حوالي ١٩٠هـ) مجلس يدرّس فيه الطلبة الذين كانوا يذهبون مذهب اهل العراق (١) .

واقبال الطلبة على دراسة مذهبي مالك وابي حنيفة ، بدا متماثلا بطلوع القرن الثالث للهجرة ، وكان العلماء يدرّسون المذهبين في المجلس الواحد ، وأدى ذلك فيما بعد الى قيام مدارس فقهية في المغرب . يروى أحد معاصرى أسد بن الفرات، أبو سنان زيد ابن سنان الازدى ما يلي : "وكان أسد اذا سرد أقوال العراقيين يقول له مشائخ كانوا يجالسونه ممن يذهب الى مذاهب اهل المدينة أوقد القنديل الثاني يا أبا عبد الله ،فيسرد أقاويل المدنيين"(٢) . وقد أشاد معاصرو أسد بتبحره في مذهب ابي حنيفة ، فقال أبو جعفر القصرى : "كان أسد امام العراقيين بالقيروان كافة"(٣) .

وهناك رواية عن أخذ أسد بن الفرات لآراء اهل العراق ،ذكرها المقدسي الذى زار المغرب في آخر القرن الرابع للهجرة ، قال : " وسألت علماء القيروان كيف وقع مذهب أبي حنيفة اليكم ،ولم يكن على سابلكم ؟ فقالوا : لما قدم عبد الله بن وهب من عند مالك - رحمه الله - من المدينة الى مصر ، وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز ، استنكف أسد ابن الفرات أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه ،فرحل أسد الى المدينة ليدرس على مالك ، فوجده عليلا فلما طال مقامه عنده قال له مالك : ارجع الى ابن وهب فقد أودعته علمي ، وكفيتكم به الرحلة ،فصعب ذلك على أسد . وسأل القوم هل يعرف لمالك نظير ؟ فقيل له : فتى في

---

(١) المالكي ، ج ١، ص ١٥٩، ١٦٠ .

(٢) ن . م . ج ١، ص ١٨٣ .

(٣) ن . م . ص ١٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ،فرحل أسد اليه واقبل عليه محمد بن الحسن اقبالا لم يقبله على أحد ،ورأى فيه فهما وحرصا ، فزقه الفقه زقّا ،فلما علم محمد أنه قد استقل ، وبلغ مراده فيه سيّبه الى المغرب ،فلما دخل اختلف اليه فتيان القيروان ، ورأوا فروعا حيّرتهم ،ودقائق أعجبتهم ، ومسائل ما طنت على اذن ابن وهب . وتخرج على أسد خلق ،وفشا مذهب ابي حنيفة ـ رحمه الله ـ بالمغرب "(١) .

ولعل في قول المقدسي اشارة الى دور ابن الفرات في نشر مذهب ابي حنيفة ، ولكن أول من ادخله الى المغرب وسبقه بنصف قرن ،هو عبد الله بن غانم وابنه (٢) . ويبدو أن عبد الله بن فروخ ، هو أول من جمع بين مذهب مالك والأخذ بالقياس كما اوضح المالكي : " وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن أنس وبصحبته اشتهر به وتفقه ، لكنه كان يميل الى النظر والاستدلال ، فربما مال الى قول أهل العراق فيما تبين له منه الصواب "(٣) .

وروى عن محمد بن سحنون انه قال : " كانت المعتزلة تدعي عبد الله بن فروخ عندنا "(٤) .

فالملاحظ ان اواخر القرن الثاني كان بداية لانتشار مذهب أبي حنيفة ، ثم توسع انتشاره في القرن الثالث على يد أسد بن الفرات

---

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٧ .

(٢) عياض ،تراجم أغلبية ،ص ١٠ ، ٢٠ .

(٣) المالكي ،ج ١ ،ص ١٢٠ ، وانظر عياض ، تراجم ،ص ٤٠ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذى كان يدرّسه في القيروان وظل يزدهر الى اواسط القرن الرابع الهجرى (١) .

وقد نبّه المقدسي في رحلته الى الاتفاق بين الحنفية والمالكية بقوله : " ... وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا ، وأقل تعصبا من اهل القيروان ، وسمعتهم يحكون عن قدمائهم حكايات عجيبة حتى قالوا : " انه كان القاضي سنة حنفيا ، وسنة ملكيّا " (٢) .

وتختلف الروايات في أول من ادخل الموطأ الى افريقية بين الفقيه علي بن زياد التونسي العبسي (ت ١٨٣هـ) (٣) والقاضي عبد الله بن غانم الرعيني (ت ١٩٣هـ) (٤) .

وكان للفقيهين البهلول بن راشد (١٨٣هـ) ، وسحنون ابن سعيد دور كبير في نشر مذهب مالك (٥) ، ويعد الفقيه سحنون ابن سعيد (١٦٠ هـ - ٢٤٠هـ) المؤسس الاول لمدرسة الفقه المالكي في افريقية والمغرب عامة (٦) . ففي مدة قضائه سنة ٢٣٤ هـ (٧) ،

---

(١) انظر عياض ، تراجم ، ص ٤٠ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٨١ ، المقدسي ، ص ٢٣٧ .

(٢) المقدسي ، أحسن ، ص ٢٣٧ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٢٢ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ١٣٤ ، ١٨١ .

(٦) ن . م . ج ١ ، ص ١٨١ .

(٧) المالكي ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صارت مجالس الحنفية تتقلص ، كما انه عمل على طرد كل مخالف لمذهب مالك ، من مسجد القيروان ، مثل الصفرية والاباضية والمرجئة والمشتبهة والمعتزلة وقد كانت لهذه الفرق حلقاتها الخاصة بها في مسجد القيروان (١) .

ويلاحظ ان أشياع اهل العراق ،أبي حنيفة وأصحابه كانوا أوفر عددا يومئذ من الذين يتّبعون اهل الحجاز ،مالكا وأصحابه ، وما ذلك الا لأن الامراء الاغالبة وسائر رجال دولتهم كانوا ينهجون نهج خلفاء بني العباس . فحين ولي أحمد بن الاغلب سنة ٢٣١هـ(٢) الامارة انتشرت المعتزلة بالقيروان (٣) . وكان أكثر رجال محمد بن الاغلب(٢٢٦هـ) من المعتزلة ،فحين توفي سحنون بن سعيد اعتذر رجال ابن الاغلب من الصلاة عليه وقالوا : " قد علمت ما بيننا وبينه ، وانه يكفّرنا ونكفّره "(٤) . فأعفاهم الامير من الصلاة عليه . ولكن الوفاق بين العراقيين والمدنيين عاد وبلغ أوجه في عهد الامير ابي ابراهيم أحمد بن الاغلب (٢٤٢ هـ - ٢٤٩) ، وذلك راجع الى حلمه وحسن سيرته في الرعية وتشجيعه للثقافة وقد كان يجمع بين الفقهاء المدنيين والعراقيين ويستشيرهم في المسائل الفقهية (٥) . وساعد ذلك انه لا توجد خلافات اساسية بين المذهبين بل هو خلاف في المنهج . ويؤكد ذلك ما قاله

---

(١) المالكي ، ج١ ،ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢) أحمد بن الاغلب المقصود هو أبو جعفر احمد بن الاغلب الذى قام سنة ٢٣١هـ على أخيه ابي العباس محمد الاول واغتصب منه الامارة .

(٣) المالكي ، ج١ ،ص ٢٨٥ .

(٤) ن ٠ م ٠ ج ١ ،ص ٢٨٨ ، القاضي النعمان ،افتتاح ، ص ٦١ .

(٥) الدباغ ، معالم ، ج٢ ،ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سحنون بن سعيد لأهل باجة حين أتوه يشكون من القاضي الحنفي سليمان بن عمران بأنه يحكم بينهم بمذهب ابي حنيفة فقال لهم : " ما قدّمته عليكم الا وأنا أعلم انه يحكم بمذهبه فانصرفوا "(١) ، مما يدل على ان العامة كانت تميل الى مذهب مالك الذى كان يؤكد على الاثار، أكثر من ميلها الى مذهب أبي حنيفة الذى كان يأخذ بالرأى . ويبدو أن اختيار العامة للمذهب المالكي راجع الى أن أغلب المستقرين بالقيروان والمدن الافريقية الاخرى قدمت من مصر والشام مع جالية كبيرة من المدينة ، والى حرص الاهالي المسلمين على الحج وعلى التردد على الاماكن المقدسة .

أما اختيار الخاصة لمذهب ابي حنيفة يرجع الى ارتباط بني الاغلب ببني العباس في بغداد وتبني العباسيين للمذهب الحنفي ، الا ان ظهور المذهبين بافريقية كان له أثر بارز في الحركة الفكرية التي تجلت في علم الكلام (٢) ونشطت حركة التأليف وفي علوم

---

(١) الدباغ ، ج ٢، ص ١٥٢ .

(٢) يحدد ابن خلدون هذا العلم بقوله : " انه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد من مذاهب السلف واهل السنة " . ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٣، ص ١١٦٩ . انظر القاضي النعمان ، افتتاح ، ص ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشريعة وفي الرد على مخالفي مذهب مالك (١) .

وقد شهدت افريقية منذ بداية القرن الثاني للهجرة حركة فكرية واسعة تتجلى في الجدال والنقاش بين فقهاء مختلف المذاهب، وامتدت هذه الحركة لتشمل جهات عديدة في المغرب كما أثارت جدلا فقهيا بين علماء في المغرب وعلماء في المشرق . وممن انتحل النظر وتجلى بالجدل من الفقهاء المالكية ،عبد الله بن فروخ الفارسي (ت ١٧٦هـ) ، اذ كان يميل الى مذهب النظر والاستدلال ، وغلب عليه القياس على طريقة أهل العراق فيما تبين له انه الصواب (٢) . ويروى انه ناظر يوما زفر (٣) في مجلس أبي حنيفة ،فازدراه زفر لهيئته الافريقية ولباسه المغربي ، فلم يزل يناظره حتى علا ابن فروخ عليه وقطعه بالحجة والدليل ، فانكر أبو حنيفة على زفر ازدرايته

---

(١) وقال أبو عمر في كتاب " بيان العلم " ،له : أهل الاهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم اهل الكلام فكل متكلم فهو من اهل الاهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعرى ،ولا تقبل له شهادة في الاسلام ويفجر ويؤدب على بدعته ،فان تمادى عليها استتيب منها . قال أبو عمر ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه الا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اجتمعت عليه الامة . انظر الحميدى ،جذوة المقتبس، ص ١٠١ ، ١٠٢ (عن كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر) .

(٢) المالكي ،ج ١ ص ١١٦ ، ١٢٠ ،انظر عياض، تراجم أغلبية ،ص ٤٠ ، ٤٨-٤٩ .

(٣) هو زفر بن الهذيل بن قيس،أحد تلاميذ ابي حنيفة . سمع الحديث وغلب عليه الرأى توفي بالبصرة سنة ١٥٨هـ . انظر ابن قتيبة ،المعارف ، ص ٤٩٦ و ابن حجر،لسان الميزان ،ج ٢ ،ص ٤٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بابن فروخ وعاتبه (١) .

واشتهر أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحدّاد (٢١٩ هـ - ٣٠٢هـ) في زمانه بالمناظرة والرد على الفرق مثل الخوارج والشيعة والمذاهب مثل الحنفية والشافعية (٢) . وكانت له قريحة جيدة في المناظرة وكان يستعمل الرأى في الجدل . وقد قال ابن حارث الخشني (ت ٣٧١هـ) " وكان مذهب أبي عثمان الاختيار والنظر والمناظرة ، وفهم القرآن والمعرفة بمعانيه . أخبرني بعض أصحابه انه سمعه يقول : " ما حرف من القرآن الا وأعددت له جوابا ، ولكن لم أجد سائلا . . . " (٣) .

ومن أشهر تلاميذه ، أبو اسحاق بن البرذون مولى بني ضبّة ، من الفقهاء المدنيين بالقيروان (ت ٢٩٧هـ) . قال فيه ابن حارث : " كان عالما ، بارعا في العلم يذهب مذهب الحجة والنظر ، لم يكن في نشيء القيروان أقوى على الحجة والمناظرة منه . . . " (٤) .

ومحمد بن نصر بن خضرم (ت ٢٩٣هـ) ، وكان يعتمد على الآثار في الجدل . قال فيه محمد بن سحنون : " كان محمد بن نصر بن خضرم ذا جدال وحجة " . ويقال انه كان معلم محمد بن سحنون في النظر ، لما مات بصقلية قال ابن سحنون : " رحم الله أبا الحسن ، لقد كان معلمنا " (٥) .

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ١١٦ ، عياض ، تراجم أغلبية ، ص ٤٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٢) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ - ٣١٢ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٣٥١ .

(٤) عياض ، تراجم ص ٣٩٠ ، انظر الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٢٦١ - ٢٦٥ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٥٠٤ ، عياض ، تراجم ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان محمد بن سحنون ضليعا في علم الكلام ،كثير الحجـــة .
وكان أبو الفضل بن حميد اخو علي بن حميد الوزير الاغلبي يأتـــي محمدا ليتعلم منه الفقه وعلم الكلام (١) . وأوردت له كتب الطبقـات مناظرات حادة مع المعتزلة انتصر فيها عليهم بالحجة (٢) . ويشـهد على براعته في الفقه وعلم الكلام ،مناظرته ليهودى في مصر، حيـــث أقنعه بالحجة فأسلم اليهودى على يديه (٣) .

ومن اشتهر بالحفظ وحسن المناظرة وقوة الاقناع ، الفقيـــه المالكي عبد الله بن اسحاق بن التّبان (ت ٣٧١هـ) (٤) ، والمؤرخ واللغوى ،الفقيه المالكي عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت٢٢٧هـ) ،

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ٣٥٠ • انظر الخشني ،طبقات ،ص ١٩٨ .

(٢) ن ٠ م ٠ ج ١ ،ص ٣٥٠ ،٥٠٤ ،الدباغ، معالم ،ج ٢ ،ص ١٣٤ .

(٣) المالكي ، ج ١ ،ص ٣٥١ -٣٥٢ ، الدباغ ،معالم ،ج ٢ ،ص ١٢٥ .

(٤) روى ان نصرانيا وفد على عبد الله بن محمد الكاتب صاحب القيروان- وكان نصرانيا رأسا في مذهبه - فبعث عبد الله الكاتب الى أبي محمد عبد الله بن التبان ليناظره ،فلما جلس معه مجلس المناظرة قـال : أبو محمد بن التبان لعبد الله الكاتب : ان اخترت ان اطيل معه أطلت والا أوجزت فقال له أوجز - فقال : أبو محمد لترجمانـــه قل له انتم تعتقدون ثلاثة ؟ قال نعم ! فقال له أخبرني : الواحـــد مفتقر الى اثنين أو مستغن عنهما ؟ فضرب النصراني على وجهـــه وأطرق وعليه كآبة الانقطاع" . انظر الدباغ ، ج ٣، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان له علم وفصاحة وحدة في المناظرة والجدال ، وقد ناظره الامير زياد الله الأغلبي في النبيذ ، فقال له : "كم دية العقل ؟ قال : "ألف دينار ! " قال : " أصلح الله الامير ! يعمد الرجل الى ما قيمته ألف دينار ، فيبيعه بنصف درهم ! " فقيل له " انه يعود ويرجع ! " فقال : " أصلح الله الأمير ! بعد كشفه سوءته وابدائه عورته ، وضرب هذا وشتم هذا "(١) .

ومنهم الفقيه المالكي محمد بن رشد الصقلبي مولى عبد السلام من فرج الربعي ، من أشهر أصحاب سحنون ، وكان الاندلسيون يأتون اليه ليطلبوا العلم منه وقال فيه ابن سحنون : " كان فقيها فيّها ، طويل اللسان ، حسن البيان"(٢) .

والفقيه المالكي ، أبو عبد الله محمد بن مسرور الضرير (ت ٢٩٥هـ) ، وكان الناس يأتونه للفقه والمناظرة والفتيا (٣) .

ومن أعلام المالكية ، الفقيه أبو جعفر أحمد بن نصر الهواري ، كان متفوقا في فقه مالك وكان يناظر فيه (٤) .

وكان الفقيه المالكي محمد بن بسطام الضبي (ت ٣١٣هـ) يجالس حمّاس القاضي وغيره من فقهاء المالكية في جامع القيروان

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٠٨ ، وانظر الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٦١ - ٦٢ .
(٢) عياض ، تراجم ، ص ١٤٥ .
(٣) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .
(٤) عياض ، تراجم ، ص ٣٦٦ ، الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتجادل معهم في الفقه والآثار (١) .

ومن فقهاء تونس وعلمائها عبد الله بن غافق التونسي (١٨٣ هـ - ٢٥٥ هـ أو ٢٧٧هـ) كانت له رحلة الى الحجاز، والى مصر حيث لقي فيها محمد بن الحكم وناظره في مسألة الايمان ، ورجع الى القيروان فبث فيها علما كثيرا (٢) ، وكان ابن غافق موصوفا بالعلم والجدل (٣) .

وكانت مجالس المناظرة تجمع كل الفرق ، فتوسع بذلك دائرة النشاط الثقافي وتدفع المتكلمين الى اجادة اللغة العربية وفهم القرآن ومعانيه . وممن كان يشجع على عقد هذه المجالس العلمية القاضي أبو العباس عبد الله بن محمد بن طالب الاغلبي (ت ٢٧٥هـ) ، الذى اتصف بمحبته للعلم وتشجيع طالبيه . قال محمد بن حارث (ت ٣٧١ هـ) : " كان ابن طالب لقنا ، جيد النظر ، يتكلم في الفقه فيحسن ، حريصا على المناظرة ، يجمع في مجلسه المختلفين في الفقه ويغرى بينهم ليظهر الفائدة ، ويبيتهم عند نفسه ويسامرهم ، فاذا تكلم أجاد وأبان حتى يود السامع الا يسكت ، الا انه كان اذا أخذ القلم لم يبلغ حيث يبلغ لسانه " (٤) .

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٣٨٤ .

(٢) ن . م . ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) ن . م . ص ٣١١ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٧٦ ، ٥٠٤ ، وانظر عياض ، تراجم ، ص ٢٠٨ ، الدباغ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن كان يجالس القاضي ابن طالب الفقيه أبو عبد الله محمد ابن محبوب الزناتي (ت ٣٠٧هـ) ، كان حافظا للمسائل الفقهية وكان يناظر فيها . وقد أورد له عياض مناظرات مع المعتزلة والقدرية (١) .

وقد نبغ من الفقهاء في المذاهب الاخرى متكلمون من أمثال الفقيه الحنفي ابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن الاشج (ت ٢٨٦ هـ) ، "كان عالما فضيلا ثقة ، عارفا بطرق المناظرة على طريقة اهل العراق" (٢) .

وكان الحنفي علي بن ظفر ، المعاصر للفقيه المالكي عبد الله ابن مسرور (ت ٢٩٥هـ) ، ضليعا في المذهب اضافة الى معرفته للطب والجدل والشعر (٣) . والشافعي اسحاق بن ابراهيم بن النعمان القرشي (ت ٣١٥هـ) ، نهج في البداية نهج المالكية ، ثم تحوّل بعد ذلك للمذهب الشافعي فكان يناظر فيه (٤) . والشافعي عبد الملك أخو الفقيه اسحاق بن البرزون الذى سبق ذكره ، كان يناظر في الفقه مناظرة حسنة ، ثم تحول بعد ذلك الى مذهب الشيعة (٥) .

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٢) الدباغ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ ، انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

(٣) الدباغ ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ .

(٤) عياض ، تراجم ، ص ٣٢٧ .

(٥) ن . م . ص ٣٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أدت المناقشات الفقهية ومجالس المناظرة النشطة الى حركة تأليف واسعة قام بها أهل السنة للرد على مخالفيهم في المذهب بالمغرب . وكان مالك يحذر المتكلمين من تلاميذه من الوقوع في الخطأ فيكون ذلك حجة عليهم عند مخالفيهم في المذهب . قال أبو العرب : "كان ابن فرّوخ كتب الى مالك يخبره : ان بلدنا كثير البدع ،وانه ألف لهم كلاما في الرد عليهم . فكتب اليه مالك يقول له : ان ظننت ذلك بنفسك خفت ان تزل وتهلك - لا يرد عليهم الا من كان ضابطا ،عارفا بما يقول لهم لا يقدرون ان يعرّجوا عليه . فهذا لا بأس به ، وأما غير ذلك ،فاني أخاف ان يكلمهم فيخطيء فيمضوا على خطئه ،أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك "(١) .

وترد اشارة في حرص الفقهاء على أن يكون المتكلم المؤلف ذا فقه وعربية يؤهلانه للرد . قال ابن سحنون : "دخل عليّ أبي وأنا أؤلف كتاب تحريم النبيذ ، فقال : يا بني ! انك ترد على أهل العراق ،ولهم لطافة اذهان وألسنة حداد ،فاياك ان يسبقك قلمك لما تعتذر منه "(٢) . وكان محمد بن سحنون من أشهر العلماء المتكلمين وله عدة تآليف في الرد على من خالف مذهب مالك ، منها رسالة في أدب المتناظرين ، وكتاب الجوابات في الرد على الشافعي وأهل العراق ، وكتاب الحجة على القدرية ، وكتاب الحجة على النصارى ، وكتاب الرد على أهل البدع ، وكتاب الرد

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٤٨ .

(٢) ن . م . ص ١٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الفكرية ،ورسالة فيمن سب النبي (ص) ، وكتاب الايمان والـــرد على أهل الشرك ، وكتاب الاباحة ، وكتاب في تحريم المسكر، وكتاب الاشربة (١) .

وقد أورد القاضي عياض رسائل لفقهاء مالكية في الرد علـــى من خالف مذهب مالك ،منها : رسالة الايمان لعبد الله بـــن غافق التونسي (ت ٢٥٥ هـ أو ٢٧٧هـ) ، ألفها بعد عودتـــه من مصر ومناظرته للفقيه محمد بن الحكم (٢) ، وكتاب الرد علـــى اهل البدع لأبي زكريا يحيى بن عون بن يوسف الخزاعـــي (ت ٢٩٨هـ) (٣) ، وكتاب الرد على من خالف مالك من الكوفيين ، وكتاب الرد على الشافعي ،للقاضي عبد الله بن محمد بن طالـــب الاغلبي (ت ٢٧٥هـ) (٤) ، وكتاب الرد على الشافعي ، وكتـــاب الرد على الشكوكية ، وكتاب الرد على المرجئة ليحيى بن عمر بـــن يوسف الاندلسي (ت ٢٨٩هـ) (٥) ، وكتاب الرد على الشـــافعي لأبي عثمان بن حدّاد (ت ٣٠٢ هـ) (٦) ، وكتاب الأشـــربة للمحدث مالك بن عيسى القفصي (ت ٣٠٥هـ) ، ألفه لرجل ســـأله أن يجمع له ما ورد في تحريم النبيذ أو تحليله (٧) .

---

(١) عياض ، تراجم أغلبية ، ص ١٧٣ .

(٢) ن . م . ص ٣١١ .

(٣) ن . م . ص ٣١٣ .

(٤) ن . م . ص ٢٦٩ .

(٥) ن . م . ص ٢٦٣ .

(٦) ن . م . ص ٣٥٢ (وتوجد نسخة منه في مكتبة القيروان الاثرية ، انظر تراجم أغلبية ، ص ٥٤٠) .

(٧) ن . م . ص ٣٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ - ولم يمر قرن على استقرار الفتح بافريقية حتى نبغت فيها نخبة من الفقهاء والعلماء عرفت بالمشرق والمغرب وخدمت الثقافة العربية الاسلامية أجل خدمة . فقد طلب أبو يوسف القاضي من روح بن حاتم حين خرج الى القيروان ان يرشح ابن غانم لمنصب القضاء وذلك لسعة فقهه وعلمه (١) . ولما بلغ ابن وهب وفاة ابن غانم تأثر كثيرا وقال : " ... رحمك الله يا أبا عبد الرحمن فلقد كنت قائما بهذا الامر "(٢) ، يريد بذلك الفقه والعلم .

وكان فقهاء مصر يقرون بامامة ابن فروخ الفارسي (ت ١٧٦هـ) ، في الفقه (٣) . وكان أبو حنيفة يقدر ابن فروخ لسعة معرفته بالجدل وقدرته على المناظرة (٤) . ووصلت شهرة ابن بهلول الرعيني في العبادة والزهد الى سمرقند ، فجاءه كتاب من امرأة من سمرقند تسأله فيه ان يدعو لها الله ان تستمر في توبتها (٥) .

وكان لوفاة الفقيه الاديب عبد الرحمن بن أنعم الافريقي (٩٥ هـ - ١٦١هـ) أثر في افريقية قاطبة وتمثل الامير يزيد بن حاتم بهذه الأبيات حين رأى كثرة الناس في جنازته : .

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ١١ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٤٢ .

(٤) ن . م . ص ٤٤ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ١٣٥ ، وعياض ، تراجم ، ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ياكمي ما راح من قوم ولا ابتكروا   الا وللموت في آثارهم حادى (١)

وافتقدت افريقية والمغرب والاندلس العلم والفقه في شخصية الامام سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠ هـ) " ... رجّت القيروان لموته وحزن له الناس ، وقال سليمان بن سالم : لقد رأيت يوم مات سحنون مشائخ اهل الاندلس يبكون ويضربون خدودهم كالنساء يقولون : يا أبا سعيد ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها الى بلادنا " (٢) . ولما توفي ابنه محمد قام الناس على قبره شهورا عديدة حزنا عليه (٣) .

يتبين فيما ذكران هذه النخبة المثقفة قد كرست حياتها في خدمة العلم وجدّت في نشر الثقافة الاسلامية بين أبناء افريقية والمغرب والاندلس . وظل علماء المغرب يحثون العامة لطلب العلم والسعي وراءه فحين خرج اسد بن الفرات لغزو صقلّية شيّعته الخاصة والعامة فحين رأى كثرة الناس حوله قال : " والله يا معشر الناس ما ولىّ لي أب ولا جدّ ولاية قط . وما رأيت ما ترون الا بالاقلام . فاجهدوا أنفسكم واتبعوا ابدانكم في طلب العلم وتدوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدّته ،فانكم تنالون به الدنيا والآخرة "(٤) .

---

(١) أبو العرب ، ص ٢٩ ،المالكي ، ج١ ،ص ١٠٢ - ١٠٣ ، الدباغ ، معالم ، ج١ ،ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) المالكي ، ج١ ،ص ٢٨٨ .

(٣) ن . م . ج١ ،ص ٣٥٦ ، الدباغ ، معالم ، ج٢ ، ص ٨٩ .

(٤) المالكي ، ج١ ،ص ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان تعظيم اهل العلم ورجاله يخالج نفوس جميع الفئات الاجتماعية (١)، وكان عدد التلاميذ الذين يطلبون العلم على شيخ يزداد حسب شهرة الفقيه العلمية، فأكبر حلقة عرفت بافريقية هي حلقة أسد بن الفرات ثم حلقة سحنون بن سعيد (٢). قيل: "لما قدم أسد من المشرق نزل القيروان، وسمع منه المعروفون بصحبته ووجوه أهلها ... ورحل الناس اليه من البلدان وسمعوا عليه وتفقهوا به" (٣).

وأكبر حلقة عرفت لاستاذ في المغرب عامة كانت حلقة القاضي سحنون بن سعيد، كان مجلسه يحوى أربعمائة طالب (٤). ومن تلاميذه الذين شهدوا له بسعة علمه حمديس القطان الذى سمع منه سنة ١٩١ هـ (٥).

وكان الطلاب يترددون على سحنون بالقيروان وبمنزله في الساحل (٦)، وقد سمع منه أكثر من واحد في الساحل منهم الفقيه عبد الجبار بن خالد السرتي (٧).

---

(١) انظر في ذلك عياض، تراجم، ص ٣٧، ٤٤، والمالكي، ج ١، ص ١٥٨، ٣١٢-٣١٣.

(٢) المالكي، ج ١، ص ١٨٢، ١٨٣.

(٣) المالكي، ج ١، ص ١٨٢.

(٤) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج ٣، ص ٤٨. (قيل).

(٥) المالكي، ج ١، ص ٢٥٣.

(٦) المالكي، ج ١، ص ٢٥٧.

(٧) المالكي، ج ١، ص ٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأكبر حلقة عرفت في القيروان وسوسة هي حلقة الفقيه المحدث يحيى بن عمر الكناني (ت ٢٨٩هـ) (١) . وقد خظي بثناء العديد من العلماء(٢) .

وكان الطلاب يفضلون التحلق حول الفقيه الذى تغرب في طلب العلم . قال القاضي ابن غانم الرعيني يمدح أسد بن الفرات ويمدح نفسه لكثرة من كان يتردد عليهما من الطلاب : " ضربنا في طلب العلم آباط الابل ، واغتربنا في البلدان ولقينا العلماء ، وغيرنا انما طلب العلم خلف كانون أبيه ووراء منسج أمه ، ويريدون ان يلحقون بنا ! "(٣) .

ولم تقتصر الرحلة في طلب العلم على نخبة معينة فكان أهل المغرب يذهبون الى الحج وينتهزون الفرصة فيحضرون مجالس الفقهاء كما كانوا يستشيرونهم فيما أشكل عليهم من مسائل في دينهم (٤) .

وكان المتصوفة في أثناء خروجهم الى الحج يعرّجون على مصر ليحضروا حلقات الفقهاء . جاء في ترجمة اسماعيل بن رباح الجزرى انه خرج في آخر عمره الى الحج وحضر حلقة عبد الله

---

(١) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ وانظر المالكي ، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

(٢) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ١٨٣ (وقد قصد ابن غانم في كلامه هذا القاضي أبا محرز محمد بن عبد الله بن قيس الكناني ، انظر ترجمته في المالكي ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن وهب(١) .

وكان سحنون بن سعيد يلازم الفقهاء أثناء اداء فريضة الحج قال سحنون : " وكنا نمشي بالنهار، ونلقي المسائل ونحن مشاة ، فاذا كان الليل وبركت الرفقة ،قام كل واحد الى حزبه من الصلاة"(٢) .

وكانت الرحلة الى الحج في القرن الثالث للهجرة ، بالنسبة للمغاربة لا تنحصر في اداء الفريضة وانما غايتها طلب العلم أيضا . قال سليمان بن سالم : "لما أردت الخروج الى الحج قال لي سحنون : " انك تقدم طرابلس وقد كان فيها رجال مدنيون ومصريون ، ثم تقدم الى مصر وبها الرواة ، ثم تقدم المدينة وهي عش مالك ، ثم تقدم مكة ، فاجتهد مجهودك فان قدمت عليّ بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها فأعلم أن شيخك كان مفرطا " (٣) .

ويفهم من هذا النص ان الرحلات الخارجية كانت تتجه الى العواصم الاسلامية المشهورة للتعلم على أساتذتها ولجلب الكتب منها ، وللسماع من عدد كبير من الشيوخ .

---

(١) المالكي ، ج ١ ،ص ٢٤٥ ، ٢٤٩ (توفي غرقا في البحر أثناء رجوعه من الحج سنة ٢١٢ هـ) .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(٣) المالكي ، ج ١ ،ص ٢٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونشير هنا الى البعثة العلمية التي أرسلها عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ لنشر تعاليم الاسلام ولتعليم البربر أصول دينهم ، وعليهم تخرجت الفئة الاولى من العلماء في القيروان والمغرب كله (١) . وكان اعتناق الاهالي الاسلام أحد الدوافع لظهور الكتاتيب لتعليم الصبيان القرآن وأوليات اللغة والنحو ومبادئ الاسلام .

ويروى ان عبد الله بن غانم قاضي القيروان سنة ١٧١ هـ " جاءه ابنه من عند المعلم فسأله عن سورته وحفظه فقرأ عليه أم القرآن ، فأحسن في قراءته ، فدفع له عشرين دينارا ، فلما جاء بها الصبي الى المؤدب انكر ذلك ... فأخذها وجاء بها الى ابن غانم فقال له : لم رددتها ، هل استقللتها ؟ " فقال المعلم : " ما أتيت لهذا ، انما ظننت بالصبي ظنّا " فقال له : " لحرف واحد مما علّمته يعدل الدنيا وما فيها " (٢) . وهكذا تبين أهمية القرآن وحفظه .

ويبدو أن معلم الكتاب كان مسئولا عن تعليم الصبيان القراءة والكتابة ، ولذلك كان على الاطفال ان يحملوا معهم الواحهم ومحابرهم ، ولكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد حفظه من أى القرآن ، ثم يمحوه (٣) .

ويشير أبو العرب الى طريقة التعليم في الكتاتيب في ترجمة اسماعيل بن رباح الجزرى - أصله من الجزيرة وسكن القيروان (ت ٢١٢هـ) ،

---

(١) انظر ص ٤ - ٥ من هذا الفصل .

(٢) الرقيق ، ص ٢٣١ ، وانظر هذه الرواية أكثر تفصيلا في المالكي ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، والدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٣) الاهواني ، التربية في الاسلام ، ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : " وحدثني من أثق به أن اسماعيل كان في طفولته يحضر الكتّاب فاذا حفظ ما في لوحه غسل ما فيه من القرآن في اناء وشربه فهذا كان دأبه حتى ختم "(١) .

ولقد عقد ابن خلدون فصلا في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه وقال : " فأما اهل المغرب فمذهبهم في الولدان ،الاقتصار على تعليم القرآن فقط ،وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه ، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ،لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب ،الى ان يحذق فيه أو ينقطع دونه ،فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم جملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة . وكذا في الكبير اذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره . فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم "(٢) .

ولهذا النص أهمية كبرى في التعرف على طريقة التعليم في الكتاتيب بالمغرب فكان تعليم القرآن وحفظه هو الهدف الاساسي للصبيان مع المبادىء الاولية للكتابة .

" أما اهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ،ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض

---

(١) أبو العرب ،ص ١٥٠ وانظر المالكي ، ج ١ ،ص ٢٤٠ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٤ ،ص ١٣٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسائلها الا أن عنايتهم بالقرآن ،واستظهار الولدان أياه ، ووقوفهم على اختلاف روايته وقراءته اكثر مما سواه ،وعنايتهم بالخط تبع ذلك . . . "(١) . ويفهم من كلام ابن خلدون ان الافارقة اهتموا اساسا بتعليم القرآن والكتابة اضافة الى تعليم الحديث ولعل ذلك راجع الى كثرة المحدثين الذين وفدوا الى افريقية واستقروا بها .

ثم يقارن ابن خلدون بين طرق التعليم في الاندلس والمغرب وافريقية فيرى ان الطلاقة في اللسان العربي عند أهل الاندلس ترجع الى توسع التعليم عندهم ودراسة العربية من أول العمر وكثرة رواية الشعر (٢) .

وليست لدينا معلومات عن نطاق الكتاتيب في القرن الثاني للهجرة ، الا أن القرن الثالث للهجرة شهد انتشار الكتاتيب بكثرة ،فحين توفي محمد بن سحنون سنة ٢٥٦ هـ بالساحل وأتي به الى القيروان خرج الناس الى دفنه فغلقت الكتاتيب والحوانيت من أجله (٣) .

ويذكر ابن حوقل الذى زار المغرب في القرن الرابع الهجرى أن مدينة (بلرم) قاعدة صقلية كان فيها ما يزيد على ثلاثمائة معلم يؤدبون الصبيان ، ويقول : " وهؤلاء المعلمون يرون أنفسهم

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٤ ،ص ١٣٦١ I. Goldziher, Le Dogme et la loi de l'islam, p.47.

(٢) ن . م . ج ٤ ، ص ١٣٦٢ - ١٣٦١ .

(٣) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنهم افضل السكان وأجلّهم ،وأنهم أهل الله "(١) . فاذا كان في بلرم هذا العدد من موءدبي الصبيان ،فنفترض ان القيروان التي كانت في أوجها أيام الاغالبة كان فيها عدد أكبر من الكتاتيب والموءدبين . ومما يدل على اتساع دائرة التعليم وعلى دور الكتاتيب، كتاب آداب المعلمين ،مما دوّن محمد بن سحنون عن أبيه ، وهو من الكتب الرائدة في التربية والتعليم (٢) .

وترد الاشارة الى عدد من المعلمين في القرن الثالث ،في طليعتهم أسد بن الفرات (ت ٢٢٣هـ) الذى علّم القرآن وسنه ثماني عشرة سنة في قرية بوادى بجردة من أعمال تونس (٣) . مما يشعر بانتشار الكتاتيب الى قرى افريقية . وأبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشي علّم القرآن بالقيروان في حداثة سنة ثم ترك ذلك وتفرغ لاسماع الحديث (٤) . والمحدّث محمد بن عياض القيسي

---

(١) ابن حوقل ،المسالك والممالك ،ص ٨٧ .

(٢) انظر كتاب آداب المعلمين،محمد بن سحنون طبعة الجزائر ، سنة ١٩٦٩ . ويأتي بعده في الاهمية كتاب أبي الحسن القابسي (ت ٤٠٣هـ) ، انظر الاهواني ، التربية في الاسلام ،رأى القابسي في التعلم ، ص ٢٦٣ - ٣٤٧ .

(٣) أبو العرب ،ص ١٦٣ ،المالكي ، ج ١ ،ص ١٧٢ ، عياض ، تراجم ، ص ٥٢ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٤ .

(٤) المالكي ، ج ١ ،ص ٣٧٤ ،عياض ، تراجم ، ص ٣٢١ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ت ٢٦٠هـ) ، علم القرآن بالقيروان (١) . وذكر أن سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ) علّم القرآن ، قال أبو بكر بن اللباد : قال لنا أبو سعيد بن عمرو بن يزيد " أول ما تعلمت من العلم ، مسائل الصلاة من سحنون . . . " (٢) وأحمد بن حمّاد (ت ٢٨٧ هـ) ، كان يعلّم القرآن وهو من المحدثين الثقاة الذين سمع منهم أبو العرب وغيره من أهل افريقية (٣) . وأبو علي الحسن بن علي السبفي المكفوف (٢٦٥ هـ - ٣٤٢هـ) ، كان اديبا لغويا مع فقه وزهد . اشتهر بذلك بين معاصريه ، وكان اول أمره مؤدبا ، فتح مكتبا فقصده الطلبة ودرسوا عليه النحو والعربية وتخرج على يده أجيال (٤) .

وممن اتخذ التعليم صناعة ، الداعية الشيعي ، أبو عبد الله الصنعاني ، كان معروفا بعلمه وذكائه وفصاحته ودهائه ، بارعا في علوم العربية والجدل ، ابتدأ معلم صبيان سنة ٢٨٨ هـ في ديار كتامة ، وهي المنطقة المحصورة بين سطيف وقسنطينة والبحر

---

(١) أبو العرب ، ص ١٩٨ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣٠٤ وانظر الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ١٢١ الذى تكلم عنه تحت اسم ابنه جعفر وذلك خطأ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٣٣٠ .

(٤) الزبيدى ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٣٦ ، والدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ٥٠ ، السيوطي ، بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٥١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من جهة ،وبين سمم وسبوس من جهة اخرى (١) .

وكان الداعية النكارى أبو يزيد مخلد بن كيداد البربـــرى ، الذى يلقب بصاحب الحمار ، يميل الى الزهد والتقشف ، نشـــأ في بلاد توزر من بلاد الجريد ، وكان في بادئ الامر معلما للصبيان بتاهرت ، ثم أخذ على نفسه ان يغير المنكر فكثر اتباعه وقام بثورتـــه على محمد بن عبيد الله الشيعي المهدى في جهات طرابلـــس سنة ٣٣٣ هـ(٢) .

ويلاحظ ان أغلب المؤدبين والمعلمين الذين قاموا بتدريس القرآن في الكتاتيب من المحدثين والفقهاء ولعل هذا يرجع الـــى

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٢٤ ، ١٢٩ ، انظر ابن الاثير ، الكامـــل ،ج ٨ ، ص ٣١ - ٣٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ٣٢ - ٣٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، القاضي النعمان ،افتتاح ،ص ٣٤-٥٤ ، السراج ، ج ١ ،ق ٤ ،ص ٨٩٤ ، والفرد بل ، الفرق / ت بدوى ، ص ١٥٧ .

(٢) انظر ابن الاثير ،الكامل ،ج ٨ ،ص ٤٢٢ - ٤٤١ ، ابن الأبـــار ، الحلة ،ج ٢ ،ص ٣٩٠ - ٣٩١ ، الدرجيني ،طبقات ،ج ١ ،ص ١١٩- ١٢٣ ، ابن عذارى ،ج ٢ ،ص ١٩٣ ، ٣١٦ ، ٣١٩ - ٣٢٠ ، ابـــن خلكان ، وفيات ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٤٠ - ٤١ ، الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ - ٢٤٢ ، ٢٥٧ ، أبو المحاسن ، النجوم ،ج ٣ ،ص ٢٩٥ ، ابن ابي دينار ، المؤنـــس ، ص ٥٧ ، ٦٢ ، القاضي النعمان ،افتتاح ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢- ٣٣٤ ، ابن مخلوف ،شجرة ، ج ٢ ،ص ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجهود الذى كان من الواجب بذله في نشر الاسلام في افريقية وبث العربية بين المسلمين .

ولم ترد اشارات واضحة الى التوقيت وايام الدراسة في الكتاتيب ، وهناك رأى في مسألة الوقت يسوقه حسن حسني عبد الوهاب، في مقدمته لكتاب " آداب المعلمين " ، قائلا : " أما اوقات التعليم فيما مضى - فليس لدينا ما ينبيء على تعيين ابتدائها صباحا ، ولا وقت انتهائها مساء وغاية ما نعلمه في خصوصها ، ما روى عن أحد مشاهير علماء القيروان ، قال الونشريسي : " وسئل أبو طيب عبد المنعم بن خلدون الكندى توفي بالقيروان (٤٢١هـ) (١) ، هل يجلس المعلم من الصبح الى المغرب ، أو عند طلوع الشمس الى الاسفار ، فأجاب : أما وقت جلوس المعلم وقيامه ، فبحسب العرف ، وما تعاهده اهل التعليم في كل بلد " (٢) .

هذا وهناك من يرى ان التعليم في المرحلة الدراسية الاولى ، كان يتم اثناء النهار من الصباح الى العصر (٣) .

ويبدو أنه كان يسمح للنبهاء من الصغار ان يترددوا على مجالس العلماء ليسمعوا منهم ، كما ان المعلمين من ناحيتهم كانوا يسعون الى تحسين مستواهم الثقافي ويجلسون الى أحد العلماء يدرسون عليه . ويشير المالكي الى ذلك في ترجمة ابن

---

(١) الونشريسي ، المعيار ، ج٨ ، ص ٢٤٤ .

(٢) حسن حسني عبد الوهاب ، آداب المعلمين (المقدمة) ، ص ٤٦ .

(٣) الاهواني ، التربية الاسلامية ، ص ١٧٦ (ط . القاهرة ١٩٥٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العباس عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي (٢٧٥هـ) ، ذكر انه كان يتيما وكان متحمسا للعلم منذ صغره فكان يحضر مع معلمه مجلس سحنون يوم الخميس والجمعة (١) . وذكر عياض ان أبا عبد الله محمد بن سليمان بن بسيل (٢١٠هـ - ٣٠٩هـ) كان يختلف الى سحنون وهو صغير يسمع منه (٢) . وكان أبو العرب التميمي (ت ٣٣٠هـ) يتردد في صغره على مجلس المحدث محمد بن يحيى ابن سلام (٣) .

٢ - ويبدو أن المنزل لعب دورا ملموسا احيانا في التعليم ، حيث قام كثير من الاباء بتعليم أبنائهم ويظهر ان بعض الطلبة اكتفوا بما أخذوه من الاباء ليبلغوا درجة علمية حسنة تؤهلهم للرحلة في طلب المزيد من العلم في الامصار الاسلامية ونذكر على سبيل المثال الفقيه عبد الرحمن بن زياد بن انعم من اهل القيروان (ت ١٦١هـ) وقد سمع من أبيه ومن البعثة العلمية (٤) ، وعياض بن عقبة بن نافع الفهرى (ت ١٠٠هـ) الذى سمع من ابيه وسمع منه أخوه أبو عبيدة (٥) . ومن تفقه على أبيه خالد بن عمران التونسي (ت ١٢٣هـ) (٦) وموسى بن علي بن رباح اللخمي

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .
(٢) عياض ، تراجم ، ص ٣٥٠ (عن ابن حارث الخشني) ، انظر الخشني ، ص ١٥٣ .
(٣) عياض ، المدارك ، ج ٥ ، ص ٣٢٤-٣٢٥ ، معالم ، ج ٣ ، ص ٣٧ - ٣٨ .
(٤) أبو العرب ، ص ٨٧ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .
(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ٩٥ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٩٠ .
(٦) أبو العرب ، ص ٢١٥ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٠٣-١٠٦ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ٣ ، ص ١١٠ - ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ولد ٩٠ هـ) الذى سمع من أبيه (١) ،وعبد الله بن حسان اليحصبي (ت ٢٢٧هـ) ، روى عن أبيه أخبار افريقية ووقائعها (٢) .
واعتنى سحنون بتعليم ابنه محمد وتأديبه وكان يقول لمعلم ابنه " لا تؤدبه الا بالمدح ولطف الكلام ، ليس هو ممن يؤدب بالضرب والعنف ، واني لا أرجوان يكون نسيج وحده ،واتركه على نحلتي" (٣) .
وقد سمع من أبيه وعليه كان اعتماده (٤) .

ويبدو أن استخدام المنزل مكانا للتدريس كان أمرا شائعا ، فكان جبلة بن حمّود الصدفي (ت ٢٩٩ هـ) بعد أن انهى مرحلة الدراسة في الكتاتيب وتعلم القرآن يتردد على دار سحنون بالقيروان ليسمع منه (٥) ، وكان أغلب طلبة سحنون يترددون عليه بمنزله بالساحل للسماع منه (٦) ، وكان سحنون نفسه يخرج الى تونس ليطلب العلم على الفقيه على بن زياد التونسي (ت ١٨٣هـ) بمنزله (٧) وفيه درس الموطأ (٨) .

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ١١٢ ، الدباغ ،ج ١ ،ص ٢٣٨ .
(٢) عياض ،تراجم أغلبية ،ص ٧٢ ، ٧٤ ،الرقيق ،ص ١٠٧ ، الدباغ ، ج ٢ ،ص ٥٨ .
(٣) المالكي ،ج ١ ،ص ٣٤٧ ،الدباغ ، ج ٢ ،ص ١٢٤ .
(٤) الدباغ ، معالم ،ج ٢ ،ص ١٢٢ .
(٥) عياض ، تراجم ،ص ٣٥٠ .
(٦) المالكي ،ج ١ ،ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ .
(٧) ن ٠ م ٠ ج ١ ،ص ٢٥٤ .
(٨) عياض ،تراجم ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن البعض كان يتخذ سقيفة بيته للاقراء والاسماع (١)، كما أن البعض كان يتخذ مكانا على سطح منزله للتعليم . يحكي ابن فرحون عن حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمي القرطبي (٤٦٩هـ) ، قوله : كنا عند أبي الحسن القابسي نحو ثمانين رجلا من طلبة العلم ، وكنا في علّية له ، فصعد الينا الشيخ يوما وقد شق عليه الصعود ، فقام قائما ، وتنفس الصعداء ، وقال ، والله لقد قطعتم ابهري "(٢) .

ولم نجد من النصوص ما يؤكد ذهاب البنت الى المكتب ، ولكن ذلك لا يعني عدم تعليم البنات ويبدو ان الاباء تولوا هذه المهمة أحيانا . ذكر عيّاض في ترجمة عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥هـ) انه "كان من سيرته في غير مدة قضائه انه كان اذا اصبح قرأ حزبه من القرآن ، ثم جلس للطلبة الى العصر . فاذا كان بعد العصر دعا بنته وبنات أخيه يعلمهن القرآن والعلم "(٣) . ويذكر حسن حسني عبد الوهاب من اللواتي تفقهن في العصر الاغلبي ، أسماء بنت أسد بن الفرات (توفيت سنة ٢٥٠هـ) وخديجة بنت الامام سحنون ، ومهرية بنت الحسن بن غلبون التميمي من القرن الثالث للهجرة وكانت أديبة شاعرة (٤) .

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ١٥٧ - ١٦٠ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٢٥١ .

(٤) حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، ص ٤٥ - ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ - تدرجت الدراسة من الكتاتيب الى المساجد والجوامع، فكانت تعقد في المساجد حلقات علمية يترأسها الفقهاء ورجال العلم. وبقيت لبعض المساجد تلك الاهمية التعليمية الى يومنا هذا مثل جامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس .

وكان مركز للتعليم في افريقية، جامع عقبة بن نافع ،وكانت تدّرس فيه العلوم الدينية ،وقد وسع هذا الجامع ثلاث مرات على التوالي سنة ٨٤ هـ و ١٥٧ هـ و ٢١٢ هـ (١) . وهذا دليل على اقبال الناس على الاسلام ،وعلى مدى انتشاره بين أبناء المغرب. وقد درس في هذا المسجد ، رجال من التابعين ، منهم عكرمة المحدث (ت ١٠٥هـ) ،مولى عبد الله بن العباس ،والذى دخل افريقية ، قبل آخر القرن الاول لنشر المذهب الصفرى . وكان مجلسه في موءخر المسجد الجامع في غربي المنارة في الموضع الذى يسمى بالركيبة . وقد اخذ عنه كثير من أبناء التابعين الحديث والتفسير ، وعنه انتشرت آراء الخوارج في انحاء المغرب (٢) . وكان في هذا المسجد حلقات للصفرية والاباضية والمعتزلة يتناظرون فيها (٣) . وهذا يدل على شعبية التعليم وعلى انفتاحه .

وبلغ النشاط التعليمي أوجه في القرن الثالث، وكان الفقهاء أكثر العلماء طلبة ولعل ذلك عائد الى تطلع البعض منهم الى منصب

---

(١) البكرى ،وصف ،ص ٢٢ - ٢٣ ، ٣٥ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٣٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٧٩ ، ١٠٦ .

(٢) أبو العرب ،ص ١٩ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٩٢ .

(٣) أبو العرب ،ص ١٠٢ ،عياض،المدارك ،ج ٤ ،ص ٦٠ ،تراجم ،ص ١٠٤ ، الدباغ ،معالم ،ج ٢ ، ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القضاء . فكان لسحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ) حلقة بمسجد عقبة ولابنه محمد (٢٥٦هـ) حلقة ،فكان الناس يحلّقون عليه بعد حلقة أبيه (١) . وكثر الطلاب الذين كانوا يترددون على حلقة سحنون بن سعيد ، من سائر أنحاء افريقية والمغرب والاندلس ويذكر ابن الحارث الخشني في هذا الصدد " سمعتهم يقولون : كان سحنون من أيمن عالم دخل المغرب ،كان أصحابه مصابيح في كل بلدة عدّ له نحو سبعمائة رجل ظهروا بصحبته ، وانتفعوا بمجالسه "(٢) .

وكان لمحمد ابن ابراهيم بن عبدوس،وهو من الفقهاء الثقاة المجتهدين في طلب العلم (٢٠٢ هـ - ٢٦٠هـ) مجلس بجامع عقبة يدرّس فيه الفقه المالكي (٣) . واشتهر أبو زكرياء يحيى بن عمر بن يوسف الكناني الاندلسي (ت ٢٩٨هـ) بعدد الطلاب الذين كانوا يحضرون مجلسه في جامع القيروان وفي مسجد سرسة وذلك لتبحره في العلوم الفقهية ،وكان ينصب له كرسي يجلس عليه ليسمع من بعد من الناس ،وذلك لكثرة من كان يحضر مجلسه (٤) . ومن أشهر تلاميذه أخوه محمد ، وأبو بكر بن اللباد ،وأبو العرب وأبو العباس الابنياني .

---

(١) المالكي ، ج ١ ،ص ٣٤٧ ،الدباغ ،معالم ،ج ٢ ،ص ١٢٤ .

(٢) الدباغ ،معالم ، ج ٢ ،ص ٩٨ .

(٣) المالكي ، ج ١ ،ص ٣٦١ .

(٤) المالكي ، ج ١ ،ص ٣٩٨ ، عياض ،مدارك ،ج ٤ ،ص ٧٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان للقاضي حمّاس بن مروان الهمداني (٢٢٢هـ - ٣٠٣هـ) ، حلقة في جامع القيروان (١) ، كما كانت لمحمد بن سعيد الكلبي المعروف بابن عيشون (ت بعد ٢٩٠هـ) ، والتف من كان يذهب مذهب اهل السنة حول ابي جعفر احمد بن نصر بن زياد الهواري (ت ٣١٧هـ) الذي كان يعقد حلقة لتدريس المذهب في مسجد رحبة القرشيين (٢) .

وكان لمحمد بن زرقون بن أبي مريم المعروف بابن طيّارة (٢١١ - ٢٨٠ هـ) مجلس لتدريس العلم في جامع القيروان ، وقال فيه ابن اللباد (من رجالات القرن الثالث) : " لم يكن في شيوخ افريقية احسن مجلسا منه وقال ابن حارث : " وكذلك رأيت ابنه أبا الحسن " (٣) ، وعرف مسجد عقبة نشاطا علميا أكثر في القرن الرابع الهجري وكان يدرس فيه أعلام من رجال الفقه والعربية (٤) .

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٣٤٧ .

(٢) عياض ، تراجم ، ص ٣٦٩ .

(٣) ن . م . ص ٣٦٩ .

(٤) كان للفقيه ابي عثمان بن الحدّاد (ت ٣٠١هـ) حلقة بجامع القيروان تغص بالطلاب لسعة فقهه ومعرفته للسان العربي ويقول عنه المالكي : " وكان آنس الناس مجلسا واغزرهم خبرا وكان راضي نفسه الا ينطق لسانه الا بالفصاحة والاعراب في جميع مخاطبته ، انظر ، عياض ، تراجم ، ص ٣٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشار الدباغ في ترجمة أبي القاسم عبد الوهاب بن عبد الله المتعبد (ت ٣٣٠هـ) الى كثرة العلماء والشيوخ في القيروان وذكر أسماء جماعة من هؤلاء الشيوخ كانوا في بيت هذا الزاهد حينما كان يحتضر وأضاف : " والذى كان في زمن سحنون وقبله أكثر "(١) .

وفي فترة حكم الفاطميين تعطلت الحلق في مسجد عقبة ، لأن الفاطميين منعوا تعليم العلوم الشرعية على مذاهب السنة فاضطر شيوخ المالكية والحنفية الى متابعة اقراء تلاميذهم في بيوتهم ودكاكينهم ، فذكر الدباغ : "كان ربيع القطان (ت ٣٣٣هـ) ملتزما الاقراء في الحانوت الذى يبيع فيه القطن ، وفيه كان يأتيه من يدرس عليه من الطلبة أو من يسأله ويستفتيه "(٢) .

ولم يكن جامع عقبة مؤسسة دينية وتعليمية فحسب ، بل كان مقر القضاء ، ومركزا كبيرا للحياة الاجتماعية والسياسية في افريقية(٣) .

---

(١) الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ١٦ ، ١٨ .

(٢) ن . م . ج ٣ ، ص ٣٠ .

(٣) انظر أبو العرب ، ص ٦٠ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢-٢٨٣ ، عياض ، تراجم ، ص ٣٣ ، ٦٦ ، الرقيق ، ص ١٣٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ، ٢٧٠ ، ج ٢ ، ص ٣١ ، ٤٥ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢١٧ ، وانظر ما ذكره محمود عبد الحليم في : المسجد وأثره في المجتمع الاسلامي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما كان هذا الجامع ملتقى التيارات الفكرية وأكبر مركز لتجمع العامة والخاصة ،فكان له أثره في توفير الجو للوحدة والاستمرار الثقافي ، وفي جذب الاهالي للاحتكاك بالمجموعات العربية المثقفة . فكان أكبر موءسسة لترسيخ الاسلام ، كما كان أحد العوامل التي ساعدت على انتشار حركة التعريب بافريقية خاصة والمغرب عامة .

أما المركز العلمي الثاني في افريقية ،فهو المسجد الجامع بتونس وقد أدى الدور التربوى والثقافي نفسه . وأول من اختطه ، التابعي اسماعيل بن عبيد الله الانصارى ، أحد علماء البعثة التربوية التي وفدت الى افريقية سنة ١٠٠ هـ(١) .

وتشير كتب التراجم الى عدد كبير من حملة العلم في مدينة تونس في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . وكان الطلاب يختلفون اليهم ليأخذوا العلم عنهم ،مثل التابعي خالد بن أبي

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ٧٠ (وقد أعاد بناء مسجد تونس ووسعه الوالي عبيد الله ابن الحبحاب سنة ١١٦ هـ ، وأدخلت عليه تحسينات في امارة ابي ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب سنة ٢٤٥هـ، وفي امارة أخيه زيادة الله الثاني سنة ٢٥٠ هـ ، ولعل هذا يدل على كثرة من كان يتردد على هذا المسجد الجامع ، من فقهاء وطلبة علم) ، انظر في ذلك الرقيق ، ص ١٠٧ ، البكرى ، وصف ، ص ٣٧ ، ياقوت ،معجم ، ج ١ ،ص ٦٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٥١ ، ١١٣ ، السراج ،الحلل ، ج ١ ،ق ٣ ، ص ٥٧٤ ، حسن حسني عبد الوهاب ،خلاصة تاريخ تونس ،ص ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمران التونسي (ت ١٢٥هـ) ، من علماء أهل المغرب وفقهائها (١) ، وتلميذه عبد الملك بن أبي كريمة (ت ٢١٠) (٢) ، وقاضي افريقية أبو كريب (ت ١٣٩هـ) (٣) ، وأبو مسعود عبد الرحمن ابن أشرس الانصارى المحدث الكبير من تلاميذ مالك بن أنس (٤) ، ومعاصره الفقيه علي بن زياد التونسي الذى ادخل امهات المصادر الفقهية كالموطأ وجامع سفيان (٥) ، وقد روى عنه بمدينة تونس ثلاثة من أشهر الفقهاء : أسد بن الفرات ، وعباس بن الوليد الفارسي (ت ٢١٨هـ) (٦) وسحنون بن سعيد (٧) .

---

(١) أبو العرب ، ص ٢١٢ - ٢١٥ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

(٣) الدباغ ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، وانظر الرقيق ، ص ١٤٠ .

(٤) عياض ، تراجم ، ص ٢٦ .

(٥) عياض ، تراجم ، ص ٢٢ ، ويقول حسن حسني عبد الوهاب ، من حسن الحظ ان تحتفظ لنا مكتبة جامع عقبة العتيقة جزءا مفردا من موطأ مالك برواية علي بن زياد التونسي ولعله أقدم مجموع للمؤلفين التونسيين ، انظر حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ١٢٦ هامش رقم (١) .

(٦) أبو العرب ، ص ٢٥٤ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٧) عياض ، تراجم ، ص ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٥٢ ، وانظر المالكي ، ج ١ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو من تراجم هوءلاء الاعلام ،أنهم كانوا يقرئون اما في المساجد الصغيرة الموجودة آنذاك بتونس واما في بيوتهم . ويشير الفقيه سحنون بن سعيد الى بعض معاصريه من العلماء ويقول : " كان بمدينة تونس علي بن زياد خير أهل افريقية في الضبط للعلم (يعني الفقه) ، وكان ابن أشرس احفظ على رواية الحديث ، شديد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " . ثم يذكر ابن أبي كريمة قائلا : " ولم يكن في ناحيتهما وانما كان رحل ورع صاحب أحاديث "(١) .

وكان فقهاء القيروان يوجهون من جد من طلابهم الى تونس لأخذ العلم عن فقهائها . فكتب البهلول بن راشد الى علي بن زياد التونسي يوصيه بسحنون ابن سعيد : " يأتيك رجل يطلب العلم لله " ،فلما وصل سحنون الى تونس أتاه علي بن زياد التونسي بالموطأ الى بيته ،وقال له : " والله ! لا سمعته عليّ الا في بيتك ،لأن أخي البهلول كتب الي انك ممن يطلب العلم لله "(٢) .

وكان جل النشاط التعليمي في جامع الزيتونة ،فقد أصبحت تونس في القرنين الثاني والثالث للهجرة الحاضرة الثانية لافريقية ، وكانت في مستوى القيروان من حيث العمران والنشاط الثقافي ، حتى أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي كان يقول لمن يقدم عليه من افريقية " ما فعلت احدى القيروانين - يعني تونس - "(٣) .

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ٢٣٠ ، أنظر ابو العرب ،ص ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، عياض ، تراجم أغلبية ، ص ٢٦ .

(٢) عياض ،تراجم ، ص ٢٥ .

(٣) الرقيق ، ص ١٨٦ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترد اشارة الى نشاط تعليمي واسع بجامع الزيتونة في اوائل القرن الثالث للهجرة . جاء في ترجمة ابي بشر زيد بن بشر الازدي (ت ٢٤٢هـ) ، وهو من الفقهاء النازلة ، انه كانت له رحلة الى مصر وأخذ فيها الحديث عن ابن القاسم وأشهب وغيرهما ، ورحل الى الحجاز فأخذ الحديث عن اصحاب مالك وعاد من رحلته الى تونس وأقرأ بها زمنا طويلا ، ورحل اليه من القيروان خلق كثير ليسمعوا منه الحديث وكان يمر على طريق الخرّازين (١) مع طلابه ليصل الى جامع الزيتونة (٢) .

وكان أبو العباس عبد الله بن محمد الابنّيانيّ (ت ٣٥٢ هـ) ، من فقهاء المالكية (ممن لهم ميل الى المذهب الشافعي) ، وكان يزاول التدريس في جامع الزيتونة ويقول عنه عياض ، انه كان يأتي في صباح كل يوم على دابته من قرية ابنّيانة - الواقعة بفحص مرناق ، على مقربة من تونس - فيقضي جانبا كبيرا من النهار في القاء دروسه ، وافتاء السائلين فيما يعرض لهم من قضايا ، ثم يعود عشية الى قريته ، وكان هذا دأبه الى أن توفي (٣) .

وقد أدى الفقهاء والمحدثون دورا كبيرا في نشر العلوم الاسلامية في افريقية ، فلم يقتصر دورهم التعليمي على حلقات المساجد ،

---

(١) الخرّازين : سوق صناعة البلغة الآن ، انظر حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٢) أبو العرب ، ص ٢٥٥ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٣) المدارك ، ج ٦ ، ص ١٠ - ١٨ ، ابن فرحون ، الديباج ، ج ١ ، ص ٤٢٥-٤٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انما راح بعضهم يتلو القرآن في مراكز تجمع العامة كالاسواق . جاء في ترجمة أبي عون معاوية بن الفضل الصمادحي " انه كان يكثر من ذكر الله عز وجل في الاسواق والمواضيع التي يشتغل الناس فيها بالبياعات ، وكان يركب بغلته ويمضي الى السوق ويجيء وهو يتلو القرآن حتى ختم "(١) .

ولم تتخذ هذه الفئة من الفقهاء التعليم خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة سبيلا لكسب العيش ، بل نجد افرادها يباشرون أعمالا مختلفة . فكان البعض منهم يشتغل بالتجارة (٢) أو بالمهن (٣) ، أو بالزراعة . فليس من النادر أن نجد الشيوخ والطلبة يغادرون المدينة الى ضياعهم في مواسم الحرث والحصاد (٤) . فكان تأثير هذه الفئة على الاهالي في المدن والريف واسعا وكان أحد العوامل التي ساعدت على انتشار العربية لغة وثقافة وذلك بحكم الاختلاط والاحتكاك . فكان سحنون بن سعيد يلازم البادية أكثر ايامه للاعتناء بزرعه مع غلمانه (٥) .

درّس عبد الجبار السرتي ، من علماء افريقية قال : " كنا نسمع من سحنون بمنزله في الساحل فصلى يوما الصبح ، ثم دخل بيته

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

(٢) أبو العرب ، ص ١٥٨ ، عياض ، تراجم ، ص ٢١٥ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ١٣١ ، الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٤) انظر المالكي ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ٢٦٢ ، ٣٦١ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخرج علينا وعلى كتفه المحراث ،وبين يديه زوج بقر مقرون ،فقال لنا :" ان الغلام قد حمّ البارحة ، فأنا أريد ان أذهب لأحرث مكانه ، ثم ارجع اليكم اذا فرغت اسمعكم " - قال عبد الجبار فقلت له : " أنا أذهب احرث لك وأجلس انت تسمع أصحابنا ،فاذا رجعت قرأت عليك ما فاتني به أصحابي . . . "(١) .

ويؤكد هذا الخبر ما رواه يحيى بن عمر الكناني ،عن مزاولة سحنون التعليم بمنزله بالبادية فكان يدرّس من قصده من الطلبة الافريقيين والاندلسيين ، وهناك تلقى يحيى بن عمر الكناني دروسه عن الامام سحنون (٢) .

وكان للفقيه حمّود بن سهلون (ت ٣٢٧هـ) ، ضياع بأحواز سوسة ، وكان الطلبة يذهبون اليه ليسمعوا منه ،ومن بينهم أبو اسحاق الجبنياني ، فقيه جبنيانه (ت ٣٦٩هـ) (٣) .

٤ - ان أهمية المساجد في الحياة الثقافية للمسلمين يوجب الاشارة الى انشائها لتكوين فكرة عن نطاق النشاط التعليمي في المغرب . وتقترن الروايات انشاء المساجد بالمحاولات الاولى للفتح . فيشار الى مسجد اختط بموقع القيروان قبل تمصيرها ، هو مسجد الانصار اختطه الصحابي رويفع بن ثابت الانصارى سنة

---

(١) المالكي ، ج ١ ،ص ٢٦٥ .

(٢) ن ٠ م ٠ ج ١ ،ص ٣٩٧ .

(٣) ن ٠ م ٠ ج ٢ ،ص ٢٦١ - ٢٦٣ ، عياض ،المدارك ، ج ٥ ،ص ١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٧ هـ(١) . وحين مصرت القيروان سنة ٥٠ هـ، كان أول ما اختط منها ، جامع عقبة بن نافع الفهري(٢) . وأثناء حملات عقبة الواسعة التي وصل فيها الى المحيط الاطلسي (٦٢ هـ - ٦٣هـ) ، أسلمت على يده قبائل كثيرة من المغربين الاوسط والاقصى وبلاد السوس ، فبنى لهم عقبة مسجدا بنفيس ، وهو مشهور باسمه(٣) . كما بنى مسجدا بالسوس وبدرعة(٤) .

ومن أهم الاصلاحات التي تمت في عهد حسان بن النعمان هو تجديد هذا الجامع وتوسيعه سنة ٨٤ هـ(٥) . وفي عهد هذا الوالي توغل الاسلام في القبائل البربرية فأقبلت هي نفسها على انشاء مساجدها(٦) . وفي بداية القرن الثاني للهجرة بنيت مساجد عديدة بافريقية ، نسبت لأصحابها من التابعين ، كمسجد اسماعيل بن عبيد الله الانصاري ، الذى بناه سنة ٩٣ هـ، وهو المعروف بجامع الزيتونة ويعد هذا المسجد من المساجد السبعة المشهورة بالقيروان(٧) . ومسجد حنش بن عبيد الله الصنعاني

---

(١) الدباغ ، معالم ، ج١ ، ص ٢٧ ، ١٢٥ .

(٢) الدباغ ، معالم ، ج١ ، ص ١١ ، ١٦٦ .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ١٦٠ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد في فتح المغرب ، ص ٢١٩ .

(٤) عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٠ .

(٥) المالكي ، ج١ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٦) عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٣ .

(٧) المالكي ، ج١ ، ص ٧٠ ، الدباغ ، معالم ، ج١ ، ص ٢٨ ، ١٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ت ٠٠١هـ) ، الواقع في ناحية باب الريح احدى أبواب القيروان (١) . ومسجد ابي عبد الرحمن الحبلي الذى يقع بدرب أزهر ، قرب باب تونس ، وقد بناه سنة ١٠٠ هـ (٢) . ومسجد ابي عبد الله علي بن رباح بن نصير اللخمي ، الواقع بجوار باب نافع بالقيروان (٣) . ومسجد زياد بن أنعم ، من المقاتلة ، اختطه في ناحية باب نافع ، احدى أبواب القيروان (٤) ، ومسجد التابعي عبد الرحمن بن اشيفع بن وعلة الشيباني المصرى ، أحد النازلة بالقيروان (٥) . وهناك المسجد المنسوب الى الفقيه الزاهد ابي ميسرة ، أحمد بن نزار (ت ٣٣٧هـ) وكان هذا المسجد قد خط في اول تمصير القيروان من قبل احد التابعين (٦) .

وساهمت النابتة من الفقهاء ببناء المساجد للصلاة والتدريس ، فكان لبهلول بن راشد الرعيني مسجد بالقيروان (٧) ، ولأبي الفتح بالقيروان مسجد ، وكان الفقيه أبو معمر عبّاد بن عبد الصمد التميمي يحدث فيه (٨) . وبنى الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٧٩ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، ٣١ .
(٢) ن ٠ م ٠ ج ١ ، ص ٦٤ ، ن ٠ م ٠ ج ١ ، ص ٣١ ، ١٨٠ .
(٣) ن ٠ م ٠ ج ١ ، ص ٧٧ ، ن ٠ م ٠ ج ١ ، ص ٣١ ، ٢٠٠ .
(٤) ن ٠ م ٠ ج ١ ، ص ٨٣ ، ن ٠ م ٠ ج ١ ، ص ٢٢٠ .
(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٨٣ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٩٦ .
(٦) الدباغ ، ج ١ ، ص ٣٠ ، ج ٣ ، ص ٤٤ .
(٧) المالكي ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، عياض ، تراجم ، ص ٣٤ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .
(٨) المالكي ، ج ١ ، ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسجدا بالقيروان ،ويعد هذا الفقيه من أشراف العرب النابتة وأثريائهم (١) .

وأشهر المساجد في القرن الثالث للهجرة ،مسجد السبت بدمنة القيروان ، لما كان يجتمع فيه من الصلحاء والقرّاء والحفاظ كل يوم سبت من مطلع الفجر الى غروب الشمس . ونسب هذا المسجد للفقيه الزاهد ابي محمد الانصارى الدّمني الضرير(ت ٢٥٠هـ) (٢) . كما اشتهر مسجد الخميس ، الذى بناه الصوفي ابراهيم بن المضاء الضرير الاسدى (ت ٢٧٦هـ) ، بالدمنة . وكان هذا المسجد ملتقى الزهاد تقرأ فيه الرّقائق كل يوم خميس(٣) . وكان للفقيه أبي حفص عبد الجبار بن خالد بن عمران السرتي (ت ٢٨١هـ) مسجد وبلغ عدد ختمات القرآن فيه نيّفا وأربعة الآف ختمة (٤) . وكان لشريكه في تجارة القطن ، الفقيه حمديس القطان مسجدا أيضا (٥) .

وكان للفقيه عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩هـ) مسجد بالقيروان ،يسمع فيه الطلاب(٦) . ويذكر مسجد بلج (٧) ، حيث

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ٢٠٣ .

(٢) ن ٠ م ٠ ج ١ ،ص ٣١٨ ، عياض ،تراجم ، ص ٢٦٥ ، الدباغ، ج ١ ،ص ٣١ ، ج ٢ ،ص ١١٤ وما بعدها .

(٣) عياض ،تراجم ، ص ٢٠٤ ، الدباغ ، ج ٢ ،ص ١٧٤ .

(٤) عياض ،تراجم ،ص ٢٩٧ ، الدباغ ،ج ٢ ،ص ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٥) عياض ، تراجم ،ص ٢٩٦ .

(٦) المالكي ، ج ١ ،ص ٢٧١ .

(٧) لم نعرف شيئا عن بلج هذا لعله أحد فقهاء القرن الثالث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان أبو حفص أحمد بن وزان الصواف الفقيه المتعبد (ت ٢٨٢ هـ) يجلس فيه للصلاة والعبادة (١) . وكان لكل من الامام سحنون وابنه محمد مسجد (٢) . وذكر عياض مسجد البركة بالقيروان ، وكان الفقيه حبيب بن نصر بن سهيل التميمي (ت ٢٨٧ هـ) صاحب مظالم سحنون ، يجلس فيه ليحكم بين الناس (٣) كما كان للقرشيين مسجد بالقيروان يطلق عليه اسم مسجد رحبة القرشيين ، حيث كان الفقيه أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهوارى (ت ٣١٧ هـ) يدرس ويفتي فيه على مذهب مالك (٤) . وكان لابي جعفر أحمد بن أبي سليمان داود الربعي الصواف (ت ٢٨٧ هـ) مسجد بالقيروان (٥) ، وذكر الدباغ مسجد الزاقول الواقع عند دار أبي الحسن الزعفراني بالقيروان ، وكان للشاعر الاديب أبو عقال غلبون بن الحسن بن غلبون (ت ٢٩١ هـ) مجلس فيه (٦) . وذكر المالكي مسجدا بالقيروان لأحد الفقهاء من أصحاب سحنون يدعى محمد بن بشار والمعروف بالزريبي (٧) .

وبنيت مساجد صغيرة في القرن الثالث للهجرة قرب الجامع الكبير بالقيروان مثل مسجد المقرعة (٨) .

---

(١) الدباغ ، ج ٢ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) عياض ، تراجم ، ص ٣٠٨ ، ١٧٦ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣٥٥ .

(٣) عياض ، ص ٢٧٨ .

(٤) ن . م . ص ٣٦٩ ، الدباغ ، ج ٣ ، ص ٨ .

(٥) الدباغ ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٦) ن . م . ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٧) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

(٨) ن . م . ج ١ ، ص ٣٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما مساجد سوسة فأكثرها بنيت أيام الاغالبة . فقد بنى فتاتة أحد فتيان الامير أبي عقال الاغلب بن ابراهيم الاول (٢٢٣ هـ - ٢٢٦ هـ) (١) مسجدا بسوسة سنة ٢٢٣ هـ ،وكان يطلق عليه اسم مسجد فتاتة (٢) .

وحين اتسعت سوسة في العمران وكثر المصلون والمرابطون فيها ،بني الجامع الكبير وكان بناؤه على يد مدام ، أحد فتيان الامير ابي العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب (٢٢٦ هـ - ٢٤٦ هـ) ، سنة ٢٣٦هـ (٣) . وحين ضاق هذا المسجد بالمصلين تقدم أحد المرابطين ، أبو الاحوص أحمد بن عبد الله ، وأصله من المغرب الاقصى (ت ٢٨٤ هـ) الى الامير ابراهيم بن أحمد بن الاغلب وطلب منه ان يوسعه فأخذ برأيه (٤) . وتمت هذه الزيادة في حدود سنة ٢٧٠ هـ (٥) .

---

(١) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٠٦-١٠٧ ،السراج ،الحلل ،ج ١ ،ق ٣ ،ص ٨٨٠ .

(٢) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات ،ج ٢ ،ص ٣٣ ،٦٥ - ٦٦ .

(٣) التيجاني ،الرحلة ،ص ٢٦ ،السراج ، الحلل ،ج ١ ،ق ٢ ،ص ٢٢٩ .

(٤) وقال المالكي : " فزاد في الجامع الثلاثة السقوف المالية التي تلي القبة ٢٢ ، انظر ج ١ ، ص ٣٩٢ وحسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ٣ ،ص ٣٤ - ٣٥ .

(٥) حسن حسني عبد الوهاب ،ورقات ، ج ٣ ،ص ٣٥ (ويبدو ان المذهب المالكي كان سائدا في سوسة اذ يذكر السراج ان بصحن جامعها المذكور بيت كتب فيه بخط قديم نقشا في الحجر (القرآن كلام الله ليس بمخلوق) ، انظر السراج ، الحلل ، ج ١ ،ق ٢ ، ص ٢٢٩ ، والتيجاني ، الرحلة ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد زاول التدريس بالجامع الكبير يحيى بن عمر الكنانـــي . روى ابو الحسان اللواتي المتعبد قال : "كان يحيى بن عمر عندنا بسوسة يسمع الناس في المسجد الجامع فيمتلي المسجد وما حولـه ، فسألوه الانتقال لما هو أوسع ، فلم يفعل "(١) . وقام بالتدريـس في هذا الجامع ، كبير المالكية في عصره ، أبو محمد عبد الله بـن أبي زيد النفزاوى القيرواني (٢) (ت ٣٨٦هـ) ، كما درّس أيضـا في جامع عقبة بالقيروان ، وتفقه عليه جلّة من القرويين وأهل المغـرب والاندلس (٣) .

وبنى الفقيه المالكي يحيى بن عمر الكناني مسجدا بسوسـة ، جعله ملاصقا لداره ، فكان يسمع تلاميذه مروياته في الحديث أو يملي

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٩٢ .

(٢) يقول حسن حسني عبد الوهاب " من أثمن ما وضعت في متحـف (أسد بن الفرات) برباط سوسة : ورقة من الرق منسوخة بخـط الشيخ عبد الله بن أبي زيد ، من تأليفه (النوار والزيادات علـى المدونة) مكتوبة بخط يده في مدينة سوسة - حين اقامته بها سـنة ٣٨٣ هـ أى بثلاث سنين قبل وفاته ، انظر ورقات ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٥ ، الهامش رقم (٢) .

(٣) انظر ترجمتـه عند الدبـاغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ١٠٩ - ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليهم بعض تآليفه في مسجده هذا (١) . ويشار الى مسجد آخر كان داخل سوسة وهو منسوب الى رجل عالم زاهد ، هو أبو الفضل نفيس الفرابلي السوسي ، وهو رومي الاصل ، دخل الى الاسلام ، وكان مولى لامرأة بسوسة . وكان أبو الفضل (٢١٤ هـ - ٣٠٩ هـ) من حملة العلم ، قرأ على سحنون وغيره من مشائخ القيروان ، وكانت له رحلة الى مصر فأخذ العلم عن جماعة من كبار فقهاء المالكية ثم عاد الى سوسة ، وكان يعيش من صناعة الفرابيل ، واشتهر بعلمه الوافر (٢) .

ولم تنفرد المدن بالمساجد ، بل انتشرت في القرى وكان لها دورها الثقافي فيها . ونذكر على سبيل المثال مسجد عيسى الواقع في قرية قرب المنستير وينسب الى بانيه الفقيه المالكي عيسى ابن مسكين ، وأصله من عجم افريقية (٢١٤ هـ - ٢٩٥ هـ) ، وهو من حملة العلم ، وقد أطال أصحاب التراجم في تعداد فضائله (٣) .

وكان عيسى بن مسكين قد ولي قضاء القيروان ثم ترك منصبه ورجع الى قريته بالساحل فكان يدرس الطلبة في مسجده من الصبح الى العصر (٤) .

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

(٢) عياض ، تراجم ، ص ٣٨٩ .

(٣) ن . م . ص ٢٣٢ (وقال فيه أبو علي البصري : " لو أفردنا كتابا في ذكر مناقبه ومحاسنه وزهده وورعه وعدله ما انتهينا الى وصفه . وكان مع ذلك عالما باللغة قائلا للشعر " ، انظر ، عياض ، تراجم ص ٢٣٣ .

(٤) عياض ، تراجم ، ص ٢٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن منازل الساحل في عصر الأغالبة قرية الوردانيين ، كان بها مسجد جامع وكتاتيب وحمّام وسوق أسبوعية ، وينسب اليها الشيخ يونس بن محمد الورداني (ت ٣٠٠ هـ) . كان قد قرأ بالقيروان على كبار تلاميذ سحنون ، واتقن العلوم الدينية واللسانية (١) .

وترد الاشارات الى المساجد في البوادى ، قال يحيى بن عمر ، لم أسمع من سحنون بالقيروان وانما سمعت منه بالبادية (٢) .

وذكر المالكي على لسان أحد الفقهاء المالكية سليمان بن سالم (٣) ، قال : "كنت قاعدا عند سحنون حتى أتاه رجل يقال له حسان بن شاكر فسلّم عليه ثم قال سحنون : " أين غبت يا حسان ؟ " فقال : " في البادية أصلحك الله " فقال له : " ان لله تعالى نبيا في البادية " ثم قال : " ما حال مسجدكم ... "(٤) .

ولم تنتشر المساجد بافريقية فحسب ، بل انتشرت في المغربين الاوسط والاقصى أيضا ، فحين أسس الادارسة ملكهم بالمغرب الاقصى سنة ١٧٢ هـ ، اقبلوا على بناء المساجد . بني ادريس الاول مسجد

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ وانظر ابن مخلوف ، شجرة ، ج ١ ، ص ٧٤ ، السراج ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٢٠ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .

(٣) هو سليمان بن سالم القطان يعرف بابن كحالة من موالي غسان ، من أصحاب سحنون (ت ٢٩٨ هـ) انظر ترجمته في عيّاض ، تراجم ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسجد تلمسان واتقن بناءه سنة ١٧٤ هـ (١) . وبني ادريس الثاني في مدينة فاس ،جامع الاشياخ بعدوة الاندلسيين ، وجامع الشرفاء بعدوة القرويين وذلك سنة ١٩٣ هـ (٢) .

وفي سنة ٢٤٥ هـ اهتمت فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرى القيرواني بتجديد جامع الشرفاء وتوسيعه ، وسيطلق عليه اسم جامع القرويين فيما بعد . وقد بقي جامع القرويين كما كان منذ أنشأته اكبر جامعة في المغرب الاقصى في العهود التاريخية المختلفة (٣) .

---

(١) السلاوى ،ج ١ ،ص ١٥٧ ،ابن أبي زرع ،القرطاس ،ص ٢١ ، انظر ابن الخطيب ،أعمال الاعلام ،ق ٣ ،ص ١٩٢ . وذكر السلاوى : أن مسجد تلمسان كتب على منبره ما يلي : "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الامام ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة ١٧٤هـ) ، انظر ج ١ ،ص ١٦٨ ،وذكر ابن خلدون ان اسم ادريس مخطوط في صفحة المنبر لهذا العهد يعني بذلك عهده (عن السلاوى ،ج ١ ،ص ١٥٧) وجدد هذا المسجد في عهد ابنه ادريس الثاني سنة ١٩٩ هـ . انظر السلاوى ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، ابن أبي زرع ، ص ٥٠ .

(٢) انظر السلاوى ، الاستقصاء ،ج ١ ،ص ١٦٦ ، ابن أبي زرع ،القرطاس ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤٣ ، الكتاني ،الازهار ، ص ١٣٣ .

(٣) ابن أبي زرع ،القرطاس ، ص ٥٥ - ٥٦ ، وانظر السلاوى ،الاستقصاء ، ج ١ ،ص ١٦٣ والكتاني ، الازهار العاطرة ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشجع الادارسة الحركة الثقافية وحذى حذوهم من جاء في الملك بعدهم . وهذا ما ينص عليه ابن أبي زرع (ت ٧٢٦ هـ) ، قائلا : " ومدينة فاس لم تزل من يوم أسست مأوى الغرباء ، من دخلها استوطنها وصلح حاله بها ، وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والادباء والشعراء والاطباء وغيرهم ، فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية ، وفقهائها ، الفقهاء الذين يقتدى بهم جميع فقهاء المغرب . لم يزل ذلك على مر الزمان ، ... فلم تزل منذ بنيت التي يومنا هذا وهو عام ستة وعشرين وسبعمئة دار علم وفقه وسنة ، والجماعة بها قائمة "(١) .

ان الاشارة الى كثرة المساجد تعطي فكرة عن كثرة مراكز التدريس ، وخاصة اذا لوحظ ان المساجد الجامعة كانت تحوى عدة حلقات في نفس الوقت ، وهذا يشعر بسعة النشاط الثقافي وبقيام حركة تعريب واسعة في افريقية والمغرب .

٥ - وتطلب موقع الشمال الافريقي انشاء الرباطات التي كانت تقوم على الحدود المتاخمة لاعداء المسلمين ، فكثرت الرّباطات على الشواطيء الافريقية منذ عهد مبكر وصارت من عوامل نشر الاسلام والعربية بين الاهالي . ومن اقدم الربط في افريقية رباط طرابلس ورباط المنستير وقد شيدهما الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة ١٧٩ هـ(٢) .

---

(١) ابن أبي زرع ، القرطاس ، ص ٣٦ - ٣٧ ، وانظر الكتاني ، الازهار العاطرة ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) الرقيق ، ص ٢٠٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨٩ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رابط في القصر الكبير بالمنستير عدد كبير من الفقهاء والعلماء . منهم موسى بن معاوية الصمادحي (ت ٢٢٥هـ) والفقيه سحنون بن سعيد (١) ، ويحيى بن عمر الكناني (ت ٢٩٨هـ) وقال خلفون التونسي المتعبد بالمنستير ، "كان يحيى بن عمر يأتي الينا ، الى المنستير ، يصوم رمضان ، وكان يحدثنا ... "(٢) . ورابط بالمنستير أبو عثمان الحزرى (٣) ، من أصحاب سحنون . وانقطع للعبادة فيه مكرم المتعبد (٤) .

ومن المرابطين عبد المؤمن بن المستنير الجزرى ، قال أبو العرب : " روى عن مالك وأصحابه ، وكان عبد المؤمن صالحا كثير الرباط كثير الرواية لغرائب الرّباط "(٥) . وأبو عمرو بشير ابن عمروس المنستيرى العالم الزاهد من رجالات القرن الثالث للهجرة وأحد أصحاب أبو عثمان الحزرى السابق الذكر (٦) .

---

(١) أبو العرب ، ص ١٠٧ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، عياض ، تراجم ، ص ١٤٢ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٢٦٩ ، عياض ، تراجم ، ص ١٣٠ .

(٤) وقال المالكي : "كان فاضلا ورعا ، وكان سكناه " بالقصر الكبير " وبه قبره على ساحل البحر ، بجوار قبر فيروز المتعبد صاحبه ، وبرجه معروف به الى الآن " بالقصر الكبير " ، انظر ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

(٦) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣٢٤ - ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلغت حركة انشاء الرباطات أوجها في عهد الاغالبة اذ ازداد عدد الربط على طول الشواطيء الافريقية ومن اشهرها رباط سوسة الذى شيده ابراهيم بن الاغلب سنة ١٨٤ هـ ، وجدد بناءه الامير زيادة الله بن الاغلب سنة ٢٠٦ هـ (١).

ومن سكن سوسة ورابط فيها الى آخر ايامه الفقيه الزاهد أبو الاحوص أحمد بن عبد الله المغربي (ت ٢٨٤ هـ) . وبث في هذا الرّباط علما كثيرا ، وأخذ الناس عنه الفقه والحديث (٢).

ويذكر البكرى في وصفه لسوسة واحوازها ما يلي : " ... وهي قديمة البنيان ، وبخارجها محارس وروابط ومجامع للصالحين والاخيار ، وداخلها محرس عظيم كالمدينة متقن يعرف بقصر الرباط وهو مأوى للصالحين ... "(٣).

واشتهرت رباطات اخرى مثل قصر الطوب(٤) ، وهو رباط

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٣٥ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٤١ ، انظر حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ٢ ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٩٠ - ٣٩٣ .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ٣٥ ، وانظر السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

(٤) يقول حسن حسني عبد الوهاب ان هذا القصر يبعد عن سوسة بخمسة كلم في الناحية التي تسمى اليوم (سيدى عبد الحميد) ، وهو عبارة عن رباط صغير به جملة غرف كانت معدة لنزول العباد والصالحين وكان بها مسجدا للصلاة ، وبرج مرتفع يكشف على البحر وقد سقط في الزمن الحاضر ، انظر حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صفير خارج مدينة سوسة يرجع بناؤه الى الأمير ابي العباس محمد ابن الاغلب سنة ٢٤٠ هـ . ومن رابط بقصر الطوب أبو جعفر أحمد بن أبي خالد الدباغ الزاهد (ت ٣٣٠هـ) (١) ، وأبو سرى واصل العابد الخميّ من قصر خمّة (ت ٢٥٢هـ) ، من فقهاء المالكية ،كان له حانوت يتجر فيه ،ثم سكن قصر الطوب وانقطع فيه للعبادة ، وكان محمد بن سحنون يعظمه (٢) .

ومنهم جبلة بن حمّود الصدفي (٢١٠هـ - ٢٩٩هـ) ، من أبناء الجند القادمين الى افريقية في عهد حسان بن النعمان . ويعد من الفقهاء المالكية ومن حملة العلم ، قال أبو العرب : "كان صالحا ثقة زاهدا ، كان بقصر الطوب ثم لزم القيروان فسمع منه الناس" (٣) .

ومنهم سعيد بن اسحاق الكلبي (ت ٢٩٥هـ) بقصر الطوب، وهو من فقهاء المالكية ومن حملة العلم ، كان كثير الحديث والرواية سمع منه الناس بقصر الطوب وبالقيروان (٤) . وأبو يونس نصير المرابط (ت ٣٠٤هـ) ، وكان قد قرأ بسوسة على يحيى بن عمر الكناني ثم انقطع للمرابطة بقصر الطوب ،وأقام به جلّ حياته يأمر الناس بالمعروف وينهى عن المنكر . وكان اذا زاره بعض أهل

---

(١) الدباغ ، معالم ، ج ٣،ص ١٨ .

(٢) عياض ،تراجم ،ص ١٦٤-١٧٠ ، انظر المالكي ،ج ١ ،ص ٣٣٤ .

(٣) عياض ،تراجم ، ص ٢٧٩ .

(٤) ن . م . ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ،الدباغ ، معالم ، ج ٢،ص ١٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سوسة بالقصر ، ومعهم أولاد صغار ، يسأل اولياءهم : هل يتعلمون بالكتاتيب ؟ فان وافقوه اهدى الى اولئك الاولاد أقلاما من قصب كان يبريها بنفسه تحريضا منه لهم للاقبال على التعليم (١) .

ويقع في قبالة قصر الطوب ، رباط صغير آخر يعرف بقصر سهل نسبة الى بانيه سهل بن عبد الله بن سهل القبرياني أحد العلماء الاثرياء المتوفي سنة ٢٨٢ هـ (٢) .

ورابط فيه من الفقهاء المالكية ، أبو الفضل يوسف بن مسرور اللخمي (٢٥١ هـ - ٣٢٤ هـ) ، كان يقرئ فيه الطلبة وقد صنّف أثناء اقامته بهذا الرّباط " أحميّة الحصون " (٣) .

---

(١) المالكي ، ج ٢ ، ص

(٢) الخشني ، طبقات ، ص ١٣٤ ، عياض ، المدارك ، ج ٤ ، ص ٤٠١ ، وتراجم ، ص ٣١٢ - ٣١٣ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ٢ ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٤١٦ - ٤١٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ١٣ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ٢ ، ص ١٤٧ - ١٤٩ . وحين توفي يوسف بن مسرور اللخمي رثاه بعضهم بقوله :

بقصر المنستير (ثوى خير) عالم نزيل غريب الدار يكني أبا الفضل
أنار قصور الغرب بالعلم فاهتدى رجال به كانوا من الدين في جهل
وشدّ شعار العلم في كل مشهد وينصح للاسلام بالحق والعدل

انظر عياض ، تراجم ، ص ٤١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن رباطات القرن الثالث الهجري ،قصر زياد ، من أعمال صفاقس ،وسمي هذا القصر دار مالك لكثرة من كان فيه من الفقهاء المالكية(١) . قال اللبيدي : "كان به من أصحاب سحنون أربعة عشر رجلا "(٢) . ورابط بهذا القصر عدد من الزهاد والفقهاء أشهرهم الفقيه سحنون (٣) ، والفقيه أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي (ت ٢٤٧هـ) ، وهو الذي تولى بناء واصلاح القصر من ماله الخاص سنة ٢١٢هـ . ولذلك عرف القصر باسمه فيما بعد (قصر عبد الرحيم الربعي) (٤) . وكان الناس يأتون الى صومعة قصر زياد لتسمع الحديث من الفقيه المالكي ميسرة بن مسلم من رجالات القرن الثالث وأحد تلاميذ الفقيه محمد بن عمر المتوفي سنة ٢٩٧ هـ(٥) .

ومن الرّباطات التي أحدثت في القرن الثالث ،قصر لمطة ، من أعمال سوسة ،وكان قد أمر ببنائه الأمير أبو ابراهيم أحمد بن الاغلب حوالي سنة ٢٤٥ هـ(٦) .

---

(١) عياض ،تراجم ، ص ٢٩٤ ، الدباغ ، معالم ، جـ٢ ،ص ٩٤ ،السراج ، الحلل ، جـ١ ،ق ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٢) عياض ،تراجم ،ص ٢٩٤ .

(٣) المالكي ،جـ١ ،ص ٢٨٦ ، ٣٣٠ ، عياض ،تراجم ، ص ١١٦ ، ١٢٠ .

(٤) ن ٠ م ٠ جـ١ ، ص ٣٢٧ ، ن ٠ م ٠ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ .

(٥) عياض ، تراجم ، ص ٢٧٠ .

(٦) الدباغ ، معالم ، جـ٢ ،ص ١٤٨ ، السراج ،الحلل ،جـ١ ،ق ١ ،ص ٢٥٣ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، جـ٢ ،ص ١٠٥ - ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورابط بقصر لمطة جماعة من العلماء والعبّاد اشهرهم أبو هارون الاندلسي من فقهاء القرن الثالث (١) .

وبنى أحد تجار القيروان الاثرياء قصرا بالمنستير في القرن الثالث للهجرة ، فكان يسمى باسمه (قصر ابن الجعد[٢]) ، وكان العلماء والعباد يترددون على هذا القصر للمرابطة فيه (٣) .

ومن منازل سوسة المشهورة قصر طارق ، وهو من صفار الرباطات ، يقع على ساحل البحر ، بناه احد المياسير ، ويعرف بطارق ، وذلك في القرن الثالث للهجرة (٤) . ولهذا القصر صدى في أشعار أدباء سوسة أمثال الشاعر السوسي محمد بن عبدوس من أدباء القرن الخامس للهجرة (٥) .

وفي الناحية الشمالية من سوسة قصر ابن حبش نسبة الى بانيه ، وهو أحد أبناء أمراء الأغالبة ويدعى ابراهيم بن حبش ابن عمر بن الاغلب الذى عاش في القرن الثالث للهجرة . فقد اعتزل عن سكنى رقادة والعباسية وابتنى لنفسه هذا القصر للعبادة ،

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ٤٢٢ ، عياض ، تراجم ، ص ٣٤٩ ، ٣٩٩ .
(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٢٦ انظر حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ٢ ، ص ١٣٩ - ١٤١ .
(٣) الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ١٣ .
(٤) المالكي ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ٢ ، ص ٨٢ ،
(٥) التيجاني ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، عنوان الاريب ، ج ١ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان معروفا بعلمه وفضله ،وفي قصره كان يزوره العلماء والقراء منهم محمد بن خيرون الاندلسي أحد أئمة القراءات بالقيروان (١) .

ومن مدائن الساحل قصر هرقلة ، من أعمال سوسة (٢)،ويصفه التيجاني قائلا : " هي قرية كبيرة على سفح جبل على البحر وأهلها يزعمون انهم من العرب " (٣) .

ومن مشاهر العلماء الذين نسبوا الى هذا الرباط ،أبو زكرياء الهرقلي كان صاحبا لسحنون لا يفارقه جلوسا وحديثا ، وكان متعصبا لمذهب مالك (٤) .

وكثرت الحصون في القرن الثالث للهجرة بالجزيرة على ساحل البحر وكان لكل حصن مسجد (٥) . ولم يقتصر عمل المرابطين على الدفاع عن السواحل والعبادة بل كانوا يلقون على الناس دروسا في الفقه ويسمعونهم مروياتهم في الحديث . فقد ذهب البهلول ابن راشد الرعيني ليسمع جامع سفيان من أبي خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي (ت ٢١٠هـ) ، وكان يرابط في حصن على الساحل يقال

---

(١) البكرى ، وصف ،ص ٨٤ ،المالكي ،ج ٢ ،ص ٦٥ ، حسن حسني عبد الوهاب ،ورقات ، ج ٢ ،ص ٩٥ .

(٢) البكرى ،وصف ، ص ٨٤ .

(٣) التيجاني ، رحلة ، ص ٢٤ .

(٤) أبو العرب ،ص ١٥٢ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٥) المالكي ،ج ١ ،ص ٢٩٥،٢٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له بقّة بناحية صفاقس(١) . كما كان الناس يرحلون الى قصر زياد لتسمع الحديث والفقه من ميسرة بن مسلم(٢) .

وكان الفقهاء يشجعون الزهاد على طلب العلم أولا لينشروه بين الناس بدلا من اعتكافهم في الحصون . فقد حثّ الفقيه سحنون ابن سعيد الزاهد أبا اليسر واصل ابن عبد الله اللخمي على طلب العلم . يقول المالكي : " وسبب طلبه للعلم انه اتى الى جامع سوسة يوم الجمعة ... فقال له سحنون : " رأيتك وأنت تصلي والامام يخطب ،أطلب العلم وتسكن في شيء من القصور حتى تطلبه . قال : نطلب العلم على سحنون ولزمه عشر سنين "(٣) . وقد طلب هذا الزاهد العلم على سحنون وعون بن يوسف ونال منه حظا وفيرا(٤) . وحصل ذلك لسحنون نفسه قال ابن قاسم لمحمد بن رشيد : " قل لصاحبك سحنون يقعد فالعلم اولى به من الجهاد وأكثر ثوابا "(٥) ، وعلى أثر ذلك تفرغ سحنون للعلم وللتدريس والتأليف فانتفع بعلمه خلق كثير من الاندلس وطرابلس وافريقية والمغرب من حواضرها وباديتها(٦) .

ان الاشارة الى كثرة الرباطات وعدد الفقهاء والمحدثين الذين رابطوا فيها تعطي فكرة عن أثر هذه الرباطات في حركة التعريب الثقافي بافريقية .

---

(١) المالكي ،ج١ ،ص ١٦٣ .
(٢) المالكي ،ج١ ، ص ٣٢٨ .
(٣) ن . م ج١ ،ص ٣٣٥ .
(٤) ن . م . ج١ ،ص ٣٣٤ .
(٥) ن.م.ج١ ،ص ٢٥٣ وعياض،المدارك ،ج٤ ، ص ٤٩ .
(٦) المالكي ، ج١ ،ص ٢٦٧، ٢٧١، ٢٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثقافة العربية الاسلامية : المواد الثقافية

أ) الدراسات الدينية

ان دراسة كتب التراجم تبين ان المواد التعليمية المعروضة أمام الطالب في الكتاتيب كحفظ القرآن وتعلّم القراءة والكتابة ، قد اتسعت لتشمل مواد عديدة تدرّس في حلقات المعلّمين في المساجد وللطالب أن يختار من بينها ما يوافق ميوله وقدرته العقلية .

ويمكن جمع هذه المواد التي كانت تدرس في المجموعات التالية :

- العلوم الدينية ، وتشمل دراسة القرآن والحديث وما نجم عنهما من علوم مثل التفسير والقراءات والفقه والكلام . . .
- والعلوم اللسانية ،وهي العلوم المتصلة باللغة العربية مثل النحو واللغة والبيان والادب .
- والعلوم العقلية ، وتتضمن الفلسفة والرياضيات والفلك والتنجيم والطب والجغرافيا . . .

تركزت الدراسات الدينية في افريقية ،على دراسة القرآن والحديث وما يتصل بها من دراسات اخرى مثل علم القراءات والتفسير . وكان من العادة ان يعيّن الامراء في المساجد بعض القراء لكي يقوموا بقراءة القرآن فيها ، ومن يقرأ لهم القرآن في منازلهم ،وخاصة في شهر رمضان (١) .

---

(١) محمد المنوني ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ - ويعتبر علم القراءات المدخل الصحيح لعلم التفسير الذى لا يتم الا بصحة القراءة ،لأنه يتأثر بأسلوب النطق ،وبطريقة الكتابة (١) . ولهذا كان اهتمام اهل افريقية بهذا العلم كبيرا لدرجة انه لم تخل مدينة أو بلدة أو مسجد من مقرئ يقوم بالقراءة الصحيحة للقرآن .

وقد أدى القرّاء دورا هاما في حركة التعريب في الشمال الافريقي . وكان بين القرّاء قضاة وأصحاب فتيا وعلماء وفقهاء وزهاد ، شملت دراستهم الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة (٢) .

---

(١) يقول ابن خلدون عن علم القراءات ما يلي : "القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة ، الا ان الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في ادائها ، وتنوقل ذلك واشتهر ،الى أن استقرت منها سبع طرق معينة ،تواتر نقلها أيضا بأدائها ، واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير ،فصارت القراءات السبع اصولا للقراءة ، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخرى لحقت بالسبع ، الا انها عند ائمة القراءة ، لا تقوى قوتها في النقل " . انظر المقدمة ، ج ٣ ،ص ١١٢٨ .

(٢) انظر عن ذلك كتب التراجم أمثال المالكي، رياض النفوس ، ج ١،ج ٢ ، وعياض ،ترتيب المدارك ، ج ١،و ٢ ، والدباغ ، معالم ، ج ١ ، ج ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استقرت بالقيروان نخبة من الفقهاء القراء مثل التابعي أبو منصور الفارسي وكان فقيها قارئا للقرآن مفتيا متبحرا في العلم (١) والمقرئ التابعي أبو سعيد جعثل بن هاعان الرعيني، من فقهاء البعثة العلمية التي أرسلت الى افريقية سنة ١٠٠ هـ. تولى قضاء الجند بافريقية واستقر بالقيروان الى أن توفي بها سنة ١٢٥هـ (٢).

وكان في جيش حنظلة بن صفوان الكلبي الذى خرج لمحاربة الخوارج الصفرية سنة ١٢٣هـ، القراء من اهل العلم والدين والفقه (٣). وكان مسافر بن حامع بن سليمان، من رحالات القرن الثاني للهجرة، قارئا يلتف حوله القراء في حامع القيروان، وكان يحضر مجلسه ويستمتع بقراءته الفقيه البهلول الرعيني حتى أصبح مقرئا (٤). وامتنع الحارث بن أسد القفص، صهر أسد بن الفرات، من الفتيا لكونه لم يتبحر في الفقه، واحتفظ بالقراءة فكان يختم كل ليلة في رمضان ختمة (٥).

واشتهر من النابتة العرب القاضي عبد الله بن غانم بفصاحة لسانه وقراءته بدون لحن وقد قرأ القرآن على سفيان الثورى شهورا كثيرة فما رد عليه في قراءته شيئا ولا أخذ عليه لحنة (٦). وكان

---

(١) المالكي، ج ١، ص ٨٥، الدباغ، معالم، ج ١، ص ١٧٧.
(٢) الدباغ، معالم، ج ١، ص ٢٠٢.
(٣) الرقيق، ص ١٢٠، الدباغ، معالم، ج ١، ص ٢٠٢.
(٤) المالكي، ج ١، ص ١٣١، عياض، تراجم، ص ٣٥.
(٥) المالكي، ج ١، ص ٢٠٥.
(٦) المالكي، ج ١، ص ١٤٤، الدباغ، معالم، ج ١، ص ٣٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الا باء يحرصون على أن يتعلم صبيانهم القراءة الصحيحة فقد كافـــأ ابن غانم مؤدب ابنه لأنه اختبره في قراءة القرآن فقرأ عليه ســـورة الحمد بدون ان يخطيء أو يلحن (١) . واعطى القاضي ابـــن طالب لجعفر الاعمى سبعين دينار بآية من القرآن سمعها منه (٢) .

وكان الفقيه سحنون بن سعيد مفرغا له مجلس في جامـــع القيروان يحضره القرّاء (٣) . وذكر محمد بن أحمد بن تميـــم : " الذين يحضرون مجلس سحنون من العبّاد أكثر من الذين يحضرونه من طلبة العلم ، كانوا يأتونه من أقطار الارض " (٤) .

ويبدو أن القراءات السبع كانت متداولة في افريقية ، ثـــم انفردت بقراءة نافع . فقد أمر القاضي ابن طالب (٢٧٥هـ) ، ابـــن برغوث المغربي بجامع القيروان الا يقرىء الناس الا بحرف نافع (٥) .

وكان مسجد السبت بمدينة سوسة يعجّ بالقرّاء في شـــهرى شعبان ورمضان (٦) . وأشهر القراء بهذه المدينة ، أو محمـــد الانصارى الضرير (ت ٢٠٥ هـ) ، وكان وجوه الناس من العلمـــاء

---

(١) عيّاض ، تراجم ، ص ١٧ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٢) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٤٤ ، الدباغ ، ج ٢ ، ص ٩٨ (عن أبي العرب) .

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٧٨ .

(٦) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، ٢٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفقهاء والصالحين يلتفون حوله لشهرته بالقراءة (١) . والمحدّث أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشي (ت ٢٨٤هـ) ، كان معلمـــا للقرآن وقد ختم في بيته تسع عشرة ألف ختمة (٢) .

وذاع صيت القارئ حسنون المعروف بابن زبيبة الدباغ ،المتوفي في اواسط القرن الثالث ،فقصده الناس لتلقي العلم عنه وقـــراءة القرآن (٣) . ويبدو أن القيروان حوت في القرن الرابع والخامـــس العديد من مشاهير القرّاء وقد تناولهم الذهبي في كتابه معرفـــة القراء الكبار (٤) .

٢ - وكانت قراءة القرآن تستتبع تفسيره ومعرفة معانيه وقد وجـدت مدرستان من مدارس التفسير في الاسلام ، الاولى هي مدرســـة التفسير بالمأثور ونظريتها تقوم على التفكير النقلي ، الذى يســـتمد أصوله مما أثر عن الرسول (ص) ، والثانية هي مدرسة التفسير بالرأى

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ٣١٨ ،الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ١١٦ .

(٢) المالكي ، ج ١ ،ص ٣٧٥ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ١٣٣ .

(٣) أبو العرب، طبقات ، ص ٤١ .

(٤) انظر الذهبي ، معرفة القرّاء ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، وانظر المالكي ، ج ١ ،ص ٤٢٢ ، عياض ، تراجم ،ص ٣٢٧ ، والدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ٥٤ ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظريتها تقوم على التفكير العقلي والفلسفي ، وأصحاب هذه المدرسة جلهم من المعتزلة (١) .

والمدرسة التي سادت بافريقية هي المدرسة الاولى رغم وجود آثار للمدرسة الثانية ،وأشهر مفسري بالمأثور الفقيه المالكي أبو الاسود موسى بن عبد الرحمن القطان (ت ٣٠٦هـ) ، وقد خصّه العلماء بالثناء لفتاويه وحفظه للقرآن ، وقد وضع مؤلفا في أحكام القرآن في اثني عشر جزءا (٢) . والفقيه المتكلم أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي (ت ٣١٩هـ) ، وضع كتابه في احكام القرآن في عشرة أجزاء (٣) . ويذكر أن محمد بن سحنون ألف أيضا في احكام القرآن (٤) .

٣ - واعتكف الافارقة على دراسة علم الحديث ، الذى يعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي ،وهو الى جانب ذلك احد أركان الحياة الفكرية الاسلامية . وكان الحديث سببا رئيسيا في حركة الرحلات التي تميزت بها الحياة العلمية في القرون الاولى . هذا وبدأت دراسات الحديث في افريقية منذ بداية القرن الثاني لأهميته في حياة المسلمين .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ،ج٣،ص ١٤٥١ - ١١٥٩ ،
Laoust, Les schismes, p.174 et 185.

(٢) عياض ، تراجم ، ص ٣٨٥ .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٣٨٥ .

(٤) ن ٠ م ٠ ص ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) : "ان اول ما نظر فيه الطالب ، وعني به العالم ، بعد كتاب الله عز وجل ، سنة رسوله (ص) ، فهي المنبئة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه والدالة على حدوده والمفسرة له والهادية الى الصراط المستقيم"(١) .

اشتغل كثيرون لعلم الحديث في افريقية ونكتفي بالاشارة الى اشهرهم مثل عباس بن الوليد الفارسي (ت ٢٨١هـ) (٢)، الذى كانت له رحلة طويلة في طلب الحديث ،أخبر محمد بن جبلة قال : " جئنا الى عباس ابن الفارسي لنسمع منه ،وأردنا ان نختبر حفظه ، ومعنا كتاب ابي الاحوص ،فقلبنا الورق فجعلنا الاول آخرا والآخر أولا ، فلما ذهبنا لنقرأ عليه قال : "ليس هذا ، أول الكتاب ، حديث فلان " . . . . . قال فقبلت رأسه وقلت : " مثلك من حصل العلم "(٣) .

وانتشرت امامة عباس بن الوليد في الحديث في المغرب والمشرق . وحدّث أبو العرب عن أبيه انه قال : " وجدنا في اواخر كتب عباس الفارسي يقول درسته ألف مرة "(٤) . والفقيه الاديب أحمد بن أبي سليمان الربعي الصواف (ت ٢٨٢هـ) أسمع الناس الحديث عشرين سنة . وكان أصبر على السماع من غيره ، يساعد

---

(١) ابن عبد البر ،الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج ١ ، ص ٢ .

(٢) ابو العرب ، ص ١٩٠ ، ٢٢٤ .

(٣) المالكي ،ج ١ ،ص ١٦٩ .

(٤) أبو العرب ،ص ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل من جاء يطلب عليه علم الحديث (١) . وكان المعلم أحمد بن يزيد القرشي (ت ٢٨٤هـ) ،عالما بالحديث وعلله (٢) . وسعيد ابن اسحاق الكلبي (ت ٢٩٥هـ) ، من حملة العلم ، غلبت عليه رواية الحديث وسمع منه خلق كثير (٣) . وأحمد بن بلول التنوخي ، المتوفي سنة ٢٦٢هـ بتوزر، من حملة العلم وكانت له رحلة في طلب الحديث وأخذ عنه ناس كثير من القيروان والاندلس . ودوّن رقائق الفضيل بن عياض وكتاب زهد سفيان الثوري ، وكتاب فضائل الاوزاعي وكتاب فضائل طاووس اليمني (٤) . ويحيى بن عمر الكناني الاندلسي (ت ٢٩٨هـ) ، من أئمة الحديث ، ومن الثقاة (٥) .

ومن المحدثين الثقاة سعيد بن حكمون ، من اهل الذمة الذين أسلموا ، من حملة العلم ومن أصحاب سحنون وله سماع منه . وقال ابن حارث الخشني : " وقد أجازني كتبه " (٦) . ومالك ابن عيسى بن نصر القفصي (ت ٣٠٥هـ) ، كانت له رحلة في

---

(١) انظر المالكي ،ج١ ،ص ٤٠٧ - ٤١٩ ، عياض ،ترتيب المدارك ،ج ٤ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ٢٠٧ - ٢١٤ .

(٢) أبو العرب ،ص ١١٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ٢٠٠ .

(٣) عياض ، تراجم ،ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ٢٥٥ - ٢٥٧ .

(٤) عياض ، تراجم ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٥) عياض ، تراجم ،ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٦) عياض ، تراجم ، ص ٣٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طلب الحديث فطاف بلاد المشرق وأقام بها عشرين سنة . وحين دخل افريقية سمع منه خلق كثير ووفد عليه الطلاب من الاندلس وقال فيه أبو العرب : " كان ثقة ، له فقه كثير وعلم بالحديث وعلله ورجاله لم أعلم في عصره أجمع للعلم منه ولا أكثر رحالا "(١) . وكان يقال : لو عاش لغلب الحديث على أهل القيروان (٢) .

واشتهرت مجموعة من الطلاب بكتابة الحديث وتدقيقه وتوثيقه ، وأصبحوا من المحدثين الثقاة والحفاظ المعدودين بافريقية ، منهم محمد بن سحنون وكان من العلماء الثقاة بالاثار صحيح الكتب قال فيه يحيى بن عمر الكناني أنه من أكثر الناس حجّة وألقنهم لها (٣) . وعمر بن يوسف بن عبدوس بن عيسى ،اشبيلي الاصل ، سكن سوسة والقيروان (ت ٢٩٠هـ) ، وهو من المحدثين الثقاة . قال فيه أبو العرب" كان صالحا ثقة ثبتا ،ضابطا لكتبه . . . " (٤) . وأبو الفضل أحمد بن علي بن حميد التميمي (ت ٢٦١هـ) ، اشتهر بكثرة كتبه وقد بيعت بعد موته بألف ومائتي دينار و "كان كثير الكتب صحيحها واسع الرواية "(٥) . وعبد الله بن أبي عطاء ، أصله من الاندلس وسكن القيروان وتوفي بها سنة (٢٨٦هـ) ، وهو

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٣٩٦ .

(٢) ن . م . ص ٣٩٧ .

(٣) عياض ،تراجم أغلبية ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٤) ن . م . ص ٢٩٩ .

(٥) ن . م . ص ٣٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أصحاب سحنون ، ومن الثقاة . "كان صحيح الكتب حسن التقييد "(١). ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان بن بسيل (ت ٣١٩هـ) ، له سماع من سحنون ومن محمد بن عبد الحكم بمصر. وسمع منه أبو العرب وناس كثير . غلبت عليه رواية الحديث . قال أبو العرب : "كان صحيح الكتب حسن التقييد "(٢) .

واهتم رجال العلم باقتناء الكتب في جميع فنون العلم من المشرق ونسخها وذلك يشعر بمدى توسع العربية ونشر العلم في افريقية . ومن هواة جمع الكتب ونسخها عيسى بن مسكين (ت ٢٩٠هـ) ، كانت له مكتبة . قال أبو الحسن الكانسيّ : " ادخلني عيسى ابن مسكين الى بيت مملوء بالكتب ثم قال : " كلها رواية ، وما فيها كلمة عربية الا وأنا أحفظ لها شاهدا من قول العرب "(٣) .

وحمدون بن مجاهد الكلبي (ت ٣٢١هـ) ، من اهل جزيرة شريك ، كانت له رحلة الى المشرق ، روى فيها الحديث ثم رجع فاستوطن رباط المنستير ، ونسخ هناك أكثر دواوين العلم وكان حسن النقل والضبط . قال عياض : "كان لا يكتب الا عن فهم ويضبط الشكل ويحب نشر العلم واذاعته "(٤) .

---

(١) عياض ، تراجم أغلبية ، ص ٣٢٩ .

(٢) ن . م . ص . ٣٥٠ .

(٣) ن . م . ص ٢٣٤ ، وابن فرحون ، الديباج ، ج ١ ، ص ٤٠١-٤٠٢ .

(٤) عياض ، تراجم ، ي. ٤٢٠ (وحكى عنه صاحبه أبوبكر ميسرة بن مسلم قال قال لي حمدون : كتبت بيدى هذه ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب ، انظر عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٥ ، ص ١٤٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومحمد بن بسطام بن رجاء الضبيّ (ت ٣١٣هـ) ،أصله من البصرة واستوطن سوسة . كان من هواة جمع الكتب ونسخها . قال المالكي : " كتب كتبا كثيرة بخطه "(١) ، وكان أحمد بن محمد القصرى (ت ٣٢٢ هـ) فقيرا جماعا للكتب ضابطا لها ، كتب بيده ما لم يكتبه أحد من اهل عصره حتى انه كان يقول : " منذ أربعين عاما ما جفّ لي قلم "(٢) .

وكان أبو العرب محمد بن أحمد التميمي (ت ٣٣٣هـ) كثير الكتب حسن الخط والتقييد يقال انه كتب بيده أربعة آلاف كتاب(٣) .

---

(١) عياض ،تراجم ،ص ٣٨٤ (وكان قد اشترى وصيفا لاصلاح القنديل اذا نسخ بالليل فكان يتخذ له القصب الحلو يقطعه له قطائع صفارا ، فاذا نعس الوصيف جعل في فيه منها قطعة ليزيل عنه النوم) .

(٢) عياض ،تراجم ، ص ٤١١ (قال المالكي : " وصل مرة الى سوسة ليزور شيخه يحيى بن عمر فوجده ألف كتابا فلم يجد القصرى ما يشترى به رقوقا ينسخه فيها ،فمضى الى السوق وباع قميصه واشترى بثمنه رقا ونسخ الكتاب وقابله وأتى به القيروان " انظر ، عياض، ترتيب المدارك ، ج ٥ ، ص ١٣٩) .

(٣) الدباغ ، معالم ، ج ٣، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعبد الله بن أبي هشام بن مسرور التجيبي (ت ٣٤٦هـ) ، من تلاميذ عيسى بن مسكين اشتهر بكثرة الكتب التي نسخها بيده ، قيل انه كان يصنع له مطر من الحبر في كل سنة لكثرة ما يستنسخه (١) .

ومن هواة الكتب الذين وفدوا على القيروان سنة ٣٢٩ هـ ، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ادخل معه في قافلته أحمالا كثيرة من المؤلفات الشرقية ، لغوية وأدبية وتاريخية ودواوين شعر الجاهلية والمخضرمين والمولدين ، فباع قسما منها الى اهل افريقية ثم تحوّل بالباقي سنة ٣٣٠ هـ الى الاندلس (٢) .

٤ - وعكف أهل افريقية على دراسة المذاهب الفقهية ، واهتموا بالفقه (٣) المالكي خاصة وكانوا أحرص عليه من علماء أى اقليم اسلامي آخر . ويمكن ان يتبين لنا ذلك من رحلة طلبة العلم الى الحجاز للتفقه على مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) . وقد ذكرت كتب التراجم عددا كبيرا من الطلاب تتلمذوا على مالك ، ويؤكد ذلك محمد بن حارث الخشني (ت ٣٧١ هـ) قال : " كانت افريقية قبل رحلة سحنون قد عمّرت بمذهب مالك لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقي مالك بن أنس وان كانت الفتيا والفقه في القليل منهم ، كما ان ذلك في علماء سائر البلاد " (٤) . وانتشر بين اهل افريقية

---

(١) عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٥ ، ص ٣٣٠-٣٣١ وانظر الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ٥٧ - ٥٩ ، ابن فرحون ، الديباج ، ج ١ ، ص ٤٢٣-٤٢٤ .

(٢) انظر فهرست ابن خير ، ص ٣٩٥ .

(٣) انظر ابن خلدون في تعريفه للفقه ، المقدمة ، ج ٣ ، ص ١٠٦١ - ١١٦٧ .

(٤) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتابه الموطأ وكتب تلاميذه . ويذكر ان أول من ادخل الموطأ وجامع سفيان الى المغرب هو علي بن زياد التونسي (ت ١٨٣هـ) (١) .
ودوّن الافارقة ما سمعوه عن مالك وعن تلاميذه . فكان لابن غانم القاضي (ت ١٩٦هـ) سماع مدوّن من مالك (٢) ، ولأسد بن الفرات سماع مدون . كتب الموطأ أثناء رحلته الى الحجاز وحين دخل العراق أخذ عنه أبو يوسف القاضي ما دوّنه (٣) . ودوّن محمد بن معاوية الحضرمي (عاش في القرن ٢هـ) سماعه من مالك (٤) ، وسمع البهلول بن راشد الرعيني (ت ١٨٣هـ) الموطأ من علي بن زياد التونسي وابن غانم ، وجامع سفيان الصغير من أبي الخطاب وأبي خارجة ، والجامع الكبير من علي بن زياد. ودون الناس عن البهلول جامعا (٥) .

ودوّن عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩هـ) كتب ابن وهب فكان عون حين يقرأها على طلابه يفرق بين السماع والاجازة ، فيقول في السماع : " حدثنا " وفي الاجازة " أخبرنا " ، وكان يقول : والله اني لأحب ان ألقى الله وأنا طالب (٦) . وكان سحنون

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٢٢ .
(٢) المالكي ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، عياض ، تراجم ، ص ١٠ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .
(٣) عياض ، تراجم ، ص ٥٣ .
(٤) المالكي ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ، عياض ، تراجم ، ص ٨٣ - ٨٤ .
(٥) عياض ، تراجم ، ص ٢٨ .
(٦) ن ٠ م ٠ ص ١٣٧ - ١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول : " عندى في البيت سماع سنتين من سفيان بن عيينـه "(١) .

وقد دوّن الفقهاء أثناء رحلتهم في طلب العلم أمهات الكتب في الاصول وقاموا بتدريسها لطلابهم في افريقية والمغرب مثـل الموطأ للامام مالك ، وكتاب الجهاد والزهد والموطأ لابن وهـب ، وجامع سفيان الصغير والكبير ، وتفسير المسيب لابن شريك ، وكتاب أشهب ، وكتب ابن كنانه ، وكتاب ابن المواز ، وكتاب عبد الملـك ابن الماجشون ، وكتاب ابن دينار ، وكتب المغيرة بن عبد الرحمن ، وكتاب الهبات من النذور (٢) .

وألف الافارقة كتبا في الفقه المالكي ، فوضع علي بن زيـاد التونسي ثلاث كتب منها كتاب البيوع والنكاح والطلاق (٣) .

اعتنى سحنون بما دوّنه من كتب أثناء سماعه في افريقيـة والمشرق فقام بجمعها وتدقيقها وتصنيفها وتبويبها وتذيلهـا فسميت هذه الكتب " المدوّنة " . هذا اضافة الى الكتب الاخـرى التي لم يصنفها فسميت المختلطة لاختلاطها في السـماع (٤) . وكانت المدونة أساس اعتماد المغاربة في الفقه (٥) .

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٩٢ .

(٢) ن . م . ص ١٠ ، ٢٠ ، ١٢٤ ، ٣٨٧ ، ٢٨ ، ٦٣ ، ٤٠٣ ، ٣٨٤ ، ٣٦٧ ، ٤٠٣ ، ٣٨٤ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٢٢ .

(٤) ن . م . ص ٦٠ - ٦١ .

(٥) ن . م . ص ٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وألف الفقيه المالكي محمد بن ابراهيم بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ) ، المجموعة التي يطلق عليها اسم " العبدوسية " (١) . وجمع أسد بن الفرات بين المذهب المالكي ومذهب ابي حنيفة فألف الاسدية بالمشرق وأتى بها الى القيروان فكتبها الناس عنه وحصلت له بالاسدية رئاسة في العلم (٢) . وكان يقول : " ... ثابروا على تدوين العلم تنالوا به الدنيا والآخرة " (٣) .

٥ - وقد عني اهل افريقية والمغرب بالتأليف منذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، ويبدو ذلك لدى القراء والمحدثين والفقهاء واللغويين ، واتسم هذا التأليف بصورة عامة بطابع الجمع وتناول الفقه ، والاثار والتفسير والزهد واللغة والأدب والتاريخ . ومن ذلك كتاب خير من زنته للفقيه التونسي علي بن زياد (ت ١٨٣هـ) ويقال هو لعبد الرحيم ابن أشرس من معاصريه (٤) .

وجامع الفقيه المالكي بهلول بن راشد الرعيني (ت ١٨٣هـ) (٥) . وكتاب الفرائض للمحدث الكبير علي بن شقران الهمداني (ت ١٨٦هـ) (٦) .

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ١٩١ .
(٢) ن . م . ص ٥٨ - ٥٩ .
(٣) ن . م . ص ٦٧ .
(٤) ن . م . ص ٢٢ .
(٥) ن . م . ص ٢٨ .
(٦) أبو العرب ، ص ١٣٩ ، المالكي ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ ، الدباغ ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتاب الزهد للعابد ابن يزيد المغربي عبد الملك بن ابي كريمة (ت ٢٠٤ هـ) (١) . وكتاب مواعظ الحسن البصرى ، وكتاب الزهد للمحدّث الزاهد ابي جعفر موسى بن معاوية الصمادحي (ت ٢٢٥هـ) (٢) . والاسدية للقاضي أسد بن الفرات (٢١٣هـ) (٣) . وكتاب المختلطة والمدونة والرجوع عن الشهادة للفقيه المالكي سحنون بن سعيد التنوخي (ت ٢٤٠ هـ) (٤) .

وممن ألف في ضروب العلم الفقيه محمد بن سحنون التنوخي (ت ٢٥٦هـ) (٥) . قال فيه أبو العرب : "كان محمد بن سحنون واسع التأليف في جميع صنوف العلم ،ألف نحو مائتي كتاب في جميع العلوم وفي المغازى والتواريخ "(٦) . قال : " وكتب كتابي الامامة بمصر بماء الذهب واهداهما الى الخليفة ، وما ألف في هذا الفن أحسن منها "(٧) .

فمن مؤلفاته :

كتاب المسند في الحديث - والجامع الكبير ،جمع فيه فنون العلم والفقه - وكتاب السير - وكتاب المعلمين - ورسالة في السنة -

---

(١) أبو العرب ،ص ٢١٥ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٢٠٣ .

(٢) عياض ،تراجم ،ص ١٤٣ .

(٣) ن . م . ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٤) ن . م . ص ٥٧ ، ٦١ ، ١٧٢ .

(٥) الخشني ،طبقات ، ص ١٢٩ ،١٦٧ ، ١٨٠ .

(٦) المالكي ،ج ١ ،ص ٣٤٧ ، عياض ، تراجم ،ص ١٧٥ ، الدباغ ،معالم ، ج ٢ ،ص ١٢٣ .

(٧) المالكي ، ج ١ ،ص ٣٤٤ ، تراجم ، ص ١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتاب في تحريم المسكر - ورسالة في أدب المتناظرين - وكتاب تفسير الموطأ - وكتاب الحجة على القدرية - وكتاب الحجة على النصارى - وكتاب الاباحة - وكتاب الورع - وكتاب الايمان والرد على أهل الشرك - وكتاب الرد على أهل البدع - وكتاب في الرد على الشافعي وعلى أهل العراق - وكتاب الجوابات - وكتاب طبقات العلماء - وكتاب الاشربة - وكتاب غريب الحديث - وكتاب التاريخ (١) .

وقال بعضهم : ألف ابن سحنون الجامع الكبير في مائة جزء : عشرين في السير ، وخمسة وعشرين في الامثال ، وعشرة في أدب القضاة ، وخمسة في الفرائض وأربعة في الاقرار ، وأربعة في التاريخ والطبقات والباقي في فنون العلم (٢) .

وممن أشتهر بالتأليف، الفقيه المالكي محمد بن ابراهيم ابن عبدوس (ت ٢٦٠ هـ) ، وله :
كتاب مجالس مالك - وكتاب الورع - والمجموعة التي يطلق عليها اسم العبدوسية - وكتاب الدور - وكتاب التفاسير (٣) .

وأبو بكر أحمد بن يلول التنوخي (ت ٢٦٢هـ) من اهل توزر ،وكانت له مكانة فيها لعلمه وفقهه ، وله تآليف منها - رقائق

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ١٧٣ .
(٢) ن . م . ص ١٧٣ .
(٣) ن . م . ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضائل بن عياض - وكتاب زهد سفيان الثورى - وكتاب فضائل الاوزاعي - وكتاب فضائل طاووس اليمني (١) .

وللقاضي أبو العباس بن طالب (ت ٢٧٥هـ) ، كتاب الرد على من خالف مالك - وكتاب امالي (٢) .

وللمحدث الكبير يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني (ت ٢٨٩هـ) ، كتاب اختلاف ابن قاسم وأشهب - وكتاب الرد على الشافعي - وكتاب الرد على الشكوكية - وكتاب الرد على المرجئة - وكتاب الرواية - وكتاب فضائل المنستير والرباط - كتاب النساء - وكتاب أحمية الحصون - وكتاب الميزان - وكتاب أكرية السفن (٣) .

وللقاضي سليمان بن سالم القطان ، المعروف بابن كحّالة (ت ٢٨٩هـ) ، تأليف في الفقه ، وتعرف كتبه بالكتب السليمانية (٤) .

ولصاحب مظالم القيروان حبيب بن نصر بن سهل التميمي (ت ٢٨٧هـ) ، كتاب الاقضية . (٥)

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٢٠٣ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٧٦ ، عياض ، تراجم ، ص ٢٠٩ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ .

(٤) عياض ، تراجم ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، الدباغ ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٥) عياض ، تراجم ، ص ٢٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وألف الفقيه حمديس بن ابراهيم اللخمي من قفصة (ت بمصر سنة ٢٧٩هـ) في الفقه كتابا مشهورا في اختصار مسائل المدونة (١) .

ومن المتكلمين عبد الله بن غافق التونسي (ت ٢٥٥ هـ أو ٢٧٧هـ) ، ألف رسالته في الايمان حين رجع من رحلته الى مصر ولقائه لمحمد بن الحكم (٢) .

وللفقيه المالكي يحيى بن عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٩٨هـ) ، كتاب في الرد على أهل البدع (٣) .

والمتكلم اللغوى أبو عثمان بن الحدّاد (ت ٣٠٢هـ) - وكان عالما بأخبار افريقية وعلمائها كتاب في الرد على الشافعي (٤) .

والقاضي أبو الاسود القطان (ت ٣٠٦هـ) له كتاب في أحكام القرآن في اثني عشر جزءا (٥) .

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٢٩٤ .

(٢) عياض ، تراجم ، ص ٣١١ ويذكر عياض ان الرسالة لم ينسبها الى نفسه ، فكتبها الناس واستحسنوها . فادّعاها رجل نحوى ، فبلغ الخبر بن غافق ، فقال : انما ظننت انكم تعملون بما فيها ، فلما نسبت لغير أهل العلم - والله ! - لم يسعني السكوت : أنا وضعتها وقرأتها على يحيى بن عمر فاستحسنها وقال : أنا أرويها عنك . وكان حمديس وموسى القطان يعجبان بها .

(٣) عياض ، تارحم أغلبية ، ص ٣١٣ .

(٤) ن . م . ص ٣٥٢ ، إنظر الخشني ، طبقات ، ص ١٥٠ .

(٥) ن . م . ص ٣٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الفقيه أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي (ت ٣١٩هـ) ، عالما بالوثائق وضع فيها عشرة أجزاء ، وله كتاب في أحكام القرآن ، عشرة أجزاء وكتاب في مواقيت الصلاة (١) .

وللمحدث الكبير ابي جعفر القصرى (ت ٣٢٢هـ) كتاب في المعجزات . وكان يقول : " لو سبقني احد بدفن كتبه ، لأمرتهم أن يدفنوني مع " المعجزات " حتى ألقى بها رسول الله (ص) (٢) .

وألف الفقيه المالكي أبو الفضل يوسف بن مسرور الصيرفي مولى لخم (ت ٣٢٥هـ) كتاب الاحمية وما يجب على أهل القصور أن يعملوا به (٣) .

وقد نشأت الدراسات التاريخية في المغرب وتطورت في نطاق الثقافة العربية الاسلامية ، وكان التاريخ يرتبط مباشرة بكتابة السيرة النبوية وأخبار الصحابة والتابعين ،والعلماء . وكان القائمون بها أصحاب المغازى والاخباريون . فمن بين هؤلاء : عيسى بن أبي المهاجر ، صاحب كتاب " مغازى افريقية " توفي آخر القرن الثاني للهجرة (٤) ، وموسى بن علي بن رباح اللخمي

---

(١) عياض ،تراجم أغلبية ، ص ٣٨٥ .

(٢) ن . م . ص ٤١١ .

(٣) ن . م . ص ٤١٦ .

(٤) حسن حسني عبد الوهاب ،ورقات ، ج ١ ،ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من نابتة القيروان ، ولد سنة ٩٠ هـ ،روى عن أبيه في فتح الاندلس(١) . وعبد الله بن حسن اليحصبي (ت ٢٢٧هـ) من أشراف العرب الداخلين زمن الفتح ويعد من كبار رواة أخبار الفتح العربي لافريقية برواية أبيه (٢) وهو أحد مصادر الرقيق في أخبار افريقية . والامير الاغلبي محمد بن زيادة الله بن الاغلب مدون اخبار أسرته والمتوفي سنة ٢٨٣هـ(٣) . وفرات بن محمد العبدى (ت ٢٩٢هـ) صاحب مغازى افريقية وأحد مصادر أبو العرب (٤) .

وقد ذكر أبو العرب وغيره أن الفقيه أبو عبد الملك **الملوشي** (٦) من رجالات القرن الثاني كان صاحب أخبار ومغازى ، وله كتاب

---

(١) الرقيق ،ص ١٣٣ ، الكندى ، الولاة ،ص ١١٩ - ١٢٠ ، ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ١٣ وانظر ترجمته في المالكي ،ج ١ ،ص ١١٣ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ، ابن حجر، تهذيب ، ج ١٠ ، ص ٣٦٣ .

(٢) أبو العرب ،ص ١٥٥ - ١٥٦ ، عياض ، تراجم ، ص ٧٢ ، ٧٤ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

(٣) الرقيق ،ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ وما بعدها ، وانظر حسن حسني عبد الوهاب بحمل تاريخ الادب التونسي ، ص ٤٠ .

(٤) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٥) انظر أبو العرب،ص ٤٥ - ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ - ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٩ وانظر ترجمته في الدباغ ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ، وحسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٦) ملوش ، قرية للعجم بتهودة ، انظر البكرى ، وصف ، ص ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كبير في أخبار الانبياء (١) ، ولم تصلنا هذه المؤلفات .

ومن مؤرخي القرن الرابع الهجرى ، شيخ افريقية وعالمها أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ) ، مؤلف طبقات علماء افريقية - وكتاب عبّاد افريقية - وكتاب سند حديث مالك - وكتاب التاريخ في سبعة عشر جزءا - وكتاب مناقب كمال (٢) .

والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني ، تفقه بالقيروان ثم رحل الى الاندلس حيث توفي بها سنة ٣٧١هـ ، وله كتاب في تاريخ علماء الاندلس ، وتاريخ قضاة الاندلس وتاريخ الافريقيين (٣) .

ب - الدّراسات اللغوية

١ - اذا كانت الدراسات الاسلامية بدأت بعد الفتح الاسلامي بقليل ،أى بعد ٥٠ هـ ، واستمرت في نموها في فترات متلاحقة ، فان الدراسات اللغوية والأدبية تأخرت ، وكان روادها من الوافدين الى افريقية فمن بين هؤلاء أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (ت ١٢٨هـ) . كان من اشراف جند بني أمية ومن شعرائها المعدودين . وله مقطوعة شعرية جيدة يعبر في أبياتها

---

(١) أبو العرب ، ص ١٨٠ - ١٨١ ، المالكي ، ج١ ،ص ١٠٣ ، البكرى ، وصف ،ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) الدباغ ، معالم ، ج٣ ، ص ٣٧ .

(٣) الدباغ ، معالم ، ج٣ ، ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن عزله وتنكيل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي والي افريقية (١٠٥ - ١٢٤هـ) به ، ويلفت نظر الخليفة للصراع القائم بين اليمنية والقيسية وسوء اختياره عبيدة الذى عزل على اثر وصول الابيات الى هشام بن عبد الملك (١) .

ومنهم الوالي عبيد الله بن الحبحاب (١١٦ هـ - ١٢٣هـ) ، الذى أسس سنة ١١٦ هـ أكبر مركز ديني وثقافي بتونس ، وهو جامع الزيتونة (٢) . و "كان رئيسا نبيلا ، وأميرا جليلا وكاتبا بليغا ، وحافظا لايام العرب وأشعارها ووقائعها وأخبارها ، وكان يقول الشعر" (٣) .

والوالي الاغلب بن سالم بن خفاجة التميمي (١٤٨هـ - ١٥٠هـ) كان ذا رأى ، فصيح اللسان يقول الشعر (٤) . فعندما تمرد الحسن بن حرب الكندى المتشيع للامويين أرسل اليه الاغلب مقطوعة شعرية

---

(١) انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٢١ ، الرقيق ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، الامامة ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ابن الأبّار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٦١ - ٦٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ج ٢ ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، محمد النيفر ، عنوان الاريب ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) البكرى ، ص ٣٧ ، ٣٩ ، الرقيق ، ص ١٠٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥١ ، الاستبصار ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٤ ، المؤنس ، ص ٤٠ .

(٣) الرقيق ، ص ١٠٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥١ ، المؤنس ، ص ٤١ .

(٤) ابن الابار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٦٨ - ٧١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٤-٧٥ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٤٦-٤٨ ، ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، ج ٤ ، ص ١٩٢ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ٣٩٠ ، محمد النيفر ، عنوان الاريب ، ج ١ ، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدعوه فيها الى الطاعة (١) .

ومنهم أبو العباس يحيى بن فضل بن النعمان التميمي ، كان صاحب بريد المغرب في ولاية محمد بن مقاتل العكي (١٨١هـ - ١٨٤هـ) ، وكان شاعرا فصيحا (٢) .

وتمام بن تميم الدارمي التمبي (ت ١٨٧هـ) ، من النابتة العرب ، وهو جد المؤرخ أبو العرب . كان شاعرا فصيحا ، فوقعت بينه وبين ابراهيم بن الاغلب مراسلة سياسية ، تكاد تكون مساجلة أدبية (٣) .

ومنهم الشاعر أبو الفضل النهشلي ، عاصر ثورة الجند على ابراهيم بن الاغلب ، مدح هذا الشاعر تمام بن تميم في قصيدة أورد أبياتها صاحب الحلّة (٤) .

---

(١) ابن الابار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٢) ن . م . ج ١ ، ص ١٠١ .

(٣) انظر الرقيق ، ص ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ابن الابار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٩١ - ٩٣ ، ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨٩ - ٩١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٦٠ - ٦٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٥ (وقال عنه ابن الابار : " انه كان صارما شجاعا ممدّحا " ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٤) ابن الابار ، ج ١ ، ص ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم سليمان الفافقي ،كان بافريقية ايام ولاية يزيد بن حاتم المهلبي (١٥٥ هـ - ١٧١ هـ) ، وقد خاض معارك كثيرة لكبح ثورات البربر . فأنشأ قصيدته يصف فيها شجاعته وصبره وحسن بلائه في المعارك ، ويعتذر عن تقهقر الميمنة أحيانا أخذا بخطة حربية ،لا خوفا من بأس البربر (١) . ويقول عنه ابن الابار : " فارس العرب قاطبة بالمغرب في عصره ،وأحسن الناس لسانا ، وأبلغهم ،الى معرفة بأيام العرب وأخبارها ،ورواية لوقائعها وأشعارها ،مع دعابة كانت فيه وعبث لا يدعه ،حملت عنه في ذلك نوادر مستطرفة وحكايات مستطلحة "(٢) .

ومنهم الحكم بن ثابت السعدى من ولد سلامة بن جندل الشاعر المشهور ،دخل افريقية سنة ١٤٤ هـ ،مع جيش محمد بن الاشعث الخزاعي في أربعين ألف مقاتل ،عليهم ثمانية وعشرون قائدا ، أحدهم الحكم ابن ثابت ،الذى حضر جميع الحروب التي خاضها ابن الاشعث مع الثوار البربر . سكن الحكم بعد ذلك القيروان ، وأقام بها الى تعيين الاغلب بن سالم التميمي الذى جاء خلفا لابن الاشعث سنة ١٤٨هـ ،فالتحق الحكم بخدمة

---

(١) انظر القصيدة في الحلة ، ج ١ ،ص ٨٣ ،حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ،ج ١ ،ص ١٣٣ - ١٣٥ ، والمنتخب المدرسي من الادب التونسي ، ص ١٣ ،ومجمل تاريخ الادب التونسي ،ص ٣١ .

(٢) ابن الابار ، ج ١ ،ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاغلب الى ان استشهد هذا الاخير سنة ١٥٠هـ . فتأثر الحكم بموته ورثاه في قصيدة شعرية بالغة (١) . وقال ابن الابار : " وكان الحكم من الشعراء البلغاء ورواة الادب المعروفين ، ورث ذلك عن جده سلامة بن جندل وسائر آل بيته ، وقد روى عنه أبناء افريقية كثيرا من أشعار الجاهلية والمخضرمين "(٢) .

ومنهم المعمّر بن سنان التميمي ، تيم الرباب . قدم صحبة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي حين تولى امارة افريقية سنة ١٥٤هـ ، قال ابن الابار : " وكان زميله في طريقه اذا ركب عماريّته لأنسه به واستماعه من حديثه ، وكان المعمر من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها ، وعنه أخذ أهل افريقية حرب عطفان وغيرها من وقائع العرب "(٣) .

واستقر المعمر بالقيروان الى ان توفي بها في ولاية روح بن حاتم (حوالي سنة ١٧٧هـ) . وكان للمعمر هذا ابن اسمه عامر ، اشتهر كأبيه بالنجدة واصالة الرأى والمعرفة بالادب ، ولعامر مقطوعة شعرية يمدح فيها ابراهيم بن الاغلب ، أمير افريقية الذى اختاره لشرطته (٤) . وله مقطوعة شعرية اخرى يمدح فيها ابن

---

(١) ابن الابار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٧١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٢ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ص ١٣٦ (عن ابن الابار) .

(٣) ن . م . ج ١ ، ص ١٠٧ .

(٤) ن . م . ج ١ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاغلب عقب انتصار هذا الاخير على خريش الكندى الثائر سنة ١٨٦ هـ (١).

ومن ولد عامر هذا حمزة بن أحمد بن عامر ، وكان أديبا ظريفا عاش على عهد الامراء الاغالبة ، ومات في منتصف القرن الثالث (٢).

ومنهم الحسن بن منصور المذحجي ، من أشراف البيوتات العربية ومن انصار الدولة العباسيّة ، وكان يجمع الى شرف أبيه أدبا غزيرا ، قال ابن الابار : " وأقل ما تصرف فيه الشعر ، وكان بصيرا باللغة نافذا في النحو ، عالما بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها " (٣).

وعاش الحسن الى أيام زيادة الله بن الاغلب ، وتوفي بالقيروان أوائل القرن الثالث للهجرة . وقد أخذ عنه أبناء المغرب فنون الادب (٤).

وأوردت كتب التاريخ اشعارا حماسية وأراجيز لبعض قادة الجند الوافدين الى افريقية كانوا ينظموها بما يناسب مواقفهم

---

(١) ابن الابار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ١٠٧ .
(٢) ن . م . ج ١ ، ص ١٠٧ .
(٣) ابن الابار ، الحلة ، ج ١ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ويقول عنه وكان جد أبيه ، عبد الرحمن بن عامر وابن عمّه عامر بن اسماعيل بن عامر بن عامر ممن قدم مع محمد بن الاشعث الى افريقية ، انظر ج ١ ، ص ١٨٧ .
(٤) ابن الابار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية والحربية . ومن هؤلاء ، والي ميلة ، القائد أبو عبد الله مالك بن المنذر الكلبي الذى دعاه جند حمص وغيرهم من العرب ليأخذ بثأر الامير الفضل بن روح الذى قتل سنة ١٧٤ هـ (١) . والقائد الحسن بن حرب الكندى الذى ثار بتونس على الامير أغلب بن سالم التميمي ، " وكان من كبار القواد وأبطال فرسان افريقة" (٢) .

والقائد عبد الله بن الجارود العبدى من اشراف العرب وفصحائها ، ثار على روح بن حاتم وقتله سنة ١٧٤ هـ (٣) .

والقائد عمرو بن معاوية القيسي ، من ولد عمير بن الحباب السلمي ، أحد فرسان قيس وساداتها الاربعة في الاسلام . وكان عمرو بن معاوية هذا عاملا على القصرين لابراهيم ابن الاغلب ، وزيادة الله بن ابراهيم ، فخرج عليهما ثائرا وتغلب على ما كان يتولاه ، فلما ظفر به زيادة الله قتله سنة ٢٠٨ هـ . وكانت لعمرو قريحة جيدة في قرض الشعر (٤) .

---

(١) ابن الابار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ٨٦ ، وانظر الرقيق ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) ابن الابار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ١٧٢ ، وانظر ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٣) انظر ابن الابار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ٨٥ ، الرقيق ، ص ١٨٧ - ٢٠٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨٦ - ٨٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٥٦ - ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ .

(٤) انظر ابن الابار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ١١٠ - ١١١ ، الرقيق ، ص ٢١٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٩٧ - ٩٨ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم القائد خريش بن عبد الرحمن بن خريش الكندى ، من النابتة العرب ، خرج ثائرا على ابراهيم ابن الاغلب سنة ١٨٦هـ (١) .

وهناك طبقة اخرى من الادباء كانوا يفدون من المشرق ويتقربون من الامراء والولاة . وأول من اشتهر باستصحاب الادباء والنحاة واللغويين ، الأمير يزيد بن حاتم الذى اشتهر بكرمه ، فقصده مدة امارته بافريقية (سنة ١٥٥ هـ - ١٧٠هـ) (٢) ، طائفة من العلماء والادباء فأكرم مثواهم وأجزل عطاءهم ، فمنهم من عاد بعد ذلك الى المشرق ، ومنهم من استوطن افريقية وأعقب بها . قال فيه ابن خلكان : "كان يزيد جوادا سريا مقصودا ممدوحا ، قصده جماعة من الشعراء والعلماء فأحسن جوائزهم" (٣) .

ومن مشاهير الشعراء الوافدين عليه : ربيعة بن ثابت الرقي الاسدى ، أحد أدباء الدولة العباسية المعدودين ، وممن

---

(١) ابن الابار ، الحلة ، ج١ ، ص ١٠١ - ١٠٢ ، وانظر الرقيق ، ص ٢٢٥ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) انظر خليفة ، تاريخ ، ص ٤٣٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٦٤ ، الرقيق ، ص ١٤٥ ، ١٤٩ - ١٦٢ ، ابن الابار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٧٢ - ٧٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، محمد النيفر ، عنوان الاريب ، ج ١ ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ ، وانظر ص ٣٢١ - ٣٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احتج الاصمعي بشعره . وله قصيدة طويلة يمدح فيها الامير يزيد بن حاتم ويهجو يزيد بن أسيد السلمي (١) . وأقام ربيعة الرقي مدة طويلة بالقيروان ثم رجع الى العراق حيث توفي (٢) .

ومنهم المسهر التميمي الشاعر، ذكر ابن خلكان " ان المسهر التميمي وفد على يزيد بن حاتم بافريقية فأنشده :

الديك قصّرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نواصله
فلا نحن نخشى ان يخيب رجاءنا لديك ولكن أهنأ البر عاجله

فأمر يزيد بوضع العطاء في جنده جميعه ، وكان معه خمسون ألف مرتزق وقال : " من أحبّ أن يسرني فليضع لزائرى هذا ، من عطاياه

---

(١) الرقيق ، ص ١٥٢ - ١٥٤ (ويقال ان ربيعة الرقي كان قد مدح يزيد بن حاتم قبل هذه القصيدة واستبطأ بر يزيد وصلته فقال :
أراني ولا كفران لله راجعا بخفي حنين من نوال ابن حاتم
فلما بلغ قوله يزيد دعا به قال لخدمه : انزعوا خفيه ! فنزعا وربيعة خائف على العقوبة من ذكره خفي حنين - فملأها له دراهم ودنانير ، وكانا كبيرين كأخفاف الجند . ثم وصله بعد ذلك بصلات جزيلة . انظر الرقيق ، ص ١٥٥ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٤ .
(٢) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

درهمين " . فاجتمع له مائة ألف درهم ،وضم يزيد الى ذلك مائة ألف اخرى ودفعهما اليه (١) .

ويبدو أن المشهر لم يفارق القيروان مدة امارة يزيد على الاقل ،لأنه ضمّه الى حاشيته وأهل بيته (٢) .

ومنهم ابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم ، مولى بني عمرو بن عوف من الانصار ،شاعر أموى ،عمّر كثيرا حتى أدرك عهد الدولة العباسيّة . وفد على يزيد بن حاتم وهو وال على مصر ومدحه ،وقدم عليه وهو أمير على افريقية فمدحه (٣) وقد أعجب الاصمعي بحسن مديح ابن المولى ليزيد بن حاتم (٤) .

---

(١) ابن خلكان ، وفيات ، ج ٦ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ (عن السمعاني) .

(٢) روى الاصمعي : "ان يزيد لما كان بافريقية جاءه البشير يخبره أنه ولد له مولود بالبصرة ، فقال : يزيد سميته المغيرة ، وكان عنده المشهر التميمي ،فقال : "بارك الله لك أيها الامير فيه ،وبارك له في بنيه ،كما بارك لجده في أبيه "، انظر ابن خلكان ، وفيات ، ج ٦ ، ص ٣٢٦ .

(٣) انظر الرقيق ، ص ١٥٥ - ١٦٦ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٦ ، ص ٣٢٥-٣٢٦، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٤) الامدى ،المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ، ص ٤١١ ، وانظر ابن خلكان ، وفيات ، ج ٦ ،ص ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما النحاة اللغويون الذين وفدوا الى افريقية في فترة الامراء من آل المهلب ،أي في النصف الاخير من القرن الثاني فمنهم : أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبيّ ،من أبناء البصرة ومن أئمة اللغة والنحو(١) . ولا شك ان حملة العلم من النابتة العرب أفادت من وجود هذا النحوى بالقيروان فأخذت عنه اللغة والادب . ثم عاد الى البصرة حيث توفي سنة ١٨٢هـ(٢) .

ومنهم قتيبة الجعفي النحوى ، من أعلام نحاة الكوفة ومن كبار أصحاب الكسائي (٣) . وقد وفد على يزيد بن حاتم بالقيروان ، وعنه أخذ جماعة من النابتة والمستعربة ورووا عنه الشعر ووقائع العرب .

ومن بينهم القاضي ابن غانم الذى تناظر يوما مع الامير زياد بن حاتم واختلف معه في مصدر كلمة التشاور فدعا الأمير ابن قتيبة الى مجلسه ليحل الخلاف فكشف هذا الاخير غلطة الامير وأيد ابن غانم(٤) . ويمكن ان تظهر من هذه المناظرة بعض ملامح التطور

---

(١) السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ،ص ٣٣ ، وانظر السيوطي ،بغية ، ج ٢، ص ٣٦٥ .

(٢) الزبيدى ، طبقات،ص ٥٣ ،الانبارى ،طبقات النحاة ، ص ٥٩ ، ابن الجزرى ، طبقات القراء ، ج ٢،ص ٤٠٦ ، السيوطي ، بغية ، ج ٢،ص ٣٦٥ .

(٣) الزبيدى ، طبقات النحويين،١٣٥-١٣٦ ، ،السيوطي ،بغية ،ج ٢ ،ص ٢٦٥ .

(٤) انظر حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ،ص ٤٨ عن " نثار الازهار " انظر السيوطي ،بغية ، ج ٢، ص ٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغوى التي وصلت اليه النابتة من العرب في هذه الفترة . وبعد أن أقام قتيبة النحوى مدة طويلة في ضيافة يزيد بن حاتم أفاد فيه أبناء المغرب رجع الى المشرق حيث توفي عن سن عالية .

وكان في طليعة رواة العرب النازحين الى افريقية العاملين على تعميم الثقافة العربية عياض بن عوانة بن الحكم الكلبي ، من بيوتات العرب بالكوفة ومن مشاهير رواة اللغة والادب . دخل عياض بن عوانة الكلبي الى افريقية لتعليم أبناء ولاتها من المهالبة واستقر بالقيروان في مدة امارة يزيد بن حاتم سنة ١٥٥ هـ . وأخذ عنه النحو والعربية والادب أبناء افريقية ، واختص بصحبته أبو الوليد بن قطن المهرى النحوى من النابتة العرب (١) .

وكان عياض ممن يقرض الشعر ويجيد فيه ،قال الزبيدى : "كان أمراء المهالبة يكرمونه كثيرا ويوقرونه "(٢) . ويرجع الفضل للامراء من آل المهلب في تشجيع العلماء العرب الوافدين على افريقية باكرامهم ليكونوا خير رسل لنشر اللغة العربية وآدابها بين أبناء

---

(١) الزبيدى ، طبقات النحويين ،ص١٣٥-١٣٦ ،انظر ابن النديم ،الفهرست، ص ١٠٣ ، وابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ ، الرقيق ،ص ٢٢٥ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٩٣-٩٤ ، ٩٥ ، السيوطي ،بغية ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ١٥٦ - ١٦٠ .

(٢) الزبيدى ،طبقات ، ص ٢٢٦ ، السيوطي ،بغية ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المغرب (١) . فحين وفد عياض على افريقية ، وكان قليل ذات اليد أمر له الامير روح بن حاتم بخمسمائة دينار ، ومن القمح والشعير والتبن والطلاء والزيت والخل ما يكفيه حولا كاملا (٢) .

ويبدو أن عياض بقي بالقيروان الى ان تولى بنو الاغلب افريقية فصار من خاصة ابراهيم بن الاغلب وصاحب مشورته (٣) .

ومنهم أبّان (٤) بن الصمصامة بن الطرماح بن حكيم الطائي الشاعر ، جده الطرماح الشاعر الاموى الشهير المتوفي سنة ١٠٠هـ . وكان أبوه الصمصامة ممن دخل افريقية في اوائل المائة الثانية للهجرة واستقر بالقيروان وبها ولد ابنه أبّان ، وكان محصلا للغة والشعر ، حافظا لكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ، وشاعرا مجيدا . أخذ عنه أهل افريقية مروياته وفنونه الادبية وانتفعوا بها ، وتخرّج عليه غير واحد في النحو واللغة والادب أمثال الوليد بن قطن المهرى (٥) . وقال أبو بكر الزبيدى في أبي مالك الطرماح " وكان شاعرا عالما

---

(١) الرقيق ، ص ١٥٧ .

(٢) ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٩٥ ، وانظر الزبيدى ، ص ٢٧٧ .

(٣) الرقيق ، ص ٢٢٥ .

(٤) في جمهرة ابن حزم ، ص ٤٠١ " ابان (وفي السيوطي ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٥٩ " أمان " .

(٥) الزبيدى ، طبقات النحاة ، ص ٢٥٥ ، انظر الرقيق ، ص ١٨٦ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٠١ ، ياقوت ، معجم ، ج ٢ ، ص ٣٦١ ، السيوطي ، بغية ، ج ١ ، ص ٤٥٩ ، السيرافي ، أخبار النحاة ، ص ٨٠ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، رابح بونار ، المغرب العربي ، ص ١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باللغة حافظا للشعر جدا "(١).

ومنهم أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلبي الشاعر، قدم الى افريقية زائرا لابن عمّه الامير يزيد بن حاتم، فولاه قفصة وقسطيلية. وفي امارة الفضل بن روح بن حاتم سنة ١٧٧هـ، كان واليا على طرابلس (٢). وكان أبو عيينه يشجع العلم ويسعى اليه ويكرم من يشتغل به. قال أبو مالك بن الطّرماح بن حكيم - وكان مقيما بالقيروان - : "بعث اليّ أبو عيينة المهلبي حتى بديوان الطرماح لأقرأه عليك، ففعلت فأمر بانتساخه وقرأه عليّ، وكنت أحضر طعامه وكساني كسوة نفيسة وأعطاني ثلاثين دينارا" (٣).

ومنهم أبو علي الحسن بن سعيد البصرى، أحد كبار النحاة البصريين، دخل افريقية في صحبة الامير يزيد بن حاتم، وكان مختصا

---

(١) حكى تلميذه عبد الملك بن قطن قال: أبطأت بالزيارة على أبي مالك وكان مريضا فكتب اليّ

أبلغ المهرى عني مالكا ... ان دائي قد أصار المخ ريرا

كنت في المرض مريضا مطلقا ... ولقد أصبحت في المرض اسيرا

فاذا ما مت فانعم سالما ... وتملّ العيش في الدنيا كثيرا

انظر الزبيدى، ص ٢٢٥، وياقوت، معجم، ج٢، ص ٣٦١.

(٢) الرقيق، ص ١٨٥.

(٣) ن. م. ص ١٨٦ (وكان أبو مالك يقول والله ما رأيت المال أرق ولا أذل مما هو بأيديهم)، انظر ص ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكتابة الدواوين (١) .

ومن الوافدين على افريقية في ايام بني الاغلب ، الشاعر العباسي دعبل بن علي الخزاعي (١٤٨ - ٢٤٨ هـ) ، ومن أشهر تلاميذه الشاعر المشهور بكر بن حمّاد الزناتي التاهرتي (ت ٢٩٦هـ) (٢) . وتوفي دعبل الخزاعي بزويلة بني الخطاب في برقة (٣) .

ومنهم الشاعر عثمان بن سعيد الذى يعرف بالصيقل من موالي الامير ابراهيم الثاني (٢٦١ هـ - ٢٨٩ هـ) ، ويعتقد انه من الوافدين على افريقية ، وهو أول من ادخل النوع المسمى (بالمعمّى) في الشعر الى المغرب . وخرج من افريقية الى الاندلس في اوائل القرن الرابع واستقر بقرطبة وأصبح من خاصة الامير عبد الرحمن الناصر الى ان توفي سنة ٣٣٠ هـ .

ومن الكتاب الوافدين على افريقية في فترة الاغالبة ، أبو اليسر ، ابراهيم بن محمد الشيباني ، أصله من بغداد (ت ٢٩٩هـ) . وفد

---

(١) السيرافي ، أخبار النحاة البصريين ، ص ٨٠ .

(٢) انظر الجاحظ ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٤٦١ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ٢٨١ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، محمد النيفر ، عنوان الاريب ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٢) قال فيه تلميذه بكر بن حمّاد الزناتي حين توفي

الموت غادر دعبلا بزويلـــة   في أرض برقة أحمد بن نصيب

انظر البكرى ، وصف ، ص ١٠ ، ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

(٣) ابن الأبار ، التكملة ، ص ١٩٠ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الاندلس على ابراهيم الثاني فخصه برئاسة ديوان الرسائل ، ثم التحق بخدمة العبيديين فكان من خاصة عبيد الله الشيعي وكتّابه الى أن توفي بالقيروان (١) . وكان ظريفا ، أديبا ، مترسلا ، شاعرا ، حسن التأليف . . . " (٢) . ومن تصانيفه في اللغة والادب " سراج الهدى " في معاني القرآن واعرابه ، و " مسند في الحديث " و " لقط المرجان " في الادب على نسق عيون الاخبار لابن قتيبة ، و " قطب الادب " والمرصّعة والمدبّجة " وهي من الرسائل النثرية في الادب .

وتتلمذ عليه أبناء افريقية أمثال ابنه يزيد ، وأبي جعفر الكاتب ، وعبد الله بن الصائغ وأبي سعيد الصيقل (٣) .

ومن المعاصرين لأبي اليسر ، الكاتب محمد بن حيّون ويعرف بابن البريدى ، كان ابراهيم الثاني قد قدّمه على رئاسة ديوان الانشاء قبل قدوم أبي اليسر ، ثم سخط عليه لغلطة ارتكبها فقتله سنة ٢٩٦هـ (٤) .

ومنهم محمد بن محمد بن الفرج البغدادى ، مولى بني هاشم (ت ٢٩٠هـ) قدم على ابراهيم الثاني من الاندلس فألحقه بأبي

---

(١) انظر ابن الابار ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٦٢ - ١٦٣ ، القاضي النعمان ، افتتاح ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٦٣ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ج ١ ، ص ٧٤ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٢١ - ١٢٢ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ديوان الادب التونسي ، ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليسر لتحرير الرسائل (١) . ومنهم أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادى الكاتب ، استكتبه عبيد الله الشيعي بعد وفاة أبي اليسر الشيباني سنة (٢٩٩) هـ واستعان به عبيد الله على تصفية الداعي أبي عبد الله وأخيه ابي العباس وجماعتهم من كتامة ويقول ابن عذارى : "وكان منه في ذلك رأى جميل ونفع عظيم" (٢) .

وكانت هذه الطائفة من اللغويين والنحويين الوافدة على افريقية مصادر للادب واللغة يأخذ عنها طلاب اللغة الرسائل والقطع الادبية والشعر الجاهلي والاسلامي فكان تأثيرهم كبيرا في أهل افريقية .

وساهم أبناء المغرب من نابتة ومستعربة في الحركة الثقافية وذلك برحلتهم الى المشرق في طلب العلوم الاسلامية من رواية حديث وتفسير وفقه . ولم تقتصر دراستهم على العلوم الدينية بل اهتموا بالدراسات اللغوية وبالادب . ولذا نجد ان حملة العلم ، فقهاء وأدباء في آن واحد .

وأول أديب مؤلف نبغ في افريقية وعمل في دواوينها ، خالد بن ربيعة الافريقي من أبناء البيوتات العربية التي استقرت بتونس وكانت له رحلة في طلب العلم في اوائل المائة الثانية ، قصد فيها الشام ، وتعرف على الكاتب المشهور عبد الحميد بن يحيى . ويبدو ان ابن ربيعة عمل مدة اقامته بالشام في الدواوين كما يبدو من

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٢) ن . م . ج ١ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ؛ ابن مخلوف ، شجرة ، ج ١ ، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبارة ابن النديم : " ونشأ خالد الافريقي في الدواوين "(١) ، ثم رجع الى افريقية فاستعان به الوالي عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، في تدبير شؤون ولايته ، وكان رسوله الى الخليفة مروان بن الجعدى ، يقول البلاذرى : " وكان بين خالد الافريقي وبين عبد الحميد بن يحيى مودة ومكاتبة ، فأقرّ الخليفة مروان عبد الرحمن على الثغر المغربي "(٢) .

وفي سنة ١٣٦هـ أمر عبد الرحمن بن حبيب الفهرى كاتبه خالد بن أبي ربيعة أن يكتب كتابا يخلع فيه طاعة أبي جعفر المنصور ، وقرأ هذا الكتاب على جميع الناس (٣) .

ويبدو أن المراسلة لم تنقطع بين خالد بن ربيعة الافريقي وعبد الحميد بن يحيى الكاتب ، وبعضها يتصل بآداب الكتّاب . روى البغدادى من رسالة لعبد الحميد الكاتب الى خالد : " وقال : عبد الحميد بن يحيى في رسالة الى خالد بن ربيعة الافريقي يصف الكتاب : " ان الكتّاب قليل ، والمتسمون بالكتّاب كثير ، والعلم معين على نفسه من اخذه ، فمن ادخل نفسه في الكتّاب مصطبرا على ما ينوبه فنه من العفاف عن المطامع والتتبع للمعروف ، وترك التضحر بأهل الانقطاع ، وصبر على النوائب ، وحاول جر المنافع الى الصديق ، واظهر كشره وحسن قبوله ومعاملته من لا يعرف ، فهو الذى احتوى على الكتّاب واحتوى الكتّاب عليه "(٤) .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٣١ .

(٢) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٤٠ .

(٣) الرقيق ، ص ١٣٤ .

(٤) كتاب الكتّاب لابي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادى وقد نشر في مجلة الابحاث الشرقية التي يصدرها المعهد الفرنسي في دمشق ، ج ١٤ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم نعثر على شيء من رسائل خالد الى الكاتب عبد الحميد ، الا أن ابن النديم قال فيه : " خالد بن ربيعة الافريقي ، مترسل بليغ ، نشأ في الدواوين وله رسائل مجموعة في الادب نحو مائتي ورقة "(١) .

ومن الفقهاء الادباء عبد الله بن غانم القاضي ، قال فيه أبو سعيد علي بن أبي سعيد : "كان ابن غانم رجلا كاملا ، فقيها مقدّما مع فصاحة لسان ، وحسن بيان ، وبصر بالعربية ورواية الشعر ، تروى له أبيات مستحسنة ... "(٢) ، وكان ابنه أبو شراحيل (ت ٢٠٩ هـ) أديبا شاعرا (٣) .

وقد اشتهرت أسرة ابن غانم بقرضها للشعر ومنهم : أبو عبد الرحمن وكان أديبا وهو القائل في شعر له يفتخر بآله :

ولينا قضاء الغرب عشرين حجة ... فعز بعدل عندنا مستلينها
وامضى أبونا الحق في الناس فاستوت ... رعيته في للعدل فاعتز دينها
فصلى عليه الله في مستقره ... وسقاه من عز السحاب هتونا (٤)

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٣١ .

(٢) تراجم أغلبية ، ص ٩ (عن أبي علي بن أبي سعيد صاحب كتاب المعرب في أخبار المغرب) .

(٣) تراجم أغلبية ، ص ٢٠ .

(٤) تراجم ، ص ٢٠ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خارجة فقال له : " يا أبا خارجة انظر في هذا الحرف انما هو "الوناء" بالنون " . فتفكر أبو خارجة قليلا ثم قال : " نعم والله ، هو الوناء وهو الضعف وهو الكلل . ودليل ذلك قوله تعالى (وتنيا في ذكرى) يعني تضعفا " ، ج ١ ، ص ١٦١ .

وقد وصلتنا عنه قطعة نثرية بليغة في دعاء الاستسقاء قالها حين أصيب اهل صفاقس وضواحيها بالقحط لمدة سبع سنين (١) .

ومنهم الفقيه عبد الله بن أبي حسان اليحصبي من الاخباريين (ت ٢٢٧ هـ) ، وعنه أخذ اهل افريقية مغازيها ، بالاضافة الى فصاحة لسانه وقوله للشعر وحدّته في المناظرة والجدال (٢) . قال فيه أبو علي البصرى : " كان عبد الله بن أبي حسان غاية في الفقه بمذهب مالك ، حسن البيان ، عالما بأيام العرب وأنسابها ، راوية للشعر قائلا له ، وعنه أخذ الناس أخبار افريقية وحروبها ، روى ذلك عن أبيه ، وكان جوادا " (٣) .

ومنهم القاضي أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن مسلم الكناني (ت ٢١٤هـ) اشتهر بفصاحة لسانه وقوله للشعر (٤) . وقيل فيه " كان صدوقا ثقة عفيفا فقيها عارفا بالحجة ، ورعا كثير التثبت في احكامه لقنا ذهنا عارفا باللغة والشعر ، يصنع الشعر ويجيده سار سيرة قضاء العدل " (٥) ، تولى قضاء افريقية سنة ١٩١هـ

---

(١) المالكي ، ج ١ ، ص ١٦٤ ، السّراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧٦٥ .

(٢) عياض ، تراجم أغلبية ، ص ٧١ ، وانظر محمد النيفر ، عنوان الاريب ، ج ١ ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٧٣ .

(٤) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٥) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبقي قاضيا عليها الى أن توفي سنة ٢١٤هـ (١) .

ومنهم يحيى بن يوسف الخزاعي (٢٢٦ - ٢٩٨هـ) ، من فقهاء وأدباء القيروان ممن تفنن في صنع الشعر (٢) . وأبو خالد يحيى بن خالد السهمي ،كان واليا على الزاب أيام سحنون (٣) ، وكان يقول الشعر ويجيده وله قصيدة في مدح علماء المدينة (٤) . والفقيه القيرواني محمد بن هشام بن الليث اليحصبي (ت ٣٠٨هـ) ، كان عالما أديبا (٥) . والفقيه زياد بن يونس اليحصبي (٢٨٢هـ - ٣٦١هـ) ، كان أديبا عالما بالانساب (٦) . وأحمد بن أحمد ابن زياد الفارسي (٢٣٤ - ٣١٩هـ) ، كان كاتبا للقاضي عيسى ابن مسكين ،وكان عالما بعلم الوثائق وقد وضع فيها عشرة اجزاء (٧) .

---

(١) انظر ترجمته في أبي العرب ،ص ١٦٦ - ١٦٧ ،المالكي ،ج ١ ،ص ١٨٩- ١٩٢ ، الرقيق ، ٢٣٢-٢٣٣ ،الدباغ ،معالم ،ج ٢ ،ص ٢٩ - ٣٩ ، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٠٤ ، ابن فرحون ،الديباج ،ج ٢ ،ص ٣٢٥ .

(٢) أبو العرب ،ص ١٨٨-١٩٠ (ذكره ضمن ترجمة أبيه) ، عياض ،تراجم ، ص ٣١٣ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٣) عياض ،تراجم ،ص ٣١٧ - ٣١٩ .

(٤) ن . م . ص ٣١٨ .

(٥) ن . م . ص ٤١٣ .

(٦) ن . م . ص ٢٤٨ (ذكره ضمن ترجمة عيسى بن مسكين) ،الدباغ ، معالم ،ج ٣ ،ص ٧٩ ، محمد النيفر ،عنوان الاريب ،ج ١ ،ص ٣٣ .

(٧) عياض ،تراجم ،ص ٣٨٥ (عن أبي العرب) ، انظر الخشني ،طبقات، ص ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما كان بصيرا باللغة ، بليغ الشعر ، من المجيدين لنظمه وعلمه (١) .
والفقيه أبو عبد الله محمد بن قعنب من رحالات القرن الثالث مع فقهه كان اديبا ويميل الى قول الشعر ، فكانت له أشعار كثيرة (٢) .

والفقيه أبو المعمور محمد بن محمد بن حمزة الربعي (٢٠٨ - ٢٦٥ هـ) ، من أعلام المالكية ، كان يقول الشعر ويجيده (٣) . والفقيه أبو عثمان ابن الحداد (٢١٧ أو ٢١٩ - ٣٠٢ هـ) ، من الاخباريين ، كان عالما بأخبار افريقية وعلمائها (٤) ، فصيحا شاعرا ، مع حدّة في المناظرة والجدل (٥) . وكان أعلم اهل افريقية بالنحو ، عربي اللسان ، يحفظ كتاب سيبويه (٦) . والفقيه عبد الله بن محمد بن سويد الربعي ، كان عالما نحويا (٧) .

---

(١) عياض ، تراجم ، ص ٣٨٥ (عن ابن حارث) ، انظر الخشني ، ص ١٦٨-١٦٩ .
(٢) ن . م . ص ٣٩٥ .
(٣) ن . م . ص ٣٢٨ .
(٤) ن . م . ص ٣٥٤ .
(٥) ن . م . ص ٣٥٣ - ٣٥٨ ، انظر الخشني ، ص ١٤٨-١٥١ ، ١٩٨-٢١٢ .
(٦) ن . م . ص ٣٥١ - ٣٥٢ .
(٧) ن . م . ص ٣٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم الفقيه المالكي عبد الله بن محمد بن ابي معمر عبّـــاد ابن كثير الطبني يعرف بالبندى (ت ٢٩٩هـ) ،كان من اهـــل العلم باللغة والنحو والفصاحة (١) .

ومن الموالي الادباء، القاضي عيسى بن مسكين بن منصـور ابن خديج بن محمد الافريقي ،أصله من عجم الساحل وكان يتولـى قريشا (٢١٠ أو ٢١٧ - ٢٩٧هـ) كان متفننا في علوم كثـيرة : الحديث ،والفقه ،واللغة وأسماء الرجال وكناهم وقويهم وضعيفهـم ، فصيحا يجيد الشعر (٢) . وقد خصص له أصحاب التراجم فصـلا في حكمه من نثره ونظمه (٣) . والقاضي سليمان بن سالم القطان ويعرف بابن كحالة وكان بارا بطلبة العلم ،أديبا كريما (٤) . والمحدث يحيى بن عمر بن يوسف الكناني الاندلسي الاصل من اهل جيّـان وكان يتولى بني أمية (ت ٢٨٩هـ) . كان شاعرا فصيحا واشتهـر بكثرة تآليفه في أكثر من علم (٥) . والكاتب ابن ابي الوليد محمد بن سعيد مولى الاغلب ،كان كاتبا فصيحا يجيد فن الخطابة (٦) .

---

(١) عياض ،تراجم ، ٣١٥ (عن ابن الجزّار) .

(٢) ن . م . ص ٢٣٣ .

(٣) ن . م . ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤) ن . م . ص ٢٦٠ .

(٥) انظر ترجمته في المالكي ،ج ١ ،ص ٣٩٦ ،عياض ،المدارك ،ج ٤ ،ص ٣٥٧-٣٦٣ ، وتراجم ، ص ٢٦١ - ٢٧٠ ،الدباغ ،معالم ،ج ٢ ،ص ٢٣٣-٢٤٦ .

(٦) عياض ،تراجم ،ص ٣٨٠ - ٣٨١ ، الدباغ ،معالم ،ج ٣ ،ص ٦١ (ضمن ترجمة ابنه) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفقيه الحنفي أبو عبد الله بن زرزر من أصل فارسي يتولى قريشا (ت ٢٩١هـ) وكان حافظا لدواوين العرب واشعارها وأخبارها فصيح اللسان في العربية يقول الشعر ويكثر فيه وأكثر شعره في توحيد الله والرد على الزنادقة والملحدين والكذابين (٢) ، وأحمد بن سليمان الصواف مولى ربيعة (٢٠٦ - أو ٢٠٨ - ٢٩١هـ) ،كان من الادباء الفصحاء ،له قطع نثرية وشعرية أوردها أصحاب التراجم (٣) . ومن مشاهير رواة اللغة والادب في القيروان من غير الفقهاء ،أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري من النابتة (ت ٢٥٦هـ) ،وكان من النسّابين الكبار ،كما بلغ في صنعة الشعر منزلة عالية حتى كان شعراء افريقية يعرضون عليه قصائدهم لتصحيحها . ومن مصنفاته كتاب اشتقاق الاسماء (٤) .

وقد تخرج على يده عدد من الطلاب نبغوا في الادب والنحو أمثال أحمد بن أبي الاسود النحوي ، من رجالات القرن الثالث ، الذي نبغ في النحو واللغة ، وكان شاعرا مجيدا ،وقد ذكر

---

(١) أبو العرب ،ص ١٩٠ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٤٩٦ ،الدباغ، معالم ،ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢) المالكي ،ج ١ ،ص ٤١٥ ،الدباغ ،معالم ،ج ٢ ،ص ٢٤٨ ، وانظر حسن حسني عبد الوهاب ،ورقات ،ج ٢ ،ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٣) عياض ،تراجم ،ص ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٤) انظر الزبيدي ،طبقات ،ص ٢٢٩ - ٢٣٢ ،المالكي ، ج ١ ،ص ٣١١ ، عيّاض ،تراجم أغلبية ،ص ٢٠ ،السيوطي ، بغية ، ج ٢ ،ص ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزبيدي انه صنّف في النحو والغريب مؤلفات حسنة (١) . وأبو عبد الله محمد بن اسماعيل المعروف بحمدون النعجة (ت ٢٨٥هـ) ، من أشهر تلاميذ أبي الوليد في النحو واللغة والادب حتى قيل انه أعلم بالنحو من استاذه لأنه كان يحفظ كتاب سيبويه . ومن تآليفه كتاب في النحو وكتاب في أوضاع اللغة . وكان له مكتب بالقيروان يدرس فيه الطلاب الذين كانت لهم عناية باللغة والنحو والادب (٢) . وأبو محمد عبد الله المكفوف الاموى (ت ٣٠٨هـ) ، أديب ولغوى ، وكان يرأس دراسة اللغة العربية وتفسير دواوين أيام العرب وأخبارها ، وكان الطلاب يرحلون اليه من انحاء افريقية والمغرب(٣) " وكان يجلس مع حمدون النعجة في مكتبه ، فربما استعار بعض الصبيان كتابا فيه شعر أو غريب أو من أخبار العرب فيقتضيه صاحبه فيه ، فاذا ألح عليه أعلم بذلك أبا محمد المكفوف فيقول أقرأه عليّ فاذا فعل ، قال : أعده ثانية ، ثم يقول : ردّه على صاحبه ومتى شئت فتعال أمليه عليك(٤) " . ومن تصنيفه كتاب العروض (٥) .

---

(١) انظر الزبيدى ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٣٧٨ ، السيوطي ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٩٧ (عن الزبيدى) .

(٢) الزبيدى ، طبقات ، ص ٢٣١ ، ٢٣٥ - ٢٣٦ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٣١٢ (ذكره ضمن ترجمة ابي الوليد المهرى) ، السيوطي ، بغية ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٣) الزبيدى ، طبقات ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، السيوطي ، بغية ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٤) الصفدى ، نكت الهيمان ، ص ١٨٤ .

(٥) ن . م . ص ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تخرج على يده عدد من الطلاب أمثال الداروني أبو محمد الحسن بن محمد التميمي العنبري (ت ٣٤٣هـ) ، أحد أعلام النحاة اللغويين ، وكان أعلم بدواوين الجاهلية من غيره ، خاصة ديوان ذي الرمة . وقرأ الناس عليه وسمعوا منه في حياة استاذه أبي محمد المكفوف النحوي (١) .

وأحمد بن ابراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي (ت ٣١٨هـ) ، من مشاهير نحاة القيروان وكبار لغوييها وأدبائها . وقام بشرح الكثير من دواوين العرب ، وكان شاعرا مجيدا ثم ترك الشعر وأقبل على دراسة الحديث والفقه . ومن تصانيفه في اللغة كتاب " الضاد والظاء " . وتتلمذ عليه العديد من الطلاب لأنه كان يوصف بصدقه في العلم (٢) .

والحسن بن علي المؤدب المعروف بالسبخي (٢٦٥ - ٣٤٢هـ) ، ولد أعمى وأدرك أصحاب سحنون فأخذ عنهم علوم الشريعة ثم لازم النحوي أبا محمد المكفوف فأخذ عنه العربية والنحو . وبعد ذلك فتح مكتبا لتدريس اللغة والنحو فقصده الطلبة وتخرجت على يده أجيال كثيرة ، قال عنه المالكي : " كان عالما باختلاف العلماء واتفاقهم مع المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن وانتفع به خلق من الناس " . وكان الحسن بن علي يحث طلابه على طلب العلم ويفضل ذلك على المرابطة في القصور.

---

(١) الزبيدي ، طبقات ، ص ٢٣١ ، ٢٤٥ - ٢٤٧ ، السيوطي ، بغية ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(٢) الزبيدي ، طبقات ، ص ٢٤٣ - ٢٤٢ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٣٧٢- ٣٧٥ ، السيوطي ، بغية ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تصانيفه " أقسية الافعال " وهو كتاب كبير على طريقة الأمالي جمعه بعض تلاميذه . ولهذا النحوى أشعار كثيرة في معنى الزهد أورد منها المالكي قطعا (١) .

وأبو القاسم ابراهيم بن عثمان بن الوزّان القيرواني الحنفي (ت ٣٤٦هـ) ، يعدّ امام النحو واللغة والادب وقد شهد له تلميذه أبو علي بن الوكيل بسعة علمه وتبحره في اللغة والنحو اذ قال فيه : " ولو أن قائلا قال انه أعلم من المبرد وثعلب لصدقه من وقف على سعة علمه ونفاذه " (٢) .

ويوسف بن عبد الله القفصي التميمي (ت ٣٣٢ هـ أو ٣٣٦هـ) ، كانت له معرفة باللغة والادب والشعر . وقد أورد له عياض مقطوعات

---

(١) انظر الزبيدى ، طبقات ، ص ٢٤٢ ، المالكي ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ ، الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ٥٠ ، السيوطي ، بغية ، ج ١ ، ص ٥١٦ ، ومما حكي عنه " قال له تلميذه عبد الله بن نصير يوما : أصلحك الله ، أردت سكنى المنستير للمرابطة ، فقال له : لا تفعل ، قال : ولما ؟ - فقال : كان اندلسي يطلب العلم عند سحنون بن سعيد فقال له : أردت سكنى المنستير فقال له : لا تفعل فان الذى أنت فيه من طلب العلم أولى من المرابطة وافضل " ، انظر المالكي ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ ، ٤١٠ .

(٢) الزبيدى ، طبقات ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، السيوطي ، بغية ، ج ١ ، ص ٤١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعرية في الزهد . ومن تصانيفه ، مناقضة أبي عبيد بن سلام وابن قتيبة (١) .

وأبو محمد عبد الله بن اسحاق بن التّبان (ت ٣٧١ هـ) ، كانت له معرفة واسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن رحل اليه الطلاب من كل أنحاء افريقية والمغرب (٢) .

فاذا كانت مجموعة المواد الدينية قد وجدت اهتماما زائدا بافريقية بغرض المحافظة على الدين ونشره وحازت انتشارا كبيرا بين الاهالي فان حملة العلم اهتموا بالدراسات اللغوية لضرورتها لفهم القرآن والدين والحديث .

ويلاحظ ان أكبر اللغويين في القرن الثاني والثالث كانوا من الفقهاء . وتطورت هذه الدراسات تطورا كبيرا مع قدوم المشارقة الذين أدخلوا معهم أمهات الكتب اللغوية والنحوية ، فتتلمذ عليهم عدد كبير من اهل افريقية والمغرب .

٢ - وفي افريقية ، حظيت العلوم العقلية ، من طب وفلسفة وعلم الفلك ، بمكانة طيبة ، لكنها لم تضارع ما وصلت اليه مجموعة العلوم السابقة . ويرجع الفضل لمؤسسي الدولة الاغلبية في تشجيع الحركة الثقافية في افريقية ، وتأسيسهم لبيت الحكمة سنة ٢٦٤ هـ (٣) . فقد

---

(١) المالكي ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ - ٢٨٢ ، عياض ، المدارك ، ج ٦ ، ص ٢٥ .

(٢) الدباغ ، معالم ، ج ٣ ، ص ٨٩ ، ابن فرحون ، الديباج ، ج ١ ، ص ٤٣١-٤٣٢ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١١٧ ، ٢٠٧ ، انظر البكرى ، وصف ، ص ٢٧ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جلب الامير ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب (٢٦١ هـ - ٢٦٩هـ) (١) ، لهذه المؤسسة علماء في الطب والحكمة من العواصم الاسلامية كالفسطاط وبغداد ، وفتح أبواب مكتبتها لكل طالب علم (٢) .

واعتنى الامير الاغلبي أبو العباس عبد الله الثاني (٢٨٩ هـ - ٢٩٠ هـ) (٣) ، بتنشيط العلوم بشتى فروعها فألحق ببيت الحكمة عددا من العلماء والحكماء .

وشهد عهد الامراء الاغالبة الثلاثة ، ابراهيم الثاني (٢٦١ هـ - ٢٦٩ هـ) ، وعبد الله الثاني (٢٨٩ - ٢٩٠ هـ) ، وزيادة الله الثالث (٢٩٠ هـ - ٢٩٦ هـ) ، حركة ثقافية لم تشهدها افريقية من قبل ، بتشجيعهم للعلم ، وجلب العديد من العلماء الى رقادة قاعدة ملكهم ، حيث أنشيء بيت الحكمة . وقد ضم بيت الحكمة أعلاما من العلماء والاطباء والفلاسفة والكتّاب ، كانوا يبثون العلم ويشجعون على طلبه ، ومن أمثال هؤلاء الاعلام من أبناء افريقية عبد الله ابن الصائغ ، صاحب البريد (ت ٢٩٦هـ) ، وهو من الكتاب البلغاء والشعراء الفصحاء ، وكانت رسائله على درجة عالية من البلاغة (٤) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ٢٢٢ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، وخلاصة ، ص ٨٨ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٥٢٠ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٤) ابن الابار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ١٨٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٣٤-١٣٩ ، انظر عياض ، تراجم ، ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، الدباغ ، معالم ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطبيب البغدادى اسحاق بن عمران الاسرائلي (ت ٢٩٥هـ) ، الذى أسلم ،دعاه الامير ابراهيم الثاني فنزل افريقية سنة ٢٦٤ هـ ، وانضم الى حاشية الامير (١) ،فنشر في افريقية علوم الطب والفلسفة " وبه ظهر الطب العلمي بالمغرب ،وعرفت الفلسفة "(٢) .

وكان لاستقرار اسحاق بن عمران في افريقية تأثيره على أبنائها ، اذ يعتبر المؤسس الاول للمدرسة الطبية بافريقية (٣) . وقد انتشر علم اسحاق ابن عمران بافريقية بواسطة مؤلفاته العديدة في الطب والعلوم الطبيعية (٤) . وتخرج عليه عدد من الطلاب ،أولهم ابنه عليّ الذى ولد بالقيروان ،وزياد بن خلفون ، وأبو بكر محمد بن الجزّار ، وأبو سعيد الصيقل الفيلسوف . وهذه النخبة جسّدت في نشر العلوم الطبية والفلسفية بين الاهالي فاشتهرت بهم المدرسة القيروانية في الطب والحكمة (٥) .

ومنهم أبو يعقوب اسحاق بن سليمان الاسرائلي ، يهودى النحلة،مصرى (ت ٣٢٠هـ)كان طبيبا للعيون وفيلسوفا ،دعاه الامير زيادة الله الثالث من بغداد ،وفد على افريقية سنة ٢٩١ هـ (٦) ،وتتلمذ

---

(١) البكرى ،وصف ،ص ٢٧ .

(٢) ابن جلجل ،طبقات الاطباء ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) صاعد الطبقي ، طبقات الامم ، ص ١٣٣ .

(٤) ابن جلجل ، طبقات الاطباء ، ص ٨٥ .

(٥) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات ، ج ١ ،ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٦) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، وانظر ابن جلجل ،ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الطبيب على يد اسحاق بن عمران السابق الذكر في بيت الحكمة (١) . ويقول عنه ابن جلجل : "كان اسحاق طبيبا لسنا عالما بتقاسيم الكلام ، وتفريع المعاني ، ... وله تواليف لم يسبقه أحد الى مثل بعضها" (٢) .

وباشر هذا الطبيب مهنته أيام زيادة الله الثالث ثم التحق بالامراء الفاطميين ولازم خدمتهم الى أن توفي في منتصف القرن الرابع (حوالي ٣٢٠هـ) ودفن بمقبرة اليهود بالمهدية . وقد أخذ عنه الطب والفلسفة جماعة من أبناء المغرب من أمثال الطبيب أحمد بن الجزّار القيرواني . وله موءلفات كثيرة كانت بعضها بالعبرية فترجمت الى العربية (٣) .

ومنهم الطبيب زياد بن خلفون من موالي الاغالبة (ت ٣٠٨هـ) (٤) . واثر سقوط الامارة الاغلبية التحق بخدمة العبيديين وكان من خاصة عبيد الله الشيعي وبقي في خدمته مدة عشر سنين الى ان قتل بالقيروان . ويقول عنه ابن عذارى " ... كان عالما بالطب ، حسن الذهن فيه " (٥) .

ومن النابتة الطبيب الفضل بن علي بن ظفر (ت ٣٢٣ هـ) ، وكان يجمع الى الطب الفقه والادب والشعر وقد أورد له البكرى

---

(١) ابن جلجل ، طبقات الاطباء ، ص ٨٧ ، وانظر صاعد الطبقي ، ص ١٣٣ .

(٢) ابن جلجل ، ص ٨٧ ، وانظر صاعد الطبقي ، ص ١٣٤ .

(٣) ابن جلجل ، ص ٨٧ ، صاعد الطبقي ، طبقات الامم ، ص ١٣٤ ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج ١ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٤) انظر البكرى ، وصف ، ص ٢٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبياتا شعرية في مدح النكّارى أبي يزيد مخلد بن كيداد (١).

ومنهم الفيلسوف أبو بكر المعروف بالقمودى (٢)، لازم أبا عثمان سعيد ابن الحداد (ت ٣٠٢ هـ) مدة طويلة، ثم تتلمذ على غيره من المتكلمين. وكان جيد القريحة في المناظرات العلمية والمذهبية وشهد له بذلك معاصروه اثر المناظرات التي كانت تدور بينه وبين علماء عصره في بيت الحكمة. وقد أظهر ميلا الى الاعتزال حتى عرف به. وأورد له الخشني مناظرة حادة دارت بين هذا الفيلسوف والداعي أبا عبد الله الشيعي برقادة وكانت الصدارة فيها للفيلسوف أبي بكر (٣). وكانت الدولة العبيدية بحاجة الى علماء تستعين بهم في مبتدأ أمرها فقربه أبو عبد الله الشيعي من نفسه وولاه على السكة (٤).

ومن النابتة اسماعيل بن يوسف المعروف بالطلاء المنجم، قال الزبيدى: "كان من ذوى العلم بالعربية، وكان غاية في علم النّجامة"(٥). وكانت له رحلة في طلب علم النّجامة في الامصار الاسلامية وحين عاد من رحلته ألحقه ابراهيم الثاني بيت الحكمة. وكانت وفاته بقرطبة في الربع الاول من القرن الرابع الهجرى.

---

(١) انظر البكرى، وصف، ص ٣١، ابن عذارى، ج ١، ص ٢٧١، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج ١، ص ٢٤٤.

(٢) قمودة: مدينة بالوسط الغربي من تونس.

(٣) الخشني، طبقات، ص ٢١٤، ٢٢٢ وما بعدها.

(٤) ابن عذارى، ج ١، ص ١٥١، ١٥٩.

(٥) انظر الزبيدى، طبقات، ص ٢٤١، ابن الابار، التكملة، ص ٢٢٨، السيوطي، بغية، ج ١، ص ٤٥٨، حسن حسني عبد الوهاب، ج ١، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدأت الدراسات العقلية متأخرة نسبيا في افريقية ، لكنها تطورت بسرعة في القرنين الثالث والرابع للهجرة . وقد شهدت فترة الأمراء الأغالبة الثلاثة ابراهيم الثاني (٢٦١ هـ - ٢٦٩ هـ) ، وعبد الله الثاني (٢٨٩ هـ - ٢٩٠ هـ) وزيادة الله الثالث (٢٩٠ هـ - ٢٩٦ هـ) اهتماما بالدراسات العقلية اذ دعوا نخبة من الاساتذة المشارقة في هذه العلوم استطاعت أن تملأ أنحاء افريقية علما وتعليما .

ويلاحظ ان المشتغلين بالعلوم العقلية كانوا متخصصين في مواضيع أخرى . وقد أنجبت افريقية بفضلهم عددا من رجال الفكر الفلسفي وتحولت بيت الحكمة الى جامعة علميّة تضم أبرز الشخصيات العلمية . ولعل ذلك ساعد على ازدهار الثقافة وانتشار العربية في هذه الفترة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الســـــابع

ـ العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ودورها في التعريب ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان انتشار الدين الاسلامي بين سكان الشمال الافريقي مهّد ولا شك لانتشار اللغة العربية . فكانت فئات المجتمع الافريقي تتصل بالعرب في مجالات كثيرة بعد الفتح وذلك عن طريق السبي والولاء والاحلاف والمصاهرة والجوار والتجارة .

فكان السبي الذى وزعه معاوية بن حديج سنة ٤٥ هـ على المقاتلة ، بعد فتحه لجلولاء عنوة أكثره من الذرارى (١) . ويحدثنا ابن أبي الضياف عن سبي عقبة بن نافع في ولايته الثانية سنة ٦٢ هـ قائلا : " توجه الى السوس الاقصى فتكاثرت عليه البربر في أمم لا تحصى فقاتلهم وأصاب منهم نساء لم ير الناس في الدنيا مثلهن . قيل ان الجارية منهن كانت تبلغ بالمشرق ألف دينار أو نحوها "(٢) ، ومما يفسر كثرة السبايا من البربر أن عامتهم كانوا وثنيين (٣) . ويحدثنا ابن عبد الحكم عن السبي الذى

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٦ (رواية الطبرى) ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٠ .

(٢) الرقيق ، ص ٤٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٧ ، وانظر المالكي ، ج ١ ص ٢٤ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ٥١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٥ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣١ (قال) .

(٣) والدليل على كثرة الوثنية بالسوس ما ذكره يليان لعقبة حين سأله عن أوضاع الروم والبربر فقال له (يليان) : " قد تركت الروم خلفك ، وما قدامك الا البربر وفرسانهم ، قال له : واين موضعهم ؟ قال : في السوس الادنى ، وهم قوم ليس لهم دين ولم يدخلوا النصرانية ، يأكلون الميتة ، ويشربون الدم من انعامهم وهم أمثال البهائم ، يكفرون بالله عز وجل ولا يعرفونه " . انظر في ذلك الرقيق ، ص ٤٥ ، وابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٦ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ١٤ - ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجهه حسان الى مصر اذ يقول : "ان عبد العزيز بن مروان والي مصر أخذ مما يحمل حسان من السبي كل ما كان معه ، وكان قد قدم ومعه من وصائف البربر بشيء لم ير مثله جمالا . فكان نصيب الشاعر يقول حضرت السبي الذى كان عبد العزيز أخذه من حسان مائتي جارية منها ما يقام بألف دينار "(١) . ويذكر المالكي ان حسانا رحل الى عبد الملك ابن مروان ومعه خمسة وثلاثون ألف رأس من سبي البربر (٢) .

بلغت كثرة السبي من الروم والبربر في عهد موسى بن نصير رقما خياليا عجب منه خلفاء وولاة المشرق (٣) . فقال الليث بن سعد "لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام "(٤) . فأول فتوحات

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٢ ،وانظر ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٣٨ - ٣٩ ، وفي النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢١ " ان حسانا أهدى عبد العزيز بن مروان مائتي جارية ووصيف من خيار ما كان معه " .

(٢) المالكي ،ج ١ ،ص ٣٨ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ٦٣ (فارس) ، وانظر النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٢١ .

(٣) الامامة والسياسة ، ج ٢ ،ص ٦٤ ، ٦٥ ،٦٩ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٥ ،٨٩ وانظر ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، البكرى ، وصف ، ص ١١٧ - ١١٨ ، الرقيق ، ص ٧٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٠ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٣ ، والنويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٣ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٨ (عن الصفدى) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موسى بن نصير بافريقية كانت قلعة زغوان (١) التي بلغ سبيها عشرة الاف ، وكان أول سبي يدخل القيروان في ولايته (٢) . وفي الوقت نفسه وجه حملتين بقيادة ولديه مروان وعبد الله لجهات غير معلومة لدينا ، فرجعا بمائتي ألف رأس (٣) ، ويذكر ابن خلدون وابن شباط ان موسى توجه بنفسه الى ناحية اخرى، فرجع بمائة ألف (٤) ، فبلغ الخمس يومئذ

---

(١) جبل زغوان : جبل منيع كان البربر يفبرون منه على المسلمين وبه سميت القرية التي تبعد عن القيروان مسافة يوم واحد ، انظر البكرى ، وصف ، ص ٤٥ - ٤٦ ، الامامة والسياسة ، ج ٢، ص ٦٣ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٥ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٥٦ .

(٢) انظر الامامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٥ ، ص ٣١٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٠ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٥ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٥٦ .

(٣) انظر ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٤ (عن الليث بن سعد أن السبي كان من البربر) ، الامامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥٠ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٢ - ٢٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، افتتاح الاندلس لابن حبيب ، تحقيق محمد علي مكي في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٧ ، ج ٥ ، ص ٢٢٤ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، وانظر النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٣ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٥٦ (عن ابن شباط) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ستين ألف رأس(١) .

وبلغ سبي بلاد هوارة وزناتة وكتامة خمسة الاف(٢) ، وسبي صنهاجة مائة وستين ألفا(٣) ، وبلغ سبي سجوما أو سقوما مئتي ألف رأس(٤) " فيهم بنات كسيلة وبنات ملوكهم ، وما لا يحصى من النساء السلسات اللاتي ليس لهن ثمن ولا قيمة "(٥) . وقال ابن أبي حسان (اليحصبي) " ان موسى لما فتح (سقيوما) كتب الى الوليد بن عبد الملك : انه صار لك من سبي سقيوما مائة ألف رأس . فكتب اليه الوليد : " ويحك ! انني أظنها

---

(١) انظر الامامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٠ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٣ (عن الليث بن سعد) ، ويذكر ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٨٧ أن الخمس بلغ سبعين ألفا وأقرب الى الصحة هو الرقم الذى ذكره موسى في كتابه لعبد الملك بن مروان " الخمس أيها الامير ستون ألفا حقا ثابتا بلا وهم " ، انظر الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٧ (عن الليث) ، السراج ، الحلل ، ج ١ ق ٢ ، ص ٥٥٦ (عن ابن شباط) .

(٢) الامامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، وابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٣) الامامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٤) ن . م . ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٥) ن . م . ج ٢ ، ص ٦٨ وانظر عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢٢٤ ، وابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤١ (عن ابن قتيبة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بعض كذباتك ، فان كنت صادقا فهذا محشر الامة "(١) . وبعد هذه الحملة ،أرسل موسى حطتين الى السوس الاقصى ،الاولى بقيادة ابنه مروان ، فبلغ السبي أربعين ألفا (٢) ، والثانية بقيادة زرعة بن أبي مدرك البربري ورجع برهائن كتامة وزناتة وهوارة (٣) .

ويبدو أن عمليات السبي هذه ساعدت على اسلام وتعريب الاهالي وكان السبي في فترة موسى بن نصير يوزع على المقاتلة فحين رجع مروان بن موسى بن نصير من غزوته للسوس الاقصى خرج للقائه وجوه الناس فقال لرجاله : " مروا بكل من خرج مع والدى بوصيف أو وصيفة " . وقال موسى : " مروا أنتم لهم من عندى بمثل ذلك " . فرجع الناس كلهم بوصيف أو وصيفة (٤) .

وكان البعض الآخر يوجه الى المشرق ليباع أو يقسم على أهل البيوتات والفقهاء . فمن مشايخ اهل مصر : " لما بعث موسى رحمه الله بالخمس الذى أفاء الله عليه ،وكان مئة ألف رأس ،فنزلوا الاسكندرية ، ونزل بعضهم كنيسة فيها ،فسميت كنيسة الرقيق الى اليوم ،ونزلوا موضعا بالفسطاط فتسوّقوا فيه ،فسمي سوق البربر الى اليوم "(٥) ، " وحين وصل موسى بن

---

(١) الرقيق ،ص ٧٧ ، وانظر البكرى ،وصف ،ص ١١٧ - ١١٨ .

(٢) خليفة ، تاريخ ،ص ٣٠٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٤ ، عبيد الله ابن صالح ، نص جديد ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ،ج ٤ ، ص ١٨٧ .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٢ ،عبيد الله بن صالح ،نص جديد ،ص ٢٢٤ .

(٤) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٤٤ .

(٥) الامامة والسياسة ، ج ٢ ،ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نصير الى مصر " فلم يبق بها فقيه ولا شريف الا وصله وأعطاه "(١) ، "كما أهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم "(٢) .

ولم يقتصر توزيع الهدايا من تحف وسبايا من قبل موسى بن نصير على أهل مصر انما تجاوز الى أهل البيوتات في فلسطين فحين وصل موسى ابن نصير الى فلسطين " . . . أجاز آل مروان وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف ،وغير ذلك من الطرف " (٣) .

وقد وصف لنا كل من صاحب الامامة والسياسة وابن عذارى ما كان موسى بن نصير قد أخرج معه الى المشرق من السبي والطرائف ومن ذلك " مائة منهم بنو كسيلة بن لمزم ،وبنو يشور ،ومزدانة ملك السوس ، وملك ميورقة ومنورقة ، ومن أولاد الكاهنة ، ومائة من وجوه ملوك الاندلسيين ، وعشرون ملكا من ملوك المدائن التي افتتحها بافريقية . وخرجوا معه بأصناف ما كان في كل بلد من طرفها " (٤) . وهذه الارقام من السبي

---

(١) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٤٥ ، الامامة والسياسة ،ج ٢ ،ص ٨٣ .

(٢) الامامة والسياسة ، ج ٢ ،ص ٨٣ .

(٣) الامامة والسياسة ، ج ٢ ،ص ٨٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٥ .

(٤) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٤٥ ، الامامة والسياسة ، ج ٢ ،ص ٨٢ ،٩٠ ، ويذكر ابن كردبوس " مائة ألف من سبي بين الرجال والنساء والصبيان ، منهم أربعمائة رجل من ملوك الاعاجم " . الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد الثالث عشر ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ،ص ٥٠ ،ويذكر ابن خلدون ان موسى خرج الى المشرق بالغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر ويقال كان من جملتها ثلاثون ألف فارس من السبي ، انظر ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ١١٨ .

قد لا تخلو من المبالغة ولكنها تشعر بأهمية دور السبي في التعريب .

وكان السبي الموجه الى المشرق يبدو لونا من الهجرة القسرية من بلاد المغرب الى الامصار العربية الاخرى فكأنما تعاون على تعريب المغرب نوعان من الهجرة ، هجرة القبائل العربية الى المغرب ،وهجرة هذه الاعداد الكثيرة من سبي البربر الى المشرق والتي كانت تفرق على البيوتات العربية مما كان يساعد على تعريبها (١) .

وقد كثرت السبايا في الحجاز اثر الفتوحات الاولى واثرت على الحياة العربية فيه . فقد حوّل عمرو بن العاص من اسلم من لواته الى عمر بن الخطاب (٢) ، كما حول ابن أبي سرح سبيه الى عثمان بن عفان (٣) . وفي فترة القادة الفاتحين والولاة المتعاقبة على افريقية كان خمس السبي يذهب للمركز والباقي للمقاتلة (٤) .

وكانت ظاهرة الاصهار والتزواج عاملا له أهمية في الاختلاط وفي توثيق الروابط بين المشرق والمغرب ،وبالتالي في نشر العربية والاسلام . ففي أنباء الفتوحات في السنوات الاولى اشارات تشعر برغبة المقاتلة في نكاح البنات من اهالي البلاد المفتوحة سواء على وجه التسرى من السبي والجوارى أو بمصاهرة البيوتات العريقة ،فكان لذلك أثره في الاندماج في الحياة الجديدة لغة ودينا وقرابة .

---

(١) انظر شكرى فيصل ،المجتمعات الاسلامية ،ص ١٨٥ ، ١٨٧ .

(٢) ابن أعثم ،فتوح ، ج ٢ ،ص ٢ .

(٣) المالكي ،ج ١ ،ص ١٧ ،الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ٤٢ .

(٤) الرقيق ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد خيّر عمرو بن العاص أهل لواتة في بيع أبنائهم ونساءهم ليفوا بجزيتهم (١) . ويحتمل أن بيت المال فرق هؤلاء الجوارى والغلمان على البيوتات العربية . وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز عمّاله ان يبلغوا كل من كانت عنده لواتية أن يتزوجها أو يردها الى أهلها . ولا يخفى ما في هذه السياسة من العدل في مصانعة الامم المغلوبة وفي ايجاد علائق الالفة وبالتالي توسيع الاسلام والعربية .

وتبدو رغبة الجيش العربي الفاتح في التسرى من خطابة رويفع بن ثابت الانصارى الذى نهى جيشه عن أن يأتوا السبايا الا بعد الاستبراء (٣) . وينتظر ان لا يقدم المقاتلة على نكاح البنات من الاهالي الا بعد اسلامهن اقتداءً بقوله تعالى : " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ... " (٤) ولكن ذلك لم يكن شرطا لازما . وقد فتح موسى بن نصير باب الزواج بالسبايا حين قام بتوزيع الجوارى

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٧٠ ، والبلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٦ ، البكرى ، وصف ، ص ٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٦ ، ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

(٢) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٢٧ .

(٣) خليفة ، تاريخ ، ص ٢٠٨ ، المالكي ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ ، ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ١٩١ ، الدباغ ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، ابن أبي دينار ، ص ٢٨ ، السراج ، الحلل ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ وانظر كذلك الزاوى ، الفتح العربي في ليبيا ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على المقاتلة يذكر الرقيق : " ان موسى بن نصير قعد في مجلسه وجاءه العرب ممن سفر معه وممن خلفه مع ابنه عبد الله بافريقية ، فلما احتفل المجلس ، قال : " قد أصبحت اليوم في ثلاث نعم ، ... ثم قال : " وأما الثالثة ، فأنا اريكموها " وأمر برفع ستر خلفه ، فاذا ببهو فيه جوار مختلفات الالوان من ملساء الى ناهد الى منكسرة ، عليهن الحلي والحلل ، فهنئ بذلك ... ثم التفت فقال : يا فلان جئني بهؤلاء الحوارى ، قم ... يا فلان فخذ هذه حتى أزفهن كلهن "(١) .

ولعل نجابة بعض أولاد السرارى وظهورهم في الحياة العامة زادت من رغبة العرب في السرارى (٢) . ويحدثنا الاصمعي عن أبن أبي زياد قال : " كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الاولاد ، حتى نشأ فيهم القراء السادة : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، ففاقوا أهل المدينة علما وتقى وعبادة وورعا ، فرغب الناس حينئذ في السرارى .

---

(١) الرقيق ، ص ٨٦ - ٨٧ (عن شيخ من أهل افريقية) ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٤ .

(٢) أم الولد : وهي الامة التي تلد من سيدها ويعترف بولده منها وله استخدامها واجارتها وتزويجها وكتابتها وتعتق بعد موته من كل ماله ولا تسعى في شيء لا للدائنين ولا للورثة ، ولا يجوز بيعها ، لما ولدت مارية ابراهيم قيل للرسول الا تعتقها قال " قد اعتقها ولدها " . انظر المبسوط للسرخسي ، ج ٧ ، ص ١٤٩ ، الاهلية وعوارضها في الشريعة الاسلامية للشيخ أحمد ابراهيم بك ، ص ٣٦ ، مصطفى الجداوى ، الرق في التاريخ وفي الاسلام ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال غيره : لما قدم سبي فارس على عمر كان فيه بنات يزدجرد ، فقوّمن ، فأخذهن علي فأعطى واحدة لابن عمر فولدت له سالما ، وأعطى اختها لولده الحسين فولدت له عليا وأعطى اختها لمحمد بن أبي بكر فولدت له القاسم "(١) .

وقد فتح التّسرى باباتصال البربريات ، بالبيوتات العريقة وأنجبن شخصيات بارزة كان لها أثرها في التاريخ السياسي والديني في المشرق والمغرب . وعلى سبيل المثال نذكر ما حدّثنا به مصعب بن الزبير عن أمة معبد بن العباس الذى استشهد في افريقية في غزوة سنة ٢٧ هـ قال : " ومن ولد معبد بن العباس بن عبد المطلب أبية بنت معبد أمها أمة افريقية قدمت بها ، فأمرها علي بن أبي طالب ان يقرّوا به ، تزوجها يريم ابن أبي شمثاء ، وهو معدى كرب بن أبرهة بن الصباح أحد ملاك حمير ، فولدت له النضر بن يريم ، كان النضر سيدا من سادات أهل الشام "(٢) .

ويحدثنا صاحب الامامة عن سبي موسى لبنات ملوك البربر " فيهم بنات كسيلة ، وبنات ملوكهم ، ومالا يحصى من النساء السلسات ، اللاتي ليس لهن ثمن ولا قيمة . قال : فلما وقفت بنات الملوك بين يدى موسى ،

---

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ - ٤٥٨ ، وانظر الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٢٤ (عن الجاحظ) انظر الجاحظ ، المحاسن ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) مصعب الزبيرى ، نسب قريش ، ص ٢٧ ، ٣٧ (وقيل أيضا ان عبد الله ابن الزبير اتخذ ابنه جرجير أم ولد) ، انظر في ذلك ابن عذارى ، ج ٦ ، ص ١٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : عليّ بمروان ابني . قال : فأتى به قال له : أى بني اختر. قال : فاختار ابنة كسيلة فاستسرها ، فهي أم عبد الملك بن مروان هذا "(١) .

ولم تتوقف هجرة السبي الى المشرق عند انتهاء الفتح بل استمرت أيام الولاة الذين تعاقبوا على ولاية افريقية ويحدثنا في ذلك ابن عذارى : وكان خلفاء بني أمية يستمدون من عمالهم بافريقية طرائف المغرب " فيبعثون لهم البربريات السنيات "(٢) .

وكانت الهدايا التى خرج بها والي افريقية عبيدة بن عبد الرحمن القيسي سنة ١١٥ هـ الى الخليفة هشام بن عبد الملك " . . . العبيد والاماء ومن الجوارى المتخيرة سبع مائة جارية ، وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة والآنية "(٣) .

ويبدو ان خلفاء بني أمية رغبوا في نساء المغرب لا لمجرد التسرى انما لغرض أسمى ، لاتخاذهن أمهات أولاد ، فذكر أبو الفرج الاصفهاني في "كتاب النساء" قال : " كتب هشام بن عبد الملك الى عامله على افريقية (وهو عبيد الله بن الحبحاب) : " أما بعد فان أمير المؤمنين لما رأى ما كان يبعث به موسى بن نصير الى عبد الملك بن مروان رحمه الله أراد مثله منك ، وعندك من الجوارى البربريات المالئات الاعين ، الاخذات بالقلوب ، ما هو معوز لنا بالشام وما والاه ، فتلطف في الانتقاء وتوخ أنيق،

---

(١) الامامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجمال ومع ذلك فاقصد رشدة المولد وطهارة المنشأ ،فانهن يتخذن امهات أولاد والسلام "(١) .

والظاهر ان عبيد الله بن الحبحاب جهز حملات عسكرية الى مناطق نائية من بلاد المغرب لغرض جلب السبي وارساله الى دمشق ،فقد بعث قائده العسكري حبيب بن أبي عبده بن عقبة بن نافع الفهري الى السوس الاقصى فبلغ أرض السودان وعاد بسبي كبير (٢) . وقد أشار ابن عذارى الى أن ابن الحبحاب منى خلفاء المشرق بالكثير لما أفضى اليه الامر " وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان ... "(٣) .

ويبدو أن رقيق السبي استمر الى نهاية القرن الاول للهجرة ، فمن المشتهرين بهذه التجارة التابعي اسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله والمتوفي سنة ١٠٧ هـ (٤)

قال أبو العرب : حدثني فرات قال : سمعت عبد الله بن ابي حسان يقول : كان اسماعيل بن عبيد المعروف بتاجر الله يوجه المولدات

---

(١) من " تحفة العروس " لابي عبد الله محمد التيجاني ،ص ٦٨ ، عن حسن حسني عبد الوهاب، الشهيرات التونسيات، ص ١١ .

(٢) ابن عبد الحكم ،ص ٢١٧ ، الرقيق ،ص ١٠٨ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٥١ .

(٣) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٥٢ .

(٤) معالم ،ج ١ ،ص ٢٨ ،١٩١ - ١٩٥ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٦٩ - ٧٢ ، ابن عبد الحكم ،فتوح ،ص ٢٠٩ ، وانظر الجنحاني ،المغرب الاسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاحمال الى المشرق ، وقال فوجه رفقة كلها له ، فخرج يشيعهم الى قصر الماء فسمع بكاء ، فقال : " ما هذا ؟ " فقيل له : هؤلاء المولدات اللاتي وجهت يبكين مع آبائهن وامهاتهن واخواتهن ، فبكى اسماعيل وقال : " ان الدنيا بلغت بي أن افرق بين الاحبة ، انها لدنيا سوء اشهدكم ان كل من لها أب ، أو أم ، أو أخ ، أو أخت في هذه الرفقة هي حرة " . قال عبد الله بن أبي حسان فانزل من المحاسن سبعين مولدة "(١) .

ويظهر ان رقيق السبي انقطع في صدر الدولة العباسية ، كما يبدو من رسالة عبد الرحمن بن حبيب الى المنصور : " ان افريقية اليوم اسلامية كلها ، وقد انقطع السبي منها فلا تسألني ما ليس قبلي "(٢) .

وترد اشارات الى بعض مشاهير البربريات اللاتي اتخذن امهات أولاد في الفترة الاموية والعباسية في المشرق والمغرب وأسماء ابنائهن الذين كان لهم في التاريخ الاسلامي المشرقي والمغربي شأن (٣) . منهن سلامة البربرية من قبيلة نفزة وقيل من صنهاجة ، وهي أم أبي جعفر المنصور (٤) ،

(١) أبو العرب ، ص ٨٥ وما يليها .

(٢) الرقيق ، ص ١٣٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٦٧ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٤٠ .

(٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ص ٦٩ ، حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، ص ١٢ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٣٦٧ " أمه أمة اسمها سلامة وجنسها بربرية " ، المسعودى ، التنبيه ، ص ٢٩٥ "مولدة من البصرة وقيل بربرية " ، أبو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٢٢ ، ص ٥٢٨ ، ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٦٩ ، ابن حزم ، أمهات الخلفاء ، ص ١٨ ، ورسائل ابن حزم (تحقيق احسان عباس) ، ص ١٢٠ ، ١٤٨ ، السيوطي ، المستظرف ، ص ٤٦ ، حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقتول ، وهي أم أبي منصور محمد القاهر بن المعتضد (١) ،واختلف في أصل الخيزران (٢) ،وهي جارية المهدى اعتقها ثم تزوجها فولدت له الهادى وهارون الرشيد . وكانت الخيزران من ربات السياسة والنفوذ والسلطان وهي التي اشترت دورا بالصفا والحقته بالحرم الشريف،وكان يعرف بدار الخيزرانة وتوفيت سنة ١٧٣هـ(٣) . وفيها يقول مروان بن

---

(١) ابن حوقل ،المسالك ،ص ٦٩ ،وفي ابن حزم ،امهات الخلفاء ،ص ١٨ " قتول أم ولد " وانظر رسائل ابن حزم أيضا ،ج ٢ ،ص ١٢١ ،وتصحف اسمها بين قبول وقتول ،وبين قتنة وقينة ،وفي التنبيه للمسعودى ، ص ٣٣ " وأمه أم ولد تسمى قبول " وعند السيوطي ،تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٦ " أمه أم ولد اسمها فتنة " وانظر عنها ابن كثير ،البداية ، ج ١٠ ،ص ١٢١ .

(٢) في تاريخ الخلفاء للسيوطي ،ص ٢٧٩ " أمه أم ولد اسمها الخيزران وانها بربرية " وفي امهات الخلفاء ورسائل ابن حزم " انها مولدة كوفية " ، انظر ص ١٩ ورسائل ، ج ٢ ،ص ١٢٠ . وقال المسعودى في التنبيه " الخيزران ابنة عطاء مولدة جرش من أرض اليمن " ، ص ٢٩٧ .

(٣) انظر اخبارها في الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ،ج ٣ ،ص ٢٤٣ ، والعمرى ، مهذب الروضاء الفيحاء في تاريخ النساء ،ص ٧ ، ٥٤ ، وابن كثير ،البداية ،ج ١٠ ،ص ١٦٣ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٩ ، والمستظرف ،ص ٢٤ ،كحالة ،أعلام النساء ،ج ١ ،ص ٣٩٥- ٤٠١ ،ج ٥ ،ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبي حفصة :

يا خيزران هناك ثم هنـــاك   أمس يسـوس العالمين ابناك (١)

ويقول الصولي (٢) : لا تعرف امرأة ولدت خليفتين الا الخيزران أم الهادى والرشيد (٣) .

وهارون الرشيد هو أول من غالى من العباسيين في تفضيل الجوارى وتقريبهن ، فكان معظم اولاده أبناء اماء (٤) . فكانت ام عيسى البربريـــة ، احدى امهات اولاده (٥) . وكانت أم عبد الرحمن الداخل ، مؤســـس الدولة الاموية بالاندلس، من قبيلة نفزة ، من سبي المغرب الذى وجه الـــى المشرق ، وكانت تسمى واحا أو رداحا أو راحا (٦) .

وقال ابن حزم في نقط العروس : " لم يل الخلافة في الصد الاول من أمه أمة حاشا يزيد وابراهيم ابني الوليد ، ولا وليها من بني العباس من أمـه حرّة حاشا السفاح والمهدى والامين . ولم يلها من بني أمية بالاندلـــس من أمه حرة أصلا " (٧)

---

(١) السيوطي ، المستظرف ، ص ٢٤ ، وتاريخ الخلفاء ، ص ٢٨٤ ، انظر الثعالبي ، لطائف ، ص ٨١ .

(٢) الصولي ، محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ) .

(٣) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٨١ .

(٤) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٤٠ .

(٥) العقد ، ج ٥ ، ص ١١٧ .

(٦) ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، ابن حزم ، امهات ، ص ٢٨ ، المراكشي ، المعجب ، ص ٣٩ - ٤٠ ، لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١١ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٠ .

(٧) رسائل ابن حزم ، ج ٢ ، ص ١٠٤ (تحقيق احسان عباس) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أبو المظفر الابيوردى : فكانوا يقولون ،ملك الدنيا أبنا بربريتين المنصور، وعبد الرحمن بن معاوية (١) .

ويبدو أن أم عبد الرحمن بن حبيب بن عقبة بن نافع موءسس الدولة الفهرية بالمغرب،كانت بربرية من جبل الاوراس (٢) ، وأن أم أخيه الياس كانت امة لقوله له حين طعنه بالسكين : " فعلتها يا ابن اللخناء" (٣) .

وكانت أم ادريس الثاني ،جارية بربرية من نفزة كان قد تركها ادريس الاول موءسس الدولة الادريسية بالمغرب الاقصى ،حاملا ،وبعد وفاته أنجبت ادريس الثاني ،وكانت صاحبة سلطة ونفوذ وهي التي قسمت المغرب الاقصى بين احفادها بعد وفاة ابنها . وقيل اسمها كنزة وقيل كثيرة ولعله تحريف لكنزة (٤) .

ومنهن ام المعتصم وادريس ابنا صالح بن منصور الحميرى أمير نكور، كانت امهما صنهاجية (٥) . وكانت زوجة الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم ،بربرية من زناتة (٦) . ويعتقد على دبوز ان أم افلح بن الامام عبد الوهاب كانت بربرية (٧) .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ،ص ٢٦٠ .

(٢) الرقيق ،ص ١٣٥ ، النويرى ،ص ٤٣ .

(٣) الرقيق ،ص ١٣٥ ،النويرى ،ص ٤١ ،في لسان العرب ،ج ١٣ ،قولهم أمة لخناء ، ص ٣٨٣ .

(٤) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٢١٠ ،٢١١ ،في الرقيق ، كثيرة ،ص ٢١٦ ،أعمال الاعمال ،ق ٣ ،ص ١٩٥ ، البكرى ، وصف ،ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ٢١٦ .

(٥) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٧٦ ، البكرى ،ص ٩١ .

(٦) الشماخي ،السير ،ص ٢٠٣ .

(٧) علي دبوز ،المغرب الكبير، ج ٣ ،ص ٥٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت أم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب من جوارى المشرق ، اسمها جلاجل ، وكانت لليث بن سعد الذى رباها في احضانه واهداها لتلميذه ابراهيم بن الاغلب . وقد اشتهرت هذه الجارية بأدبها وحسن اخلاقها (١) . وقد كان لابراهيم بن الاغلب أكثر من أم ولد (٢) .

ويبدو أن هذه الطبقة من الجوارى التي كانت موضع الانجاب والتسرى والتي كانت من نصيب البيوتات العريقة ، كانت تصطبغ بالصبغة العربية الخالصة ، وكان لها النصيب الكبير في تعلم فنون الادب وحفظ القرآن والحديث (٣) .

وكانت لروح ابن حاتم امير افريقية (١٧١هـ - ١٧٤هـ) جارية اسمها طلّة الفندهارية ، وكانت حظية عنده لجمالها وحسنها وأدبها وعلمها (٤) .

---

(١) ابن الابار ، الحلة ، جـ ١ ص ٩٣ ، الرقيق ، ص ٢١٢ ، ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٩٢ .

(٢) الرقيق ، ص ٢١٦ .

(٣) عهد الخلفاء بنوع خاص الى علماء اللغة وإلى ائمتهم في تثقيف قيانهم ليأخذن عنهم اسرار اللسان وقد انصب الجهد بنوع خاص على الجوارى اللواتي يعددن للتردد على المجالس حيث تعقد حلقات المناشدة . وقد بعث الخليفة الرشيد في طلب الاصمعي ليعرض عليه جاريتين اهديتا اليه ، فسبر علمهما فوجد احداهما لا تحتاج الى مزيد علم ، كاملة الادب ، فصيحة اللسان ، تروى الاشعار والاخبار ، وتحفظ القرآن والحديث ، وتجيد نظم الشعر . انظر الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص ٢٥٠ ، جبور عبد النور ، الجوارى ، ص ٦١ .

(٤) الرقيق ، ص ١٧٢ ، ابن الابار ، الحلة ، جـ ٢ ، ص ٣٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولنا نموذج من الجوارى المتأدبات ، روى لسان الدين بن الخطيب أن ابراهيم الثاني من بني الاغلب دخل يوما على أمه وتحادثا فلما رأتـه قد انبسط قالت له : ان عندى جاريتين أدبتهما لك وادخرتهما لمسرتك ، وهما تحسنان القراءة بالالحان ، فأمرت باحضارهما فحضرتا وقرأتا احسن القراءة وانشدتا من رقيق الشعر أحسن ما يسمع (١) .

ويبدو أن تربية الجوارى لم تكن قاصرة على دور الامراء ، انما كانت شائعة بين طبقات الاماء . فقد عثر على مصحف في مكتبة جامع عقبة بالقيروان بخط جارية قيروانية ورد بالورقة الاخيرة ما يلي : " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما حسبت فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد رحمه الله طلبا لثواب الله والدار الآخرة ... " ، وكتب هذا المصحف في المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين (٢) .

وكان الجوارى من الهدايا المألوفة التي يهديها السادة الى المقربين اليهم وقد مرت بنا هدايا حسان بن النعمان وموسى بن نصير والولاة الذين تعاقبوا على افريقية . وأهدى قاضي افريقية ابن طالب لاحد العراقيين جارية نظيفة اديبة بلغ ثمنها ثمانين دينارا لكي يتخذها ام ولد لـه (٣) . كما وهب اسماعيل تاجر الله جارية له الى جاره ليتزوجها وأعطاه ثلاثين

---

(١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٦ ، وانظر حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) حسن حسني عبد الوهاب شهيرات ، ص ٥٥ - ٥٦ (ويذكر انه لا يعلم من اخبار فضل هذه ولا من ترجمة مولاها شيئا) .

(٣) عياض ، تراجم ، ص ٢١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دينارا (١) . وأهدى محمد بن سحنون ثلاثين جارية لأحد المراقبين أثر توبته وطلب العفو منه بعد ان كان يشتمه (٢) .

ويمكن القول أن سياسة التمازج بين البربر والعرب ظهرت في فترة مبكرة من القرن الاول ، فقد أقبل العرب بوضوح على التزوج من البربريات بكثرة (٣) ، مما أدى الى نشوء جيل من المولدين (٤) . وأدت كثرة السبي الى توسع نطاق الولاء فكان ذلك احدى العوامل المساعدة على انتشار العربية وعلى توسيع التعريب ، ومع مرور الزمن أصبح البربر من قبائل عدة يحسبون أنفسهم من ذوى الانساب العربية العريقة ويأنفون ان ينسبوا لأصول بربرية (٥) . فقد كان النسابة البربر يصلون القبائل البربرية بأصول عربية ، في الجزيرة العربية وخاصة بجنوبها ، أو ببلاد الشام (٦) .

يروى ابن خلدون "ان نسابة زناتة ينسبون انفسهم الى حمير والى العمالقة" (٧) .

كما أورد قول نسابين من نسابة البربر "وقال هاني بن بكور الضريبي ، وسابق بن سليمان المطماطي ، وكهلان بن أبي لوى ، وأيوب بن أبي يزيد ، وغيرهم من نسابة البربر ان البربر فرقتان كما قدمنا ، وهما البرانس والبتر ، فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان ، والبرانس بنو برنس بن سفجو بن ابزج

---

(١) الدباغ ، معالم ، ج ١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢) المالكي ، ج ١ ، ص ٣٥٣ ، عياض ، تراجم ، ص ١٨٣ .

(٣) المالكي ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٤) البكرى ، وصف ، ص ٥٠ - ٥١ ، ٧٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

(٥) أبو العرب ، ص ١٣٤ ، عياض ، تراجم ، ص ٣٠ ، حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات ، ص ١٤ .

(٦) عثمان سعدى ، الاصول العربية للبربر ، ص ١٦ .

(٧) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن جناح بن واليل بن شراط بن تام بن دويم بن دام بن مازيغ بن كنعان ابن حام . وهذا هو الذى يعتمده نسابة البربر "(١) .

وأورد ابن خلدون في تاريخه شعرا بهذا المعنى ، أنشده شعراء يمجدون فيه نسب البربر العربي ، مثل قول الشاعرة تماضر :

فأقسم أنا والبرابر اخوة   نمانا وهم جد كريم المناصب
أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى   وفي حرسه يسقي غليل المحارب(٢) .

وقول قيس بن خالد (البربرى) يفتخر فيه بأصله العربي :

أيها السائل عنا أصلنا   قيس عيلان بنو العز الاول
ان قيسا قيس عيلان هم   معدن الحق على الخير دلل
حسبك البربر قومي انهم   ملكوا الارض بأطراف الاسل (٣)

كانت الجماعات الاولى من الموالي أرقاء اعتقوا وارتبطوا بمواليهم ، فقد اعتق الخليفة عثمان أمير مغراوة وزناتة صولات بن وزمار ، بعد أن اعتنق الاسلام وعقد له على قومه مغراوة وزناتة ، فكانوا موالين للامويين دون غيرهم ، وظاهروا دعوة المروانية بالاندلس فيما بعد رعيا لهذا الولاء (٤) .

وتكاثر عدد الموالي بالسبي في فترة موسى بن نصير ، فقد ضرب موسى بن نصير رقما قياسيا فيمن والاهم واصطنعهم واسترقهم ، ويؤكد

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٨٦ .
(٢) ن . م . ج ٦ ، ص ١٨٧ .
(٣) ن . م . ج ٦ ، ص ١٨٧ .
(٤) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٢٤ - ٢٥ ، وانظر البكرى ، وصف ، ص ٦١ - ٦٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٢٥٢ ، ابن الخطيب ، أعمال ، ق ٣ ، ص ١٥٣ ، مفاخر البربر ، ص ٢٢ - ٤٢ ، ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنا ذلك صاحب الامامة قال: " وذكروا عن بعض المصريين ، ان رجلا منهم أخبرهم أن يزيد قال لموسى ذات ليلة ، وقد سهرا طويلا : يا أبا عبد الرحمن ، كم تمدّ مواليك واهل بيتك ؟ فقال : كثير . قال : يكونون ألفا ؟ قال له موسى : نعم وألفا وألفا حتى ينقطع النفس ، لقد خلفت من الموالي ما أظن ان احدا لا يخلف مثلهم ... " (١) .

وكان موسى بن نصير يجرى العتق في بعض السبي ممن وجد فيهم فطنة وقوة وبأس وشدّة نكاية واقبالا على الاسلام والاخلاص له ، فيلحقهم بالجيش العربي الاسلامي ويتولاهم ، ومن لم يجد فيه هذه الصفات أبقاه في الفيء ليقسم بين الغانمين (٢) . " فامتلاءت بسباياه الاجناد " (٣) . ويلاحظ ان هذا السبي الكثير لم يكن كله يصب في القوى المحاربة ، انما كان بعضه يوجه الى المشرق (٤) ، حيث تتقاسمه البيوتات العربية ، وينتظر ان يكون ذلك عاملا من عوامل توسيع التعريب .

وكان دور الموالي من عتقاء واحلاف كبيرا لدرجة ان الجيش الذى خرج مع طارق بن زياد لفتح الاندلس (٥) ، ومن بعده موسى بن نصير

---

(١) الامامة ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، وابن عذارى ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٢) الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

(٣) الامامة ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٤) الامامة ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، وانظر ما سبق ذكره عن توجيه السبي الى المشرق .

(٥) انظر الطبرى ، ج ١ ، ص ١٢٣٥ ، الرقيق ، ص ٧٤ ، ابن شباط ، صلة ، ص ١٠٦ ، ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٤٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٥٦ ، ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٥ ، ٦ ، ٩ ، الحميرى ، جذوة ، ص ٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٤٦٢ ، ج ٤ ، ص ١١٧ ، المقرى ، نفح ، ج ١ ، ص ٢٣٠-٢٣١ ، ٢٥٤ ، أخبار مجموعة ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان أكثره من هؤلاء الموالي (١) ،الذين أبلوا بلاء حسنا ،وقد كتب موسى ابن نصير في ذلك الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن أبي مدرك ، ففرض له في مئة وفرض لثلاثين رجلا من قومه (٢) . وبعد انتهاء فتح الاندلس ووصول موسى بن نصير الى دمشق بالغنائم والسبي فرض الوليد بن عبد الملك لموسى وولده جميعا في الشرف كما فرض لخمسمائة من مواليه (٣) .

ويبدو أن موالي العتق اندمجوا في الحياة العربية لدرجة انهم انتسبوا الى بعض القبائل العربية فالتبس الامر عند بعض المؤرخين في نسبهم الحقيقي ،ولنا بعض الاشارات عن ذلك .

تشير بعض الروايات الى أن طارقا نفسه كان من العرب (٤) ، ولذا نسبت اليه الخطبة التي ألقاها في جيشه بالاندلس (٥) ، الا ان الادلة

---

(١) ابن عبد الحكم ،ص ٢٠٧ ،ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ١١٧ ،ذنون الفتح ، ص ١٢٧ ، ١٧٦ (عن الغساني) ، ص ٩٩ .

(٢) الامامة ، ج ٢ ،ص ٦٩ .

(٣) الامامة ،ج ٢ ،ص ٩٠ .

(٤) في خليفة ،تاريخ ،ص ٣٠٤ (طارق بن زياد الليثي) وفي ابن عبد الحكم ، فتوح ،ص ٢١٠ يسميه طارق بن عمرو ، وفي ابن عذارى ،ج ٢ ،ص ٥ ، (قيل انه فارسي) ،في ابن شباط ،الصلة ،ص ١٠٣ (انه مولى للصدف) ، في ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ١١٧ (طارق بن زياد الليثي) ،وفي ج ٦ ، ١٥٣ (طارق مولى عثمان بن عفان صاحب فتح الاندلس) ،وفي ابن أبي دينار ،المؤنس ،ص ٣٥ (قيل انه عربي وانه طارق بن عمرو) ،في المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ،ص ١١٩ (انه فارسي) .

(٥) الامامة والسياسة ، ج ٢ ،ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشير انه من سبي البربر من قبيلة نفزة البربرية وكان من موالي موسى بن نصير (١) . كما التبس الامر على المؤرخين في نسب طريف بن مالك أو ملوك ، فنسب الى نخع مرة والى المعافروالى الصدف مرة أخرى(٢). الا ان البينات تثبت بأنه من بربر برغواطة ، من موالي موسى بن نصير وهو الذى فتح جزيرة الاندلس التي على المجاز فيما يحاذى طنجة ، وكان موسى بن نصير قد أرسله اليها في حملة صغيرة فيها مائة فارس وأربعمائة راجل فكان فتحها على يده سنة ٩١ هـ ، واليه تنسب الجزيرة . وطريف هذا هو الذى قام بدعوة الصفرية بطنجة وكان أحد قادة ميسرة المطغرى ، وقد ارتدت ذريته

---

(١) في ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٥ (برواية صالح بن صالح) " هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن ابن ولهاص ابن يطوف بن نفزاو ، وهو نفزاوى " وفي ج ١ ، ص ٤٣ يضيف الى هذه النسبة انه من سبي البربر ومولى لموسى بن نصير . انظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٧ ، الرقيق ، ص ٦٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٤٠ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٢٠ ، ابن شباط ، الصلة ، ص ١٣٠ ، ١٤٠ ، الامامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، أخبار مجموعة ، ص ٦ ، فتح الاندلس ، ص ٢ ، الحميرى ، الروض ، ص ٩ ، المقرى ، نفح ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٩٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ (الصدفي) ، أبو المحاسن ، النجوم ، ج ١ ، ص ١٩٨ (الصدفي) .

(٢) عند المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٩١ (طريف بن مالك النخعي) ، وفي ص ٢٥٤ (برواية الرازى) انه معافرى ، وفي ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١١٧ (انه من نخع) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن الاسلام وشرعت لبرغواطة تشريعا يتنافى مع التشريع الاسلامي (١) .

وهناك شخصية أخرى التبس فيها الامر عند ابن خلدون يجعلها تارة من كندة وتارة من موالي كندة (٢) ، وهو أبو حاتم الملزوزي قائد اباضي من قبائل جبل نفوسة التي حاربت قوات العباسيين في طرابلس ثم في حصار طبنة في عهد الوالي عمرو بن حفص المهلبي سنة ١٥٤هـ (٣) .

---

(١) في ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٥ (برواية عريب) "رجلا من البربر يسمى طريفا ويكنى أبا زرعة" ، وفي ج ١ ، ص ٥٦ - ٥٧ (برواية ابن القطان) "كان طريف من ولد شمعون بن اسحاق ... وهو الذى قام بدعوة الصفرية بتامسنا وشرع لبرغواطة تشريعا) ، وفي البكرى ، وصف ، ص ١٣٥ (أولاده هم الذين قاموا بالتشريع) ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٣٦ (طريف أبو زرعة مولى موسى بن نصير) ، انظر عنه ابن حزم ، جمهرة ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ ، ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٦١ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٢١٠ ، الحميرى ، جذوة ، ص ١٢٧٨ ، أ.ف . بل ، الفرق الاسلامية (ت بدوى) ، ص ١٧٣ - ١٧٩ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٢-١٩٣ ، ج ٧ ، ص ١٢ "أبو حاتم الكندى" .

(٣) انظر خليفة ، تاريخ ، ص ٤٣٤ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٦ ، الرقيق ، ص ١٤٣ ، ١٤٨ ، أبو زكرياء ، السير ، ص ٨٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٥ - ٧٦ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٤٩ ، الشماخي ، نسخة خطية ، ص ١٣٣ ،
دبنوا ، جبل نفوسة ، طبعة باريس ، ١٩٣٥ ، ص ١٤٥ ،
مشاهد جبل نفوسة ، ر . باسي ، المجلة الاسيوية ، طبعة باريس ، ١٨٩٩ ، ص ٨٨ - ١٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير ابن خلدون الى دخول قبائل عربية المغرب في العهود المبكرة للاسلام ومن بين من ذكرهم كندة التي اشتهرت عائلات منها في ليبيا (١)، ولا نستبعد بناء على ما أورده ابن خلدون نفسه ان قبيلة ابي حاتم الملزوزى انضمت في فترة الى كندة أو انتسبت اليها بالولاء أو المصاهرة فاكتسبت النسبة التي اطلقت على اسم ابي حاتم الملزوزى الكندى .

والذى يدعم وجهة نظر ابن خلدون المتفقة مع اليعقوبي (٢) كما أشار اليها د . طليمات ، هو أن الامام طالب الحق كان خارجيا أباضيا من اليمن ومن حفدة أبي الملوك ابن كندة (٣) ، لذا لا نستبعد الصلة بين هجرة بعض بطون كندة من الخوارج اليمنيين واستقرارها في ليبيا أو انها نزلت على قبيلة ابي حاتم الملزوزى .

ونستنتج من هذه الاشارات ان دخول البربر الى الاسلام كان يعني أحيانا انتماءهم الى العروبة ثم نسوا بمرور الزمن اصولهم وانتسبوا الى العرب ولنا أمثلة كثيرة عن ذلك .

فقد انتسبت الى العرب أسرة من مصامدة طنجة التي أجازت الى الاندلس عند الفتح واستقرت هناك ، وينتمي اليها يحيى بن يحيى الليثي المتوفي سنة ٢٣٣ هـ ، من فقهاء المالكية وأحد قضاة الاندلس ، وكان

---

(١) ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٣٥ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥ .

(٣) سكان ليبيا عند اليعقوبي ، بحث قدم الى مؤتمر الجامعة الليبية ، للتاريخ الليبي ، مجلد ١٦ ، طبعة جامعة عين شمس ١٩٦٩ ، ص ١١٣ ، اعداد وتقديم عبد القادر طليمات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبوه يحيى بن وسلاس شارك مع ابن اخيه نصر بن عيسى في فتح الاندلس ضمن جيش طارق بن زياد ، وسبب انتماء هذه الاسرة الى ليث ، هو اسلام جدهم وسلاس بن شمال بن منفايا على يد يزيد بن عامر الليثي ، ليث كنانة (١) .

وكان بنو القاسم ،وهم من كتامة ، من الذين استقروا بالاندلس في اوائل الفتح ،ينتسبون الى قريش ، وذلك لانتمائهم بالحلف الى الفهريين (٢) .

وانتسبت قبيلة مزاتة النازلة بين سرت وودّان الى عرب اليمن ،وكانت اباضية المذهب،الا ان اليعقوبي لا يؤكد هذا الانتساب ويرى انه ادعاء (٣) . ويظهر ان هذه النسبة راجعة الى حلف قديم بينهم وبين عرب اليمن منذ دخول الخوارج الاباضية في نهاية القرن الاول للهجرة (٤) ،وبمرور الزمن

---

(١) مفاخر البربر،ص ٦٠ ،المدارك،ج ٣ ،ص ٣٧٩ - ٣٩٢ ،ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ٢٢٤ ، الحميدى ،ص ٣٥٩ - ٣٦١ ، الديباج المذهب ، ج ١ ،ص ٥١ ،٤٦٢ ،ج ٢ ،ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ، المقتبس ،ص ٨٣ ،٨٤ ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص ١٤ ، ١٥ ،١٧ ، ١٨ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٦ ، جمهرة ، ص ٥٠٠ ، ابن مخلوف ، شجرة ، ص ٦٣ .

(٢) جمهرة ،ص ١٠٥ ،الفتح والاستقرار ،ص ٢٨٣ (ويشير صاحب مجموعة الى حلفاء آخرين لفهر في ماردة ،ص ٩٨ .

(٣) البلدان لليعقوبي ،ص ٣٤٤ ،٣٤٥ ، سكان ليبيا عند اليعقوبي ،بحث عبد القادر طليمات،ص ١١٢ .

(٤) بعد قتل ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى الحميرى سنة ١٤٤هـ لجأت الاباضية الى ودّان وزويلة ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخذوا ينسبون أنفسهم الى العرب اليمنيين .

ونلاحظ نفس الظاهرة بالاندلس، وهي انتساب أسرة من مكناسة من المستقرين الاوائل بجنوب الاندلس الى تجيب، وينفي المؤرخ ابن حيّان هذا الانتساب ويرى انه ادعاء نادر وغريب (١) .

ومن أهم الروابط التي ساعدت على توثيق العلاقة بين الاسر العربية المستقرة بالشمال الافريقي والجماعات البربرية هي رابطة الحلف . وأغلب الاحيان كانت الاسر العربية الحاكمة تحافظ على هذا الحلف ليكون احدى الدعائم التي تساعدها على توطيد سلطتها (٢) . فكانت الاطراف المتنازعة من الاسرة الفهرية غالبا ما تطلب المساعدة من اقوى القبائل البربرة المحالفة لها لاسترجاع سلطتها ، وقد لجأ عبد الوارث بن حبيب الفهرى مع بعض أقاربه وأتباعه الى قبيلة ورفجومة ، احدى بطون قبيلة نفزة بعد قتل أخيه الياس (٣) . كما دخل أحد أحفاد عبد الرحمن بن حبيب الفهرى في حلف مع أبي حاتم الملزوزى الاباضي ولما انهزم هذا الاخير هرب هو الى كتامة بناحية الزاب (٤) .

ويذكر ابن خلدون ان نزول عبد الرحمن بن رستم في موضع تاهرت لم يكن صدفة، بل هو نزول على لماية لقديم حلف بينه وبينهم (٥) .

---

(١) ابن الابار، الحلّة، ج ٢، ص ٩٦ - ٩٧ (برواية ابن حيان) ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام (برواية ابن حيان) ، ذ نون، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) الرقيق ، ص ١٣٨ .

(٣) الرقيق، ص ١٣٩ ، وانظر ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٣١٥، ابن عذارى ، ج ١، ص ٦٩ - ٧٠ ، النويرى، ج ٢٢ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٤) الرقيق ، ص ١٦١ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن الربط بين القبائل البربرية والعربية جماعيا فحسب ،انما سعى العرب الى ربط القبائل الكبرى والمتحالفة معهم بنسب عربي ، وذلك منذ القرن الثالث،فذكر اليعقوبي ان بطون لواتة يقولون انهم من ولد لواتة بن بر بن قيس عيلان ، وبعضهم يقول انهم قوم من لخم كان اولهم من اهل الشام فنقلوا الى هذه الديار، وبعضهم يقول انهم من الروم (١) . كما ذكر انتساب مزاتة الى العرب منذ القرن الثالث فقال ان بمدينة سرت قوم مسلمون من مزاتة ينتسبون الى اليمن (٢) . وكذلك ارتبطت هوارة بأصل عربي فزعمت انها من اصل يمني لكنها جهلت انسابها (٣) .

ورواية اليعقوبي لها أهمية كبرى اذ انها تفسر بداية تعريب هذه القبائل منذ زمن مبكر اذ ان لواتة ومزاتة وهوارة تسكن في حيز جغرافي واحد وهو المغرب الادنى متمركزة خاصة على طول الشريط الساحلي الرابط بين القيروان والمشرق .

وهناك رابطة أخرى هي رابطة المصاهرة التي قرّبت بين العرب وبين الجماعات البربرية ،فغالبا ما كانت الاسر العربية تلتجيء الى القبائل البربرية وتقيم عندها فترة من الزمن مما كان احدى العوامل المساعدة على انتشار التعريب . فقد التجأ حبيب بن عبد الرحمن الفهري سنة ١٣٨ هـ الى أخوال أبيه في جبل أوراس حيث أعانوه وأمدوه بالمال والرجال وبهذا

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٤ .

(٢) ن . م . ص ٣٤٥ .

(٣) ن . م . ص ٣٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انتصر على قبيلة ورفجومة الموالية لعمّه الوارث بن حبيب الفهرى (١). وكان نزول عبد الرحمن الداخل على أخواله من نفزة من بربر طرابلس ، وحين بدأ ابن حبيب الفهرى يطارده ، انتقل من طرابلس الى المغرب الاوسط فنزل على بني وانسنوس المكناسيين وقيل نزل على بني وانسنوس مفيلة ، ومنهم أبو قرّة المفيلي الذى أخفاه وأحسن اليه (٢) ، ومن ذلك أصبح بنو وانسنوس من اخلص القبائل البربرية للامويين في أثناء عهد عبد الرحمن الداخل هذا (٣) . ويقال أيضا انه نزل على قوم من زناتة أحسنوا اليه (٤) . وربما كان ذلك راجعا للحلف القديم الذى كان بينهم منذ بداية الفتح (٥) .

وقد اشتغل الموالي بالعلوم الاسلامية ونبغوا فيها ،كما صاروا يتقنون العربية . والاشارات كثيرة لهؤلاء الموالي الذين استعربوا ولعبوا

---

(١) الرقيق ،ص ١٤١ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٧٠ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٤٣ ، ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ١٩١ .

(٢) ابن خلدون ،ج ٤ ،ص ١٢١ ، ج ٦ ، ص ١٢٥ ، وانظر ابن عذارى ،ج ٢ ، ص ٤١ ، ويذكر ابن حزم في جمهرته ،ص ٤٩٦ أن قبيلتي مكناسة ومفيلة ترجع في نسبها الى ضرى بن زجيك من البتر .

(٣) ابن القوطية ،افتتاح الاندلس ،ص ٢١ ، ٣١ ، وأخبار مجموعة ،ص ٧٤ ، المقرى ، نفح ، ج ١ ،ص ٣٣٣ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٢١ .

(٥) انظر الفصل الثاني في غزوة عبد الله بن سعد لافريقية سنة ٢٧ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دورا هاما في الحياة الثقافية في الشمال الافريقي .

يذكر البكرى ان جدّ بني واسول موءسس دولة سجلماسة ، أبا القاسم سمكو لقي بافريقية عكرمة مولى ابن عباس وسمع منه (١) . وتجعله رواية أخرى أحد حملة العلم ارتحل الى المدينة فأدرك التابعين وأخذ عن عكرمة . وتدل الروايات ان عكرمة مولى ابن عباس ، بربرى الاصل (٢) وانه دخل افريقية مع سلامة بن سعد في اوائل القرن الثاني الهجرى يدعو الى المذهب الصفرى (٣) .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ١٤٩ .

(٢) انظر المالكي ، ج ١ ، ص ٩٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٦٧ ، ابن حجر ، تهذيب ، ج ٧ ، ص ٢٦٣ . وانظر ترجمة عكرمة في : ابن سعد ، طبقات ، ج ٥ ، ص ٢١٦ ، خليفة ، طبقات ، ٢٨٠ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٠٧ ، الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ ، المالكي ، رياض ، ج ١ ، ص ٣٢ ، ياقوت ، أبو المحاسن ، النجوم ، ج ١ ، ص ٢٦٣ ، ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج ١ ، ص ٦٤ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، ص ٩٥ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج ٧ ، ص ٢٦٣ .

(٣) عوض خليفات ، نشأة الحركة الاباضية ، ص ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر أبو العرب "انه دخلها في زمن بني أمية وكان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع في غربي المنارة الموضع الذى يسمى (بالركيبة) ولم يكن عكرمة دخلها غازيا" (١). وبعد انتشار مذهبه رجع الى مكة حيث توفي بها سنة ١٠٥ هـ(٢). ومن موالي بني هاشم، أبو علقمة المصرى الفارسي قال ابن يونس "أبو علقمة الفارسي مولى ابن عباس كان على قضاء افريقية وكان أحد الفقهاء الموالي الذين ذكرهم يزيد بن أبي حبيب" (٣). ويضيف ابن ناجي انه سكن القيروان وأوطنها (٤).

ومن موالي أحفاد بني معبد، محمد بن محمد بن خالد القيسي كان مولى لمعبد بن عباس ويعد من فقهاء المالكية وكان قد ولى مظالم

---

(١) أبو العرب، ص ٨٣، وانظر ابن خلدون، ج ٦، ص ١١٨.

(٢) انظر عن مدى نجاح مذهبه بجنوب المغرب الاقصى خليفة، تاريخ، ص ٣٣٦، البكرى، وصف، ص ١٤٩، ابي زكرياء، السير، ص ٦، ٢٦، ٢٧، الدرجيني، طبقات، ج ١، ص ١١ - ١٢، ابن عذارى، ج ١، ص ١٥٦، ابن خلدون، ج ٦، ص ١٠٥ - ١٠٦، القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ١٣، ١٨٢ مفاخر البربر، ص ٦٠، عوض خليفات، نشأة الحركة الاباضية، ص ١٣٤ - ١٣٥ والنظم الاجتماعية والتربوية، ص ١٦ - ١٧، محمد اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج، ص ٤٨.

(٣) انظر ترجمته في ابن حجر، تهذيب، ج ١٢، ص ١٧٣، وتقريب، ص ٦٠١.

(٤) الدباغ، معالم، ج ١، ص ٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القيروان لعيسى بن مسكين ولحماس بن مروان القاضيين، كما ولي قضـــاء صقلية في آخر دولة بني الاغلب ،وقال عنه أبو العرب: كان شديدا فـــي تغيير المنكر، لم يل أسواق القيروان قبله اضبط منه . وكان مقلا ، فلمـــا توفي سنة ٣١٧ هـ لم يوجد ما يكفن به (١).

ومنهم طريف بن شمعون البرغواطي كان زعيم الصفرية وقد أخـــذ المذهب عن عكرمة في القيروان (٢) . وهو الذى فتح الجزيرة التي سميت باسمه ،وهو من موالي موسى بن نصير (٣) ،وعبد الاعلى بن حديج الافريقـــي الرومي ، من موالي موسى بن نصير ، وهو أحد الزعماء الصفرية ، ولاه ميســرة المطغرى على طنجة بعد قتله لواليها عمر بن عبد الله المرادى سنة ١٢٢هـ (٤) .

وزرز ، والظاهر انه من البربر ،وكان مولى لموسى بن نصير ، وعقـــد له عبد الاعلى بن عقبة بن نافع على قومه ووجهه لمحاربة عبد الواحد الفزارى الصفرى سنة ١٢٤ هـ (٥) .

---

(١) انظر ترجمته في عياض ،تراجم أغلبية ،ص ٣٧٧ - ٣٧٩ .

(٢) ابن خلدون ،ج ٦ ،ص ١٠٧ ، محمد اسماعيل ، الخوارج ، ص ٤٩ ، عوض خليفات ، نشأة الحركة الاباضية ،ص ١٣٥ ،
Marcais, La Berberie Musulmane, p. 48.

(٣) ابن عذارى ، ج ٢ ،ص ٥ ، وانظر ص ١٨ .

(٤) ابن عبد الحكم ،ص ٢١٨ - ٢١٩ وانظر خليفة ،تاريخ ،ص ٣٤٧ ، الرقيق ، ص ١٠٩ ، ابن عذارى ،ج ١ ، ص ٥٢ .

(٥) خليفة ، تاريخ ، ص ٣٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن موالي لخم ،ابراهيم بن يونس المعروف بالخشاب، وكان يلقب حارس حسبة ولى أحكام القيروان وقضاء مدينة رقادة وتوفي سنة ٣٠٨هـ (١).

وعمر بن سمك بن حميد ، كان مولى لموسى بن نصير وهو أحد الفقهاء المالكية المعاصرين للبهلول بن راشد (ت ١٨٣هـ) (٢).

ومن الموالي الفقيه المالكي عبد الله بن فروخ الفارسي (١١٥ هـ - ١٧٦هـ) ،كان مقيما بالقيروان يعلم الناس العلم والحديث فانتفع به خلق كثير (٣). ويروى ابن سحنون عن تضلع ابن فروخ في الفقه ما يلي: "اختلف ابن غانم وابن فروخ في الرّجل يوليه أمير غير عدل القضاء فأجاز ابن غانم له أن يلي ، وأباه ابن فروخ وكتبا بذلك الى مالك . فلما قرأ مالك الكتاب

---

(١) أبو العرب ،ص ١٧٦، ٢٣٩، عياض ،تراجم ،ص ٢٤٢، الدباغ ، معالم ،ج ٢، ص ٣٥٠، ابن عذارى ،ج ١ ،ص ١٨٥ .

(٢) أبو العرب ، ص ٩٧ ،المالكي ، ج ١ ، ص ١٧١ .

(٣) أبو العرب ،ص ٣٤، ٢٣٥، المالكي ،ج ١ ،ص ١١٣ - ١٢٢ ،عياض، ترتيب المدارك ، ج ٣ ،ص ١٠٢ وتراجم أغلبية ، ص ٤٠ - ٥١ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ٢٣٨ - ٢٤٨ ، ابن حجر ،تهذيب ،ج ٥ ، ص ٣٥٦، الزركلي، الاعلام ، ج ٤ ،ص ٢٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال للرسول : " ولى ابن غانم القضاء ؟ قال : نعم ،قال مالك : انا لله وانا اليه راجعون ! فهلا هرب ! فهلا فرّ حتى تقطع يده ! أصاب الفارسي وأخطأ الذى يزعم انه عربي " (١).

ومنهم ابو منصور الفارسي (٢)- والد يزيد بن أبي منصور -(٣) ذكر أبو عمر بن عبد البر : "كان فقيها قارئا للقرآن متفننا في العلم "(٤). دخل افريقية زمن بني أمية وسكن القيروان الى ان مات بها (٥).

ومنهم أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم بن قيس(٦) ،مولده بحران من ديار بكر سنة ١٤٢هـ ، قدم به أبوه في جند محمد بن الاشعث الخزاعي الى القيروان سنة ١٤٤ هـ وهو ابن عامين وعن أسد : " فاقمنا

---

(١) عياض ،تراجم ،ص ٤٦ ، الدباغ ، معالم ، ج ١ ،ص ٢٤٥ .

(٢) ترجمة ابن عبد البر ،الاستيعاب، ج ٤ ،ص ١٨١ ، ابن الاثير ،أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ٣٠٧ ،المالكي ،ج ١ ،ص ٨٥ ، أبو العرب ، ص ٨٥ ، ابن حجر ،الاصابة ، ج ٤ ،ص ١٨٦ .

(٣) وترجم ابنه يزيد في ابن حجر ، الاصابة ، ج ٣ ،ص ٦٢٥ ، تهذيب ، ج ١١ ، ص ٣٢٣ .

(٤) معالم ،ج ١ ،ص ١٧٧ .

(٥) معالم ، ج ١ ،ص ١٧٧ ، أبو العرب ، ص ٨٥ .

(٦) انظر ترجمته ،أبو العرب،ص ١٦٣ - ١٦٦ ،الخشني ، ص ٢٣٥ ، المالكي ، ج ١ ،ص ١٧٢ - ١٨٩ ، ترتيب المدارك ،ج ٣ ،ص ٢٩١ - ٣٠٩ ، قضاة الاندلس ، ص ٥٤ ،شجرة النور ، ج ١ ،ص ٦٢ ،الديباج ، ج ١ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٥٢ - ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها خمس سنين ،ثم دخلنا الى تونس ،فأقمنا بها نحو تسع سنين ،فلما بلغت عشرة علّمت القرآن في قربة على وادى مجردة "(١) ، اشتهر بكتابيه المدونة والاسدية . وعن سليمان بن عمران قال : ربما رأيت أسد يدق صدره ويقول : واحسرتا ! ان مت ليدخلن القبر مني علم عظيم . قال : وبسبب اسد ظهر العلم بافريقية(٢) . واشترك أسد في قضاء افريقية مع أبي محرز القاضي سنة ٢٠٣ هـ، ثم ولى غزو صقلية سنة ٢١٢ هـ. فتوفي بها وقبره ومسجده هناك(٣) .

وهناك اشارات كثيرة في كتب التراجم الى الموالي الذين تفقهوا بمذهب مالك . ولعبت هذه الطبقة من الفقهاء الموالي دورا هاما في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الشمال الافريقي (٤) .

وقد لعب الاباضية نفس الدور في الشمال الافريقي فقد غادرت مجموعة منهم الى البصرة ليتفقهوا في أصول المذهب ،وتألفت هذه البعثة من أربعة أشخاص من الموالي وهم أبو درار اسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس ،وعبد الرحمن بن رستم (فارسي الاصل) من القيروان ، وعاصم السدراتي من سدراتة غربي اوراس ، وأبو داود القبلي النفزاوى من

---

(١) أبو العرب ،ص ١٦٣ - ١٦٤ ،المالكي ،ج ١ ،ص ١٧٢ ، معالم ،ج ٢ ، ص ٤ ،المدارك ،ج ٢ ،ص ٤٦٥ ،تراجم ،ص ٥٢ .

(٢) تراجم ، ص ٦٣ .

(٣) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، معالم ، ج ٢ ،ص ١٩ - ٢٦ ، المالكي ، ج ١ ، ص ١٧٣ ،احمد توفيق المدني ،المسلمون في جزيرة صقلية ، ص ٦٠ وما بعدها .

(٤) انظر الفصل الخامس ودور الموالي في الحياة الثقافية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفزاوة جنوبي افريقية (تونس) وانضم اليهم في البصرة أبو الخطاب المعافرى وهو عربي من اليمن (١) . وقد سمي هؤلاء في المصادر الاباضية حملة العلم .

ولم ينض وقت طويل حتى برز في الشمال الافريقي عدد من العلماء الاباضيين ممن تلقوا التعليم في مجالس الاباضية " الاقليمية " والذين تتلمذوا على يد حملة العلم . ومن أشهر هؤلاء : أبو خليل الدركلي ، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، ومحمد بن يانس ، وعمر بن بمكتن . وقد افتتح الاخير مدرسة لتعليم القرآن وتفسيره في جبل نفوسة (٢) .

وكان الائمة الرستميون يعدون في طليعة العلماء فقد اشتهر جلهم بالورع والعلم (٣) . فقد ساهم بعضهم في الحركة الفكرية ، وخاصة الدينية ، مساهمة فعالة ، فلم يترك لنا عبد الرحمن بن رستم تآليف ، ولكن ابنه عبد الوهاب ألف كتابا معروفا سماه " مسائل نفوسة الجبل " وهي مجموعة اجابات عن مسائل أشكلت على قبيلة نفوسة . ويقول ابن الصغير : " وكان هذا الكتاب في الايدى الاباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن الى ان لحق الفصل فأخذته عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه " (٤) .

---

(١) الدرجيني ، ورقة ، ص ٣ - ٨ ، أبو زكرياء ، ص ٣٥ ، اطفيش الامكان ، ص ١١٢ ، شماخي ، السير ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، محمد علي دبوز ، ج ٣ ، ص ١٩٤ ، نشأة الحركة الاباضية ، ص ١٣٧ . Laoust, Les schismes, p.71

(٢) الشماخي ، السير ، ص ٤٢ ، انظر احسان عباس ، المجتمع التاهرتي ، ص ٢٠ - ٤٥ .

(٣) أبو زكرياء ، ص ٦٥ ، الدرجيني ، طبقات ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٤) ابن الصغير ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تآليف محمد بن افلح فقد بلغت ٤٠ كتابا (١) . وعن أبيـه الامام أفلح كان الناس يأخذون فنون العلم قبل بلوغه (٢) وكدليل علـى مساهمة الرستميين في الحياة الفكرية والدينية اهتمامهم بانشاء مكتبـة ، ويبدو انها كانت بالقصبة المعصومة وكانت تحتوى على مصنفات في العلـوم الاسلامية وغيرها الى جانب كتب المذهب الاباضي ، ويذكر ان عبد اللـه الشيعي لما دخل تاهرت احرق كتب الدعوة الاباضية ، وحافظ على كتـب الرياضيات ، والمصنفات التي تعالج شؤون الحكم (٣) .

وعرف الشمال الافريقي نوعا آخر من الولاء يتصل بالفلاحة والارض . كان العمل في الضياع يقوم به العبيد ، فهناك اشارات الى أصحاب ملكيـات عقارية يسكنون المدينة ويشتغل رقيقهم في ضياعهم بضواحي القيروان أو بمناطق بعيدة عنها مثل قرى الساحل . وقد عرفت القيروان من يملك قرى ريفيـة كاملة بعبيدها ، فقد كان أبو عبد الله محمد بن مسروق (من اهل القيروان من القرن الثاني للهجرة ، وكان أبوه خليفة موسى بن نصير) . بعد تزهده

---

(١) الشماخي ، ص ٢٢١ .

(٢) الشماخي ، ص ٢٢٢ ، راجع عن علم الائمة الرستميين الشماخي ، سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ص ٣٩٤ ، محمد الطالبي ، الامارة الاغلبية ، ص ٣٥٣ ،
G. Marcais, La berberie musulmane, p.114,
A. Negre, Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, Alger, Nos. 6 et 7, p.220, 1969.

(٣) الحركات السرية في الاسلام ، محمود اسماعيل ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" يمر بالقرية من قرى أبيه ،فيخرج اليه أهلها ومن فيها فيقولون : نحن عبيدك ، وكل ما لنا في هذه القرية هو لك ،فيقول : ان كنتم صادقين فانتم أحرار ، وما لكم لكم "(١) .

ومن أخبار الأمير يزيد بن حاتم المهلبي (١٥٥ هـ - ١٧١هـ) ،" ان بعض وكلائه أتاه يوما فقال : "أعز الله الامير ، أعطيت في الفول الذى زرعناه في فحص القيروان كذا وكذا " وذكر مالا جليلا ، فسكت عنه وأمر قهرمانه وطبّاخه ان يخرجا الى ذلك الموضع وأمر فرّاشيه أن يضربوا فيه مضارب كثيرة ،وخرج مع أصحابه فتنزه فيه وأطعم ،فلما أراد الانصراف دعا بالوكيل وأمر بتأديبه ، وقال : " يا ابن اللخناء ، أردت أن أعيّر بالبصرة ، فيقال : يزيد بن حاتم باقلاني ، أمثلي يبيع الفول -لا أم لك - ؟ " ثم أمر باباحته ،فنادى في اهل القيروان بالخروج اليه ، فخرج اليه الناس ، فمن بين آكل وشارب ومتنزه حتى أتوا على آخره "(٢) . وكان لابنه اسحاق بضواحي القيروان مراع واسعة لتربية الاغنام(٣) .

وكانت للنخبة المثقفة ملكيات عقارية واسعة ،نخص بالذكر منهم أبا عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني من النابتة (١٢٨ هـ - ١٩٠هـ أو ١٩٦ هـ) (٤) ، وروى ان رباح بن يزيد اللخمي كان يستخدم حصادين بأجره (٥) .

---

(١) المالكي ،ج ١ ،ص ١٢٦ ،الدباغ، معالم ،ج ١ ،ص ٣٢٩ .
(٢) الرقيق ،ص ١٥٧-١٥٨ ،ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٨١ - ٨٢ (ذكر الخبر باختصار) .
(٣) الرقيق ،ص ١٥٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٨٢ .
(٤) تراجم أغلبية ،ص ١٨٠٧ ، ٣٢ ، الرقيق ،ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ،المالكي ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، معالم ،ج ١ ،ص ٢٩٢ ،٣٠٨ .
(٥) معالم ، ج ١ ،ص ٢٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان لعبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى من النابتة (٧٤ هـ - أو ٧٥ هـ - ١٦١هـ) ، ضيعة يقوم بها عبيده (١) . وكان لمحمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ) ضيعة بها اشجار زيتون ، وأزواج بقر للحرث وخدم يقومون باستثمار ضيعته (٢) . وكان للقاضي عبد الله بن طالب الاغلبي (ت ٢٧٥) ضيعة واسعة بالساحل يقوم بها وكلائه ويعمل بها العديد من العبيد (٣) . ولا شك ان الرقيق الذين كانوا يستثمرون اراضي أصحاب الملكيات العقارية ، والوكلاء الذين كانوا يتولون الاشراف على الضياع كانوا يتمتعون بحماية سادتهم ، وقد يكون لهذا الارتباط بالارض الاثر العميق على انتشار العربية بين هذه الفئة ،كلغة للتفاهم والتخاطب .

وهناك أسلوب آخر من الاحتكاك يجعل اللغة العربية تنتشر بين الاهالي ، وهو العلاقة الموجودة بين الريف والمدينة لحاجة المدنية الى انتاج الريف ولحاجة الفلاحين الى بضائع المدينة . هذا الى الهجرة من الريف الى المدينة وفي سنوات الجفاف خاصة . وكل هذا يفضي الى توسع الولاء والى انتشار العربية .

ويروى عن البهلول بن راشد (١٢٨هـ - ١٨٢هـ) "كان عنده طعام ،فغلا السعر فباعه ثم امر ان يشترى له ربع نصف القفيز ،فقيل له في ذلك ،فقال : نفرح اذا فرح الناس ونحزن اذا حزنوا "(٤) .

---

(١) الرقيق ،ص ١٦٥-١٦٦ ،المالكي ،ج ١ ،ص ١٠٠ ،الدباغ ،معالم ، ج ١ ،ص ٢٣٤ .

(٢) المالكي ،ج ١ ،ص ٢١٦ .

(٣) الدباغ ،معالم ، ج ١ ،ص ٢١٦ .

(٤) تراجم ، أغلبية ، ص ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كتب محمد بن سحنون لرجل أراد اعانته رقعة الى صيرفي بعشرين دينار، وقال: "اشتر بها لاهلك ما يحتاجون" (١).

وكان اسماعيل المعروف بتاجر الله يتصدق بثلث ماله على المحتاجين (٢).

وروى محمد بن عمران القاضي ابي طالب "ولي القضاء، ومعه ثمانون ألف دينار، فلم يقبل حتى تصدق بجميعها ايام قضائه" (٣).

وكان أحمد بن علي بن حميد التميمي المتوفي سنة ٢٥١ هـ (كان أبوه وزير ابن الاغلب) يطعم المائتين من الناس في الفصول والعشرات (٤).

وتطوع محمد بن الاغلب (٢٢٦ هـ - ٢٤٢ هـ) لغذاء أسرة كاملة بخمسين قفيز قمح، ولعلف برذون صاحبها بخمسين قفيز شعير، وثلاثمائة رطل زيت للاكل والاضاءة (٥).

وهناك لون آخر من الاحتكاك، وهو اختلاط العلماء بكل فئات المجتمع المغربي، لأن النشاط الديني والتربوي لهذه الفئة من الفقهاء خلال القرنين الثاني والثالث خاصة لم يتخذ صبغة المهنة بل نجد افرادها يباشرون اعمالا مختلفة فمنهم التجار مثل اسماعيل بن عبيد الله وكان يتاجر بالرقيق (٦)، وكان لعبد الله بن فروخ الفارسي (١١٥ هـ - ١٧٦ هـ) حانوت (٧).

---

(١) تراجم، ص ١٨٢.
(٢) معالم، ج ١، ص ١٩٢.
(٣) تراجم، ص ٢١٥.
(٤) تراجم، ص ٣٢٣.
(٥) المالكي، ج ١، ص ٣١١.
(٦) أبو العرب، ص ٨٥.
(٧) المالكي، ج ١، ص ١٢٢، تراجم، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ترجمة الزاهد ابي عبد الرحيم المستجاب (ت ٢٤٧هـ) انــــه كان أول أمره تاجرا في سوق البزازين في القيروان (١) ، وكان العالــــم عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩ هـ) يبيع الكتان في حانوته (٢) .

وكان البهلول بن راشد يعمل بالاجرة عند أحد الخياطـــــين بالقــيروان (٣) .

وكانت بين عبد الجبار السرتي (١٩٤هـ - ٢٨١ هـ) من أصحـــاب سحنون ، وحمديس القطان " شركة في القطن يعملان في سوق الاحـــد فيه " (٤) .

وقال أبو العرب " قد حدثني بكر بن حماد قال : سمعت أبا عبـد الرحمن المقرى قال : قدمت افريقية سنة ست وخمسين ومائة وأنا وكيـــل لرجل من التجار " (٥) .

وكان عند هاشم بن مسرور التميمي (ت ٣٠٧هـ) ، ألف دينــــار فتصدق بها حتى لم يبق منها الا خمسة دنانير ، ثم اتجر بها الى ان عادت ألفا (٦) .

---

(١) المالكي ، ج١ ، ص ٣٢٧ .

(٢) أبو العرب ، ص ١٨٩ .

(٣) تراجم ، ص ٣٥ .

(٤) تراجم ، ص ٢٩٦ .

(٥) أبو العرب ، ص ١٦٣ .

(٦) معالم ، ج٢ ، ص ٣٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا شك ان احتكاك فئة العلماء بعامة الشعب يعلم مهنهم وخاصة التجارة كانت احد العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام والعربية في الشمال الافريقي .

وقد عرف الشمال الافريقي تطورا تجاريا منذ بداية القرن الثاني للهجرة وازدهر في القرنين الثالث والرابع . وكان النشاط التجارى يساعد على نشر الاسلام والعربية لا سيما في المناطق الصحراوية من المغرب وبصفة خاصة في المناطق جنوب الصحراء .

وقد تطورت العلاقات التجارية بين القيروان وبلاد السودان منذ عهد عبد الرحمن بن حبيب الفهرى الذى نظم طريق القوافل بين جنوب مراكش واود غشت وذلك بأن حفر عدة آبار ماء جديدة (١) . ويوضح ذلك ان العرب اعتنوا بأرض السودان وذلك للحصول على الذهب الى جانب جلب العبيد .

ويرد أول نص عن السودان الغربي عند ابن عبد الحكم ، وفي حديثه عن حملة جردت الى السوس الاقصى - أى جنوب مراكش والسودان (١١٦هـ) فقال : " وغزا عبيد الله بن ابي عبيدة الفهرى السوس الاقصى وارض السودان فظفر بهم ظفرا لم ير مثله وأصاب ما شاء من ذهب وكان فيما أصاب جارية أو جاريتان من جنس تسميه البربر اجان "(٢) .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ١٥٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ان انقطع السبي من افريقية ،كما اخبر عبد الرحمن بن حبيب الخليفة العباسي أبا جعفر أصبح السودان مصدرا بعد القيروان وبقية المراكز التجارية كتاهرت وسجلماسة بالرقيق والذهب .

وقد لعب الرقيق دورا هاما في المجال السياسي والاقتصادي خاصة ، ففي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة نرى ابراهيم بن الاغلب يتخذ الحرس من العبيد السود (١) . وكانت لتجارة الرقيق سوق خاصة بها وهي سوق البركة (٢) .

ولا شك ان جلب العبيد الى المراكز الاسلامية ادى الى انتشار الاسلام فيما بينهم ،بحكم الاحتكاك والاختلاط ،واقامتهم في البيوتات العربية . كما ان ذهاب التجار الى بلاد السودان ادى بدوره الى انتشار الاسلام في هذا الاتجاه ،فقد اشتهرت جوارى أودغشت بمزايا كثيرة منها المهارة في الطبخ . يقول الحميرى : " ويجلب منها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بمائة دينار كبار وأزيد لحسن عمل الاطعمة ، ولا سيما اصناف الحلويات مثل الجوزينيات، واللوزينجات، والقاهرات، والكنافات ،والقطائف ،والمشهدات، وأصناف الحلاوات ،فلا يوجد احذق بصنعتها منهن "(٣) .

ويحدثنا الحميرى أيضا عن تكرور فيقول : " واليها يسافر اهل المغرب الاقصى بالصوف والنحاس،ويخرجون منها بالتبر والخدم "(٤) .

---

(١) ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) عياض ،تراجم أغلبية ،ص ٢١٦ .

(٣) الحميرى ،الروض المعطار ، ص ٦٤ .

(٤) ن . م . ص ١٦٨ (تكرور مدينة بسجلماسة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان للتجارة شأن كبير في مدينة أودغشت وضواحيها قبل فتحها من قبل المرابطين ، فقد كانت تعد مدينة اسلامية ويخبرنا البكرى عن هذا الجانب في حياة المدينة فيقول : " بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلمون للقرآن "(١) .

وحين يتحدث عن ثراء هذه المدينة يقول انها تحتوى على أناس أثرياء ، أخلاط من العرب والبربر بالاضافة الى نفوسة ولواتة ونفزاوة قبائل بربرية اباضية وعندما يتكلم عن سوق هذه المدينة يقول انها عامرة بالناس في كل ساعة ، وكانوا يدفعون بالتبر (٢) .

ويبدو أن عدد السكان قد ارتفع مع تطور المدينة فأصبحوا يمثلون مع الزناتيين أهم فئات المدينة ، وهما فئتان في صراع مستمر (٣) .

ويورد ياقوت الحموى رواية عن اودغشت تفيد انها اسلمت على يد عبيد الله المهدى ، اذ يقول : " وأهلها مسلمون يقرأون القرآن ،ويتفقهون ، ولهم مساجد وحمامات، أسلموا على يد المهدى عبيد الله ،وكانوا كفارا يعظمون الشمس ،ويأكلون الميتة والدم "(٤) . ومن الارجح ان اسلام أودغشت تم في مراحل وبواسطة التجار الذين كانوا يفدون اليها ، فكان

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ١٥٨ .

(٢) ن . م . ص ١٥٨ .

(٣) ن . م . ص ١٥٨ .

(٤) ياقوت ، معجم ، ج ١ ،ص ٢٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مركزها التجارى يجلب اليها جاليات عربية من كل مكان مما أدى الـــى انتشار الاسلام فيها .

ولعل المرحلة الاخيرة كانت أيام عبيد الله المهدى (٢٩٦هـ) ، يقول البكرى عن رخاء المدينة " وسكانها أرباب نعم جزلة ، وأمـــوال جليلة . وبلغ الشـراء مستوى أصبح معه شخص واحد من سكان المدينـــة يملك ألف خادم وأكثر "(١) . وكان انتشار الاسلام والعربية فـــي اودغشت مثلا لدور التجار في هذا المجال .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ - ان ضرب الدولة الاموية للخوارج سنة ٧٧ هـ (١) ، يعتبر الدافع الاساسي لهجرتهم الى المغرب والبحث عن موئد يـن لمذهبهم في وسط البربر المسلمين (٢) .

ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله : " ولما فشا دين الخارجية في العرب ، وغلبهم الخلفاء في المشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم في البربر " (٣) ، وقد مهد للدعوة الخارجية الدعاة الذين أرسلوا الى المغرب من طرف أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة احد علماء الاباضية بالبصرة ، " وقد

(١) في سنة ٧٧ هـ قضت جيوش الامويين على حركة كبيرة قام بها الخوارج بقيادة شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي . وقد قامت هذه الحركة من أجل اقامة كيان لهم وعلى رأسها امام من بينهم ، ودوخت هذه الثورة جيوش الامويين اذ هزمت جيوش الكوفة ، وكتب الحجاج يستمد جيوش الشام لمحاربتهم . انظر الطبرى ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٩٤٣ ، EI. TIII, p.670-671.
وفي هذا العام أيضا كاد الامويون ان يقضوا على حركة الازارقة في المشرق حيث شتت المهلب بن أبي صفرة ، وسفيان بن الابرد ، قائدا جيوش الامويين ، شملهم بطبرستان وكرمان . انظر الطبرى ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١٠١٨-١٠٢٢ ، EI, TI, p.833-834 et T IV, p. 1107

(٢) الطبرى ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٨٤ ، وانظر عوض خليفات ، الاباضية في المغرب العربي ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخذ عنه خلق كثير ، وعنه حمل العلم الى المغرب والمشرق "(١) .

ومن أشهر الدعاة الذين نقلوا المذهب الى المغرب سلامة ابن سعد الاباضي الذى كان مجتهدا في نشر دعوة الاباضية في المغرب حتى قال : " وددت لو ظهر هذا الامر - يعني مذهب الاباضية - يوما واحدا من أول النهار الى آخره فلا آسف على الحياة بعده " (٢) . وعلى بعير واحد كما تقول بعض الروايات قدم عكرمة مولى ابن عباس يدعو الى مذهب الصفرية (٣) .

وكان عكرمة البربرى عالما من بحور العلم ، طلب العلم أربعين سنة (٤) . وعن طريقه انتشر المذهب الصفرى ، وساعد على ذلك استقراره بالقيروان وتدريسه للعلوم الاسلامية كالحديث والتفسير في جامع القيروان (٥) .

وعمل سلامة بن سعد على نشر مذهبه الاباضي ، ويبدو أن جهوده أعطت نتائجها في افريقية ، فقد اكتسب عددا من الاتباع

---

(١) الشماخي ، السير ، ص ٨٢ .

(٢) الدرجيني ، طبقات ، ج ١ ، ص ١٢ ، أبو زكرياء ، السيرة ، ص ٢٦ .

(٣) أبو زكرياء ، ص ٢٦ .

(٤) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، الدرجيني ، ج ١ ، ص ١١ - ١٢ ،
EI, T III, p. 1108

(٥) المالكي ، ج ١ ، ص ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخاصة في جبل نفوسة (١) . وأرسل واحدا منهم الى المشرق ، وهو أبو عبد الله مهد بن عبد الحميد بن مغيطر الجناواتي ، الذى قال فيه الشماخي : كان " شيخا فاضلا فقيها مفتيا وكان ممن أخذ عن أبي عبيدة مسلم ،ثم قدم بعده الخمسة المذكورون - يعني حملة العلم - . فانتقل عن الفتيا ،فقال : اني اخذت عن أبي عبيدة ولم يجز لي المأخوذ به عنده من الاقوال "(٢) .

وبذل ابن المغيطر جهودا مشهودة في نشر المذهب الاباضي خاصة في جبل نفوسة (٣) ،وأصبح بعد ذلك واليا على طرابلس للرستميين سنة ٢١١ هـ(٤) .

وكان دعاة الخوارج الاوائل الذين قدموا الى المغرب ، يبعثون من جد من طلابهم في هذا المذهب الى البصرة ، فقد بعث عبد الرحمن بن رستم الذى قام " مجتهدا في طلب ذلك الامر "(٥) ،فقال له رجل من اهل الدعوة " ان كنت تريد العلم بما كلفت به وعلقت مطلبه بخاطرك ،فدونك أرض البصرة ،فان بها رجلا عالما يكنى أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، فانك تجد عنده ما تطلب " (٦) .

---

(١) الشماخي ،ص ١٤٣ .

(٢) ن . م . ص ١٤٣ ، انظر أبو زكرياء ،السيرة ،ص ٧٧ ،الدرجيني ، ج ١ ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٣) ن . م . ج ١ ،ص ٧٦ .

(٤) ن . م . ج ١ ،ص ٧٦ - ٧٧ .

(٥) الدرجيني ،ج ١ ص ١٢ ،أبو زكرياء ، السيرة ، ص ٢٦ .

(٦) الدرجيني ،ج ١ ،ص ١٢ ،أبو زكرياء ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتوجه عبد الرحمن بن رستم الى البصرة مع ثلاثة من اهل المغرب ،وهم عاصم السدراتي ، وأبو داود القبلي النفزاوى ،واسماعيل ابن ضرار الفداامسي ، وانضم اليهم في البصرة داع خامس هو أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى اليمني . وقد مكث هؤلاء الدعاة في البصرة خمس سنين يتلقون العلم على يد علماء الاباضية ، وسموا بعد ذلك حملة العلم الاباضية (١) . وحين رجعوا هؤلاء الدعاة من المشرق قاموا ببث دعوتهم بين السكان ،وذلك بتنظيم مجالس تدرس فيها مبادئ الخارجية في أماكن سرية (٢) .

وتخرج في هذه المجلس عدد من العلماء واطلقوا عليهم تسمية تلاميذ حملة العلم ، ومن اشهرهم ، أبو خليل الدركلي ، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، ومحمد بن ياسين ، وعمر ابن يمكتن الذى فتح مكتبا لتعليم القرآن وتفسيره في جبل نفوسة (٣) .

ويبدو أن مجالس أخرى انشئت لتلقين السكان مبادئ الخارجية بهدف استمالة القبائل واكتساب مؤيدين للمذهب ، فحين أخرج عبد الرحمن بن رستم من القيروان سنة ١٤٤ هـ وقصد المغرب الاوسط لحق به ستون شيخا من شيوخ الاباضية من طرابلس (٤) .

---

(١) الدرجيني ،ج ١ ،ص ١٩ ، أبو زكرياء ،السيرة ، ص ٣٥ .

(٢) عوض خليفات ، نشأة الحركة الاباضية ،ص ١٣٧ .

(٣) الشماخي ،السير ، ص ١٤٢ .

(٤) الدرجيني ، ج ١، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ - ومن أهم العوامل التي أتاحت لدعاة الخارجية النجاح ، أوضاع المغرب المالية بحيث جعلت الكثير من البربر المسلمين يؤمنون بمبادئهم ويعملون من أجل تحقيقها (١) .

ولا يستبعد أيضا ان يكون هناك اسهام لخوارج مصر في نقل المذهب الخارجي الى المغرب (٢) .

وفي اوائل القرن الثاني للهجرة اتسعت حركة الخوارج من صفرية واباضية وكان لهذه الحركة انصارها من العرب والبربر المسلمين (٣) . وكان أول محرك لثورة الخوارج الصفرية في المغرب الاقصى سنة ١٢٢هـ، انحراف سياسة الوالي عبد الله بن الحبحاب في السبي والجباية (٤) ،

---

(١) انظر كتاب الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية لمحمد ضياء الدين الريس، ص ٢٤٦ - ٢٦١ ، حيث يقدم صورة لهذا النشاط في جمع المال والاشتطاط فيه على مستوى الدولة كلها في عهدى يزيد وهشام بن عبد الملك . وانظر أيضا كتاب الخلافة والدولة في العصر الاموى للدكتور محمد حلمي محمد أحمد ، ص ٢١٤-٢٤١ .

(٢) انظر القبائل العربية في مصر للدكتور عبد الله خورشيد ، ص ١٣٢-١٥٤ - ١٧٣ ، وانظر كذلك الولاة والقضاة للكندى ، ص ٦٤ - ٧٧، ٧٨ .

(٣) EI, T III, p.669-682

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٢٤٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥١ ، ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعسف عامله بطنجة عمر بن عبد الله المرادى الذى أساء السيرة تجاه البربر المسلمين وتعدى في الصدقات والعشر، كما اراد تخميس البربر " وزعم انهم فيء المسلمين، وهذا ما لم يرتكبه عامل قبله، وانما كان الولاة يخمسون من لم يؤمن منهم ولم يجب الى الاسلام "(١).
ويرى ابن عذارى ان التعسف والتجاوز كانا أولا محركين للثورة الصفرية في المغرب الاقصى (٢).

كما بدأت ثورة الخوارج الاباضية في المغرب الادنى في عهد الامير عبد الرحمن بن حبيب الفهرى (سنة ١٢٦هـ)، حين طبق عامله على طرابلس سياسة التعسف هذه فأخذه عبد الله بن مسعود التجيبي وقتله فاندلعت أول شرارة لثورة الاباضية التي لم تهدأ الا بعد عهد الوالي داود بن يزيد المهلبي (٣).

وتعرض المغرب لسياسة ضريبية قاسية، فحين عين على المغرب يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وخليفته على خراج العراق عزم هذا الوالي ان يسير في البربر " بسيرة الحجاج بن يوسف في اهل الاسلام الذين سكنوا الامصار، ممن كان اصله من السواد من اهل الذمة، فأسلم بالعراق، من ردهم الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم، على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم "(٤).

---

(١) الرقيق، ص ١٠٥، النويرى، ج ٢٢، ص ١٥ .
(٢) ابن عذارى، ج ١، ص ٥٢ .
(٣) ابن عبد الحكم، ص ٢٢٤ .
(٤) الطبرى، ج ٥، ص ١٤٣٥ ، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم زاد على ذلك بأن أراد ان يعلم للناس حرسه حتى يسرعوا لتنفيذ ما يأمرهم به ،فقام يوما خطيبا فقال : " أيها الناس اني قد رأيت ان اسم حرسي في ايديهم ،كما تفعل ملوك الروم بحرسها ، فاسم في يمين الرجل اسمه ،وفي يساره حرسي ،ليعرفوا في الناس بذلك من غيرهم فاذا دفعوا الى أحد أسرع فيما أمرته به "(١) .

فلما سمع حرسه ذلك احتجوا وقالوا : " جعلنا بمنزلة النصارى " (٢) وهذا يدل على تمسكهم بالاسلام حتى بأبسط الامور فقتلوه لشهر من ولايته (٣) . ثم كتبوا الى الخليفة يزيد يوضحون أسباب قتلهم لواليه ،بقولهم قد سامنا مالا يرضاه الله والمسلمون (٤) . كما أرسلوا اليه يقولون : انا لم نخلع ايدينا من الطاعة (٥) ،لانهم كانوا يؤمنون بأن طاعة الخليفة واجبة ، وقد يخالف العامل الذى ينوب عنه دون علمه،وقد عبر الطبرى عن هذا بقوله : " فما زالوا - يعني اهل المغرب - من اسمع اهل البلدان وأطوعهم الى زمان هشام بن عبد الملك ،أحسن أمة سلاما وطاعة " (٦) .

---

(١) الرقيق ،ص ٩٩ .

(٢) الرقيق ،ص ٩٩ .

(٣) الرقيق ،ص ١٠٠ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ٤٠٣ .

(٤) المؤنس ،ص ٣٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ٢٢١ .

(٥) الطبرى ، ج ٩ ، ص ١٤٣٥ .

(٦) الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٨١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكرر الظلم والتعسف في الجباية أيام امارة عبيد الله بن الحبحاب، وعامله بطنجة عمر بن عبد الله المرادي زمن الخليفة هشام بن عبد الملك ،فتردد البربر المسلمون حينذاك في أن يثوروا على الخلافة نفسها قائلين : "لا نعامل الخليفة بما تجني العمال .."(١). ورفعوا شكواهم الى الخليفة بدمشق وتوجه وفد من البربر المسلمين الى المشرق وكان من بضعة عشر رجلا بزعامة ميسرة المطفرى الذى سيقودهم في ثورتهم سنة ١٢١هـ(٢).

ويعطي الطبرى صورة حية لشكوى البربر المسلمين من سياسة العامل ،على لسان الوفد لمشاور الخليفة الابرش الكلبي بعدما يئسوا من مقابلتهم للخليفة . قالوا للابرش : "أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ،فاذا أصاب نفلهم دوننا ، وقال : هم أحق به ،فقلنا : هو أخلص لجهادنا ،لأننا لا نأخذ منه شيئا ، وقالوا : اذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا ،واخر جنده ،فقلنا تقدموا فانه ازدياد في الجهاد ، ومثلكم كفى اخوانه ، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم . . . ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال ، يطلبون الفراء لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك ،وخليناهم وذلك . ثم انهم سامونا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا ، فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ، ونحن مسلمون فأحببنا ان نعلم أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ . قال الابرش : نفعل "(٣).

---

(١) الطبرى ، ج٥ ،ص ٢٨١٥، ابن الاثير ، ج٣ ،ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) الطبرى ،ج٥ ،ص ٢٨١٥، ويقول ابن الاثير ، ج٣ ،ص ٩٣ (في بضعة وعشرين) ، ابن عذارى ، ج١ ،ص ٥٤ .

(٣) الطبرى ،ج٥ ،ص ٢٨١٥-٢٨١٦ ،انظر كذلك ابن الاثير ،ج٣ ،ص ٩٢ - ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا النص يدل على ان البربر المسلمين لم يكونوا يفصلون في حياتهم بين الدين والسياسة المالية التي كانوا يعاملون بها ، وهم يعتبرون انفسهم متساوين مع المقاتلة العرب في الواجبات والحقوق وكل تصرف يخالف ذلك فهو يعتبر في نظرهم خروجا عن الكتاب والسنة .

كما يلاحظ ان البربر المسلمين كانوا ينظرون الى جيوش الخلافة نظرة الاخوة (١) ، لذا رفضوا الاستماع الى قول الخوارج ان ما يفعله عمال الخليفة هو بأمر منه وعلى علم به . وقالوا : "لا نقبل ذلك حتى نبورهم (أى يختبرونهم) (٢) . وكان العامل الديني أقوى دافعا لاعتناق البربر المسلمين الخارجية والقيام بثورتهم ضد الظلم والتعسف . ولذا لا يمكن قبول الآراء التي تعطي حركات الخوارج دوافع مادية (٣) ، أو طابعا قوميا من السياسة العربية (٤) .

---

(١) انظر الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٨١٦ .

(٢) الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٨١٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

(٣) يقول بهذا الرأى المستشرق جوتيه ، انظر فجر الاندلس ، ص ١٩٠- ١٩١ أثناء عرضه لرأى جوتيه في ثورة الخوارج .

(٤) يقول بهذا الرأى ج . يفر والاستاذ محمد الفاسي - وجوتيه . انظر دائرة المعارف ، مادة البربر ، ج ٣ ، ص ٥٠١-٥٢٢ ، حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ١٩١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، ص ٣١٦ ، ٣١٨ . EI,TII,p.1213

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد أدرك هذه النزعة الدينية حنظلة بن صفوان الكلـــــبي فحاول استعادة الثوار الى الجماعة فأرسل اليهم كتابا من العلماء العشرة الذين كان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أرسلهم ليفقهـــوا أهل المغرب ، هذا نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم : مـــن حنظلة بن صفوان الى جميع أهل طنجة . أما بعد ، فان أهـــل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه - محمد صلى الله عليه وسلم - قالـــوا : انه يرجع جميع ما أنزل الله - عز وجل - الى عشر آيات : آمـــرة وزاجرة ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة ، ومخبرة ، ومحكمة ، ومشتبهة ، وحلال وحرام ، وأمثال . فآمرة بالمعروف ، وزاجرة عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة بخبر الاولين والآخرين ومحكمة يعمل بهـــا ، ومتشابهة يؤمن بها ، وحلال أمران يؤتى ، وحرام أمر أن يجنب ، وأمثال واعظة . فمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة ، وأنذرته المنذرة ، ومن يحلل الحلال ، ويحرم الحرام ، ويرد العلـــم فيما اختلف فيه الناس الى الله ، مع طاعة واضحة ، ونية صالحة ، فقـــد أفلح وأنجح وحيا حياة الدنيا والآخرة . والسلام عليكم ورحمة الله "(١) .

وهذا الكتاب يبرز طبيعة الصراع الذى كان بين ممثلي الخلافة وبين مسلمي المغرب الاقصى .

وتاريخ الخوارج في المغرب في الفترات الاسلامية الاولـــى يؤكد لنا ان اصرار الخوارج على تطبيق المبادىء كان أهم مـــن الاشخاص والنزعة القبلية . فقد عزل الخوارج ميسرة المطغرى الذى

---

(١) المالكي ، ج١ ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قاد أول ثورة خارجية في المغرب الاقصى عندما انكروا عليه بعض سلوكه ،وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي (١) . كما انكروا على عيسى بن يزيد الاسود مؤسس الدولة الصفرية بسجلماسة بعض أفعاله فقتلوه (٢) .

وما يوضح لنا أن العامل القبلي لم يكن هو المقياس الاساسي عند الخوارج في اختيار الرئيس أو الخليفة ما قالته شيوخ الاباضية للقبائل البربرية ، حين اختاروا موقع تاهرت مقرا وأرادوا تعيين رئيس عليهم : قد علمتم انه لا يقيم أمرنا الا امام نرجع اليه في احكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا صلاتنا ونؤدى اليه زكاتنا ويقسم فينا فقبلوا أمرهم فيما بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر يدبر أمر القبيل ويستحق أمر الامامة فقال بعضهم لبعض انتم رؤساء ولا نأمن ان يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته ولعل المقدم ان يرفع اهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد النيات ويكثر الاختلاف ويقل الائتلاف ولكن هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه وقد كان الامام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضيا وناظرا فقلدوه اموركم فان عدل فذلك الذى أردتم وان سار فيكم بغير العدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه ... "(٣) .

(١) ابن خلدون ، ج ٤ ،ص ١٨٩ ، انظر الرقيق ، ص ١١٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ٥٣ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٣٥ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٣٠ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٥٦ .

(٣) ابن الصغير ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا يتضح ان الاختيار كان يعتمد بالدرجة الاولى على الشخص الذى يلتزم بتطبيق المبادىء الاسلامية فيهم دون تمييز، فكان العامل الديني فوق جميع الاعتبارات فاختاروا عبد الرحمن بن رستم من اصل فارسي وأحد حملة العلم (١) .

٣ - وكانت القبائل التي أخذت بمبادىء الخوارج قد انتشرت في انحاء المغرب في اقليمي برقة وطرابلس وفي افريقية والمغرب الاوسط والاقصى .

وأكثر القبائل التي اعتنقت الخارجية كان من البتر الذين كانوا في حالة بداوة (٢) . وكانوا يترددون على المناطق الرعوية ، ويكونون غالبية السكان في القرى الصحراوية ،كما يوجد منهم بطون في أقاليم التل قرب طرابلس وفي سهول افريقية وجبال الاوراس (٣) . وانتشار الخارجية في القبائل البترية يعتبر احد العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام والعربية في المغرب في باديته وحاضرته .

فمن بين القبائل البترية التي اعتنقت الخارجية قبيلة نفزاوة ، ومن بطونها ورفجومة التي هي أشد بطون نفزاوة قوة وبأسا (٤) .

---

(١) ابن الصغير ،ص ٩ - ١٠ .

(٢) موسى بن نصير للدكتور ابراهيم أحمد العدوى، ص ٥٧ .

(٣) قيام الدولة المرابطية للدكتور حسن أحمد محمود ، ص ٣٣ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت ديارهم في المناطق الجنوبية من بلاد تونس ،وسميت هـذه المناطق باسمها ،كما كانت تقطن فيما يتاخم هذه المناطق من بلاد طرابلس شرقا وصحراء قسنطينة غربا وفي جبال الاوراس (١) .

واعتنقت نفزاوة المذهب الصفرى وكانت أشد القبائل تطرفا فيه ، وكان يتزعم هذه القبيلة في ثوراتها على الخلافة عاصم بن جميل الورفجومي وأخوه مكرّم ،وعبد الملك بن أبي الجعد النفزى ،ويزيد ابن سكوم الولهاصي (بطن من نفزاوة) ، وقاموا بثوراتهم على حبيب بن عبد الرحمن الفهرى سنة ١٤٠هـ واستولوا على القيروان الى أن اخرجتهم منها الاباضية بعد اعلان امامتهم (٢) .

وحين اختط عمر بن حفص طبنة سنة ١٥١هـ ،انزل ورفجومة بها ،فثاروا على يزيد بن حاتم المهلبي سنة ١٥٧هـ ، وأعلنوا خارجيتهم بزعامة قائدهم أبي زرجونة (٣) . وظلت ورفجومة طبنة تتقلب ما بين السنة والخارجية من صفرية واباضية (٤) .

---

(١) ابن خلدون ،ج٦ ،ص ٢٣١ .

(٢) انظر الرقيق ،ص ١٤١ ، ابن عذارى ، ج١ ،ص ٧٠ ، النويرى ،ج ٢٢ ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ابن الاثير ،ج٥ ،ص ٣١٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١١٤ - ١١٦ ، ج٤ ،ص ٤٠٩ ، نشأة الاباضية ، ص ١٤٦ ، المغرب العربي ،د . سعد زغلول ، ص ٣٠٥ - ٣٠٧ ، حسين مؤنس ، مجلة كلية الآداب ،القاهرة ،١٩٤٨ ، ج١ ،ص ١٨٥ .

(٣) ابن خلدون ، ج٦ ،ص ١١٥ .

(٤) ن . م . ج٦ ،ص ٢٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبيلة نفوسة كانت من أكبر قبائل البربر (١) . وكانت مواطنهم من جهات طرابلس وما يليها ، ود يارهم متصلة من حد طرابلس مما يلي القبلة الى قريب من القيروان (٢) ، وفي الجبل المعروف باسمهم جبل نفوسة وفي الجانب الشرقي من جبل د مر غربي برقة (٣) وحوالي قابس مع لماية وزواغة وزواوة وقبائل شتى (٤) .

وكان امام د فاعهم بعد مقتل الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار الاباضيين ، أبو الزجار اسماعيل بن زياد النفوسي الذى ثار على الوالي عبد الرحمن بن حبيب الفهرى وقتل عدد ا كبيرا من اتباعه سنة ١٣٢هـ واستطاع الاباضية بزعامة امامهم الجديد هذا أن يعيدوا سيطرتهم على مناطق واسعة من ولاية طرابلس كما استولوا ايضا على مدينة قابس وما جاورها (٥) . ويبدو ان نفوسة كلها اعتنقت الخارجية فيقول عنها اليعقوبي الذى زار المغرب في القرن الثالث الهجرى " وهم عجم الالسن اباضية كلهم " (٦) .

---

(١) ابن خلدون ،ج ٦ ،ص ٢٣٠ ، ١١٤ .

(٢) البلدان ، ص ٣٤٦ ، وابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١١٤ .

(٣) الجيش في الدولة الفاطمية ،ص ٦ .

(٤) المغرب ، للبكرى ، ص ١٧ - ١٨ .

(٥) ابن عبد الحكم ،ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ابن خلدون ،ج ٦ ،ص ١١٤ .

(٦) البلدان ، ص ٣٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسدراتة اعتنقت الاباضية ، وكانت هذه القبيلة تسكن جبل نفوسة والمنطقة الواقعة جنوب ورجلان ، وسميت هذه المنطقة باسمها (١) ، وكان زعيمها في حصار طبنة سنة ١٥٠هـ ،أحد حملة العلم الاباضية عاصم بن جميل السدراتي (٢) .

ولمزوزة اعتنقت الاباضية ،ومن زعمائها أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزى الذى كان امام دفاع الاباضية بطرابلس (٣) سنة ١٤٥هـ، وشارك في حصار طبنة سنة ١٥٠هـ (٤) .

ومزاتة أحد بطون لواتة (٥) كانت مواطنها حول قابس (٦) ، ويذكر اليعقوبي ان قبيلة مزاتة كانت اباضية كلها (٧) .

ولماية كانوا ظواعن بافريقية والمغرب وكانت مواطنهم بالمغرب الاوسط مما يتاخم الصحراء ،كما كان منهم من يقطن جربة وحوالي قابس (٨) .

---

(١) الجيشر في الدولة الفاطمية ،ص ٥ .

(٢) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٧٥ .

(٣) الشماخي ،السير ،ص ١٣٤ ، أبو زكرياء ، السير ،ص ٤٨ ،النويرى ، ج ٢٢ ،ص ٤٩ ،ابن الاثير ،ج ٥ ص ٥٩٨ .

(٤) ابن عذارى ،ج ١ ص ٧٥ ،النويرى ،ج ٢٢ ،ص ٤٩ وانظر ابن الاثير ، ص ٥٩٩ ،ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٢٥ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١١٦ .

(٦) البكرى ، وصف ، ص ١٧ ، ١٨ ، اليعقوبي ،البلدان ،ص ٣٤٧ .

(٧) اليعقوبي ،البلدان ،ص ٣٤٤ .

(٨) ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ٢٤٩ ،ومؤنس الاحبة في اخبار جربة لمحمد أبو رأس الجربي ،ص ٣٣ ، البكرى ،وصف ،ص ١٧ ، ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبين ابن خلدون خارجية لماية قائلا : " لما سرى دين الخارجية في البربر أخذوا برأى الاباضية ودانوا به وانتحلوه ، وانتحله جيرانهم من مواطنهم تلك ، من لواتة وهوارة وزواغة ... فكانوا جميعا على دين الخارجية وعلى رأى الاباضية منهم " (١) .

ولماية هي التي ساعدت عبد الرحمن بن رستم وبايعته بالخلافة حين نزوله عليهم وذلك لحلف قديم كان بينهما (٢) .

ومغيلة كانت جمهورين احدهما بالمغرب الاوسط عند مصب نهر شليف ، ومن ساحله أجاز عبد الرحمن الداخل الى الاندلس (٣) . والآخر بالمغرب الاقصى ومن رؤسائه أبو قرّة المغيلي الذى اتبع الصفرية من الخوارج ، وقد أسس أبو قرة امارة بتلمسان وملك اربعين سنة (٤) وبويع اماما سنة ١٤٨هـ (٥) .

كما كان منهم أبو حاتم يعقوب بن لبيب بن مرين ابن يطوفت الذى ثار مع ابي قرة سنة ١٥٠هـ واحتلا القيروان (٦) .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٤٦ .

(٢) ن . م . ج ٦ ، ص ١٢١ .

(٣) ن . م . ج ٦ ، ص ١٢٥ .

(٤) ن . م . ج ٦ ، ص ١٢٥ .

(٥) ن . م . ج ٧ ، ص ١٢ .

(٦) ن . م . ج ٦ ، ص ١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقارن ابن خلدون بينهم وبين قبيلة بني يفرن فيقول انهم كانوا اشهر بالخارجية من بني يفرن ،لأنهم كانوا صفرية (١) .

أما زناتة ،فيبين ابن خلدون مواطنهم فيقول : "ان مواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب ،فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى ، حتى ان عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس ، وضواحي افريقية ، وبجبل اوراس . . . والاكثر منهم بالمغرب الاوسط ، حتى انه ينسب اليهم ،ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الاقصى أمم اخرى "(٢) .

ومن رؤسائهم مسرور بن هاني الزناتي الاباضي الذى كان قائدا عليهم في حصار طبنة سنة ١٥١هـ(٣) . ووصل عدد جيشه الى عشرة آلاف من الاباضية (٤) . ومن فروع زناتة ،بنو يفرن الذين كانوا اوسع بطونها وأعظمها وأشدها شوكة (٥) . وكانوا بافريقية ، وجبل اوراس والمغرب الاوسط بين مدينة تلمسان وتيهرت(٦) . وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان (٧) التي تعتبر قاعدة المغرب

---

(١) ابن خلدون ،ج ٧ ،ص ١٢ .

(٢) ن . م . ج ٧ ،ص ٢ ، ٧ ، ٨ .

(٣) ابن عذارى ،ج ١ ،ص ٧٥ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٩٣ .

(٥) ن . م . ج ٧ ،ص ١١ ، ١٢ ، ١٧ .

(٦) الادريسي ، صفة الاندلس ،ص ٨٨ ،ابن خلدون ، ج ٧ ،ص ١١ ، ١٢ ، ١٧ .

(٧) ابن خلدون ،ج ٧ ،ص ١٢ ، ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاوسط ودار مملكة زناتة (١) .

ويقول ابن خلدون في خارجية بني يفرن : " ولما فشا دين الخارجية في العرب ، وغلبهم الخلفاء بالمشرق ، واستلحموهم نزعوا الى القاصية ،وصاروا يبثون بها دينهم في البربر ، فتلقنه روساوهم على اختلاف مذاهبه باختلاف روساء الخارجية في احكامهم ، من اباضية وصفرية ،ففشا في البربر ، وضرب فيه يفرن هولاء بسهم وانتحلوه ، وقاتلوا عليه "(٢) .

وكان أحد روسائهم بعد أبي قرة اليفرني ، أبو يزيد مخلد ابن كيداد النكارى اليفرني الذى جمع قومه من بني يفرن لقتال الشيعة سنة ٣٣١هـ(٣) .

وقد توزعت قبائل زناتة ما بين صفرية واباضية ،فمنهم من ناصر أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح الاباضي سنة ١٤٤هـ(٤)، ومنهم من ناصر عكاشة بن أيوب الفزارى وعبد الواحد بن يزيد الهوارى الصفريين في ثورتهما على حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٤هـ(٥) . وأكثر زناتة تجمعت مع أبي قرة اليفرني الصفرى في حصار طبنة سنة ١٥١هـ(٦) .

---

(١) البكرى ، وصف ، ص ٧٦ - ٧٧ ، ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٦٥ ، ٢٠٠ .
(٢) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١١ .
(٣) ن . م . ج ٧ ، ص ١١ ، ١٣ .
(٤) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ص ٤٥ .
(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٢-٢٢٣ ، الرقيق ، ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ .
(٦) ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١١ ، ١٢ ، ج ٤ ، ص ١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت مواطن مديونة بنواحي تلمسان ما بين جبل راشد الى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة ، يتقلبون بظواعنهم في ضواحيه وجهاته (١) ، وكانوا يجاورون في هذه المنطقة بني يفرن من جهة الشرق ومكناسة من ناحية المغرب (٢) .

ومن رجالاتهم المذكورين جرير بن مسعود المديوني الصفري ، كان أميرا عليهم في حصار طبنة سنة ١٥١ (٣) .

أما زواغة فكانت بنواحي طرابلس وجبالها متفرقة في براريها . ومن بطونها بنو دمر ، ولهم هناك الجبل المعروف بدمر جنوب بلاد طرابلس (٤) ، وكان هذا الفرع متفرقا في جبال طرابلس (٥) ، كما كان يقطن في جهات قسنطينة ومنه بنواحي فاس (٦) وبنو برزال فخذ من بني دمر وكانت مواطنهم جبل سالات وما اليهما من أعمال المسيلة (٧) وقد ذكرهم اليعقوبي بقوله : " واذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا صار الى قوم يقال لهم بنو برزال ، وهم فخذ من بني دمر من زناتة ، ثم الى قوم يقال لهم بنو دمر

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٤) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٢٩ ، والمقدمة ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

(٥) ن ٠ م ٠ ج ٧ ، ص ٥٢ .

(٦) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٢٩ .

(٧) ن ٠ م ٠ ج ٧ ، ص ٥٣ ، انظر كذلك البكري ، وصف ، ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من زناتة في بلد واسع ،وهم شراة كلهم "(١) .

ويبين ابن خلدون خارجية بنو برزال قائلا : "كانوا نكارية من فرق الخوارج "(٢) . وسبب اعتناقهم للمذهب النكارى نزول أبي يزيد النكارى عليهم سنة ٣٢٥ هـ ودعوته اياهم للالتحاق بمذهبه فالتفوا حوله (٣) .

أما مطغرة فكانوا أوفر هذه القبائل ، وكان جمهورهم بالمغرب منذ عهد الاسلام (٤) . وكانوا بالمغرب الاقصى بجبل جنوب فاس وسمي هذا الحبل باسمهم ، ومنهم بنواحي سجلماسة وأكثر أهل سجلماسة منهم وأغلبيتهم منتشرون بصحراء المغرب (٥) .

وقد شاركت مطغرة في فتح الاندلس واستقر بعضها هناك (٦) .

ويشير ابن خلدون الى انتشار الخارجية بينهم بقوله : " ولما سرى دين الخارجية في البربر أخذ مطغرة هؤلاء برأى الصفرية

---

(١) اليعقوبي ،البلدان ،ص ٢٥٣ .
(٢) ابن خلدون ، ج٧ ، ص ٥٣ .
(٣) ن . م . ج٧ ، ص ٥١ .
(٤) ن . م . ج٦ ،ص ١١٨ .
(٥) ن . م . ج٦ ،ص ١٢٠ .
(٦) ن . م . ج٦ ،ص ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان شيخهم ميسرة " (١) . ومن أهم الاسباب التي أدت بمطفرة المغرب الاقصى لاعتناق الخارجية الصفرية التعسف والظلم في الجباية ويبين ذلك ابن خلدون قائلا : " نقموا عليهم احوالهم وما كانوا يطالبونهم به من الوظائف البربريات والاردية المسلية الالوان وأنواع طرف المغرب فكانوا يتغالون في جمعها ذلك وانتحاله حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود المسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه فكثر عبثهم بذلك في اموال البربر وجورهم عليهم وامتحض لذلك ميسرة الحسن زعيم مطفرة "(٢) .

وكانت نتيجة هذا الظلم اندلاع ثورة بربر المغرب الاقصى سنة ١٢٢ هـ بزعامة ميسرة المطفرى ، فكانت أول ثورة فيه وفي افريقية في الاسلام (٣) ، وانفصل المغرب الاقصى عن الخلافة الاموية بمبايعة ميسرة بالامامة وسمي بأمير المؤمنين (٤) . وقد ترتب على هذا الانفصال ان أصبح المغرب الاقصى محطة الناقمين على الخلافة ، فقد وجد ادريس الاكبر سنة ١٧٢هـ في أهل المغرب الاقصى آذانا صاغية لدعوته وتشجيعا للقيام بدولته (٥) .

---

(١) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١١٨ .. Laoust, Les shismes, p. 42.

(٢) ن . م . ج٦ ،ص ١١٩ .

(٣) ابن عذارى ، ج١ ،ص ٥٢ .

(٤) ابن عبد الحكم ،ص ٢١٨ ، انظر ابن خلدون ،ج٤ ،ص ١٨٩ ،ج٦ ،ص ١١٩ .

(٥) ابن أبي زرع ، القرطاس ،ص ١٩ ،السلاوى ،الاستقصاء ، ج١ ،ص ١٥٣ ، ابن خلدون ، ج٦ ،ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت مكناسة تقطن في وادى ملوية ،من لدن أعلاه بسجلماسة الى مصبه في البحر ،وما بين ذلك من نواحي تازا وتسول (١) . كما كانت تسكن حول مليلة وتلمسان ،ويحتلون قلاعا كثيرة في جبل أوراس مع هوارة (٢) . وكان منها في تيهرت وحوالي مدينة قابس مع أوربة وهوارة ،ولهم مساكن كذلك في طبنة (٣) .

ويبين ابن خلدون خارجية مكناسة قائلا : " انهم كانوا يدينون لاول الاسلام بدين الصفرية من الخوارج ،ولقنوه على أئمتهم ورؤوسهم من العرب ، لما لحقوا بالمغرب ،واتتنوا على الاصقاع ،وماجت أقطار المغرب بفتنة ميسرة "(٤) . وشاركت مكناسة في حركة ميسرة سنة ١٢٢ هـ ، ثم في حركة خليفته خالد بن حميد الزناتي ثم توالت حركاتهم في المغربين الاوسط والاقصى (٥) .

وتخبرنا الروايات التي تتحدث عن تأسيس سجلماسة ان قوما من مكناسة من الصفرية اجتمعوا بالمكان فلما بلغوا أربعين رجلا قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الاسود ،وشرعوا في بناء المدينة سنة ١٤٠هـ . ودخل سائر مكناسة من اهل تلك الناحية في

---

(١) ابن خلدون ، ج٦ ،ص ١٢٩ .

(٢) ن . م . ج٦ ،ص ٢٧٣ .

(٣) البكرى ،وصف ، ص ٦٧ ،١١٧ ،١٤٤ ، والجيش في الدولة الفاطمية ، ص ٤ .

(٤) ابن خلدون ، ج٦ ،ص ١٢٩ .

(٥) ابن خلدون ، ج٤ ،ص ١٨٩ ، ج٦ ،ص ١١٠ - ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مذهبهم (١) . والذى حمل قومه على بيعة عيسى بن يزيد ،امامهم أبو القاسم سمكو بن واسول المكناسي (٢) .

ويذكر البكرى أن أبا القاسم هذا قد لقي بافريقية عكرمة مولى ابن عباس وسمع منه (٣) ، بينما يجعله ابن خلدون أحد حملة العلم من ارتحل الى المدينة فأدرك التابعين وأخذ عن عكرمة (٤) .

وقبيلة مطغرة ، فرع من فروع بني فاتن ، وكان عددهم كثيرا ، ود يارهم ما بين فاس وصفرو ، ومنهم بجهات قابس ، وجبل وانشريس ، وجبل كزول من نواحي تاهرت .

ومن مشاهيرهم النسابة سابق بن سليمان بن حرّاث بن مولات بن دوياسر المطماطي (٥) . ويصفه ابن خلدون بأنه كبير نسابة البربر (٦) . وكانت مطماطة ومكناسة وزناتة من القبائل البترية التي اعتنقت الخارجية (٧) . واذا كانت أغلب القبائل البترية قد اتخذت مذهب الخوارج ، فقد كان هنالك من البرانس من اعتنق الخارجية أيضا .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٢٩ .

(٢) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٣٠ .

(٣) البكرى ، وصف ، ص ١٤٩ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٠٥ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .

(٦) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .

(٧) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشهر قبائل البرانس هم : مصمودة وأوربة ،وكتامة ، وصنهاجة ، وأوريغة (١) . ومن أشهر بطون مصمودة برغواطة وغمارة ومواطنهم بالمغرب الاقصى (٢) . وكان لبرغواطة الغلبة والتقدم في أول الاسلام ومواطنها في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنفى واسفى (٣) .

ومن مشاهيرها طريف بن ملوك وابنه صالح ومعزوز بن طالوت القائمان بدعوة الصفرية ومن قواد ميسرة في ثورته سنة ١٢٢هـ . وقد أسس صالح بن طريف مملكة برغواطة سنة ١٢٧هـ بمنطقة تامسنا على ساحل البحر المحيط وهو من أنصار الدعوة الصفرية (٤) . وكان من أهل العلم والخير فيهم (٥) . ويبين ابن عذارى خارجية برغواطة قائلا : " وكان بالمغرب حينئذ قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج ، ولهم عدد كثير وشوكة كبيرة وهم برغواطة "(٦) .

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) ن . م . ج٦ ،ص ٢٠٦ .

(٣) انظر ابن خلدون ، ج٦ ،ص ٢٠٧ ، ابن عذارى ، ج١ ،ص ٢٢٣ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ج١ ،ص ١١٤ .

(٤) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٢٢٣ ، ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢٠٧ .

(٥) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢٠٧ .

(٦) ابن عذارى ، ج١ ،ص ٥٢ ، انظر كذلك الرقيق ، ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما غمارة فكانت مواطنهم ما بين سبته وطنجة وأغلبهم سكن جبال المغرب الاقصى (١) . وكانت الخوارج تقصد جبالهم للتحصن فيها (٢) . ومن مشاهيرهم في أول الاسلام يليان الغماري الذى أعان موسى بن نصير على فتح الاندلس (٣) .

ويشير ابن خلدون الى خارجية غمارة قائلا : "وعند ما بدأت فتنة الخوارج مع ميسرة الخفير أخذ بالخارجية الكثير من البربر من غمارة وغيرهم فزحف ميسرة الى طنجة وسبتة فأخرجوا العرب منها وسبوها وخربوها" (٤) .

ومن قبيلة أوربغة تنحدر هوارة التي يتفق نسابة البربر والعرب على انها من بطون البرانس (٥) . وكانت مواطنهم لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة (٦) . وكانوا ظواعن يتقلبون ما بين صحراء المغرب وبلاد كوكو من السودان (٧) . كما كانت طائفة منهم تنزل بجبال نفوسة (٨) . وكان لهم منازل من آخر عمل

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٠ ، والبكرى ، وصف ، ص ١٠٨ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١١ .

(٣) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١١ .

(٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٢ .

(٥) ن . م . ج ٦ ، ص ١٣٩ .

(٦) ن . م . ج ٦ ، ص ١٤١ .

(٧) ن . م . ج ٦ ، ص ١٤١ .

(٨) الادريسي ، صفة المغرب ، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سرت الى طرابلس (١) . ومنهم حول باغاية (بجاية) بجبل أوراس مع كتامة ولواتة (٢) ، كان بعضهم يسكن المغرب الاقصى (٣) . ومنهم من كانوا ظواعن ازاء تاهرت عاصمة الرستميين (٤) .

ويقول ابن خلدون فيهم : "وكان لهم في الخارجية والقيام بها ذكر ،وخصوصا بالاباضية منها "(٥) .

ومن مشاهيرهم القائد عبد الواحد بن يزيد الهوارى الذى شارك في انتفاضة سنة ١٢٤هـ في ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي (٦) . ويحيى بن فوناس الهوارى الذى ثار مع قومه على الأمير يزيد بن حاتم المهلبي سنة ١٥٦هـ (٧) .

كما ثارت هوارة على ابراهيم بن الاغلب سنة ١٩٦هـ واحتلت طرابلس (٨) . ووقفت هوارة جبل أوراس الى جنب أبي يزيد النكارى الثائر على العبيدين (٩) .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٣٤٦ .

(٢) اليعقوبي ،البلدان ،ص ٣٥٠ .

(٣) الادريسي ،صفة المغرب ،ص ٥٧ .

(٤) ابن الصغير ،ص ٢٤ ، والباروني ،الازهار الرياضية ،ج ٢ ،ص ١٣٣ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٤١ .

(٦) ن ٠ م ٠ ج ٦ ،ص ١٤١ .

(٧) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٤١ .

(٨) ن ٠ م ٠ ج ٦ ،ص ١٤١ .

(٩) ن ٠ م ٠ ج ٦ ، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعد صنهاجة من أكثر القبائل بطونا في المغرب الاقصى حتى قال عنها ابن خلدون انه لا يكاد يخلو قطر من أقطاره من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط (١) كما زعم الكثير من الناس انهم الثلث (٢) . وذكر مؤرخو البربر ان بطونهم تنتهي الى سبعين بطنا (٣) . وكانت مواطن هذه القبيلة ما بين المغرب الاوسط وافريقية (٤) . ونزل بعضهم في المغرب الاقصى وحول تلمسان ، وفي سجلماسة والسوس الاقصى قرب سبتة ، وفي الطريق من تيهرت الى أودغشت (٥) . كما كانوا يشاركون غيرهم من البربر في سكنى جبل درن (٦) .

واعتنق بعض صنهاجة الخارجية فاشتركوا في ثورة ميسرة المطفرى (٧) ، وكان زعيمهم في حصار طبنة عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفرى (٨) ، كما ثاروا قبل ذلك على عبد الرحمن بن حبيب الذى اقتطع المغرب الاوسط وافريقية بزعامة ثابت الصنهاجي

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٥٢ .

(٢) ن . م . ج ٦ ، ص ١٥٢ .

(٣) ن . م . ج ٦ ، ص ١٥٢ .

(٤) ن . م . ج ٦ ، ص ١٥٢ .

(٥) ن . م . ج ٦ ، ص ٢٠٥ ، والحبشر في الدولة الفاطمية ، ص ٦ .

(٦) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، البكرى ، وصف ، ص ١٦٠ .

(٧) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٨) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ٧٥ ، وابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنة ١٢٧هـ (١) ، والظاهر ان ابن خلدون يقصد هذه الثورة حين يعلق عليهم بقوله : "وكان لهم في الردة ذكر وفي الخروج على الامراء شأن" (٢) .

وبقي من قبائل البرانس المشهورة كتامة التي كانت مواطنها من أرياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل أوراس من ناحية القبلة (جنوبا) (٣) ، وفي سطيف وباغاية وميلة وقسنطينة والقل وجيجل من حدود جبل أوراس (٤) . والكثير منها كان بالمغرب الاقصى ما بين طنجة وفاس (٥) .

وأوربة كانت مواطنها بين مليانة وتلمسان ، وكذلك جنوبي الريف(٦) وهذه القبيلة وكتامة لم يرد لهما ذكر في حركات الخوارج، فكتامة انضمت تحت لواء الفاطميين (٧) وأوربة انضوت تحت لواء الادارسة (٨) .

---

(١) الرقيق ،ص ١٢٦ ، وابن عذارى ، ج ١ ،ص ٦١ ، وابن خلدون ،ج ٤ ، ص ١٩٠ .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٥٢ .

(٣) ن . م . ج ٦ ، ص ١٤٨ .

(٤) ن . م . ج ٦ ،ص ١٤٨ و ج ٤ ،ص ١٩٣ ، والبكرى ، وصف ، ص ٦٤-٦٥ ، ٨٢ - ٨٣ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٤٨ ، والبكرى ، وصف ، ص ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ،

(٦) الجيش في الدولة الفاطمية ، ص ٩ .

(٧) ابن عذارى ،ج ١ ص ١٢٤-١٢٨ ،ابن خلدون ، ج ٦ ،ص ١٤٨ ، ١٤٩ ،ج ٤ ، ص ٣١ وما بعدها ، كتاب السير ،ص ١٠٩ وما بعدها .

(٨) السلاوى ،ج ١ ،ص ١٥٣ ،ابن أبي زرع ،ص ١٩ وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٧ ، ج ٤ ،ص ١٢ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يرد بين تراجم أعلام الحركة الثقافية والادبية في القيروان وتونس ذكر لشخصيات من الخوارج ،علما بأن دولتي الخوارج الاباضية والصفرية قد ساهمتا بقسط كبير في نشر الاسلام والعربية بين البدو الرحل في الصحراء بحكم وجودهما في منطقة نائية بعيدة عن مركز الخلافة .

٤ - كان الموقع الجغرافي عاملا من العوامل التي ساعدت على نشر الاسلام والعربية بين القبائل البربرية في المغربين الاوسط، والاقصى وسجلماسة . فقد بني عبد الرحمن بن رستم معسكره في مكان تسكنه قبائل بربرية من مراسة وصنهاجة ، ففاوضهم عبد الرحمن بن رستم على البيع فأبوا ،فاتفق معهم ان يؤدوا اليه الخراج من الاسواق ، وأباح لهم أن يبنوا المساكن فاختطوا وبنوا (١) . وبهذا لم تبعد العاصمة الاباضية الجديدة عن تاهرت القديمة سوى تسعة كيلو مترات ،وكانت تاهرت هذه قريبة من جبل وانشريس الذى كانت تسكنه قبائل بربرية شتى (٢) .

وكانت تاهرت القديمة آهلة بالسكان (٣) وتقع بجوار منطقة سهوب شاسعة صالحة للرعي ، مما ساعد على الاختلاط والتمازج بين المقر الرستمي المستعرب المتمثل في معسكر عبد الرحمن بن رستم وبين القبائل الساكنة حوله ، مما جعل من تاهرت الجديدة

---

(١) ياقوت ، معجم ، ج٢ ،ص ٩ .

(٢) الادريسي ، صفة ،ص ٨٥ .

(٣) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مركز اتصال مستمر بين البدو الرحل وسكان القرى وسهل بذلك عملية التعريب بحكم الاختلاط الناجم عن الجوار والتبادل التجارى (١) .

ولم تكن العاصمة الرستمية الجديدة في المنطقة كثيفة بالسكان فحسب ، بل كانت في منطقة خصبة ايضا تشجع على الاستقرار اذ تقع تاهرت الجديدة على نهرين ، نهر مينيه الذى يمر بها ويصب في وادى شلف ، ونهر آخر يجرى من عيون تتجمع مياهها ويسمى تاتش (٢) ، فكان لهذين النهرين دور كبير في احياء الزراعة وازدهارها وفي استقرار البدو الرحل حولها وتعريبهم .

ولم تمر فترة طويلة على نزول الاباضية في هذا المكان حتى اتسعت الحركة العمرانية (في عهد عبد الرحمن بن رستم) فشرعت القبائل البربرية في البناء والعمارة ، واحياء الموات ، وغرس البساتين واجراء الانهار واتخاذ الارحاء والمستقلات ، مما ساهم في اتساع البلدة وتوسع مرافق التنزه فيها (٣) .

وكان سكان المدينة وضواحيها في بداية تأسيس الدولة الاباضية يقتصرون على القبائل البترية التي ساندت سلطة عبد الرحمن بن رستم (٤) ، وكان اقبالها على الاستقرار بعد ان كانت غالبيتها بدوا رحلا ، خطوة كبيرة نحو تعريبها وتثقيفها . فقد

---

(١) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢٤٧ ، الاستبصار ، ص ١٧٨ .

(٢) الاستبصار ، ص ١٧٨ .

(٣) ابن الصغير ، ص ١٢ .

(٤) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استقرت لماية ولواتة جنوب تاهرت وغربيها . كذلك فعلت مطماطة وزناتة ومكناسة (١) ، بالاضافة الى قبائل اخرى كانت تنزح اليها وتقيم حولها في فصل الربيع لتوافر المرعى . ويذكر ابن الصفير أسماء هذه القبائل قائلا : "ان قبائل مزاتة وسدراتة ، وغيرهم كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب ، وغيرها في اشهر الربيع الى مدينة تاهرت واحوازها لما حولها من الكلاء وغيره "(٢) .

أما نفوسة فكان لها عدة احياء تسمى بأسمها داخل مدينة تاهرت مثل عدوة نفوسة ودرب النفوسيين (٣) . وحين يتكلم اليعقوبي عن هذه القبيلة البترية يقول انهم اباضية كلهم (٤) ، كما ذكر ما يشبه ذلك عن قبيلة مزاتة (٥) .

وكان لهذه القبائل البترية المعتنقة الخارجية (٦) والمستقرة في المدينة أو النازحة الى ضواحيها في أيام الربيع ، دور هام في حياة تاهرت السياسية والدينية . فقد طلب رؤساء هذه القبائل من الامام عبد الوهاب ان يعزل قاضيه وصاحب بيت المال ، وصاحب الشرطة وحين أبى حصلت الفتنة (٧) . وهذا التفاعل السياسي

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٣٦ وانظر البكرى ، وصف ، ص ٦٧ ، ياقوت ، معجم ، ج ٢ ، ص ٨ .
(٢) ابن الصفير ، ص ١٧ .
(٣) ابن الصفير ، ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦ .
(٥) ن . م . ص ٣٤٤ .
(٦) انظر البحث الذى سبق عن ذكر القبائل البترية التي اعتنقت الخارجية .
(٧) ابن الصفير ، ص ١٧ ، ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين المدينة والريف يشير الى أن حركة التعريب كانت تسير في وقت واحد في المدينة والريف .

وبالاضافة الى القبائل البترية نزحت جماعات عربية من الامصار الاسلامية الى تاهرت فكانت لها خطط ، وشجعها على ذلك ازدهار المدينة الاقتصادى ، وينتظر ان يكون لهذه البيوت العربية دور هام في حركة التعريب .

وقد شجع بنو رستم هذه الهجرة العربية ،وبنى العرب الدور والمساجد ،ويقول ابن الصغير في ذلك : "وانتهم(يعني الرستميين) الوفود من كل الامصار ، واقصى الاقطار فقال ليس أحد ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين اظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله ،حتى لا ترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان القروى ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين "(١) .

وأكبر هذه الهجرة كانت هجرة الكوفيين حتى أصبح يطلق على تاهرت عراق المغرب (٢) . وحين زار اليعقوبي تاهرت وصفها بأنها مدينة عظيمة جليلة المقدار تسمى عراق المغرب ولها أخلاط من الناس (٣) .

---

(١) ابن الصغير ، ص ١٣ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٣ .

(٣) ن . م . ص ٣٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرفت المدينة في أول أمرها وحدة المذهب وحسن سيرة الامام في رعيته حتى طار صيته في المغرب والمشرق (١) ، وكان هذا عامل ازدهار للتجارة والاقتصاد وعونا على تثبيت الاسلام والعربية .

وقد ساعد اباضية البصرة هذه الدولة الفتية فأرسلوا اليها الوفود والاحمال من الاموال (٢) . ويقول ابن الصغير في ذلك : " ثم لم تزل الرسل تختلف وتطلع الاخبار عن الاحوال والبلد زادت عمارتها في ذلك بما يجب واهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في اوان الطعام فيقبضون اعشارهم في هلال كل عام من الشاة والبعير يقبضون ما يجب على اهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون " (٣) . وكان من الطبيعي ان تحصل الدولة الرستمية على هذا التأييد فقد اعتبرها اباضية البصرة نواة لدولة اباضية كبرى تضم المشرق والمغرب (٤) . كما اطمأنت القبائل البربرية التي اعتنقت المذهب الاباضي الى ان المبادئ التي امنت بها وثارت مرارا من أجلها قد طبقت في هذه الدولة فالتفت حولها وآزرتها . والاهم من ذلك بالنسبة لتاريخ شمال افريقية في

---

(١) ابن الصغير ، ص ١٥ .

(٢) ن . م . ص ١٥ .

(٣) ن . م . ص ١٥ .

(٤) انظر الرسائل التي كان يبعثها أبو عبيدة من البصرة الى الخوارج في المغرب في أبو زكرياء ، السير ، ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرن الثاني للهجرة هو ميلاد المغرب الاوسط الاسلامي .

وقد اشتهرت مدينة تاهرت بالأمن على النفس والمال فهاجر اليها التجار من المغرب والمشرق (١) . كما أصبحت ذات شأن في دائرة التبادل التجارى بين بلاد السودان والمغرب والمشرق، وسواحل الابيض المتوسط ، ويصف ابن الصغير هذا النشاط التجارى قائلا : " واستعملت السبل الى بلاد السودان والى جميع البلدان من المشرق والمغرب بالتجارة وضروب الامتعة فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون "(٢) .

وأبدى الائمة الرستميون اهتماما كبيرا بالتجارة ، فقد أخرج الامام أبو اليقظان ابنه أبا حاتم في جيش مع وجوه زناتة ليحموا قوافل قد اقبلت من المشرق وفيها أموال لا تحصى ، قد خافوا عليها من قبائل زناتة (٣) .

وينتظر ان ينتشر التعريب في المناطق الواقعة على الطرق التجارية . وكانت تاهرت ملتقى مهما للقبائل الرحل التي كانت تأتي لبيع ماشيتها ولشراء البضاعة المستوردة من بلاد السودان والمشرق (٤) .

---

(١) ابن الصغير ،ص ١٣ .

(٢) ن . م . ص ١٣ .

(٣) ن . م . ص ٥٠ .

(٤) M. Marcais, La revue africane , p. 30.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتظر ان يرافق هذا الاتصال التجارى توسيع لنطاق العربية .
وبلغت تاهرت أوج ازدهارها الاقتصادى والتجارى ايام الامام أفلح ابن عبد الوهاب فزاحم التجار والقادمون من افريقية من عرب وغيرهم ، أهل المدينة فاتسعت وشدّت اليها الضواحي والارياف المجاورة لها (١) . كانت هذه الصلات من العوامل التي تسرع في عملية التعريب في المدينة والريف في وقت واحد .

ولم يكن استقرار العرب بين الاباضية العامل الوحيد في تنشيط حركة التعريب ، فهناك القوافل السنوية التي تخرج الى الحج وتعتبر عاملا مهما في عملية التعريب . وكانت جموع نفوسة تخرج الى الحج نساءا ورجالا وأطفالا (٢) ، وطبيعي ان تكون هذه الرحلة الطويلة ، والاقامة بالامصار العربية ، من العوامل التي تساعد على تعلم اللغة العربية ، لغة القرآن والاحكام الشرعية .

وكان التعرض لقوافل الحجاج والتجار العرب سبيلا لتعلم المبادىء الاولية للكتابة . وكمثل لذلك ما جاء في ترجمة عمر بن يمكتين (ت ١٤٤هـ) ، عامل ابي الخطاب الاباضي المعافرى على سرت ، قال الشماخي : " ان أول من علم القرآن بجبل نفوسة عمر بن يمكتين علمه بمنزل يقال له ايفاطمان . قال : ويقال ان عمر بن يمكتين انما تعلم القرآن بطريق مغمداس يتلقى فيها السابلة والمارة من المشرق ، فيكتب عنهم لوحة من القرآن ، وينصرف ، فاذا

---

(١) ابن الصغير ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) ابن الصغير ، ص ٢٧ ، ٤٦ - ٤٧ ، والدرجيني ، طبقات ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حفظه رجع الى المحجة ، فيكتب من المارة والرفاق ، كذلك دأبه حتى حفظ القرآن وتعلم العلم ... قال : وذلك لحرصه على طلب العلم والقرآن في اول الاسلام وقلّة المعلّمين في البلدان "(١) .

وهذا يبين عدم وجود كتاتيب في جبل نفوسة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ،لذا لجأ المستعربة من الاهالي الى طرق أخرى كالتوجه للقوافل وبذل جهود فردية . ومكن الوضع اخلاق هجرة ، اذ ظهر عدة علماء من البربر في النصف الثاني لهذا القرن . حدّث أبو ربيع سليمان ابن يخلف ان عبد الرحمن بن رستم لحقه بسوق اجج ستون شيخا من مشائخ الاباضية من طرابلس(٢) .

وأصبح جبل نفوسة مركزا هاما للثقافة الاباضية(٣) ، فقد كان أبو عبيدة الجناوني عامل الامام عبد الوهاب قد أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة ، وأحسن ثلاث لغات : البربرية والعربية والكانمية (لغة كانم ببلاد السودان) (٤) ، كما مكث الامام عبد الوهاب سبع سنين بجبل نفوسة يعلّم فيها مسائل الصلاة(٥) .

(١) الشماخي ، السير ،ج ١ ، ص ٢٧ .

(٢) أبو زكرياء ، السير ، ص ٦٤ .

(٣) أبو زكرياء ، السير ،ص ٦٧ - ٧٣ ، وانظر فهرس تراجم علماء نفوسة في الدرجيني ، طبقات ، ج ٢ .

(٤) الدرجيني، ج ٢ ،ص ٢٩١ ، و ج ١ ، ص ٧١ .

(٥) أبو زكرياء ،السير ، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ - ويبدو أن دخول البربر في المذهب الاباضي ساعد على التعرض للعربية لغة وثقافة ، ويشار ابتداء الى رحلة ثلاثة من حملة العلم الاباضية منذ بداية القرن الثاني للهجرة والتي قام بها كل من عاصم السدراتي واسماعيل ابن دردار الغدامسي ،وأبو داود القبلي النفزاوى ، ثم انضم اليهم أبو الخطاب المعافرى من اصل عربي وعبد الرحمن بن رستم من اصل فارسي (١) . وكان حملة العلم الثلاثة الذين هم من اصل بربرى النواة الاولى التي وضعت الاسس التعليمية في الارياف المغربية مثل سدراته وغدامس ونفزاوة .

ويرجع الفضل في ازدهار العلوم الدينية والادبية في المغرب الاوسط الى الائمة الرستميين ، " فكان بيت الرستميين بيت العلم في فنونه من الاصول ،والفقه ،والتفسير ، وعلم اختلاف الناس ، وعلم النحو ،والاعراب والفصاحة وعلم النحوم "(٢) .

وكانت تاهرت وثيقة الصلة ثقافيا مع المدن الاسلامية مثل الفسطاط والقيروان وقرطبة وبغداد نفسها . فنرى احد شعرائها بكر بن حمّاد الزناتي يمدح المعتصم العباسي ،ويأتي ذكره مع أشهر شعراء البلاط العباسي آنذاك (٣) . واذا كانت للقيروان وتونس في عهد الاغالبة علاقات ثقافية قوية مع الاقطار الاسلامية

---

(١) أبو زكرياء ،السير ،ص ٣٥ ، الدرجيني ، طبقات ، ج ١ ، ص ٧ .

(٢) أبو زكرياء ، السير ،ص ٦٥ ، والدرحيني ، طبقات ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٣) الدباغ ، معالم ، ج ٢ ،ص ٢٨١ - ٢٨٥ ، انظر ياقوت ، معجم ، ج ٢ ،ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ،ص ١٥٣ - ١٥٤ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل الحجاز والشام ومصر وبغداد (١) ،فان الحركة الثقافية بتاهرت كانت ترتبط ارتباطا متينا بالفكر الخارجي في المشرق ولا سيما البصرة (٢) ، فمثلا كانت مجادلات أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ الخوارج بالبصرة مع واصل بن عطاء زعيم المعتزلة ، تصل الى تاهرت وتشغل علماءها أسابيع طويلة (٣) .

وقد ساهم الائمة الرستميون بقسط كبير في نشر الثقافة الاسلامية في المغرب الاوسط والادنى ،اذ كانوا يعدّون في طليعة العلماء فأتصف جلّهم بالورع والعلم (٤) ، لأن المذهب كان يشترط في الامام العلم والتقوى (٥) . وأشهر هؤلاء : الامام أبو اليقظان محمد بن أفلح (٢٥٨ هـ - ٢٨١ هـ) (٦) . فقد شغفت به نفوسة الجبل وكانت لا تعدل بولايته الا ولاية جدّه عبد الرحمن بن رستم حتى صارت باب داره كالمسجد يسهرون حوله ، طائفة يصلون ، وطائفة يقرؤون القرآن ،وطائفة يتحدثون في فنون العلم (٧) .

---

(١) انظر الفصل الخامس : عن الحركة الثقافية في افريقية .

(٢) أبو زكرياء ،السير ،ص ٦٥ ،الدرجيني ، ج ١ ،ص ٧ .

(٣) الدرجيني ، طبقات ، ج ٢ ،ص ٢٤٦ .

(٤) انظر عن الائمة الرستميين : ابن الصغير المالكي في أخبار الائمة الرستميين .

(٥) ابن الصغير ، ص ٩ - ١٠ .

(٦) زمباور ،معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ،ج ١ ،ص ٩٩ .

(٧) أبو زكرياء ،السير ،ص ٩٨ ، وانظر الدرجيني ،طبقات ،ج ٢ ،ص ٨٣-٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن فترة أبي اليقظان كانت فترة ازدهرت فيها العلوم والثقافة الاباضية في كل من تاهرت وطرابلس ،وأصدق قول عن فترة حكم هذا الامام ما قاله ابن الصغير الذى عاصره وأرخ للدولة الرستمية . قال : " وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان حتى انها اقامته في دينها وتحليلها وتحريمها مثل ما أقامت النصارى عيسى بن مريم ،وكان أكثرهم لا يحج الا باستئذانه وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الاذن منه ، وكان اذا ضرب سرداقه وأتته وفودهم (أى نفوسة الجبل) لا ينامون الليل حول فسطاطه شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حول فسطاطه حتى الفجر "(١) .

ولم يكن الامام الاول مؤسس الدولة الرستمية ،عبد الرحمن بن رستم (١٤٤ هـ - ١٦٨ هـ) (٢) ، أقل منزلة علمية من حفيده ، فكان أحد حملة العلم والزعيم الديني والعسكرى والمسؤول عن صرف أموال الدولة ،كما كان يعتبر القاضي الشرعي . فقد جلس في مسجده " للأرملة والضعيف ولا يخاف في الله لومة لائم "(٣) .

وقد ساهم بعض الائمة في الحركة الفكرية ، وخاصة الدينية ، مساهمة فعالة ،وان لم يترك لنا الامام عبد الرحمن بن رستم تآليف(٤) ، فقد ألف ابنه عبد الوهاب (١٦٨ هـ - ٢٠٨ هـ) (٥) .

---

(١) ابن الصغير ،ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢) زمباور ،معجم الانساب ،ج ١ ،ص ٩٩ .

(٣) ابن الصغير ،ص ١٣ .

(٤) ابن الصغير ،ص ١٧ .

(٥) زمباور ،معجم ،ج ١ ،ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذى صنّفه الدرجيني في الطبقة الرابعة من العلماء الاباضية (١) ، كتابا اطلع عليه ابن الصفير ، وعرف باسم " مسائل نفوسة الجبل " ، وهو يحتوى على مجموعة من الاجوبة عن مسائل اشكلت على أهل الجبل. ويذكره ابن الصفير في اخبار الائمة قائلا : " وكان هذا الكتاب في الايدى الاباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن الى ان لحق الفصل فأخذته عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه "(٢) . ويبدو ان المسائل الفقهية كانت احد اهتمامات هذا الامام فقد ذكر أبو زكرياء ما يلي : " وبلغنا ان عبد الوهاب، رضي الله عنه ، سمر ذات ليلة ، هو وأخوه يتعلمان مسائل الفرائض فلم يصبح عليهما الا وهما يورثان اهل المشرق والمغرب "(٣) .

وجدّ محمد بن أفلح في التأليف فيذكر الشماخي انه ألف كتبا كثيرة ووضع في الاستطاعة وحدها اربعين كتابا (٤) . ويبدو ان بعض هذه الكتب كانت تحوى المناظرات والكلام في الجدل والرد على المخالفين للمذهب ، فقد ذكر أبو زكرياء انه ألف كتبا كثيرة في الرد على المخالفين ، وقوّمت هذه الكتب فبلغت قيمتها سبعة عشر دينار (٥) ، وعن أبيه الامام افلح كان الناس يأخذون فنون

---

(١) الدرجيني ، ج ١ ، ص ٧ .

(٢) ابن الصفير ، ص ١٧ .

(٣) ابو زكرياء ، السير ، ص ٦٥ .

(٤) الشماخي ، السير ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٥) أبو زكرياء ، السير ، ص ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم قبل بلوغه (١) ، وكان يجلس لاربع حلق وذلك قبل بلوغه الحلم (٢) .

ولم تكن اهتمامات الائمة منصبة كلها على الناحية الفقهية ، بل ساهم بعضهم في الحركة الادبية ، فقد اهتم الامام أبو بكر بن أفلح (٢٥٨هـ) (٣) بالادب والشعر ، وعن ابن الصغير قال : " فلما ولى أبوبكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن قبله من ابائه ولكن كان سمحا جوادا لين العريكة يسامح اهل المروات ويشايعهم على مرواتهم ويحب الادب والاشعار واخبار الماضيين . . " (٤) .

وقد نبع الامام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي (٢٣٨ هـ - ٢٤١هـ) في الشعر التعليمي وله قصيدة يبين فيها فضائل العلم ومزاياه مطلعها :

العلم ابقى لاهل العلم آثارا يريك اشخاصهم زوجا وأبكارا (٥)

وقد بذل الائمة الرستميون الاموال في جلب الكتب من المشرق ، ونسخها ، وبخاصة الكتب التي تتعلق بالمذهب . ويقول الدرجيني : " وبلغنا ان عبد الوهاب بعث ألف دينار الى اخوانه

---

(١) الشماخي ، السير ، ص ٢٢٢ .

(٢) الدرجيني ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٣) زمباور ، معجم ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(٤) ابن الصغير ، ص ٣١ .

(٥) الباروني ، الازهار ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالبصرة ليشتروا له بها كتبا ،فاقتضى نظرهم ان يشتروها ورقا وتطوعوا بالمداد وأجرة النساخ والمفسرين ، حتى اكملوا ديوانا عظيما فبعثوا به اليه فشق جميع الديوان ،فقال الحمد لله اذ ليس فيه مسألة غربت عني الا مسألتان ولو سئلت عنهما لأجبت قياسا على نظائرهما ووافقت الصواب "(١) ، وبلغ عدد هذه الكتب المنسوخة وقر ٤٠ جملا (٢) .

ان علم الائمة ومساهمتهم في حركة التأليف بتاهرت وجلب الكتب من الشرق ،جعلهم ينشؤون مكتبتهم المعصومة ، ويبدو ان هذه المكتبة كانت تحوى مصنفات في جميع العلوم وبالاخص مصنفات في المذهب الاباضي ،فلما دخل عبد الله الشيعي الى تاهرت احرق كتب الدعوة الاباضية ، وترك كتب الرياضيات والمصنفات التي تعالج شؤون الحكم (٣) .

وقد أفسح تسامح الائمة الرستميين المجال للحركة الفكرية ، فنجد أكثر من مذهب في تاهرت،كالمذهب الاباضي وهو مذهب الدولة الرستمية (٤) ، ومذهب الصفرية بتالغمت(٥) ، وبينهما

---

(١) الدرجيني ، ج ١ ،ص ٥٧ ، انظر كذلك أبو زكرياء ، ص ٦٥ .

(٢) الشماخي ،ص ٦٢ ، أبو زكرياء ،ص ٦٥ .

(٣) محمود اسماعيل ،الحركات السرية ،ص ٢٦ ،انظر كذلك أبو زكرياء ، السير ،ص ١١٣ .

(٤) الكماك ،موجز تاريخ الجزائر ،ص ٢١٥ .

(٥) ابن الصغير ،ص ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبين تاهرت ثلاث مراحل (١) ، ومذهب الواصلية المعتزلة على مقربة من تاهرت وكانوا يسكنون خياما من شعر ويبلغ عددهم ثلاثون ألف شخص (٢) ، ومذهب اهل السنة واهل الكوفة (٣) .

وكانت هذه الفرق نشطة فكريا ، فكان لكل فرقة مسجدها وعلماؤها وحلقات دروسها واذا وقعت مناظرة بين فرقة واخرى وقعت في حدود الادب والاحترام المتبادل . وقد حدّث ابن الصغير عن هذه المجالس قائلا : " ومن يأتي الى حلقات الاباضية ناظروه ألطف مناظرة ، وكذلك من أتى من الاباضية الى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك " (٤) .

وكان تعايش مذاهب مختلفة في تاهرت وشيوع المناظرات بينهم من العوامل البالغة الاهمية في تلقيح الافكار وخدمة اللغة العربية وآدابها . وقد حدّث ابن الصغير عن تسامح الاباضيين بما يثير الاهتمام قال : " ولا يمنعون أحد من الصلاة في مساجدهم ، ولا يكشفون عن حاله ما خلا المسجد الجامع (يعني بذلك مسجد الامام) ،

---

(١) البكري ، وصف ، ص ٦٦ ، ٤٣ (توجد هذه المدينة بين الاغواط وغرداية انظر بونار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ص ٨٦) .

(٢) البكري ، وصف ، ص ٦٧ - ٦٨ ، انظر الدرجيني ، طبقات ، ج ١ ، ص ٤٣ ، وابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

(٣) ابن الصغير ، ص ١٣ ، ٥٠ - ٥١ .

(٤) ن . م . ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانهم اذا رأوا فيه من رفع يد يه منعوه وزجروه فان عاد ضربوه " (١) .

وكان الامام أبو حاتم يوسف بن أحمد (٢٨١ هـ - ٢٩٤هـ) ، قد استشار مشايخ البلد اباضيتها وغيرهم فيمن يولي القضاء وبيت المال والشرطة (٢) .

وظلت الفرق المذهبية قائمة طيلة مدة حكم الرستميين وهي التي ساعدت أبا عبد الله الشيعي في الاستيلاء على المدينة سنة ٢٩٦ هـ (٣) . فقد خرج الى أبي عبد الله الشيعي وجوه اهلها من المخالفين والشيعة والواصليةومن بها من الصفرية وتلقوه ، وشكوا اليه الامارة ووعدوه العون من انفسهم على جميع الرستميين (٤) . فكان اهم سبب في ضعف هذه الامارة ،الرخاء الذى ساد مدينة تاهرت فلم يعد الائمة الرستميين يفكرون في تطبيق المبادى والنضال من اجلها ، انما تحولت الامارة الرستمية الى ملك يتوارثه الرستميون ، كما اهملوا العناية باعداد جيش يقدر على الدفاع عن عاصمتهم ولذا كثر المخالفون من الاباضية وجاء على لسانهم في امارة عبد الوهاب بن رستم : " ان الامور قد تغيّرت والاحوال قد تبدلت ، قاضينا جائر وصاحب بيت مالنا خائن ،وصاحب شرطتنا فاسق ،واماما لا يغير من ذلك شيئا " (٥) . فحين هاجم الشيعي تاهرت

---

(١) ابن الصغير ، ص ٤٢ .

(٢) ن . م . ص ٥٦ .

(٣) البكرى ،وصف ، ص ٦٨ .

(٤) ابو زكرياء ، السير ،ص ١١٢ ، انظر عوض خليفات ، الاباضية في المغرب العربي ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٥) ابن الصغير ،ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلقى مساعدة من هوءلاء المعارضين .

وأفسح تسامح الرستميين المجال للحوار بين المذاهب ولدفاع كل فئة عن آرائها الدينية مما دفع بشيوخ الاباضية على التعمق في دراسة قضايا الدين ومسائل الخلاف . ويذكر ابن الصغير هذه المجالس بقوله : " ان الفقهاء تناجت المسائل فيما بينها وتناظرت واشتهت كل فرقة ان تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها " (١) . فهذه المنافسة الفكرية بين شيوخ الاباضية وغيرهم جعلت من تاهرت مركزا من أبرز المراكز للدراسات الاسلامية (٢) .

وطغت على الحياة الفكرية العلوم الدينية وبخاصة المذهبية منها ،فكان على الحكام الرستميين ان يواجهوا المعارضة السياسية داخل المذهب وخارجه وكانت هذه المعارضة تتخذ جميعها صبغة دينية (٣) . فجد شيوخ الاباضية في التعمق في دراسة قضايا الدين والتفقه فيه والبحث في مسائل الفرق ،والاهتمام بالجدل المذهبي وكانت هذه الطبقة من مشائخ المذهب الاباضي ذات شأن في عاصمة الدولة الرستمية (٤) . ومن اشهر هوءلاء في المناظرات

---

(١) ابن الصغير ،ص ٥١ .

(٢) ابن الصغير ،ص ٥١ ،انظر ألفرد بل ، الفرق الاسلامية ،ص ١٤٩ .

(٣) ابن الصغير ،ص ٥٠ - ٥١ ، انظر أبو زكرياء ،ص ٥٨ - ٧٣ .

(٤) T. Lewicki, Les historiens, biographes et traditionistes Ibadites - Wahbites de l'afrique du nord au XIII^e au XVI^e siecle, Krakow, 1962

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلم الجدل ، الامام ابو اليقظان ،له موءلفات عديدة في هذا الفن من ضمنها رسائل عديدة أدبية وسياسية أجاب فيها على مخالفيه وتعتبر هذه الرسائل نموذجا للرسائل الديوانية السياسية الرستمية (١) .

وكان الجدال المذهبي بين الفرق عونا لحركة التعريب في تاهرت وضواحيها اذ كان يحضر هذه المناظرات العامة والخاصة. فقد اشتد الجدال بين الاباضية والمعتزلة في عهد الامام عبد الوهاب وبقي مدة طويلة يسيطر على الحياة الفكرية والدينية في تاهرت وكاد هذا الجدال بين المعتزلة من زناتة والاباضية من نفوسة يوءدي الى حرب فاستنجد عبد الوهاب بنفوسة الجبل لترسل اليه قوة عسكرية يستطيع بها أن يوقف الفتنة ولترسل اليه فوق ذلك شيوخا قادرين على مجادلة المعتزلة ودحض ارائهم بالحجة (٢) . وقد انتشر الاعتزال بين زناتة البترية وقاومته الخوارج واهل السنة معا (٣) .

---

(١) انظر عن رسائل الامام أبا اليقظان ،ومنها رسالة في الوعظ والتذكير الى أحد مخالفيه ، الازهار الرياضية ،ج ٢ ،ص ١٨٧ - ١٨٨ . ورسالة الى ميال بن يوسف ،الازهار ، ج ٢ ،ص ١٩٩ ،ورسالة الى عامة رعيته وموقفه من صفات التمرد على الطاعة ، الازهار ، ج ٢ ،ص ٢٠١ ، ورسالة اخرى هي نصيحة عامة الى جميع رعاياه ،الازهار ،ج ٢ ،ص ٢١٤ .

(٢) ابو زكرياء ،السير ،ص ٦٧ - ٧٣ .

(٣) Vonderheyden, La Berberie orientale sous la dynastie des Bénoû, L'Arab, Paris, 1927,p.47 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أبرز هؤلاء الشيوخ الذين قدموا من جبل نفوسة محمد بن يانس (١) وأحد الفقهاء المسمى بالمهدى (٢) ، وقد قتل فيما بعد في محاصرة هوارة لمدينة طرابلس (٣) .

ومن أبرز مظاهر الحياة الفكرية التي عرفتها تاهرت في أيام الامام ابي اليقظان تلك المناظرة العامة التي حضرها سكان المدينة وجرت على نهر مينه بين شيوخ المعتزلة والاباضية وحضرها ابن الصغير المالكي وذكرها في تاريخه (٤) .

ولم تقتصر الحياة الفكرية في مجالس تاهرت على التعليم والقاء الخطب والمواعظ والدعوة للمحافظة على المذهب ،بل تعدتها الى تأليف ونسخ الكتب الخاصة بالعقيدة الاباضية (٥) . ويذكر

---

(١) أبو منيب محمد بن يانس : ترجم له الدرجيني في طبقاته وصنّفه ضمن علماء الطبقة الخامسة (٢٠٠ - ٢٥٠ هـ) ،وقال عنه انه ممن " سمع العلم وسمع عنه " ،انظر الدرجيني ،طبقات ،ج ٢ ،ص ٢٩٦ - ٢٩٩ ، وأبو زكرياء ،السير ،ص ٦٧ .

(٢) مهدى النفوسي الويغوى : وترجم له الدرجيني في طبقاته وصنفه ضمن علماء الطبقة الخامسة (٢٠٠ - ٢٥٠هـ) ،ووصفه بأنه " المقدم في علم البيان والاستدلال " ،انظر الدرجيني ،طبقات ،ج ٢ ،ص ٣١٣- ٣١٤ .

(٣) أبو زكرياء ،السير ،ص ٦٧ .

(٤) ابن الصغير ،ص ٤٤ - ٤٥ ، وانظر البرادى ، الجواهر ،ص ١٧٩ .

(٥) انظر عن تآليف اباضية المشرق والمغرب ،البرادى ،الجواهر ،ص ٢١٨-٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنا ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية بعض من عاصر من فقهاء الاباضية والذين كان لهم تآليف في الرد على مخالفيهم في المذهب . فمن هؤلاء رجل من العرب يعرف بمحمود بن بكر وكان مدارهم الذى يذب عن بيضتهم ويدافع عن مذهبهم ويرد على الفرق في مقالاتهم ويؤلف الكتب في الرد على مخالفيهم . ومنهم أيضا عبد الله بن اللمطي (١) . ومن ابرزهم أبو عبيدة الاعرج استاذ التاهرتيين وأحد شيوخ ابن الصغير ،الذى وصفه قائلا : " وكان رجل منهم يعرف بأبي عبيدة الاعرج مقرّين له بالفضل معترفون له بالعلم مسلّمون له في الورع ، اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه "(٢) . وقد أخذ عنه ابن الصغير ، كتاب اصلاح الغلط لابن قتيبة (٣) ، وشهد له ببراعته في اللغة والنحو قائلا : " وكان أبو عبيدة هذا عالما بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة وكان مع ديانته حسن الادب والمروة "(٤) .

وكانت الصلة الثقافية بين تاهرت وسجلماسة وطيدة بحكم المصاهرة وقرب المذهب، فكان اهل المغرب كلهم مشغفين بأبي عبيدة الاعرج حتى ان من كان منهم بسجلماسة يبعثون اليه بزكاة أموالهم يصرفها حيث يشاء (٥) .

---

(١) ابن الصغير، ص ٤٤ - ٤٥ ، والبرادى ، الجواهر ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) ن . م . ص ٤٥ ، ن . م . ص ١٨٠ .

(٣) ن . م . ص ٤٦ ، ن . م . ص ١٨١ .

(٤) ن . م . ص ٤٦ ، ن . م . ص ١٨٠ .

(٥) ن . م . ص ٤٦ ، ن . م . ص ١٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استطاع الائمة الرستميين بفضل بساطتهم وتقواهم وعلمهم وبفضل من أحاط بهم من ناس بسطاء ومن علماء وفقهاء ان يكتسبوا ثقة البربر واحترامهم فأحاط هؤلاء بهم وتعلقوا بدعوتهم الدينية القاسية .

واستمرت الدولة الاباضية في المغرب الاوسط قرابة مائة وخمسين سنة (١٤٤ هـ - ٢٩٦ هـ) ، وكانت عاصمتها تاهرت مركزا مهما للدراسات الاسلامية وفقا لمذهب الخوارج الاباضية . وبفضل تسامح الائمة استطاع علماء اهل السنة القدوم لجدال علماء الاباضية في كل مسائل العقيدة والشريعة ، وربما راود الاباضية الامل في ان يقنعوا علماء اهل السنة باعتناق نحلة الاباضية .(١) ومن هذه الناحية كانت تاهرت شأنها شأن القيروان وتونس ، حاضرتي العلم على مذهب اهل السنة ، مدرسة لجلب روح الجدل والمناقشة والتدقيقات . وأخذ الاباضية في تلقي العلم بحماسة وأسسوا بدورهم مدرسة كانت انطلاقة نحو تعريب المغرب الاوسط .

---

(١) انظر المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين ، مقالة د . احسان عباس ، الاصالة ، ص ٢٠ - ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــادر

١ - ابـن الأبـــار ، أبو عبد الله القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ/١٢٤٩م) .
- الحلة السيراء ، ٢ ج ، تحقيق حسين مؤنـــس ، نشر لجنة التأليف والترجمة ، الطبعـة الأولـــى ، القاهرة ١٩٦٣ ، ١٩٦٤م .
- التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق كود يرا ، مدريـــد ، الطبعة الاولى ، ١٨٨٦م .

٢ - ابـن الأثـير ، علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٥ ج ، المكتبة الاسلامية بطهران ، طبع في المطبعة الاســـلامية بالاوفست ، بلا تاريخ .
- الكامل في التاريخ ، ١٣ ج ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٦٥ م .
- اللباب في تهذيب الانسان ، ٢ ج ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٦هـ .

٣ - الادريســـي ، محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ) .
- صفة المغرب وأرض السودان والاندلس ، قطعـــة مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق ســـعد عبد الحميد سنة ١٩٥٨م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نشر دوزى ودى غويه ،ليدن ١٨٦٦م .

٤ - الاصطخــرى ، ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ) .
- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحيني ،مراجعة محمد شفيق غربال ، نشر دار القلم بالقاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

٥ - ابــن أعثــم ، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) .
- الفتوح ، ٢ ج ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيدر أباد ، الطبعة الاولى ١٩٦٩م .

٦ - الآمــدى ، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ) .
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ، تصحيح وتعليق الاستاذ ف. كرنكو، الطبعة الاولى ، مكتبة القدس ،دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م .

٧ - الأنبــارى ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ) .
- نزهة الالبا في طبقات الادبا أى النحــاة ، (د .م - د .ن) (١٩) ، عدد الصفحات (٩١) .

٨ - الباجــي ، محمد (ت ١٢٨٦هـ) .
- الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، تونس ١٣٢٣هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩ - البـــــــرادى ، أبو القاسم بن ابراهيم (ت ٦٩٧ هـ) .

- الجواهر المنتقاة ،لندن ، المكتبة البريطانيـــة ، قسم التصوير (-١٩١) رقم (٢١٩) ، ميكروفلـــم ، ٣٥ ملم - بكرة ،أبيض وأسود ، نشــر علمـــي ، شكل الكتاب ، القاهرة (د.ن) ١٨٨٥م .

١٠- ابـن بشــكوال ، خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ) .

- الصلة ، ٢ ج ، القاهرة ١٩٦٦م .

١١- البكـــــــرى ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) .

- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مــع ترجمة فرنسية ، نشره دى سلان تحت عنـــوان

Description de l'afrique septentrionale

الجزائر ١٩٦٥م .

- معجم ما استعجم ، ٤ ج ، تحقيق مصطفــــى السقا ،عالم الكتب ، بيروت ، بلا تاريخ .

١٢- البغـــــدادى ، أبو القاسم عبد الله بن عبد العزيز (ت ٣١٧هـ) .

- كتاب الكتاب ، في مجلة الابحاث الشرقية الـــتي يصدرها المغرب الفرنسي في دمشق ، ج ١٤ ، دمشق ١٩٥٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣- البـــلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) .

- فتوح البلدان ،تعليق رضوان محمد رضـوان ، دار السعادة ، مصر ١٩٥٩م ، ونشر دار مكتبة الهلال ،بيروت ـ لبنان ، الطبعـة الاولـى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- أنساب الاشراف ،ج ٥ ، مكتبة المثنى ،بغداد .

١٤- التيجانـــي ، عبد الله بن محمد (ت حدود سنة ٧١٧هـ)

- رحلة التيجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرستمية ،تونس ١٩٥٨م .

١٥- الثعالـــبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ) .

- لطائف المعارف، تحقيق ابراهيم الابياري ،وحسني كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربيـــة ، بلا تاريخ .

١٦- الجاحـــظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) .

- البيان والتبيان ، ٤ ج ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، بيروت، بلا تاريخ .

- المحاسن والاضداد ، نشر محمد أمين الخانجـــي الكتبي وشركاءه ، مصر ،طبعة ١٣٢٤هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit